من أشهر شعراء الإغريق

يوريبيديس

شكري عبد الوهاب



مؤسسة حورس الدولية

من أشهر شعراء الإغريق

يوريبيديس

إعداد

شكري عبد الوهاب

مؤسسة حورس الدولية

عبد الوهاب ، شكري .
من أشهر شعراء الإغريق – يوريبيدس ، تأليف / شكري عبد الوهاب –
الأسكندرية : مؤسسة حورس الدولية .
٣١٤ ص ، ٢٥ سم .
تدمك ٤ - ٢٩٠ - ٣٦٨ – ٩٧٧- ٩٧٨ .
١ – من أشهر شعراء الأغريق .

أ - العنوان .

٩٢٨

الإخراج الفنى وفصل الألـوان
وحدة التجهيزات الفنيـة بالمؤسسـة

إشراف عام: إدارة النشر بمؤسسة حورس الدوليـة

مديـــر النشـــــر مصطفـــى غنيــــم

الترقيم الدولى I.S.B.N	رقم الإيداع بدار الكتب	طبعة
978 - 977 – 368 – 290 - 4	15399	2013

مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع

الإسكندرية ١٤٤ شارع طيبة – سبورتنج ت: ٥٩٨ ٣٠ ٥٩ – فاكس: ١٧١ ٢٢ ٥٩
Email: Horus.alex@hotmail.com Mob.: 01223293638
Horus.alex2007@yahoo.com

الإهداء

إليك يـــا من ترفرفين على حياتى و تظلللينها فى حنان و حـــب ...
إليك أهدى كل سطر من سطور هذه الموسوعة التى رعيتها يومـــا
و هى فى مرحلة الولادة ، و ها هى اليوم ترى النور

المؤلف

مقدمة

يتناول هذا الكتاب من الموسوعة المسرحية ، الشاعر الثالث من شعراء المأساة العظام ، و هو يوريبيديس .

و يوريبيديس فى عصره ، قد أثار العديد من المناقشات ، و انقسم أهل العصر فى تقييمه ، و من الغريب أن يمتد هذا الجدل إلى عصرنا الحالى ، إذ رأى فيه البعض أنه أول كاتب إغريقى ، تعكس أعماله صورة صادقة لعصره ، فصور لنا الإنسان كما هو ، و اتخذ من العقل أساساً للفكر ، و رفض سيطرة القوى الغيبية ، فنزل بأبطال مأسية إلى أرض الواقع . و هكذا وضع الإنسان الإغريقى و آلهته وجهاً لوجه ، بعد أن بذر بذور الشك فى قدرات هذه الألهة ، مما جعل الفرد لا يُقيم وزناً لمقدسات الماضى البالية ، و يرفض أن تتحكم فيه المصادفات و القوى غير العاقلة .

بينما رأى البعض الأخر من مثقفى عصرنا ، أن يوريبيديس بما أتاه من تجديدات ، قد أسهم فى إفساد المأساة الإغريقية ، و أشاع نزعة تشاؤمية، و عقلانية ، كان لها أثرها على إنسان تلك المرحلة . امتد رفض هؤلاء و تحفظهم إلى إثارة الصدام بين الإنسان و موروثاته ، التى نادى به يوريبيديس . أيضاً هاجم هؤلاء لجوء الشاعر إلى وسيلة الإله من الالة ، و اعتبروها دليلا على عجزه عن إنهاء المسرحية نهاية منطقية .

على أية حال ، كان المسرح بالنسبة ليوريبيديس مدرسة للتأمل و البلاغة و الجدل . و أنه صورة للإنسان كما هو ، لا كما يجب أن يكون ، ترتب على هذا الاتجاه ، أن خلت أعماله من المثالية و الجلال و السمو ، و أصبحت صورة بطله ، تتصف بالإنسانية و البشرية ، و يشبه إنسان الحياة اليومية العادية ، و على ذلك ، تناول الشاعر الموضوعات التى كان من سبقه من الشعراء ، يعتبرونها فظة خشنة و غير لائقة ، و صور الشخصيات التى كانت مثالاً للانحراف و الفساد ، و أصبح كل ذلك مصدراً أصيلاً لمادته المسرحية .

إن ما وصلنا من تراث يوريبيديس ، يزيد عن ما وصلنا من الشعراء الأخرين ، و عبرت مسرحياته عن الثراء الفكرى و الاجتماعى و الإنسانى الذى ساد القرن الرابع ، بل و لا زال هذا التراث يلاقى الاعجاب من إنسان عصرنا ، و يجد فيه نفسه .

إنها رحلة متنوعة مع موضوعات هذا الشاعر ، بل هى ممتعة بما حوتـــه مـــن أفكار و ناقشته من سلوك و أفعال .

تحريراً فى ١/٩/٢٠٠٢

المؤلف

الجزء الأول

أولاً : حياته

ثانياً : المؤثرات التـــى أحاطــت بيوريبيـــديس و أثرت على فنه كشاعر مأساوى مبدع

يوريبيديس : (٤٨٠ ق.م ـ ٤٠٦ ق.م)

واحد من شعراء الإغريق العظام . ولد الشاعر في الجزيرة الأثينية سلاميس ، في ذات العام الذى نشبت فيه المعركة المشهورة بين الإغريق و الفرس ، و كان النصر حليفاً للإغريق .

تعددت الروايات حول وضعه الاجتماعي ، فأرستوفانيس في مسرحيته الضفادع ، زعم أن أمه ، كانت بائعة للخضر في أسواق المدينة ، و أن أباه كان بقالاً مفلساً (١) . أما الرواية الثانية ، فتقول إن مركز أسرته الإجتماعى يختلف تماماً عن ما قال به ارستوفانيس ، إذ كانت أسرته ميسورة الحال ، بل و كان أباه يملك الأراضى ، و قد دعم أصحاب هذا الرأى رأيهم ، بأن يوريبيديس قد تلقى تعليماً ، فلو أن أسرته وضيعة ، لما استطاعت أن تدفع نفقات تعليمه ، بالإضافة إلى ذلك ، قال هؤلاء أن أباه كان يملك مكتبة ، و هذا أمر نادر فى تلك البلاد ، و يدل على ارستقراطية الأسرة .

مارس يوريبيديس الرياضة ، و اشترك فى العديد من المباريات ، كما اشتهر بإجادة الرسم ، و ظهرت مواهبه الشعرية (٢) .

أما عن يوريبيديس كزوج ، فقد عُرف عنه أنه تزوج مرتين ، الأولى من إمرأة تدعى ميليتو ، و قد انفصل عنها حينما اكتشف أنها تخونه ، أما الثانية فهى خويريلى ابنة منيسيلوخوس ، و قد أنجب منها ثلاثة أبناء هم ، منيسارخيدس ، منيسيلوخوس ، زيزريبيديس . و يُقال إنه قد انفصل عنها أيضاً لخيانته مع أحد العبيد .

و قد أرجعت الأراء الكثيرة كراهيته للمرأة إلى هاتين الخيانتين . بل و يرى البعض أن مسرحيته هيبوليتوس نتاج مرحلة زواجه الأولى و صدى للخيانة .

و على عادة كتاب المأساة القدامى ، كتب يوريبيديس معظم مسرحياته

---

١ - يوريبيديس ، الكترا ، أورستيس ، ترجمة اسماعيل البنهاوى ، العدد ٥٦ من سلسلة المسرح العالمى ، وزارة الاعلام ، الكويت ، مايو ١٩٧٤ ، ص ٥ .

٢ - يوريبيديس ، افيجينيا فى أوليس ، افيجينيا فى توريس ، ترجمة اسماعيل البنهاوى ، وزارة الإعلام الكويتية ، الكويت ، العدد ١٦٦ من سلسلة المسرح العالمى ، يوليو ١٩٨٣، ص ٥ .

بمناسبة احتفالات ديونيسوس الكبرى ، أو احتفالات اللينا (١) .

كان على غير عادة معاصريه ، ايسخيلوس و سوفوكليس ، يحترف الكتابة المسرحية ، و يخصص لها كل وقته، و برز كشاعر ينهج في الفكر أو العمل نهجاً مستقلاً ، و يدعو إلى الفردية ، في عصر كان لا يزال يوقر النموذج الإنسان المحب لخدمة أبناء مجتمعه ، و يبجل شغل المناصب العامة .

برغم مكانة هذا الشاعر في سجل التاريخ ، و كل ما أنجزه من أعماله، إلا أنه ، لم ينل الجائزة الأولى سوى خمس مرات فقط في خمسين عاماً ، كما لم يبق منها سوى تسع عشرة مسرحية من أصل تسعين مسرحية كتبها الشاعر، و لم يحفظ منها التاريخ سوى إحدى و ثمانين مسرحية . تنقسم هذه المسرحيات الباقية إلى ثماني عشر مأساة ، و مسرحية ساتورية واحدة هي الكوكليس . تناولت هذه المآسي ثلاث مجموعات أساسية :-

الأولى : قصة طروادة . و يلاحظ أن مسرحياتها كتبت في فترات متباعدة لم يراع فيها الشاعر التسلسل الحقيقي لقصة الحرب الطروادية ، و تمثل مسرحيات الطرواديات و هيليني و هيكوبا مسرحيات تلك المجموعة .

الثانية : أساطير طيبة .

الثالثة : أساطير أثينا .

أيضاً يمكن تقسيم هذه المسرحيات إلى نوعين متميزين :

الأول : مآسي تحمل وعياً جديداً و معاصراً .

الثاني : مآسي متنوعة ، بعضها تراجيكوميدي ، و بعضها الأخر ملاه سوداء ، بينما الباقي مسرحيات ذات صبغة رومانسية .

تميز الشاعر عن معاصريه بواقعيته و حيوية أعماله ، التي صدمت معاصريه ، لأنهم شعروا بأنه يحط من قدر البطولة و حاول فضح زيف شخصياته الأسطورة، كما أنه نزل بأبطاله الى مستوى الحياة اليومية المُعاشة ، و مع ذلك يمكن أن نقول، إن بعض شخصيات مسرحياته تتمتع بقدر عال من النبل ، مثل الكيستيس ، و افيجينيا ، و بولوكسينا .

---

١ - Lenaea و هو من الأعياد المحلية لشعب أثينا ، يقام احتفالاً بديونيسوس و نسبة له. اعتاد الإغريق إقامة احتفالات هذا العيد في الجزء الغربي من الأكروبوليس ، و في أيام الشتاء . يعرف هذا الاحتفال ، بعيد المعاصر ، التي تُعصر فيها ثمار العنب .

حرص الشاعر على أن تأتى مسرحياته ، مرآة صـادقة لعصـر ، و إن خالفت ما هو موروث من تقاليد راسخة ، فنجده يُضفى الهيئة البشـرية علـى الآلهة ، بل و جعلها تفكر كإنسان ، و تحس بأحاسيس الناس .

و من الغريب أن يلقى الشاعر و أعمالـه ، كـل التقـدير بعـد وفاتـه ، و ينال إعجاب مشاهديه ، و تزداد شهرته ، و أصـبحت مسـرحياته بالنسـبة للهلينستية الجديدة ، التى بزغت بعد فتوحات الاسكندر الأكبر ، هـى التسـلية المفضلة لهم ، بل و أثرت على الجيل الذى تـلاه مـن الكتـاب ، و لقـرون عديدة .

تعددت بعض المقولات عنه ، و لعل أغربها :

١ – أنه كان يحب العزلة ، لذا اختار كهفاً فى جزيرة سلاميس ، مقراً له .

٢ – أن كليون ، قائد قوات أثينا ، قد حكم بإعدامه بعد اتهامه بالزندقة .

٣ – أن كلاب ارخيلاووس ملك مقدونيا قد هاجمته أثناء إقامته فـى مقـدونيا ، فى أواخر أيامه .

إن مثل هذه المقولات تحتمل الصدق و الكـذب ، إذ لـيس هنـاك أدلـة قاطعة عليها ، كما لم يجمع عليها الدارسون .

على أية حال ، فى عـام ٤٠٨ ق.م و يقـال أحيانـا ٤٠٧ ق.م ، قـرر الشاعر ترك أثينا ليعيش فى بلاط ملك مقدونيا ، و هناك مات و دفن .

المؤثرات التى أثرت على يوريبيديس فى القرن الخامس :

شهد القرن الخامس ق.م تكامل الحضارة الهليدية و اتجاهها السريع نحو إرساء بعض التقاليد ، و شيوع روح الابتكار و الخلق كان لأثينا نصيب الأسد من هده الحضارة بكل ما ظهر فيها من سياسة و حرب و أدب و فن ، حتى غدت اثينا مدينة الحضارة ، و لفضلها تدين الإنسانية بما وصلت إليه من أفكار و عادات ، و فلسفة ، و ثقافة .

و منذ فجر التاريخ الإغريقى ، و أثينا تحمل لواء الثورة ، و تقف فى وجه كل طاغ مستبد ، أو حاكم ظالم ، و تبحث لنفسها عن نظام سياسى للحكم ، فكانت الديمقراطية هى السبيل الذى لجأت إليه ، و قام على تنفيذها نفر من قادة الشعب (ديماجوجوى) يملكون قوة الإقناع . أشهر هؤلاء القادة كان بركليس ، الحاكم المحبوب لسداد رأيه و قوة حجته ، و حكمته .

واجه الأثينيون بما أكسبتهم الديمقراطية من صلابة ، كل ما واجههم من أزمات أو عقبات ، و لعل أبسط دليل على ذلك ، ما أفرزته الحرب البلوبونيزية من إثبات للذات ، خاصة بعد كارثة صقلية . إن الأثينى قد ربط مصلحته الخاصة بمصلحة المجتمع ، و دفعه وعيه هذا إلى الارتباط القوى بالمدنية ، و التمسك بحريته و أصبح الجميع أمام القانون سواء ، بل أصبح الشعب هو الجمعية العمومية صاحبة الكلمة و الرأى الأخير .

و برغم كل هذا النضوج ، جاء كيمون عام ٤٥٠ ق.م مؤتلفاً مع الحزب الارستقراطى الأثينى بفكرة مقاومة سلطة العامة ، و قد وقف الاثنان ضد بركليس، و عارضوه بقوة حتى أزاحوه عن طريق طموحاتهم .

أيضاً ، شهد القرن الخامس ق.م انتعاشاً فى مجال الأدب و الخطابة و الجدل ، إذ مع ظهور اناكساجوراس الفيلسوف و العالم الأيونى عام ٤٦٠ ق.م الذى عاش فى أثينا لأكثر من ثلاثين عاماً ، و غيره من أمثال سقراط و بروتاجوراس (١) أشهر رواد الحركة السوفسطائية ، تلك الحركة التى أثارت فى أجواء أثينا ثورة على كل ما هو جامد راسخ من التقاليد المسرحية، هذه الثورة الأدبية صاحبتها ثورة مسرحية ، أفرزت ثلاثة من الشعراء العظام عاصر كل منهما الأخر ، و شغل أدبه جزءاً من القرن ، فمثلاً :

---

١ - أول من توصل الى ان القمر يُضئ عن طريق أشعة الشمس على سطحه و فسر أسباب الخسوف و الكسوف تفسيرا يعتبر صحيحا بوجه عام

١ - استهل ايسخيلوس القرن ، فقد عاش الفترة من ٥٢٥ ق.م و حتى عام ٤٥٦ ق.م .
٢ - توسط سوفوكليس تقريباً القرن ، إذ عاش من عام ٤٩٦ ق.م و حتى ٤٠٥ ق.م ، و بذلك شهد هذا الشاعر العصر الذهبى لأثينا ، و عاصر الحاكم بركليس و إنجازاته .
٣ - أما ثالث الشعراء فقد عاش مرحلة ما قبل نهاية القرن ، حيث تسارعت المتغيرات و تلاحقت وفق ما ساد الفترة من أفكار و لعل أبرز حوادث تلك الفترة هى قيام الحرب بين أثينة و إسبرطة ، و التى عرفت بحرب البلوبونيز ، و قد استمرت ما يقرب من سبعة و عشرين عاماً و انتهت بكارثة حلت بأثينا حيث استولى الإسبرطيون على المدينة ، و يقال أن يوريبيديس قد شهد هذه الحرب كجندى مقاتل ، بل و شهد دعوة بركليس إلى تبنى أهداف أثينا و إحياء مآثرها ، و قد استجاب الشاعر لهذه الدعوة فيما بعد ، و كتب العديد من المسرحيات الوطنية . أيضاً شهد الشاعر شيخوخة الحضارة الأثينية لتفسح لحضارة مدينة أخرى جاءت بقوة لتحتل الساحة . كان ذلك عام ٤٨٥ ق.م و حتى عام ٤٠٦ ق.م .

إذن ، شهد العصر ثلاثة من الشعراء المرموقين ، كشفوا عن عبقريتهم، سواء فى مجال المأساة أو الملهاة ، و تبارى الثلاثة ، و سعى كل منهم للحصول على جوائز المسابقات السنوية التى تقام على شرف الإله ديونيسوس . كانت المصادر التاريخية و الأساطير القومية ، و الملاحم القديمة ، هى المنابع التى نهل منها هؤلاء موضوعات مآسيهم ، التى لم تكن غريبة عن الأثينى ، فهى ترتبط بمدينته، أو بشعب هذه المدينة ، و تروى قصة الأسلاف و الجدود ، و كانت مثل هذه المنابع ، تزيد من عمق المفهوم الحضارى ، الذى تمتعت به أثينا دون غيرها من المدن ، الأمر الذى جعل من كلمه الاثينى ، كلمة ترادف الحضارة ، أما غيره من البشر ، فهم برابرة. ثم جاء يوريبيديس ليضيف الى هذه المنابع الموضوعات و الأحداث المحلية التى تقع فى مجتمعه المعاصر .

شهد عصر ما قبل يوريبيديس تقديساً للدين و الالهة ، و إيماناً مستقراً بقدراتها ، التى قد تفيد أو تضر الأثينى ، إلى أن جاء يوريبيديس ليزعزع هذا الإيمان ، و يبعث الشك فى قدرات هذه الآلهة ، مما جعل البعض يرتاب فى دورها فى حياته كمواطن ، و ما أثرها فى تقرير مصيره . كل ذلك بفضل ما ساد المجتمع من حركة تشكيكية أفرزت أفكاراً مغايرة .

على أية حال ، كان الفن عند يوريبيديس هو الكشف عن الحقيقة بعيداً عن كل القضايا الأخلاقية و الدينية .

يوريبيديس و السوفسطائية (١) :

لقد قدمت هذه الحركة في النصف الثاني من القرن الخامس ، فكراً جديداً ، اعتبره النقاد هجوماً و اختراقاً للعالم الإغريقي إذ تغلغل فيه ، و سيطر على العادات الفكرية ، فكانت هذه المقولات الفلسفية و الفكرية في صراع مع التقاليد السائدة في المجتمع ، بل هي ثورة مست كل ما يتعلق بوجود الإنسان ، ومعتقداته الدينية ، و قد امتد تأثيرها ، و بنفس القدر ، إلى الدولة بكل طبقاتها الاجتماعية و نظامها السياسي ، و عدالتها القضائية .

لقد عجز المجتمع القديم عن التصدي لهؤلاء السوفسطائين بأعراف و تقاليد بالية ، و بمعيار أخلاقي ، و قاعدة سلوكية عفى عليها الزمن ، و تعرضت لمتغيرات العصر ، و لم يجاريهم أحد . إن السوفسطائي يجد نفسه بعيداً عن ذلك المجتمع المستقر الأمن ، بل و يرى العالم من حوله متضارب القوانين .

كل هذا الفكر الفلسفي قد مس بصورة أو بأخرى فكر يوريبيديس و أثر في أدبه ، و إن لم يتمادى فيها حتى نهاية الشوط خاصة ، في مسألة الآلهة، فهو رغم نقده لها إلا أنه لم ينكر وجودها و يرفضها كلية .

إن أخطر ما في الأفكار السوفسطائية ، ذلك التغيير الذى حدث في العلاقة بين الإنسان و العالم ، فبعد أن كان الإنسان واحداً من كل ، يعيش في ظل نظام اجتماعي يؤمن بجماعية العمل ، أصبح هذا المجتمع في ظل الأفكار السوفسطائية فرداً مستقلاً ، كياناً منفرداً يبحث عن ذاته ، إن الفردية تحت أى ظرف من ظروف التقاليد أو التقاليد المضادة ، تعطي نوعاً من الدعم ، فالإنسان يواجه المتناقضات ، و عليه أن يحتمل العبء الكلي للمناقشة ، و يتصدى لمسئولياته . لقد ظل الفلاسفة السوفسطائيون غير

---

١ – يعني لفظ سوفسطائي أى شخص لديه علم نادر ، ثم أصبحت تُطلق على أولئك الذين اتخذوا لأنفسهم مهنة تلقين علمهم لغيرهم مقابل أجر (موريس كروازية ، الحضارة الهلينية ، ترجمة محمد على كمال الدين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ١٥٣) . و يرى مورى ، أن الكلمة تعني " الشخص الذى يصنع الحكمة أو يمارسها " . (جلبرت مورى ، يوريبيديس و عصره ، ترجمة د . عبد المعطي شعراوى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، بدون ، ص ٣٣ .) .

مُشبعين لرغبات الناس ، فقد حرفوا و شـوهوا التقاليـد ، و اسـتخفوا بهـا ، و تجاهلوها برغم أنهم لم يضعوا قيماً بديلة ، لها رسوخ القـيم القديمـة . لقـد تسبب ذلك فى صدع ثقافى لم تعرفه الأجيال السابقة.

إن عدوانية الإنسان تعتمد على عقله ، و هذه الفكرة تظهر بوضـوح فـى مآسى يوريبيديس الكاتب أو الشاعر . إن السيرة الذاتية ليوريبيديس تؤكـد أنـه كان تلميذاً مخلصاً لزعيم السوفسطائية بروتاجوراس (١) . كمـا كـان تلميـذاً لانكساجوراس (٢) ، و بروديكوس (٣) .

---

١ – من فلاسفة السوفسطائية ، تتلخص آراءه فيما يلى :

أ – صاحب المقولة الشهيرة " **الإنسان هو مقياس كل شـئ** ، الأشياء التـى تحيـا ، و التى لا تحيا . " هذه المقولة غرست بذور الشك فى عقول الناس ، فقد أثبـت هؤلاء السوفسطائيون أنه لا يوجد شئ فى ذاته ، و لا يمكن وصف هذا الشـئ بالضبط ، بل ما هو الشئ بالنسبة لىّ ، و كيف يبدو لىّ ، معنى ذلـك أنـه لا توجد حقيقة واحدة نشترك فيها جميعاً ، بل حقائق متعددة بتعدد الأفراد .."

ب – نشر تعاليمه و آراءه بعنوان التناقضات : و قد قال ديـوجين ليرتيـوس عـن بروتاجوراس أنه " أول من اقترح الفرضية النسبية (رأى علمـى لـم يثبـت بعد)، و الطريحة (المرحلة الأولى من مراحل الديالكتيك الهيجلى) ، و يعنـى هذا أن لكل موضوع رأيين متضاربين ، حيث يمكـن للسوفسـطائى أن يقلـب المناظرة بالبرهان و الحجة من النقـيض الـى النقـيض ، مسـتخدماً الجـدل و معانى الكلمات ، و العبارات فى تأييد و نقض أية قضـية ، و مـا ذلـك إلا للدلالة على مقدرتهم الخطابية و الجدلية ، و لهذا السبب لجـأوا إلـى الألفـاظ المشتركة التى تحمل أكثر من معنى ، و لعبوا بمعانيها ، مما سـاعدهم علـى إبهار من يستمع إليهم أو إرباكه .

ج – رفض بروتاجوراس الآلهة و يقول فى ذلك "ليس باستطاعتى معرفة أى شـئ عن الآلهة و ما إذا كانت هذه الآلهة موجودة أو غير موجودة ؟ ، و مـا هـو شكلها ؟ إذ تحوط هذه المعرفة ، العديد من الأمور الغامضة ، بالإضـافة إلـى قصر الحياة الإنسانية .

٢ – من فلاسفة السوفسطائية ، تتلخص آراءه فيما يلى :

أ – عرف مذهبه بالمذهب الذرى ، فالذرات عنده جواهر مكيفة فى أنفسها ، تجتمـع فى كل جسم بمقادير متفاوتة .

ب – رفض فكرة التغيير الكيفى ، و يرى أنه تغيير فى التركيب المادى للجوهر .

ج – فسر الوجود باتصال و انفصال الجواهر الموجودة بالفعل .

إن تتبع أفكار يوريبيديس ، و البحث فى أعمالـه ، يمكننـا مـن اسـتقراء العديد من هذه التعاليم السوفسطائية . إن يوريبيديس يعتمد كثيـراً علـى العـالم المعقد المشكوك فيه ، الغير ثابت ، عالم السوفسـطائين المتنـاقض ، و تميـزه بإنكار لعدد من الحقائق و التقاليد الثابته و مهاجمتها . أهم هذه التناقضات :

أ - الاعتقاد الراسخ و التقليدى فى قدرة الآلهة كقوى محركة .

ب - الأفكار المستقلة و الحرية ، خلقا نوعـاً مـن الألوهيـة أكثـر ملائمـة للمفهوم الجديد عن الإنسان ، و هى تختلف بالقطع عن النمـوذج البـدائى السابق الذى استمد قوته من الخرافات و الأساطير .

و برغم التأثير السوفسطائى الواضح على يوريبيـديس ، إلا أنـه يمكـن القول بأنه لم يتخل تماماً عن هذه التقاليـد ، و لـم يحطـم الهيكـل الأساسـى للأشكال الأدبية التقليدية ، بدليل أن الآلهة القديمـة تمـرح فـى حريـة علـى مسرحه ، كما أنـه صـاغ أعمالـه المسـرحية شـعراً ، و اسـتمد بعـض موضوعاته من الخرافات و الأسـاطير مـع تحميلهـا بالمعـانى و المفـاهيم الجديدة .

تابع الهامش

د - المحبة و الكراهية لا يكفيان لتفسير الحركة ، و يـرى أن الحركـة مـن فعـل موجود تسمو معرفته و قدرته على الموجودات جميعاً ، هذا الموجود هو العقـل، و هو قادر على التفريق بين الأجزاء المتشابهة .

هـ - اتبع طريقة التفسير العقلى ، إذ أن العقل مصدر لحركة الجواهر .

و - الإدراك الحسى وظيفة من وظائف العقل .

ز - رفض تدخل الآلهة فى النظام الطبيعى ، أو تفسير الظواهر بغير قانون العلية .

ح - كان أول من قال بالثنائية الفلسفية بين العقل و المادة .

* (أبو ريان ، محمد على ، تاريخ الفكر الفلسفى ، الفلسفة اليونانية ، الجـزء) (الأول ، من طاليس الى افلاطون ، دار الجامعـات المصـرية ، الطبعـة) (الخامسة ، ١٩٧٤ ، ص ١٠٣ و ما بعدها) .

* (مدكور ، ابراهيم بيومى ، كرم ، يوسف ، دروس فى تـاريخ الفلسـفة ،) (مطبوعات وزارة المعارف العمومية ، القاهرة ، ١٩٤٣ ، ص ١٠ -١١).

٣ - أ - قال بنسبية الأشياء ، و بأن الإنسان مقياس هذه الأشياء جميعاً .

ب - الإنسان عبد الأشياء التى اعتقد أنها نافعة له ، و أن الأله هو مصدر الثـروة ، فى أى شكل من أشكالها ، و أن كل ما يقدمه الإنسان من طقوس و صـلوات و قرابين ، ما هو إلا مظهر سطحى ، قصد به الإنسان إقناع نفسه بالتكفير عن أخطاء ارتكبها ، و أثم قابع فى أعماقه و يؤرقه .

و يرى أرسطو فى كتاب فن الشعر (١٤٥١ ب) أن معاصر يوريبيديس المدعو أجاثون (١) ، الذى حقق أول انتصار درامى له عام ٤١٦ ق.م أخذ عند تأليفه لمسرحيته المسماة أنثيوس بعضاً من الأفكار التى اقترب منها يوريبيديس ، بل و ابتكر فى حرية أحداثاً مسرحية و شخصيات أيضاً ، كما أنه جعل أناشيد الجوقة مجرد فواصل موسيقية لا تشير إلى حوادث الحكاية .

و لا يعنى هذا التناول ، أن كُتاب تلك الفترة قد هجروا عالم الخرافات الرحب من أجل المسرحية البرجوازية (و هى مسرحية تعالج أمور أفراد الطبقة الوسطى خاصة التجار) .

إن هذه التجربة ظلت مجرد حادثة عارضة ، رباط بين المأساة كجزء من عبادة رسمية و أساطير تقليدية ظلت قوية جداً برغم توارى جوهر هذه التقاليد فى زوايا النسيان تقريباً . و فى ختام هذه العجالة نخلص إلى ما يلى:

١ - كان الصراع من أجل الحياة مع إسبرطة على أشده .

٢ - سيطر السوفسطائيون على عقول الجيل بمقدرتهم على الجدل و المناقشة و طرح الحجج و البراهين ، و كان يوريبيديس من بين هؤلاء ، إذ نلمح الكثير من الأفكار السوفسطائية بين ثنايا أعماله ، فمثلا:

أ - أن نقاش السوفسطائين و أبحاثهم تدور و تتركز حول الإنسان ، لذا كانت لمقولة بروتاجوراس القائلة بأن الإنسان مقياس كل شئ أثرها على يوريبيديس ، بل و أثار بهذه المقولات ثورة فكرية على التقاليد المستقرة ، فنجد الشعب يبحث فى أمور الدين ، و الحياة الاجتماعية و السياسية على ضوء هذه الفكرة . و قد أخذ يوريبيديس بهذه الفكرة فأصبح النبل و الوضاعة عنده ، لايقررهما المولد أو مكانة الأسرة فى سلم المجتمع ، فكم من صاحب حسب و نسب سلك سلوكاً غير نبيل ، و كم من وضيع بمقياس العصر ، كان أكثر نبلاً . (ايجستوس ، و الفلاح زوج الكترا) .

ب - آمن يوريبيديس بأن لكل شئ فى الدنيا وجهان ، و بالتالى إذا نشأ رأيان حول قضية ما ، فإن هذا الأمر جائز و صحيح ، و هذا يتفق

---

١ - أرسطوطاليس ، فن الشعر ، ترجمة و شرح و تحقيق عبد الرحمن بدوى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ٢٧- ٢٨ ، هامش رقم ٤ .

مع رأى السوفسطائين القائل بأن الحقيقة ليست ثابتة و لا وجود لها بذاتها ، و لكنها حالة نفسية تخضع للإقناع و قوة الحجة و اتيان البينة ، و على ذلك يكسب النقاش من كان أكثر بلاغة و قدرة على الإقناع ، لذا يعد السوفسطائى دفاعه عن قضية ما ، و دفاعا ضدها إذا لزم الأمر .

ج - كانت الخطابة وسيلة السوفسطائى فى الإقناع و نشر المبادئ ، و قد تضمنت مسرحيات يوريبيديس العديد من المشاهد الخطابية على حساب المضمون الدرامى أحياناً .

د - قبل يوريبيديس ، كان الإنسان ضعيفاً أمام الهته ، يمتثل لقدره دون أدنى محاولة لمناقشة مصيره ، أما مع يوريبيديس بأفكاره السوفسطائية ، فإن الإنسان يناقش آلهته و لا يمتثل لقدره و لا ينقاد لهم و لأوامرهم ، و هذا يتفق مع فكرة بروتاجوراس المشككة فى وجود الآلهة ، و القائلة بأن الآلهة صور وهمية غير مرئية ، بل لا أحد يدرى إن كان لها وجودا أم لا، و أن الإنسان مهما طال به العمر فهو إلى زوال .

٣ - اضمحلت تلك الروح الوثابة و ضعف الحب الغامر للوطن الأم فلم يعد الإغريقى فخوراً بلغته أو حتى بوطنه .

٤ - لم تعد موضوعات الخرافات الأثينية قضايا مسلمة ، بل أصبحت موضع شك و فحص ، إذ دعى يوريبيديس إلى فحصها عقلانياً .

وسط هذا الجو عاش يوريبيديس ، فكان لابد و أن يتأثر بمجتمعه ، و ظهر ذلك واضحاً فى أعماله الأدبية .

الجزء الثانى

تحليل الأعمال المسرحية

١ – الكيستيس (١) :

تبدأ المسرحية بمقدمة يتلوها ابوللون ، نعلم منها أن ابوللون يعمل لدى والد ادميتوس ملك تساليا الماجن ، الذى يهوى حياة اللهو ، و يشرب الخمر فى مثل هذه الجلسات . كان زيوس قد حكم على ابنه ابوللون بسبب ما اقترفه ابوللون و قتله لصانع الرعود السيكلوب ، الذى سبق و قتل اسكليبيوس ابن ابوللون . جاء الموت ليخطف ادميتوس ، و تدخل ابوللون لدى الآلهة ليستبدل شخص المطلوب للموت بشخص أخر يحل محله و يفتديه . ظن ادميتوس أن والديه الطاعنين فى السن قد يفتديانه ، و يموتان باختيارهما لينقذاه ، و لكنهما يرفضان الفكرة من أساسها ، أيضا لم يقبل أصدقاءه عندما لجأ إليهم .

لم يجد ادميتوس من يقبل التضحية سوى زوجته الكيستيس الجميلة ، إذ هى ترى أن الأب أفضل للأبناء من الأم ، و لكن كان قبولها مشروطا بألا يتخذ ادميتوس لنفسه زوجة أخرى ، حتى لا تعذب أطفالها ، يقسم ادميتوس على هذا الشرط و على الوفاء لزوجته الراحلة .

يصل هرقل إلى قصر ادميتوس ليقضى أياما فى ضيافته . يُخفى ادميتوس عنه ما يجرى ، و كعادته مع ضيوفه يأمر بتقديم الولائم للضيف و استقباله أحسن استقبال .

يتطوع أحد الخدم باطلاع هرقل على حقيقة ما يجرى فى القصر و ما يعانيه سيده ادميتوس . يتدخل هرقل فى الأمر محاولاً إعادة الكيستيس إلى الحياة . يدخل فاريس والد ادميتوس ، و تنشب بين فاريس و ولده ادميتوس مشادة يتهم ادميتوس والده بالقسوة ، و يرد الوالد باتهام ولده ادميتوس بغلظة القلب لإقدامه على ما فعل .

يعود هرقل و فى صحبته امرأة يقدمها لأدميتوس كجارية أو محظية . يتذكر ادميتوس قسمه ، فيرفض هدية هرقل ، رغم إلحاح الأخير عليه . بعد أن تأكد هرقل من وفاء و إخلاص ادميتوس يكشف الستار عن المرأة ، فإذا بأدميتوس يجدها امرأته و زوجته و يدخل بها إلى القصر ، بينما تنشد

---

١ – قمنا بترجمة المسرحية نقلا عن النص الانجليزى الذى ترجمه ريتشار الدينجتون ، و نشر ضمن كتاب جمعه و قدم له ويتنى . ج . اوتيس ، تحت عنوان :
Whitney J. Oates , Seven Famous Greek Plays . The Modern Library , New York , 1938 .

الجوقة نشيدها الختامى قائلاً :
الجوقة : للأرواح أشكال عديدة ، و تقوم الآلهة بعمل العديد من الأشياء الغريبة ، إن المتوقع لا يحدث دائماً ، و الإله يفعل غير المتوقع .
و هكذا انتهى هذا الحدث .

أهم ما يلاحظ على هذه المسرحية :

أولاً : تاريخ عرض المسرحية :
هذه المسرحية تعتبر من أوائل المسرحيات التى قدمها يوريبيديس ، و يقال أنها جزء من ثلاثية ، نالت الجائزة الثانية بعد سوفوكليس . يرى فيها البعض مسرحية ساتيرية و ليست مأساة استناداً إلى ترتيبها فى الثلاثية ، إذ وضعها يوريبيديس فى نهاية الثلاثية ، مكان المسرحية الساتيرية .

ثانياً : أصل المسرحية :
حكاية شعبية ، كانت منتشرة وقتها . سبق و أن عالجها العديد من الشعراء مثل فرونيخوس ، و كان بطلها أيضاً ، ادميتوس ملك تيساليا. كما ، تناول الكاتب المسرحى الرومانى اكيوس ذات الموضوع ، وفق ما تشير المراجع الى تعدد المسرحيات الفكاهية التى تناولت الموضوع مثل معالجة كل من اريستومينيس Aristomenes و التى حملت عنوانا لها اسم البطل ادميتوس ، ثم تناولها ثيوبومبوس Theopompus ، كما كتب انتيفانيس Antiphanes، و هو من كتاب الملهاة فى العصر الوسيط مسرحية تحمل ذات المضمون ، حوالى عام ٣٥٠ ق.م . لم يقتصر تناول الموضوع على هؤلاء ، بل ذكر الرومانى جوفيال أن مسرحية شبيهة قُدمت فى زمنه ، بل و قدمت كمسرحية ايمائية حسب قول لوسيان ، و كلا الرجلين قد عاشا فى القرن الثانى الميلادى . كانت الخرافة تقول بموت ادميتوس فى ليلة زفافه ، و لكن عروسه الكيستيس تقترح عليه أن تضحى بنفسها و تموت بدلا منه . و بالفعل تموت الكيستيس ، و لكن يرق قلب بيرسفونى فتعيد اليها الحياة . لقد عالج يوريبيديس الخرافة و أضاف إليها ، كي يزيد من تأثيرها الدرامى إذ جعلها تموت لا فى يوم

الزفاف، و لكن بعد فترة زمنية أنجبت فيها طفلين صغيرين ، و هذا بدوره يُعقد المسألة .

و فى روايات أخرى للخرافة ، ساعد ابوللون ادميتوس بأن قدم له عربة الزفاف التى تجرها الأسود المتوحشة و الخنازير البرية و ذلك تلبية لطلب بيلياس والد الكيستيس ، الذى اشترط ألا يزوج ابنته إلا لمن ينفذ هذا الشرط ، أيضا أسهم فى الحصول على موافقة المويراى على استثناء ادميتوس من الموت ، إذ ما قدم بديلا عنه .

على كل حال ، فى كل الروايات عن الكيستيس ، كان المؤلفون يعيدونها إلى الحياة بعد موتها . إن ذلك لم يكن هو جوهر المسألة فى الرواية الأصلية ، و لكن مثل هذا البعث كان أساسيا لتمجيدها و تأليهها .

لقد أشار يوريبيديس إلى عبادة لالكيستيس فى إسبرطة و أثينا (سطور ٤٤٥ – ٤٥٤) ، كما أن هناك عبارات فى النص للدفاع عن وجهة النظر هذه (سطور ٩٩٥ – ١٠٠٥) .

ثالثاً : المنظر الذى تجرى فيه الأحداث :

خارج قصر الملك ادميتوس . يتوسط المنظر رواق معمد و بباب كبير مزدوج المدخل ، إلى اليسار مسكن النساء ، و إلى اليمين غرف الضيافة . أما باب القصر الأوسط فهو يفتح ببطء لدخول الشخصيات .

رابعاً : أهداف الفكرة الرئيسية :

١ – لماذا يتهرب الإنسان من مسئولياته ، و يلقى بها على الغير ؟

٢ – بماذا نسمى ذلك الإنسان الذى يطالب الأخرين بالتضحية بأنفسهم من أجله ، هل أدرك فى النهاية قدر أنانيته و شره .

٣ – الحب يصنع المعجزات .

٤ – إن المسرحية تجسد سخرية الأقدار بالإضافة إلى السخرية الدرامية ، إذ فى الوقت الذى يبدو فيه ادميتوس رقيق القلب رحيماً مع خدمه ، كريماً مع ضيوفه ، فإن هناك نقيصة فى خصاله يمكن اعتبارها جوهر المسرحية .

خامساً : المناقشة و التحليل :

١ - يمكن أن تُصنف هذه المسرحية كملهاة مأساوية أو ملهاة مفجعة لعدة أسباب :

ا برغم نعمة المسرحية المأساوية إلا انها مسرحية خفيفة . بسبب كون هرقل ثملاً ، فجاءت مشاهده غير جادة .
ب - النهايه السعيدة للمسرحية ، بسبب عودة الزوجة الوفية التى قبلت ان تحل محل زوجها فى قدره ، و تموت بدلا عنه .
٢ - المسرحيه تناقش مشكلة إنسانية ، و تركز على صنفين من السلوك البشرى .
٣ - إن ما نادى به أرسطو بالنسبة لمبدأ التطهير يظهر بوضوح فى هذه المسرحية ، فادميتوس شخص طيب ، خير ، يحب الناس ، و مع ذلك أصابه القدر و حتم وفاته و هو فى ريعان شبابه . فلماذا حكم القدر عليه بهذه القسوة رغم أنه ليس شريراً ليستأهل العقاب .
٤ - منذ البداية ، و المشاهدين يعلمون أن الكيستيس سوف تبعث من جديد :
أ - ورد ذلك فى الحوار بين ابوللون و الموت ، و قد أشار ابوللون إلى قدوم هرقل :
ابوللون سوف يحضر رجل إلى المدينة ، إذ أرسله يوروسثيوس للبحث عن حصان يجر عربة ، و سيصبح ضيفاً على ادميتوس و سوف يعود بالمرأة مرة أخرى ....
ب - لكون الرواية من الأساطير الشعبية ، فكل تفاصيلها معروفة لكل إغريقى ، و بالتالى نهاية المسرحية ، التى درج مؤلفها على إنهائها نهاية سعيدة .
٥ - بدأ الشاعر المسرحية بحوار بين نقيضين ، الإله المُضئ ابوللون و بين الموت المظلم الذى أتى ليأخذ الضحية البديلة .
٦ - حفلت المسرحية بالعديد من العناصر الملهوية ، مثل :
أ - شخصية هرقل و تصرفاته ، و مرحه الصاخب ، إنه أمر غريب ان يجعل المؤلف شخصية هرقل بهذه الصورة و على عكس ما هو معروف عنه تاريخياً ، إذ اشتهر بالقوة و العنف و شرهة لتناول الطعام .
ب - المشهد الختامى ، إذ حاول هرقل خداع ادميتوس و يختبر مدى وفائه لزوجته .
٧ هناك العديد من الأفكار المحددة ، مثلا :

أ - إضافة العنصر المثير للشفقة و الرثاء لتضحية الكيستيس ، إذ أن و من الطبيعي و المناسب أن يضحى العجوز و ليس الشاب ، الأب أو الأم و ليس الزوجة .

ب - نالت تضحية الكيستيس العديد من الثناء ، و من شخصيات مختلفة ، مثلا :

١ - الجوقة ، لقد فقدت زوجة جميلة . (سطور ٤١٨) .

٢ - ذات المعنى تردد مرة أخرى على لسان الأب فيريس (سطور ٦١٥ - ٦١٦) .

٣ - أعاد هرقل ذات الجملة حرفيا في المشهد الأخير . (سطر ١٠٨٣) .

٨ - يلاحظ أن الكيستيس ظلت صامته فى المشهد الاخير ، و قد قصد المؤلف ذلك ، لأن أى حوار ستنطق به أو كلام تقوله سيكون كلاماً لا معنى له لتجاوزه لحظة الذروة ، و سيقلل من تأثير المشهد .

٩ - على عادة الإغريق بالنسبة لتقديس الموتى ، نجد يوريبيديس يؤكد هذا العرف في المسرحية :

" يعتقد الناس أننا إذا لم نعر الموتى أى التفات ، و إذا أهملنا"
" عبادتهم ، فإنهم يُلحقون بنا الأذى ... الخ . " أبيات ١٠٠٤ - ١٠١٦ .

١٠ - حاول الشاعر تجميل صورة ادميتوس القبيحة ، و من بين وسائل التجميل كونه ملكاً أحبه ابوللون ، و كريما مضيافاً يقصده كل طالب حظ و مرح كل ذلك لم يكن مبررا لأن يترك زوج زوجته تضحى بنفسها و تموت بدلاً منه ثم يبكيها و يولول على فراقها ، و هو في قرارة نفسه راضيا سعيداً بتضحيتها .

١١ - استخدم الشاعر الصراع بين هرقل القوى و بين إله القبور ثاناتوس كحل للعقدة .

١٢ - يرى د . عبد الله المسلمى " أن فى هذه المسرحية ، أصبح "
" لعالم الأقوال المزدوجة Dissoi logoi ، الذى افتتحه "
" السوفسطائيون ، شكلاً دراميا (١) . "

---

١ — عبد الله حسن المسلمى ، الأدب اليونانى ، مكتبة سعيد رأفت ، ٨٥ — ١٩٨٦ ، ص ٣٩٥ .

سادساً : الجوقة :

١ – تتكون الجوقة من مجموعة من الرجال ، و هى مؤيـدة لوجهـة نظر ادميتوس و تشكل خلفية له .

٢ – تمثل الجوقة الخلفية الاجتماعية للحدث و تعكـس وجهـة النظـر العامة تجاه الكيستيس و موتها .

٣ – كانت الجوقة ملائمة تمامـاً لموكـب الجنـازة ، و قـد أخلـت المسرح منسحبة و تركته خالياً ، و هذا أمر نـادر الحـدوث فـى المأساة الإغريقية ، و لكن ضرورة المشهد التـالى بـين الخادمـة و هرقل كانت أكثر تأثيراً فى عدم وجود الجوقة .

٤ – رأى البعض أغنية الجوقـة الأخيـرة عـن الضـرورة و الإلـه الأسمى ، ما هى إلا تعبير عن فلسفة الشاعر ذاته .

٢ ـ ميديا (١) :

تدور هذه المأساة حول قصة حب بين الأميرة ميديا ، و ياسون ابن أيسون ، ملك مدينة ايولكس .

تبدأ المسرحية بدخول المربية لتُلقى المقدمة الاستهلالية ، و منها نعلم أن ياسون قد حضر إلى بلاد الكولخيين عبر صخور السمبليجاديس ، هو و من معه (٢) ، و بأمر من عمه الملك بلياس (٣) لإحضار الجزة (الفروة) الذهبية التى يمتلكها ايتيس ، و يحرسها التنين المخيف ليل نهار ، و هناك ، تعرف على ميديا التى أحبته ، و قبلت السفر معه إلى مدينة يولكوس ذات الأبراج . و تستمر المربية فى طرح المعلومات ، إذ أوعزت ميديا إلى بنات بلياس أن يقتلن أباهن ، ثم أقامت فى كورنثة مع زوجها و طفليها ، و عمت أسرتها السعادة . تتحول هذه السعادة إلى كراهية و شقاء بعد أن خان ياسون زوجته ، و اقترن بجلوكى ابنه كريون ملك كورنثة .

أثرت هذه الحادثة على ميديا ، فأضربت عن الطعام ، تمر عليها الساعات و هى تبكى مصيبتها ، و تندم على تركها وطنها و بيتها الذى خانته . و تعلن المربية خشيتها من أن الحالة النفسية لميديا ، قد تدفعها إلى إيذاء ولديها ، لاسيما قد اتصفت ميديا بالعناد ، كما يمكن أن ترتكب حماقة ضد العروس و أبيها الملك ، و فى نهاية هذه العبارة ، تحدد لنا المربية مفتاح شخصية ميديا :

المربية : إنها مُخيفة ، و لن يفلت منها فى يسر من يوقعه حظه فى عداء معها (سطر ٤٥) .

---

١ ـ أ ـ و يعنى فى اللغة اليونانية " الماكرة " ، و هى ابنة ملك مدينة كولخيس فى جنوب القوقاز ، و كانت أمها تدعى إيديا ، أى العارفة ، كما يدعى جدها هيليوس . أما خالتها فهى الساحرة كيركى . لذا كانت ميديا تجيد فنون السحر .

ب – نعتمد بصفة أساسية فى تلخيصنا لهذه المسرحية على ترجمة :

كمال ممدوح ، حمدى ، ميديا – يوريبيديس ، مطبوعات الجديد ، العدد ٢٧ ، مايو ١٩٧٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ .

٢ ـ كان معه ثيسيوس ، بيريثاؤس ، هرقل ، اسكيلييوس ابن ابوللون ، أورفيوس ، بيلوس والد أخيليوس ، كاستور ، بوليدوكيس .

٣ ـ تكتب أحيانا بيليوس .

يدخل المربى و معه طفلى ميديا و يتجاذب الحوار مع المربية ، حول وقوفها هنا ، و بكائها ، و تركها لسيدتها وحيدة ، فتُجيبه أن التابع مرآة لسيده ، تنعكس عليه كل أحزانه و همومه . و يبشر المربى بمصائب جديدة ستحل بميديا ، إذ سمع شخصاً يقول إن كريون ، سيطرد ميديا و ولديها خارج كورنثة . تتعجب المربية ، و تطرح تساؤلاً عن موقف ياسون . يتفق الاثنان على كتمان هذه الأخبار عن ميديا . و من بين عبارات المربى ، نلمح سمات شخصية ياسون .

المربى : ...... إن كل إنسان يُحب نفسه و يقدمها على أقرب الناس إليه ، و أن بعض الناس على صواب فيما يفعلون ، و لكن بعضهم الأخر إنما يسعى وراء الشره و التكالب ، فأى غرابة أن أغفل الأب هذين الولدين من أجل زوجته الجديدة ؟

تأمر المربية ، خادمة الطفلين بإدخالهما إلى المنزل ، و تحذرها من السماح لهما بالإقتراب من أمهما ، و تعود مرة أخرى لذكر تخوفها من رد فعل ميديا ، و تتمنى أن ينزل ما تضمره من شر بأعدائها و لا يصيب ذويها.

يسمع صوت ميديا و هى تعلن حزنها و مأساتها ، فتسرع المربية بإدخال الطفلين إلى المنزل ، تعيد تحذيرها بعدم الاقتراب من أمهما .

و تستمر تأوهات ميديا من الداخل ، تحمل للمشاهد بعض قرارتها و أسبابها ، بينما المربية تعلن إشفاقها ، ثم تطلق بعض العبارات المأثورة :

المربية : ...... إن نزوات الملوك فظيعة ، جامحة ، يغطون رعيتهم القليل ، ثم يأخذون الكثير ، و لا يرجعون عن غضبهم إن ركبوا رؤوسهم ...... لأن الاعتدال يعود بالخير و السعادة على البشر ، أما الإفراط فمحال أن يعود بشئ إلا أن يجلب على البيوت أعظم اللعنات عندما ينزل بأصحابها غضب الآلهة . (سطور ١١٩ - ١٣٠) .

تدخل الجوقة ، و تبدأ فى حوار مع المربية عن ما جرى لميديا ، و تعلن حزنها على ما سيجرى لهذا البيت . لازالت ميديا مستمرة فى نواحها من الداخل متمنية الموت لنفسها و كخلاص لحالتها :

تنشد الجوقة نشيدها متوسلة إلى زيوس و تنبهه إلى ما تتوق له ميديا ، و تطلب من ميديا نسيان ما حدث ، و تخفف من أحزانها ، و لتترك الثأر للإله .

و لكن ميديا لا تتوقف ، فهى تصرخ متضرعة للآلهة كى ترى زوجها ياسون و عروسه ، و قد تمزقت أشلائهما ، أو انهار عليهما القصر ، إنها

حزينة على مصيرها ، فلم تكن تتصور يوما أن يُكافئها زوجها بمثل ما فعل ، رغم كل ما قامت به من أجله ، قتلت أخاها ابسرتوس ، و جعلت ياسون يحصل على الفروة الذهبية ، و فرت معه ضاربة عرض الحائط بكل الاتهامات التى لحقتها ، متغاضية عن الخزى و العار الذى سببته لوطنها . تطلب قائدة الجوقة من المربية الدخول إلى المنزل ، و إحضار ميديا ، توافق المربية ، و تبقى الجوقة و قائدتها فى انتظار قدوم ميديا .

تدخل ميديا مع المربية ، و تخاطب سيدات كورنثة ، بأن خروجها لهن حتى لا يقال عنها إنها متكبرة و متعالية ، و تعلن أن ما جرى لم تكن تتوقعه ، فقد كان زوجها بالنسبة لها هو كل شئ ، و لكن خيانته لعهده و عهدها حطم كل ما بينهما ، و تتعرض ميديا لموقف الزوجة فى عصرها، إذ كان عليها أن تدفع الدوطة (المهر) للزوج ، و إذا انفصلت عن زوجها لاكت الألسن سيرتها . إنها الزوجة الغريبة عن هذا البلد ، و هذا فرض عليها الوحدة ، فلا أم و لا أخ ، و لا أقارب تحتمى بهم ، و توجه حديثها إلى الجوقة ، مناشدة إياها أن تحفظ سرها ، فهى قد عزمت على أن تقتص من زوجها ، و من كريون والد العروس الجديدة ، انتقاما لتلك الإهانة التى وجهها إليها زوجها و إلى فراشها . و توافق قائدة الجوقة و تتعاطف معها .

يدخل كريون ليعلن قراره بنفى ميديا و ولديها ، و يحذرها من التلكؤ ، فإذا حدث ذلك ، سيلقيها بنفسه خارج البلاد . و تتعجب ميديا لقرار كريون، و تسأله عن مبرراته ، فيجيبها أن دوافعه تتمثل فى خوفه على ابنته ، خاصة و أنه قد سمع من الناس عما انتوته من شر ضده و ضد ابنته . تنفى ميديا هذا الزعم عن نفسها ، ثم تتوسل إليه أن يتركها تعيش فى المدينة ، و تعده ألا ترتكب أية حماقة ، يرفض كريون متعللاً بعدم ثقته فيها ، ثم يأمرها بالإسراع فى تنفيذ القرار ، و عندما لا تُفلح توسلاتها للبقاء فى المدينة ، تطلب من كريون مهلة ليوم واحد لتدبر احتياجاتها ، و احتياجات أولادها من زاد و زواد . يستجيب كريون لرجائها ، و يحذرها من المراوغة ، على أن تغادر البلاد قبل أن تشرق شمس اليوم التالى . يخرج كريون و اتباعه ، تاركا ميديا مع قائدة الجوقة ، التى تتعاطف معها ، و تعلن حزنها على ما فيه ميديا من موقف .

تبدأ ميديا فى اجترار خطتها ، و ما انتوت فعله ضد من كانوا السبب فيما حل بها من مصائب ، فالمهلة التى طلبتها كافية لتنفذ فى أعدائها ما تريد :

ميديا : ...... سأطرحهم جثثاً هامدة ، الأب و ابنته ، والخائن زوجى .

إنها تستعرض كل الوسائل التى تساعدها فى تنفيذ خطتها لتختار أنسبها، ثم تُقسم بالإلهة هيكاتى ، و تشحذ همتها بتذكير نفسها بآلامها و بمكانتها العائلية .

تبدأ الجوقة فى نشيدها الثانى الذى يدور حول انقلاب النظم و التقاليد ، و انهيار الإيمان بالآلهة ، و عن قدر النساء ، و غدرهن و خيانتهن ، ثم تتناول الجوقة ميديا و تضحيتها بالأهل و الوطن من أجل حبها ، و كان جزاؤها النفى و الطرد .

يدخل ياسون ، و يدور الحوار بينه و بين ميديا حول قرار نفيها ، فيُحملها ياسون تبعة صدور هذا القرار ، إذ دأبت هى على مهاجمة الأسرة المالكة ، و قد أغضبهم ذلك ، فاتخذوا قرارهم ، و قد جاء هو اليوم كى يبحث معها ترتيبات رحيلها و أولاده ، و يقدم لها الدعم المالى . لا زالت غيرة ميديا تتحكم فى سلوكها ، فتكيل له الشتائم ، و تتهكم على حضوره ، و تؤنبه على ما فعل ، و تذكره بما صنعت له من قبل ، فقد أنقذت حياته يوماً من الأفعوان الحارس للفروة الذهبية و قتلته ، خانت أباها و وطنها ، و هجرت مدينتها ، و ضحت من أجل أن تأتى معه إلى يولكوس ، و قتلت من أجله بلياس ، و مع ذلك غدر بها ، و تزوج بأخرى ، و تنكر لكل عهوده لها . ثم تستعرض أسباب زواجها ، و تفندها ، و ما أن تفرغ من ذلك حتى تسأله ، أين تذهب و قد قطعت خيوط الود بينها و بين عائلتها و وطنها ؟ كما أن العلاقة بينها و بين بنات بلياس لا تسمح بمجرد التفكير فى زيارتهم ، لقد كرهها الناس بسبب ما فعلته ضدهم ، و لكنه كان من أجل زوج أحبته ، و أخيراً تلوم زيوس لأنه لم يضع على جسد الإنسان علامة مميزة ، تدل على أخلاقياته و معدنه كى يتعرف البشر عليها ، و يحتاط من صاحبها ، و تعلق الجوقة على هذا السباب بأنه أقسى أنواع الغضب .

يتحامل ياسون على نفسه ، متغاضياً عن تلك الشتائم و السباب الذى كالته ميديا له ، و يبدأ فى إطراء ذكائها ، و يعترف بجميلها ، و ما قدمته له من خدمات و حب ، و لكن يُذكرها بأنها أخذت المقابل لكل ما فعلت ، فقد أفادت منه أكثر مما استفاد هو ، فهى على الأقل عاشت فى بلد متحضر بعد أن قدمت من بلدها الهمجى إلى هيلاس ، أيضا تعلمت العدالة ، و كيف تعيش فى ظل القوانين ، و نالت الشهرة ، و ذاع صيتها كحكيمة بين اليونانيين . و يستمر ياسون فى دفوعه و عرض حُججه ، إذ أنه يعتبر

زواجه من جلوكى ابنه كريون عملاً حكيماً و عاقلاً ، و فيه الخير لميديا و أولادها . إنه لم يتزوج لأنه مل الحياة الزوجية معها ، بل تزوج كي يعيش هو و أسرته سعداء ، لا يقاسون مرارة العوز ، و كي يربى ولديه تربية تليق بأصله العريق النبيل ، إن ذريته من الأسرة المالكة ستساند ذريته من ميديا ، إذ سيصبحان أخوة . و يختتم ياسون حواره باتهام ميديا بالأنانية لأنها أثارت الدنيا عليه ، و تود إفساد خططه التى رسمها لمستقبل الأسرة ، و يتمنى لو كانت هناك وسيلة لإنجاب الصغار دون الارتباط بالمرأة ، و يعلن سعادته لو لم يأت صنف النساء إلى هذا العالم .

و برغم كل هذه المبررات إلا أن قائدة الجوقة ترى أنه غير عادل . كما تتهمه ميديا بأنه يحاول قلب الحقيقة ، فلو كان حكيماً حقاً لشاورها فى الأمر، و كسبها إلى جانبه كى توافق على زواجه ، بدلاً من اتخاذه للقرار منفرداً ، و فى غفلة منها ، و فى محاولة لتخفيف المسألة ، يعلن ياسون أنها إذا كانت جادة فى قولها ، فها هى قد علمت ، فعلام هذه الضجة ؟ .

تعلن ميديا أن هدف ياسون الحقيقى من زواجه الجديد ، إنما الكسب الذى سيحققه ، و الذى لا يمكن أن يناله من وراء أجنبية مثلها .

يدافع ياسون عن نفسه ، و يعلن أنه زواج مصلحه فقط ، إنه تأمين لمستقبله ، و مستقبل أسرته . ثم يعرض عليها المساعدة المالية إن رغبت فيها ، أو يرسل رسائل لأصدقائه كى يساعدوها فى منفاها ، إن رفضها لما يعرضه سيكون الغباء بعينه . و ترفض ميديا قبول ما عرضه ياسون ، و تطلب منه أن يغرب عن وجهها ، و أن يذهب إلى زوجته الدميمة ، فقد طال غيابه عن دارها .

تبدأ الجوقة فى إلقاء نشيدها الذى يدور حول الحب و آلهة الجمال أفروديتى ، و ما تسببه سهامها الذهبية ، إنها تصيب القلب ، و تشعل مكامن الوجد و الغرام ، و لكن الجوقة تعتمد فى مقاومتها على الطهارة ، فالحب مجلبة للأحزان و الجنون ، خاصة إذا ما كان المحب خسيساً ، و تتمنى الجوقة الحياة فى هذا الوطن ، فمن الأمور التى لا تحتمل أن يعيش الحر من غير وطن ، و تشير فى مجرى الحديث عن وضع ميديا الحالى ، فهى بلا وطن ، بلا أصدقاء ، ثم تعلن عدم مؤازرتها لذلك الذى فضح أسرار القلوب، و هتك ستر المحبة ، و أخل بعهده ، و نسى الوفاء . إنها تعنى ياسون .

ما أن تنتهى الجوقة من نشيدها ، حتى يدخل ايجيوس ابن بانديون و يحيى ميديا ، و يعلن أنه جاء من معبد نبوءات فويبوس القديم ، إذ قصده طامعاً فى أن تكون له ذرية . و تسأله ميديا عن قرار الإله ، فيُجيبها

ايجيوس بأنه قد أمره حين يمسك دن الخمر ، ألا يتركه حتى يعود إلى منزل أبيه مرة أخرى . و لقد جاء إلى هذا البلد ليعرض على بنثيوس ابن بيلوبس نبوءة الإله ، فهو حكيم ، خبير بهذه الأمور ، إلى جانب كونه صديق قديم . يلاحظ ايجيوس دموع ميديا ، فيسألها عن سرها و سببها ، فتقص عليه قصتها مع ياسون ، و ما فعله بها ، فيتعاطف مع قصتها ، و تتوسل إليه ميديا راكعة أن يقبلها فى بلده أثينا ، و سترد له هذا الجميل بأن تجعله ينجب الأطفال ، فهى كما يعلم تجيد فنون السحر . و يستجيب ايجيوس لعدة اعتبارات ، أهمها مساعدته في الإنجاب ، فقط عليها أن تصل إلى أثينا ، فهو سيُكرم وفادتها ، و يمنحها الأمن و الأمان ، و تطلب منه أن يقطع عهداً على نفسه بألا يُسلمها لأحد مهما كان ، و أن يقسم بالآلهة . و يقسم و هى معه ، بربة الأرض و برب الشمس ، و كل الآلهة ، ألا يطردها من بلاده . تتمنى له ميديا السلامة ، و تعلن أنها ستلحق به ، بعد أن تنجز ما انتوت عليه .

يخرج ايجيوس ، بينما تتمنى قائدة الجوقة له السلامة فى عودته إلى وطنه ، داعية أن ترعاه الآلهة ، فهو رجل ذو مروءة و شهامة .

تتبدل حالة ميديا النفسية ، و تبدو سعيدة ، إذ أنها نجحت فى أن تضع خطتها موضع التنفيذ ، خاصة بعد وعد ايجيوس و موافقته ، و تبدأ فى سرد كل خططها ، أول هذه الخطط ، أنها سترسل فى استدعاء ياسون ، و تُعطيه من طرف اللسان حلاوة ، و تطرى زواجه و تباركه ، ثانى هذه الخطط ، أنها ستُرسل ولديها و هما يحملان الهدايا للعروس جلوكى ، أحد هذه الهدايا ثوباً هفافاً ، و تاجاً من الذهب المطروق ، و ما أن تلبسهما حتى تهلك فى الحال ، بل و سيهلك كل من يحاول لمسها لإنقاذها ، إذ ستبلل ميديا الثياب بالسموم . ثالث هذه الخطط ، أنها ستقتل ولديها كى تجعل من بيت ياسون كومة من خراب قبل أن ترحل . لقد بنت خطتها على فكرة أنا و من بعدى الطوفان ، فهى يائسة ، لا وطن ، و لا بيت ، و لا ملاذ ، إنها تنتقم لكرامتها، فهى ليست ضعيفة كما يظن الناس .

تحاول قائدة الجوقة نصح ميديا لتتراجع عن خطتها مراعاة لقوانين البشر ، و لكنها ترفض ، إنها بقتل ولديها تجعل زوجها يتجرع الألم ، و لا تبالى أن تكون أشقى امرأة بين الناس تأمر ميديا مربيتها بالذهاب لاستدعاء ياسون ، و تحذرها من إفشاء سرها . تخرج المربية ، و تبدأ الجوقة فاصلاً غنائياً يدور حول أبناء اريختيوس الذين ينعمون بالسعادة ، فهم أبناء الآلهة المباركة ، و الأرض المقدسة التى لم يقربها الغزاة ، هناك ، حيث ربات الشعر و الغناء التسع ، و حيث نهر كيفيسوس الذى أبحرت فيه يوماً

أفروديتى ، و غمست يدها ، فأشاعت الحب ليكون رفيقا للحكمة و يتعاونا فى خلق الفضائل فى كل نواحى الحياة . كيف تستقبل مدينة كهذه امرأة مثل ميديا ، امرأة تقتل أبنائها ، ثم تتوسل الجوقة لميديا أن تقلع عن فكرتها .

و ما أن ينتهى هذا الفاصل ، حتى يدخل ياسون ليقابل ميديا متسائلاً عن سبب استدعاءه . تبادره ميديا حسب الخطة بكلمات رقيقة حول ماضى علاقاتهما ، ثم تمتدح فى نفاق و خبث صنيع ياسون ، و تبدى قبولها له ، بل و تلوم نفسها على رفضها السابق و ثورتها ، و تعترف بأنها أساءت التقدير. ثم تستدعى ولديها ليسلما على أبيهما و يحتضناه ، بينما تجهش هى بالبكاء ، و تعانقهما .

تنطلى الحيلة على ياسون ، و يصدق نوايا ميديا الحسنة ، و يمتدح تعقلها و حكمتها و رضوخها ، ثم ينظر إلى أولاده و يتمنى ، بل يحلم بأنهما عندما يكبران سيشكلان مع أخوتهم من أبيهم زعماء لكورنثة ، و ينتقموا لأبيهم . يلاحظ ياسون أن ميديا تعاود البكاء فيلاطفها ، و هو لا يدرى أنها تضمر به شر و بأبنائها ، و سرعان ما توجه ميديا دفة الحديث نحو هدفها ، و تُذكر ياسون بأنها سترحل ، و تتمنى أن تترك ولديها أمانة فى عنقه ، و ترجوه أن يتشفع لهما عند كريون ، و يتوسل له بكل الوسائل حتى يرضى، و لتتدخل زوجته فى الأمر، و لكى تلين جلوكى سوف تهديها ميديا بعض الهدايا يحملها الطفلان ، و كمن يطرق الحديد و هو ساخن ، تأمر الوصيفات بإحضار الهدايا . و بالفعل تناول الهدايا لولديها ، و تأمرهما بتسليمها إلى زوجة أبيهما جلوكى فى يدها .

ينصح ياسون ميديا بالاحتفاظ بهذه الهدايا ، فأهل القصر ليسوا فى حاجة إليها ، فلديهم الكثير منها ، و هو على يقين من قدرته على التأثير فى زوجته دون أن يرشوها . و لكن ميديا تصر على إرسالها ، ففى رأيها أن الهدايا تغرر بالآلهة أنفسهم ، فما بال البشر . يخرج ياسون و الولدان بينما تبدأ الجوقة فى إنشاد فاصلها ، معلنة توقعاتها بشأن الهدايا ، إذ ستقبلها جلوكى ، ثم تعرج الجوقة على مصير الولدين ، الذين سيقتلان بسبب نزوة دنيئة لامرأة هجر زوجها فراشها إلى فراش أخرى .

يدخل المربى و معه الطفلان ، و يعلن ما توقعته الجوقة ، فقد قبلت العروس جلوكى الهدية ، و عدل كريون عن نفى الولدين ، يلاحظ المربى أن هذه الأنباء لم تسعد ميديا بقدر ما أثارت كوامنها ، و أشعلت فى داخلها صراعاً مريراً تعبر عنه فى كلمات مقتضبة للمربى ، حول ما يجب أن

ترتكبه من أفعال ضد أناس آخرين ، ثم تأمر المربى بالدخول إلى الدار ، ليجهز للولدين حاجيات يومهما .

تتصارع الأحاسيس في وجدان الأم و هى تودع ولديها ، و تحاول أن تجد لنفسها المبررات المقنعة ، خاصة بعد أن غلبتها عاطفة الأمومة ، فاستدارت إلي الجوقة معلنة أن قلبها خذلها ، و أنها سترجع عما اعتزمت ، و سترحل مع ولديها عن هذه الديار . و فى نفس اللحظة التى ضعفت فيها ، تعود طبيعتها الشيطانية لتتحكم فيها مرة أخرى ، بل و تجعلها تصر على الانتقام من ياسون فى شخص أبنائه ، و ينتهى صراع النفس بقرار القضاء على الطفلين نكاية في والدهما . و بالفعل تستدعى الطفلين إليها كى تودعهما، و تقبلهما فى عنف ، و تتغزل فيهما ، ثم فجأة تبتعد عنهما و تخرج .

تبدأ الجوقة فى فاصلها الذى يدور حول النساء و حيلهن ، و عن السعادة و الألم ، و الهم الذى تسببه الذرية لأهلها ، إن القلق يعترى الأباء على مستقبل أبنائهم ، هل سيحققون حياة طيبة ؟ ، هل سيموتون قبل أن يحققوا هذه السعادة ؟.

تدخل ميديا قلقة معلنة قدوم خادم ياسون ، و بالفعل يدخل رسول ياسون مسرعاً ، ليحذر ميديا كى تهرب بأية وسيلة ، بينما تتصنع ميديا الغباء و تسأله السبب ، فيعلن الرسول أن الأميرة جلوكى أبنة كريون و زوجة ياسون قد ماتت ، و مات أبوها عندما حاول إنقاذها . تستقبل ميديا الخبر بسعادة ملؤها التشفى ، مما يجعل الرسول يستغرب هذا التصرف ، و لكن هذا لم يمنع ميديا من مطالبة الرسول بطرح كل التفاصيل ، و يسرد الرسول كل ما جرى للملك و ابنته ، ثم يخرج . ترثى الجوقة لمصير جلوكى ، و ما حل من مصائب بياسون ، بينما تعلن ميديا أنها ستقتل ولديها فى الحال حتى لا يقتلهما أحد أخر ، ثم تفر هاربة من هذه البلاد ، ثم تندفع صارخة نحو الدار كى ترتكب أبشع جرائمها . و بينما تعلن الجوقة عن أساها لما يحدث ، يسمع المشاهدون صوت الطفلين من الداخل ، و هما يهربان من أمهما ، و تتداخل الأصوات و تتنوع دوافعها ، فالجوقة فى حيرة ، هل تدخل المنزل لتنقذ الطفلين ، و الطفلين يتوسلان لامهما ، وسط هذا الضجيج يدخل ياسون و يسأل نسوة الجوقة ، هل مازالت ميديا بالداخل أم فرت ؟ ثم يسأل عن طفليه ، و يعلم مصيرهما من الجوقة . تظهر ميديا و هى تركب عربة تجرها الأفاعى المجنحة ، و معها جثتى ولديها ، و تعلن لياسون أنها الأن بمنأى عن يده ، فقد أرسل إليها جدها رب الشمس هذه العربة كى لا يصل

إليها أعدائها ، و مع ذلك يوجه ياسون حواره إلى ميديا مستنكرا فعلتها ، لاعنا إياها ، و مُعيرها بأفعالها السابقة ، و بوطنها الهمجى ، بينما ترد عليه محاولة تبرئة نفسها ، و إلقاء تبعة ما حدث عليه هو ، و تعلن أنها سعيدة بشقائه ، وأنها انتقمت منه ، و أوجعته فى الصميم .

يطلب ياسون من ميديا ترك جثتي ولديه كى يواريهما التراب ، و لكنها ترفض طلبه ، و تعلن أنها ستقيم لهما معبداً مقدساً ، و شعائر دينية تكفيراً عن دمهما المراق ، ثم ستعيش فى أثينا ، و تتنبئ له بمصيره ، إذ سيموت أشنع ميتة .

تبدأ الجوقة فى نشيدها الختامى معلنة أن ما جرى هو مشيئة الإله .

أهم ما يلاحظ على المسرحية

أولاً : تاريخ عرض المسرحية :

عرضت المسرحية عام ٤٣١ ق.م ، و قد نالت الجائزة الثالثة ، إذ فاز بالجائزة الأولى فى هذه المسابقة أيوفوربون ابن أيسخيلوس ، أما سوفوكليس فقد فاز بالجائزة الثانية .

ثانياً : أصل المسرحية (١) :

إن قصة ميديا (٢) قديمة قدم الأسطورة الإغريقية ، و هى ابنة ايتيس ملك مدينة كولخيس .

كان هذا الملك ابن هيليوس إله الشمس ، و أمه بيرسيس و له أختان ، الأولى تدعى سيرسيه ، و الثانية باسيفاى . و هو كملك اشتهر بأنه قاسى متحجر القلب ، ينتمى الى سلالة بربرية هم الكولخيون ، الذين يقطنون فى الناحية الشرقية من البحر الأسود . بنى لنفسه قصراً فى عاصمة ملكه إيا التى تقع بجوار مصب نهر فيسيس ، و قام بتشييده هيفايستوس . تزوج إيتيس من ايديا (٣) إحدى بنات أوقيانوس،

---

١ ـ أ ـ لويس عوض ، نصوص النقد الأدبى ، اليونان ، ج ١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

ب ـ Edward Tripp , The Meridian Handbook Of Classical Mythology, New American Library , New York , 1970 .

٢ ـ أى الماكرة ، كما فى الأساطير .

٣ ـ أى العارفة .

فأنجب منها بنتين هما ميديا و هى ساحرة مشعوذة ، و كالسيوبى أو ايوقوسا . و يقال أنها أنجبت إبنا يدعى إبسيرتوس . و يحكى أن إيتيس قد استقبل فى مدينته الصبى فيريكسوس ، الذى وصل إلى المدينة بأمر من زيوس ، ممتطياً الكبش الطائر ذو الفروة الذهبية .

و بعد أن ثبت فيريكسوس الفروة الذهبية على شجرة فى بستان أريس ، زوجه الملك من إبنته كالسيوبى . و يرى هيجينوس ، أن الملك قد قتل زوج ابنته فيريكسوس فيما بعد ، بسبب تلك النبوءة التى حذرته من أنه سوف يموت بين أيدى فيريكسوس . هذه النبوءة أو غيرها قالت أيضا ، إنه سيموت عندما تسرق الفروة الذهبية . لذلك لم يثق الملك فى الأرجوناوتس عند ظهورهم فى كولخيس .

لذا فقد عاملهم معاملة تتفق مع ما يكنه أهل هذه المدينة من عداء تقليدى ، لكل غريب يفد الى مدينتهم . و زاد من تفاقم هذا الإحساس تلك الاشاعة التى انتشرت بأن أبناء فيريكسوس الأربعة قد تحالفوا مع الأرجوناوتس (١) . أدت تلك الإشاعة الى حذر الملك إيتيس حتى من أبناء أسرته خشية غدرهم و خيانتهم .

و عندما قدم ياسون و صحبه الى كولخيس ، و طلب من الملك أن يمنحه الفروة الذهبية ، تظاهر الملك بالموافقة ، و لكنه علق هذه الموافقة على قيام ياسون بثلاثة أعمال ، هى ضرب من المستحيل . إذ اشترط الملك عليه :

١ - أن يربط ثورين هائلين ، ينفثان النار ، الى المحراث ، و يقوم بحرث الحقل .

٢ - أن يبذر أسنان التنين فى أرض الحقل ، ثم يقاتل كل الرجال المسلحين الذين سينبتون بعد بذر هذه الأسنان ، و عليه أن يقتلهم جميعاً .

٣ - قتل التنين الضخم حارس الفروة ، الذى لا يغفل عنها ، بعدها يستطيع أن ينزع الفروة الذهبية المثبتة على الشجرة .

بالطبع ، مهما أوتى الإنسان من قدرات خارقة ، فهى لا تقارن بتلك القدرات الأسطورية للحيوانات الضخمة المخيفة ، مما جعل مهمة

---

١ - أى بحارة سفينة الأرجو . و قد أطلق على السفينة هذه اسم بانيها أرجوس . كان الهدف من بناء هذه السفينة ، الإبحار بها تحت قيادة ياسون للوصول الى مدينة كولخيس ، للحصول على الفروة الذهبية .

ياسون صعبة و فاشلة ، بل و مُهلكة .
و لكن يتمكن ياسون من أن يجتاز كل الصعاب بمساعدة ميديا ، التى سخرت كل قدراتها و فنونها السحرية من أجل الرجل الذى هامت به حباً .
كانت ميديا فتاة جميلة و كانت كاهنة لإلهة العالم السفلى هيكاتى ، إذ كانت مثلها مثل عمتها سيرسيه (أخت ايتيس) تجيد فنون السحر . و كانت قدرتها السحرية تمكنها من عمل المعجزات الخيرة و الشريرة على حد سواء . كانت هذه القدرة و القوة السحرية سبباً فى قدومها إلى هيلاس ، إذ أن الإله هيرا كانت تضمر العداء للملك بيلياس ملك ايولكوس لأنه رفض أن يُبجلها و يقدم لها الأضاحى .
و لما استحال عليها عقاب الملك القوى ، دبرت هيرا خطة لإرسال ميديا إلى هيلاس لتنفذ رغبتها ، و تدمر عدوها . و للوصول الى هذا الهدف ساعدت الإله هيرا حملة الأرجوناوتس و هم مجموعة من المغامرين الإغريق وصل عددهم إلى ٤٠ رجلاً أبحروا مع ياسون إلى كولخيس لإحضار الفروة الذهبية حسب أوامر بيلياس ، كشرط لإعادة العرش لياسون .
و ما أن وصلت المجموعة إلى كولخيس ، حتى طلبت هيرا من أفروديتى تدبير الأمر ، فأوقعت أفروديتى الفتاة ميديا فى حب بلا أمل مع ياسون ، القائد الشاب للسفينة أرجو ، و ولد ايسون الذى أسقطه أخوه بيلياس و أبعده عن العرش .
ساعدت المرأة الصغيرة المُحبة ميديا بقوتها السحرية حبيبها ياسون ، فى مسعاه ، للحصول على الفروة الذهبية ، و أنقذته من المصير المحتوم الذى يُلاقيه كل من يحاول الحصول على هذا الشئ . و لما وعدها ياسون بالزواج ، قامت بعمل سحرى ، جعل التنين الضخم حارس الفروة الذهبية يروح فى ثبات عميق ، و بذلك تمكن ياسون من سرقة الفروة ، ثم أبحر تاركاً كولخيس إلى هيلاس ، و معه صحبه من الإغريق يحملون ما أتوا من أجله .
و فى سبيل حبها لياسون ، و بدافع وعده لها بالزواج ، قامت بارتكاب الإساءة الأخيرة ضد شعبها و وطنها ، إذ أقدمت على إغراء أخيها ابسيرتوس للقدوم إلى جزيرة منعزلة حتى يقتله ياسون ، ثم وفقاً لبعض التنويعات التى صاحبت القصة ، ساعدت ميديا فى بعثرة أشلاء جسده المقطعة ، و إلقائها إلى البحر من الباخرة أرجو ، و بذلك

تضمن أن ينشغل مطارديهم من أهلها فى جمع الأجزاء المتناثرة من جسد أخيها حتى يقومون بدفنه .

و خلال رحلتهما إلى هيلاس ، قامت سيرسيه بتطهيرهما من آثار جريمة القتل ، و تزوجا فى إحدى الجزر ، عرف هذا الموقع فيما بعد بكهف ميديا .

و قد استفادت ميديا بقدراتها الخارقة خلال رحلتهما إلى هيلاس ، فقضت على العملاق البرونزى تالوس الذى منع الأرجوناوتس من الرسو على جزيرة كريت . وصلت الأرجو إلى ايولكوس .

كان الارجوناوتس متأكدين من أن بيلياس سوف لا يفى بوعده ، و يسلم الحكم لصاحبه الشرعى ياسون ، خاصة بعد أن نفذ شرط الملك و أحضر الفروة الذهبية ، كما أن ياسون ليس لديه القوة المساعدة كى يسترد ملكه عنوة . و كعادة ياسون عندما تضيق به السبل ، يتطلع إلى مساعدة زوجته لتحل له أزماته مستغلاً قدراتها السحرية .

و بالفعل لم تعدم ميديا الحيلة ، فقد وجدت الحل كى تهزم ايولكوس دون الحاجة إلى معركة حربية ، و فى ذات الوقت تنفذ أمل هيرا بالقضاء على عدوها ايولكوس .

اختلفت الروايات حول استراتيجية الأرجوناوتس ، و لكن كان دور ميديا و مهمتها فى المؤامرة واضحاً و محدداً ، فقد ذكر بعض الرواة أن الأرجوناوتس قد ذهبوا مباشرة إلى ايولكوس ، و قدموا الفروة الذهبية إلى الملك ، ثم أبحروا إلى ايسموس فى كورنثة كى يحتفلوا بتكريس الأرجو لخدمة بوسيدون . أثناء عودتهم إلى ايولكوس، تظاهرت ميديا أمام بنات بيلياس أنها تشاجرت مع ياسون و بذلك كسبت ثقتهم .

و هناك رأى يدعى أن والد ياسون المدعو ايسون كان لا يزال على قيد الحياة ، و قد تاثر ياسون بضعف و وهن أبيه فسأل زوجته لتأخذ سنوات من عمره و تضيفها إلى عمر أبيه ، و بذلك يعود إليه الشباب . رفضت ميديا فى غضب القيام بهذا العمل ، و لكنها قبلت ممارسة الشعيرة السرية التى تُعيد الشباب لوالد ياسون . كانت الشعيرة تقتضى تقطيع جسد ايسون بعد ذبحه و استنزاف ما يجرى فى عروقه من دماء ، ثم ملؤها بشراب مخمر كانت قد أعدته من قبل ، فعاد ايسون شاباً قوياً .

كانت هذه المعجزة سبباً فى أن تطلب بنات الملك بيلياس من ميديا تكرار المعجزة مع أبيهن ، و إعادة شبابه .

و طبقاً لرواية أخرى لهذه الحوادث ، أن الأرجوناوتس جعلوا عودتهم سراً ؛ إذ اختفوا بقرب المدينة . غيرت ميديا الجميلة مظهرها و هيئتها إلى عجوز شمطاء حيزبون ، كما استخدمت نفس الدهان السحرى لتجعيد بشرتها و نثر الشيب فى شعرها . ثم صنعت تمثالاً سريعا من الخشب لأرتميس ، و توجهت و هى تعرج إلى بوابات المدينة ، و وضعت التمثال أمامها ، و أعلنت أنها كاهنة هيبيربوريان ارتميس ، و قد أرسلتها الإلهة كى تجلب الحظ لايولكوس ، و إعادة شبابه .

لقد أصابت نبوءة المرأة العجوز و تصريحاتها عن إعادة الشباب، جماهير الشعب بالعجب و الخوف ، خاصة عندما حبست نفسها وحيدة فى غرفة ، ثم خرجت للناس بعد أن أزالت مظاهر العجز و الشيب ، و ظهرت لهم امرأة جميلة شابة . خاف بيلياس ، و اشتد رعبه من الطريقة التى ستتبع لإعادة شبابه ، كذلك توجست بناته خيفة ، و لكن قامت ميديا بشرح الطريقة لهن ، إذ عليهن تقطيع والدهن إلى قطع صغيرة ، ثم يضعن هذه القطع فى وعاء ، و يرفعونه على النار . و لكن بنات بيلياس رفضن فى بادئ الأمر، لم تنتظر ميديا ، و لم تضيع وقتاً فى إقناعهن نظرياً ، بل قامت فورا بإجراء تجربة عملية على كبش كانت قد جهزته مع مرجل كبير . بدأت فى تقطيع الكبش العجوز ، و ألقت بقطعه فى الوعاء المملوء بالشراب المخمر، و بعد لحظات أخرجت الكبش من الوعاء و قد استعاد شبابه .

أثرت التجربة فيهن ، فوافقن جميعا على اتباع نفس الطريقة مع أبيهن بيلياس ، عدا الكيستيس .

و قمن بالفعل بتنفيذ التعويذة السحرية ، و لكن الملك لم يعد شاباً ، بل لم يعد ملكاً ، فقد مات بيد بناته .

و بإشارة من ميديا ، دخل الأرجوناوتس الى المدينة ، و استولوا على القلعة بعد مقاومة بسيطة من جنود ايولكوس .

و بسبب فعلة ميديا ، تقول بعض الروايات أن ياسون قد تخلى عن العرش لابن بيلياس المدعو اكاستوس ، بينما يقول أخرون أن ابن قد قام بطرد ياسون و ميديا من المدينة

و هناك رواية أخرى تقول ، بأن ميديا قد نجحت مرة أخرى في النجاة بزواجها بعيداً عن المدينة . لقد طمع أبوها ايتيس في عرش كورنثة يوماً ، و لكنه ترك العرش لبونوس و هاجر هو إلى كولخيس، و مع الأيام نجح بونوس في الوصول الى العرش ، و لكنه مات دون أن ينجب ذرية . فعرض أهل كورنثة العرش على ميديا .

و هناك رواية تقول أن ياسون قد ذهب إلى كورنثة فاستقبله ملكها كريون مرحباً به لسمعته الطيبة كقائد شجاع للأرجوناوتس . عاش هو و زوجته ميديا عشر سنوات في سعادة ، و رزقا خلال هذه السنوات بطفلين أسمى الأول منهما ميرميروس ، أما الثاني فأسمياه فيريس ، و هناك من يرى أنها ولدت طفلاً أسمته ميدوس و يدعى عادة بابن ايجيوس و طفلة اسمتها اريوبيس .

إن سيرة ميديا و ياسون في كورنثة ، قصة مثيرة للإشمئزاز ، و هي الفترة التي تدور حولها فكرة مسرحية ميديا ليوريبيديس .

لقد استقبل أهل كورنثة ياسون بترحاب و لكنهم كانوا أقل ترحيباً بزوجته ميديا لأنها امرأة أجنبية بربرية . لقد خشي الكورنثيون بما فيهم الملك من هذه السيدة ذات القوة الخطرة ، و قد أثبتت الأيام مخاوفهم إذ أنها لم تهدأ إلا بعد أن كسبت كل معاركها ضد من اعتبرتهم أعدائها .

عرض كريون على ياسون أن يزوجه أبنته جلوكي أو كريوسا ، فوفقاً للقانون الإغريقي السائد يعتبر ياسون غير متزوج ، كما أن أبناؤه من الزوجة الأجنبية ، ليسوا مواطنين . فكر ياسون و اقتنع بأنه لابد أن يعمل لمصلحة أبناؤه ، فهو لن يورثهم وضعه الشائك . لذا أصر على تطليق ميديا و الزواج من جلوكي . هناك رواية لباوسانياس عن مشاحنات و مشاجرات بين الزوجين ، و بسببها ترك ياسون كورنثة عائداً إلى ايولكوس إذ اعتادت ميديا إخفاء أطفالها عند ولادتهما في مذبح هيرا ، على أمل يائس في أن تجعلهما خالدين .

إن الخوف من التهديدات مع توقع العقوبة ، بالإضافة إلى الطلاق، كلها أمور جعلت ميديا تذكر ياسون بأن كل ما حققه من أفعال جلبت له الشهرة ، ما كانت لتتم لولا مساعدتها ، برغم أن هذه الحقيقة لا يمكن إنكارها فإن ياسون لم يعترف بفضل ميديا . بل قلب الوضع ، فصرح أن على ميديا أن تسعد بما صنعه هو لها ، فقد قدمها و هي البربرية إلى العالم الإغريقي المتحضر .

أساء نكران الجميل حفيظة ميديا ، فعقدت العـزم علـى الانتقـام ، فتظاهرت بالخضوع لرغبات ياسـون ، و رضـائها عمـا فعـل ، ثـم أرسلت طفليها إلى القصر محملان بالهدايا القاتلة لجلـوكى ، و لوالـدها كريون . هجم الكورنثيون على منزل ميـديا ، و لكنهـا تمكنـت مـن الهرب فى عربة يجرها تنينان مجنحان أرسلها إليها جدها هيليوس .

و طبقاً لبعض الكُتاب ، لجأ كل من ميرميـروس و فيـريس إلـى مذبح هيرا ، و لكنهما تعرضا لرجم بالحجارة حتى المـوت مـن أهـل كورنثة .

و هناك من يقول إن ميديا ذاتها هى التى قتلـت ولـديها ، كفصـل أخير من فصول الانتقام المأساوى مـن أبيهمـا ياسـون ، ثـم حملـت جثتيهما معها فى العربة حتى لا يتمكن ياسون من مواراتهمـا التـراب . و هذا فى حد ذاته ، يحرمه من أية راحة ، على حد تفكيرها .

و تقول إحدى الروايات أن ميـديا هربـت قاصـدة هرقـل طلبـاً للحماية ، و قامت بشفائه من الجنون الذى دفعه لقتل أبنائه . و لكن لـم يستطع هرقل تأخير مهمته مدة أطول كى يقدم لها أيـة مسـاعدة ، لـذا سافرت إلى أثينا و طبقاً للرواية الأكثر تصديقاً ، هربت ميـديا مباشـرة من كورنثة إلى أثينا .

مر ملك أثينا المدعو ايجيوس بكورنثة ، و هـو فـى طريقـه مـن دلفى إلى ترويزين ، و منه حصلت ميديا على وعـد بحمايتهـا إن هـى أتت إلى أثينا فى مقابل أن تساعد ايجيوس فى إنجاب الأطفـال ، و لكـن قبل وصولها كان ايجيوس قد رزق بطفل من إيثرا و أسماه ثيسيوس .

تزوج من ميديا التى وضعت له ولداً اسمه ميدوس . كبر ثيسـيوس و جاء من تروزين إلى بلاط أبيه فى أثينا دون أن يعرف الأبـن أبـاه ، أو الأب أبنه .

خشيت ميديا من ظهور هذا الابن الذى سيزاحم ابنها فى العـرش ، فأوعزت إلى الملك إيجيوس أن الشاب القادم من تـروزين يـدبر مكيـدة لقتله ، فقام ايجيوس بارسال الفتى كى يبحث عن ثور السباق الخطيـر ، الذى قتل لتوه ابن مينوس المدعو اندروجيوس .

نجح ثيسيوس فى المهمة ، طلبت ميديا من زوجها مكافأتـه بقـدح من النبيذ الذى قامت هى بوضع السم فيه ، و ما أن شربه حتـى صـاح الفتى بما لقنته به أمه ، فعرفه أبوه ، و سرعان ما طوح بالكـأس بعيـداً عن يد أبنه .

أمر ايجيوس بنفى ميديا و ابنها لسببين :-
١ - عداوتها لثيسيوس .
٢ - لأن كاهنة أرتميس قد حذرته أنها لن تستطيع إقامة شعائرها المقدسة إذا ما بقيت هذه المجرمة فى المدينة .

قامت ميديا بأخذ ولدها إلى كولخيس حيث مات والدها بيد أخيه برسيس ، و فى طريقهما توقفا فى اسبوروس حيث دفنت ميديا شقيقها. اجتاحت المدينة أسراب من الثعابين فتوسل أهل المدينة لميديا كى تساعدهم فى كشف هذا البلاء .؟ و بطريقة سحرية جعلت ميديا جحافل الثعابين تدخل قبر أخيها ابسترتوس . أرسلت ميديا ابنها ميدوس إلى بيرسيس ، و لكن الملك أمر بالقبض على الشاب لأن هناك نبوءة حذرته من أن واحداً من نسل الملك ايتيس سيقتله .

تظاهر ميدوس بأنه هيبوتيس ابن كريون ، و لكن لم يصدقه أحد و سجنوه .

تصل ميديا و تنتحل شخصية كاهنة أرتميس . و تسمع قصة ابن كريون و تصدقها ، و تسعد لوقوع ابن عدوها القديم.كريون فى قبضة يدها . و تعلن أن فى إمكانها أن تضع نهاية للكارثة إذا ما أعطوها ذلك السجين لتقتله كجزء من شعيرتها . يوافق بيرسيس على تسلمها السجين . تكتشف ميديا أن الضحية التى طالبت بها ، ما هو إلا ولدها ميدوس ، فأعطته سيفاً و حرضته على قتل بيرسيس ، و بالفعل يقتل الشاب ملك المدينة انتقاماً لجده ايتيس .

قال البعض .إن ميديا نفسها هى التى قتلت بيرسيس . ليس هناك رواية مؤكدة عن موت ميديا ، هذا إذا كانت تموت كالبشر ، فطبقاً لإحدى الروايات ، أصبحت ميديا زوجة و رفيقة لاخيليوس . و قال آخرون إنها أصبحت مؤلهة كآلهة ، و لكن هناك من عارض هذا الزعم .

ثالثاً : المنظر الذى تجرى فيه الأحداث :

أمام منزل ميديا فى كورنثه ، فى صباح أحد الأيام .

رابعاً : أهداف الفكرة الرئيسية :

إن المسرحية مليئة بالأهداف السامية ، و المواقف الأخلاقية التى يجب أن يقف عندها الإنسان :

١ – بداية ، إن الحب يجب أن يكون طاقة بناءة و ليس العكس . ففي سبيل الحب ، نجد ميديا تنسى الأب و الأخ و الوطن ، و ما هكذا يكون التطرف . فالاعتدال شئ لم تعرفه ميديا .
٢ – لم تتحكم ميديا في عواطفها الجامحة ، و انقادت لها دون أن تحكم عقلها و لو لمرة واحدة ، فانساقت وراء طاقتها المدمرة من أجل أمور يمكن أن تكون غير خطيرة .
٣ – الأنانية عندما تسيطر على الإنسان ، فإنها تعمي بصره و بصيرته ، و تؤدي به إلى الهلاك ، هكذا كان ياسون ، فهو من أجل مصلحته و مصلحته فقط ، سخر حب ميديا للوصول إلى أهدافه ، و التخلص من أزماته . أيضاً دفعته أنانيته لأن يكون نفعياً و وصولياً .
٤ – الحرص واجب ، خاصة مع العدو السافر ، فكريون نسي حقد ميديا نحوه و نحو ابنته جلوكي و تسامح معها ، و منحها مهلة كانت كفيلة بالقضاء عليه . أيضاً لم تكن ابنته حريصة ، فقبلت هدية من غريمتها و لم تحترس .
٥ – الحقد يصل بالإنسان إلى الهلاك .

خامساً : المناقشة و التحليل :

١ – حوت المسرحية على مشاهد وصفية و تفسيرية ، صاغها الشاعر بمهارة بهدف التأثير في المشاهد . فلقد جاءت المقدمة الاستهلالية التي تلقيها المربية ، حافلة بالمعلومات المفيدة ، و التي ستتجسد فيما بعد كأفعال خطيرة . و قد أفصحت هذه المقدمة عن تعاطف المربية مع سيدتها ميديا ، فأعلنت في وضوح عن سوء الحظ الذي صادف ميديا ، سواء في حياتها ، أو في زواجها ، أو حتى في نهايتها . بل ذكرت كل محاولاتها للتأقلم مع الآخرين ، و فشلها في ذلك ، كما حاولت إقناع المشاهدين بمدى الظلم الذي وقع على ميديا ، و من ثم فهي مجني عليها و ليست جانية ، بالطبع هذا بهدف تبرير تصرفاتها . (سطور ٥٦-٥٨)
أيضا نجد الشاعر يؤكد في مقدمته الاستهلالية على وحدة ميديا و يأسها . إذن كل ما جاء في هذه المقدمة ، أعطى دخول ميديا قيمة درامية عالية .
٢ – في المشهد التالي بين ميديا و كريون ، يبدو الصلف و الغرور الذي يعيشه الملك ، و تبدو قدرة ميديا في التأثير و الضغط على

نقطة الضعف لدى كريون ، و التى أعلنها بنفسه فى السطور من ٣٤٧ - ٣٥٤ ، فبرغم أن الملك قد جاء و قراره واضح ، نفى ميديا و أولادها ، إلا أن ميديا تتمكن من جعله يؤخر تنفيذ القرار أربعة و عشرون ساعة .

٣ - دار بين ميديا و ياسون ثلاثة مشاهد :

الأول : بعد خروج كريون و قرار النفى ، (سطور ٤٤٦-٦١٥)
و قد صبت فيه ميديا اللعنات على زوجها ياسون ، و حقرته ، و كشفت عن نقائصه و عيوبه ، بل و عرته أمام المشاهدين ، مما أفقده الاحترام ، أو حتى الإعجاب به ، إذ أصبح فى نظر المشاهدين خسيساً ، جديراً بالازدراء .
أيضا عيرها ياسون بهمجيتها ، و فاخر بحضارته و وطنه .
على أية حال ، كان المشهد ، هو حجر الأساس فى رسم شخصية ياسون ، فهو مخادع ، يعرف كيف يناور و هو يتحدث ، و هذا بالطبع أسلوب سوفسطائى شائع وقت كتابة المسرحية ، فجعل الشاعر ، ياسون يلعب بالألفاظ و المعانى . كان ياسون ، برغم أنه قائد ، يفتقد إلى أبسط المواصفات ، فهو دائماً ما يحتاج إلى مُعين ، و يبحث عن من يحميه ، و يلتزم بمصلحته أولاً ، و فى سبيل ذلك يمكن أن يُغير رأيه ، و يتنكر لعهوده و مواقفه (٦٠٠-٦٠٢) . بالإضافة إلى ما سبق ، فهو جشع ، يسعى وراء المال ، فقد قبل رفض ميديا لماله ، و لم يصر على منحه حتى من أجل أولاده ،
ميديا : ... إن عطايا الدنئ الخائن لتحمل معها النحس (٦١٨) .
برزت فى هذا المشهد عدة أمور هامة .

الثانى : ١ - و فيه تأكدت مهارة ميديا فى خداع ياسون ، و بنفس الدهاء الذى اتبعته مع كريون ، طوعت ميديا قدراتها النفسية كى تقنع ياسون بنسيان ثورتها ، و انفعالها و رفضها لما فعل ، فهى الآن تُذعن ، و بكل خضوع لكل رغباته ، و من الغريب أنها استخدمت

نفس البراهين السوفسطائية التى اتبعها معهــا ياســون في محاولة إقناعها بقبول الأمر الواقع .

٢ - في هذا المشهد أيضاً ، نلمح إحدى صفات ياســون، ألا و هى الجشع ، فقبل أن ترسل ميــديا هــدايا قيمــة لزوجته على سبيل الرشوة .

٣ - لم يُبد ياسون أى تعاطف مع ولديــه ، بعكــس مــا أبدته ميديا ، إذ كانت تشع رقة بالنسبة لهمــا . تعمــد الشاعر إبراز هذا الشعور حتى يُضــفى علــى ميــديا لمسة إنسانية ، و يُبعد عنهــا الصــفة الحيوانيــة ، لا سيما و أنــه قــد جعلهــا فــى النصــف الأول مــن المسرحية، تكره طفليها ، هذه الكراهيــة جــزء مــن حالة اليأس التي وصلت إليها ميديا ، و التى دفعتهــا الى التفكير في القضاء على نفسها ، و على كــل مــا كانت سبباً في وجوده .

و لعل الدافع الذى جعلها تقــرر قتلهمــا فــى نهايــة المسرحية ، خوفها من أن يبطش بهما أعدائها انتقامــاً منها . هذا الخاطر قد أفصحت عنه ميــديا بنفســها ، (سطر ١٠٦٠)

ميديا : ... لن أترك ولدى فريسة لأعدائى ... الخ

الثالث : و هو اللقاء الأخير بينهما ، و قد بدأ فور عــودة ياســون لاهثاً من قصره ، و علمه بما جرى لزوجتــه و أبيهــا ، متلهفاً على معرفة مصير ولديه ، و يعلــم مــن الجوقــة أنهما قد قتلا . ثم تظهر ميديا فــى عربتهــا الســحرية ، بعيدة عن متناول يد ياسون ، و لكنهمــا يتحــاوران كــل بحسب حالته النفسية ، ياســون المكلــوم فــى زوجتــه ، و حماه ، و ولديه ، بينما ميديا فى قمــة الســعادة للحالــة التى وصل إليها ياســون ، فقــد صــبت عليــه انتقامهــا المرير ، و هو عاجز . و فى محاولــة أخيــرة ، يطلــب منها جثة ولديه ، كى يقوم بــدفنهما و هــى تــرفض ، حتى لا تجعله يرتاح إن فعل ذلك. و نكاية فيــه ، تعلــن أنها ستقيم مع ايجيوس ابن يانديون فى أثينا . و تتنبــأ لــه بمصيره .

٤ - يرى البعض أن دخول ايجيوس ، أمر عارض يقطع تسلسل الأحداث ، كما أنه لا يتصل بأحداث المسرحية ، و يمكن حذفه .
و لكن هذا الرأى قد جانبه الصواب لعدة اعتبارات :
أ - قبل دخول ايجيوس كانت ميديا تفكر فى الانتقام من أعدائها ، و لكن لحرصها على سلامتها ، بحثت عن ملجأ تلجأ إليه بعد ارتكاب ما انتوت عليه . فكان دخول ايجيوس و قبوله منح ميديا حق اللجوء الآمن فى أثينا ، هو الحل الذى انتظرته ميديا. و الدليل على صحة ما نقول ، تلك السطور من ٣٨٦ - ٣٩٢ :
ميديا : و لنفرض أننى أجهزت عليهم ، فأى بلد يأوينى ؟ لا أحد . إذن فلأتريث قليلاً فإذا لاح أمامنا ملجأ آمن ، انطلقت إليهم فقتلتهم فى صمت بمكيدة ، و إن لازمنى سوء الحظ ، فلم أهتد إلى حمى ، فلسوف أشهر سيفى .. مهما كان فى ذلك هلاكى لأذيق ثلاثتهم مر الردى .
و لعل أهمية هذا المشهد تتوازى مع أهمية باقى المشاهد ، فلولا ظهور ايجيوس و قبوله طلب ميديا ، لما أقدمت على ارتكاب كل هذه الجرائم ، بل و ربما أقلعت ميديا عن ما دار فى ذهنها من انتقام ، و لتغير مسار الحدث فى المسرحية .
ب - بعد رحيل ايجيوس ، شدت الجوقة بأغنية جميلة عن أثينا تلك المدينة المقدسة ، و كيف تستقبل قاتلة . إن هذه الأغنية قصد بها الشاعر منع ميديا من إتمام فعلتها حتى تكون جديرة بأن تعيش فى مدينة مثل أثينا .
٥ - لقد عرض يوريبيديس فى هذه المسرحية الوضع الاجتماعى للمرأة الأثينية ، و بين مدى ما وصلت إليه أحوالها . فالقانون الاجتماعى يفرض على المرأة أن تكون عبدة لزوجها ، تسعى بشتى الطرق لإرضائه و لو على حساب نفسها و يرى إيليا حاوى (١) فيما فعلت ميديا ، ثورية إذ كان هدفها مساواة المرأة بالرجل، و رفضها لأى تصرف يمتهن كرامتها ، بل هى فى رأيه امرأة واعية لإنسانيتها . و قد نسلم معه بهذا الرأى و لكن نقول إنها

---

١ - حاوى ، ايليا ، يوريبيديس ، المسرح العالمى ، سلسلة أعلام المسرح الغربى ، العدد ٣، دار الكتاب اللبنانى ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٨٠ .

امرأة من نوع خاص ، فهى تلجأ الى العنف بل و القتل فى سبيل تحقيق مآربها ، أو الدفاع عن نفسها ، بدليل أنها قتلت أخاها ابسرتوس عندما استشعرت أنه يقف حجر عثر فى سبيل إتمام زواجها ممن تحب . كذلك نجدها فى دفاعها عن حبها تقتل و بلا رحمة كل من كان سبباً فى تعاستها ، و كل من أسهم فى تحطيم سعادتها الزوجية . و إذا كان هذا القول صحيحاً فلماذا لم تقتل ياسون و هو أس تعاستها الحقيقى ؟ إنها بأفعالها هذه قتلته عدة مرات ، بحرمانه من سعادته و إنجاب ذرية جديدة بقتل جلوكى ، أيضا حرمته من أطفاله الذين أنجبهم منها ، و هذا أيضا يُزيد من تعاسته و ألمه .

٦ - و من الواضح أيضا أن هذه المسرحية تحليل للنفس البشرية ، و أثر الحب فى المحب متمثلا فى تضحية ميديا بأهلها و حياتها و تقاليدها ، بل و أقدمت على قتل أخيها أبسرتوس ، و هجرت وطنها إلى بلد آخر من أجل من أحبت ، و فى المقابل ، نرى الزوج ياسون يحنث بقسمه بالوفاء لها عند الزواج فى معبد هيكاتى ، بل و يهجرها إلى امرأة أخرى ، متعللاً بأسباب واهية غير مقنعة ، و هى السعى للجاه و المكانة الاجتماعية من أجل أن يرفع من قدر ولديه من ميديا و يؤمن مستقبلهما ، بل و زاد الطين بلة أن عير ميديا بوطنها ، و بما فعلته من أجله ، و تعالى عليها بوطنه أثينا متهماً أهل ميديا بالهمجية ، و يصف نفسه و أهله بالتحضر .

ياسون : لقد قدمت لى العون و مهما كانت طريقة خدماتك فهى على أية حال لا بأس بها ، و لكنى أؤكد لك أنك قد أفدت أكثر منها فى حمايتى ، و أنك قد أخذت من آلاء نعمتى أكثر مما أعطيتنى ، فها أنتى تُقيمين بأرض هيلاس ، و كنت قد نزحت من بلد همجى أجنبى ، و ها أنت تعلمت منا العدالة ، و تعلمت كيف تعيشين فى ظل القوانين .. الخ .

بالطبع ، كل هذه العوامل تفاعلت داخل ميديا و أثارت صراعاً داخلياً بينها و بين نفسها ، و بذلك يرفض يوريبيديس إدارة الصراع بين الإنسان و آلهته ، و يفضل إدارته بين عواطف الإنسان المتضاربة.

٧ - لقد كان يوريبيديس موفقاً عندما صور لنا ميديا ضحية الغيرة و الظروف ، بل و جسد طبيعتها الجامحة الوحشية ، و تكوينها الانفعالى و فرديتها المطلقة ، و غريزة تملك ما تريد مهما كان الثمن ، و يبدو ذلك واضحاً فى المشهد الأول بينها و بين ياسون ، و قد تكرر مثل هذا المشهد عدة مرات أمام الجوقة . و مع ذلك أعطاها القدرة على السيطرة على نفسها ، و كبح جماحها فى حديثها الأول مع الجوقة ، و كذلك فى أسفها على محنتها و محنة بنات جنسها ، بل و طمأنت الجوقة و شكرت لهم تعاطفهم . وضح ذلك أيضاً فى المشهد الذى دار بينها و بين الملك كريون ، الذى رجته ليمنحها مهلة قصيرة كى تتدبر أمرها قبل رحيلها منفية عن المدينة ، و فى اللقاء بينها و بين ياسون الذى توسلت فيه كى يسمح لها بإرسال طفليها بالهدايا لزوجته الجديدة جلوكى .

٨ - و رغم ما قيل عن المسرحية و جودتها ، إلا أن لأرسطو عليها تحفظان :-

أ - المبالغة فى دور الصدفة متمثلاً فى وصول العربة المجنحة و خطفها لميديا مما أعطاها فرصة للهروب . لولا هذه الصدفة لحدثت مواجهة بين ميديا و زوجها ياسون .

ب - وصول ايجيوس فى الوقت المناسب ، أى فى اللحظة التى كانت تبحث فيها ميديا عن مأوى آمن .

٩ - وضح فى هذه المسرحية التأثير السوفسطائى على يوريبيديس ، فقد لجأ الى ابراز مشاهد المواجهة بين الخصوم حيث يقدم كل منهما دفوعه ، إنها لحظة جدلية يسعى فيها كل منهما لنفى التبعة عن نفسه ، و إلقائها على خصمه ، مستخدماً العبارات اللفظية المناسبة و المؤثرة .

١٠ - إذا ما طبقنا معايير أرسطو على هذه المسرحية سوف نكتشف مخالفة يوريبيديس للعديد منها و على سبيل المثال :-

أ - إن شخصية ميديا لا تتصف بمواصفات البطل التراجيدى الأرسطى ، لأنها شخصية لا تثير عاطفتى الخوف و الشفقة ، فقد أبرز ماضيها و حاضرها المليئين بكل ألوان القتل و الغدر و الخيانة و الانتقام و القسوة ، مما جعل المشاهد لا يتعاطف معها ، بل و يتمنى أن تلقى قصاصها ، لأنها بأفعالها تستحق كل

ما يجرى لها . إنها شخصية تُعذب نفسها و تُعذب الآخرين و يحل الدمار فى كل مكان تحل فيه .

ب - لم يكن هناك صراع من أى نوع بين ميديا و أطراف أخرى، لأن كل شئ محسوم منذ البداية . و لكن الصراع فى رأى كمال ممدوح حمدى (١) ، فعل خارجى و تجسيده يأتى من الداخل ، و يزداد التوتر الدرامى بتطور مراحل الفعل و هو الإنتقام ، سواء جاء على لسان المربية أو أعلنته ميديا صراحة ، ثم نفذته فيما بعد . (موت كريون و جلوكى ، موت الطفلين) .

ج - لا تنتهى المسرحية نهايتها المحتومة وفقاً لتعاليم أرسطو التى ترى أن سفك دم أحد أقاربه و هو يعلم بصلة القربى ، اثم عظيم يستحق مقترفه الدمار ، و مع ذلك نجد يوربيديس يجعل ميديا تفلت من العقاب رغم تكرارها لذات الأثم (قتل أخاها ، طفليها).

د - بالنسبة للخطأ التراجيدى (همارتيا) أو الذنب أو الأثم ؛ نجد أن هناك خلاف بين الرأى الأرسطى و يوربيديس إذ يرى أرسطو أن مبعث هذا الخطأ فهم قاصر و استسلام للأهواء و ميل للاندفاع المتهور ، فالبطل هو إنسان يجمع ما بين القوة و الضعف ، و يتحمل وحده وزر ضعفه و خطأه . بينما يأخذ يوربيديس بالفكرة السوفسطائية القائلة بأن العقل هو موجه الحياة و ليس العقيدة ، و هناك الى جانب العقل عواطف غير عاقلة ، فإذا ما أفرط فيها الإنسان ، كانت بداية المصائب و طريق الدمار الذى ينتهى بالعقاب . و العقاب قد يقع على المخطئ وحده ، أو يتعداه للمحيطين به ، و هذا يعنى توزع المأساة على الجماعة ، و فى هذا يكمن الخلاف مع أرسطو .

هـ - إن النهاية التعسفية (على هيئة عامل خارجى ، اله أو أى قوة خارجية) التى وضعها يوربيديس تختلف تماماً مع ما نادى به أرسطو من أن خواتيم الحكايات يجب أن تستنتج من الحكايات نفسها ، بل و تكون نتيجة لتطور منطقى للأحداث وفق قانون الضرورة و الاحتمال .

---

(١) حمدى ، كمال ممدوح ، ميديا ، (مرجع سبق ذكره) ، ص ٩٦ .

١١- يرى البعض (١) أن هذا الموضوع قد تناوله نيوفرون السيكوتى قبل يوريبيديس . و قد استند أصحاب هذا الرأى على تشابه ما بقى من مسرحية نيوفرون مع معالجة يوريبيديس ليست محل شك، و أن أعماله المتعددة تؤكد أن العكس هو الصحيح ، لا سيما و أن من ينسبون السبق لهذا الشاعر المجهول لم يدلونا على عمل آخر لهذا الشاعر ، بل فى اعتقادنا أن تاريخ الدراما لم يحمل إلينا، ضمن ما حمل من أسماء ، اسم هذا الشاعر ، و لا سجل له أية أعمال .

١٢- عالج سينكا هذا الموضوع معتمداً على نص يوريبيديس ، و لكن مع شئ من التصرف ، فقد أكد على أن ياسون أكثر تعلقاً و حباً للأطفال من ميديا ، مما جعل المشاهدين يتعاطفون معه ، و يشفقون عليه لما أصابه .

١٣- تناول كورنى ذات القصة ، و لكن بطريقة عصرية عام ١٦٣٤، كما تناوله كل من جلوفير فى انجلترا ، و جريلبا رزير فى الد"يا عام ١٨٢٢ . كما تناوله بعض شعراء الكوميديا بطريقة فكاهية .

سادساً : الجوقة :

١ - إن الجوقة من نساء كورنثه ، و متعاطفات مع ميديا ، بدليل أنهن لم يحاولن إفشاء ما شهدنه من اتفاق سرى طبقاً للعرف السائد عن الجوقة و تنفيذاً لأتفاق بينهن و بين ميديا : (سطور ٢٥٩ - ٢٦٨) .

ميديا : .....أرجو أن تلزمن الصمت .

الجوقة : لسوف نفعل ما تطلبين ......

٢ - الجوقة هنا لم تشارك فى الحدث ، بل علقت عليه . بدليل أن ميديا عندما قتلت ولديها ، لم تتحرك الجوقة ، بل تداولن فيما بينهن ، لتقرير ما إذا كان من الضرورى التدخل أم لا . (سطور ١٢٥٠ و ما بعدها)

٣ - أحسن الشاعر إستخدام الجوقة فى هذه المسرحية ، فقد كتب ثلاثة أغانى :

الأولى : خصصها لعبارات تأملية لموضوعات عامة

---

١ - محمد غلاب ، مصابيح المسرح الإغريقى ، سلسلة مذاهب و شخصيات ، العدد ٧٤، الدار القومية للطباعة و النشر ، ص ٩٦ .

تتعلـــق بالحدث ، فتعطى معلومـــات ضـــرورية عـــن
ميديا . (٤٠٥ ــ٤٤٥) .
الثانية : خصصها للتعليق على ما دار بين ميـديا و ياســون
فى لقائهما الأول ، كما تناول الحب و مـا جـره هـذا
الحب على ميديا ، و ما وصلت اليــه مــن حـال بــلا
وطن، و لا عون صديق ، ثم سبت بطريق غير مباشـــر
ياسون .
الثالثة : غنت ممتدحة أثينا المدينة المقدسة و أهلهـا الـذين
ربوا على الحكمة و العلم الجليل ، كما أشــدن بالطبيعـة
الجميلة للمدينة ، و استنكرت أن تســتقبل قاتلــة ملوثــة
اليدين ، قاتلة ولديها . إن مثل هذا الوصف الذى تغنــت
به الجوقة عن أثينا ما هو إلا صدى لخطــاب بــركليس
عن كفاح أثينا ، و دعوته للمــدن المجــاورة لمســاندتها
فى كفاحها .

سابعاً : الحوار :

حفل الحوار بالعديد من الكلمات المــأثورة ، ســطر ١٢٠ــــ ١٢٥ ،
٢٠٠.

٣ - هيبوليتوس (١) :

تبدأ المسرحية أمام قصر فخم ، حيث يظهر للمشاهد تمثالى ربة الحب و الجمال و الشهوة أفروديتي ، و ربة الصيد و الزهد و العفة أرتميس ، كل منهما فى جانب من جانبى المسرح .

تستهل أفروديتي الحوار بنفسها ، وتعدد صفاتها وقدراتها ، وتعلن قوتها . ولكي تبرهن على هذه المقدرة ، تعلن رأيها فى هيبوليتوس ابن ثيسوس من زوجته الأمازونية ، التى كان ضمن سباياه فى إحدى غزواته . وهو على حد قولها شاب عفيف ، يرفضها ويحتقرها ، بل ينعتها بأنها أسوأ الآلهة . تعيب عليه حبه لأرتميس شقيقة فويبوس وابنة زيوس ، وتتهمه بأنه يمارس مع هذه الربة صداقة فوق مستواه البشرى . تعلن أفروديتي أنها ستعاقبه اليوم ، إذ أنها أوقعت زوجة أبيه فايدرا فى حبه ، بل وجعلتها تذوب فى صمت دون أن يعلم أحد السبب الحقيقى لهذه الحالة التى تنتابها . تقرر أفروديتى كشف السر لوالد هيبوليتوس انتقاماً لإعراضه عن تقديم الولاء لها، و تحديها ، و هى فى سبيل ذلك لن تبالى بما يصيب كل الأطراف ، ففقط يهمها الانتقام لنفسها .

يظهر هيبوليتوس و أتباعه العائدين من رحلة صيد و هم ينشدون أغانيهم لربة أرتميس ، و لا يدرون أن أبواب هاديس مفتوحة لتستقبل الشاب هيبوليتوس ، الذى يرى الضوء لآخر مرة .

يتقدم هيبوليتوس ليضع أكليلاً من الورود على قاعدة تمثال الربة أرتميس إكليلاً جلبة من روضة نقية يرتادها النحل ، و ترويها ربة الحياة أيدوس و يناجيها

هيبوليتوس : فلتقبلى من يد خاشعة أكليلاً يزين شعرك الذهبى ، فأنا وحدى
من بين البشر أنعم بهذا الفضل منك ، إذ أصاحبك و أتجاذب
معك أطراف الحديث ، أسمع صوتك دون أن أرى وجهك
(أبيات من ٨٠ ، ٨٥) .

و ما أن يفرغ من مخاطبة الإلهة ، حتى يتجاذب الحديث مع تابعه حول التكبر بين البشر ، و اتصافه بالعفة . و يدعو هيبوليتوس رفاقه إلى الدخول

---

١ - نعتمد بصفة أساسية فى تلخيصنا لهذه المسرحية على ترجمة : عبد المعطى شعراوى ، يوربيديس - ٧ ، هيبوليتوس ، العدد رقم ١٨٢ من سلسلة المسرح العالمى ، وزارة الاعلام الكويتية ، نوفمبر ١٩٨٤ .

إلى القصر، ليعدوا الطعام من خيرات ما اصطادوا . تغادر المجموعة المسرح عدا أحد التابعين الذى يقف أمام تمثال أرتيميس مناجيا و مصليا . يخرج العجوز ، بينما تدخل الجوقة ، و هى مجموعة من نساء مدينة ترويزن ، و تأخذ مكانها على المسرح ، و تتناول فى الأبيات من ١٢٥ إلى ١٧٣ ، حال سيدة القصر و ما اعتراها من مرض ، و إضرابها عن الطعام، إنه القلق الدفين ، أو ربما مستها روح بان (١) أو هيكاتى (٢) ، أو الربة الأم ساكنة الجبال ، أو بسبب خطيئة اقترفتها فى حق ديكتونا (٣) . تظهر المربية العجوز و معها مجموعة من الوصيفات يحملن سريرا ترقد عليه فايدرا ، و تأمرهن فايدرا برفع جسدها ، و انتزاع العصابة لأنها تثقل على رأسها ، و ترك شعرها ينساب على كتفيها ، و تتألم فايدرا بصوت عال يدفع المربية إلى مواساتها بكلمات متفائلة ، و تناجى فايدرا أرتميس سيدة البحر ، إنها تهذى بكلمات متضاربة ، جعلت المربية العجوز فى حيرة من أمرها ، أية آلهة تجذب عنان هذه السيدة ، و تسيطر على تفكيرها . و تتسأل الجوقة عن سر حزن الملكة ، و تنفى المربية معرفة السر ، و تؤكد أنها تخفى مرضها عن زوجها الغائب عن الوطن . و تحاول المربية جاهدة حل عقدة لسانها ، و تستحثها على الإفصاح دون جدوى ، و تذكرها بحق أبنائها عليها ، و أن موتها يحرمهم ميراثهم ، الذى سيستأثر به هيبوليتوس ، فتنتفض فايدرا لسماع الاسم ، و تطلب من المربية ألا تذكره مرة أخرى أمامها ، و تبدأ فى حذر، سرد سبب بلائها ، و شيئاً فشئ تعترف بحبها لابن الامازونة ، هيبوليتوس . تدهش المربية و تستغيث بالجوقة ، التى تستنكر فعل فايدرا ، و تتنبأ بوقوع حدث غير متوقع. تتقدم فايدرا مخاطبة الجوقة عن الأفعال و اللذة و الفضيلة ، و الخجل ، و تفكيرها و مسلكها عندما لم يستجب لها من أحبت ، فبدأت بالصمت ، ثم ضبط النفس ، ثم الموت كحل جذرى للخروج من هذا المأزق ، و الخلاص .

---

١ - كان إلها قوميا فى أركاديا ، و يسمى أيضا باون ، و هو رب الرعاة . كان الجدى هو الحيوان الخاص به . كان يصور فى صورة نصف بشر و نصف جدى . تقول الأساطير ، أنه ابن هرميس .

٢ - ربة قديمة من ربات التربة أو العالم السفلى . كثيرا ما يخلطون بينها و بين أرتميس و سيلينا . و يرى البعض أنها ربة القمر . و هى كائن مهول أو غولة تخيف المسافرين . نسب لها السحر الأسود ، و هى الربة التى يلجأ إليها العشاق لتوفق بينهم بالأحجبة .

٣ - ربة كريتية للبحر ، تحمى الصيادين و الملاحين .

تعلن للجوقة أنها ترفض من تتظاهر بالعفة فى حديثها ، ثم تأتى فى الخفاء إعمالاً غير عفيفة . إنها تفضل الموت على أن تجلب العار لزوجها و أطفالها . تتدخل المربية معلنة أن ما ترويه سيدتها شر يوجب غضب الآلهة ، و تتناوب الجوقة و المربية الحوار حول ما يجب أن تسلكه فايدرا . تطلب فايدرا من مربيتها الصمت رغم ما تقوله من صدق ، و لكن المربية تطالبها بالطاعة ، فمن أخطأ عليه أن يُصحح خطأه ، و هى لديها الدواء الذى سيساعدها فى وضع حد لهذا الداء ، فقط عليها أن تحصل على خصلة شعر من ذلك الفتى الذى أحبته ، أو قطعه من نسيج ثيابه . تترك المربية المسرح بعد أن تتوسل لأفروديتى لتساعدها فى إنجاز ما تنوى فعله لسيدتها. تبدأ الجوقة فى نشيدها ، بينما تسترق فايدرا السمع عند باب القصر ، و يبدو عليها الذعر مما سمعت ، و تطلب من الجوقة التوقف عن الإنشاد كى تسمع بوضوح ما يدور داخل القصر من أحاديث ، و تصمت الجوقة ، ثم تدعو فايدرا لنقل ما تسمعه ، و بالفعل ، تعلن فايدرا أن هيبوليتوس يسب المربية العجوز ، و يتهم فايدرا بأنها خائنة لفراش سيدها . تقرر فايدرا أنها أخطأت حينما أفصحت عن علتها ، و أن علاج هذه السقطة هو الموت .

يدخل هيبوليتوس و خلفه المربية العجوز تتوسل إليه كى لا يسمع حديثهما أحد ، و ترجوه ألا يبوح لأحد بما أفضت إليه من أمر فايدرا ، و يبدأ فى إعلان كراهيته للنساء ، و يلوم زيوس أن جعل لهن مكاناً تحت الشمس ، فالمرأة فى رأيه شر عظيم ، و يوبخ المربية لأنها تسعى لإقامة علاقة دنيئة بينه و هو العفيف ، و بين فراش أبيه الطاهر . إن مجرد سماعه لهذا القول يوجب التطهر و الاغتسال ، و يعلن أنه سيظل بعيداً عن المنزل طالما كان والده غائباً عنه ، و يُكيل للمربية و سيدتها فايدرا اللعنات ثم يغادر المسرح . تبدأ الجوقة فى تعليقها متضامنة مع فايدرا التى تندب حظها لفشل مهمة مربيتها . و لكن وسط هذا اليأس تبحث لها عن خطة جديدة ، تُنجيها ، و تجعلها تموت محمودة السيرة ، نقية السمعة . أيضا ، تلوم فايدرا مربيتها لأنها كاشفت الفتى برغبتها ، و بذلك أعطته سلاحاً ليدمر سمعتها ، و يهدم سعادتها مع زوجها ، بل سينشر عنها أسوأ الروايات. تعتذر المربية عن فعلتها ، و لكنها تؤكد لسيدتها نبل المقصد ، إنها تبحث عن العلاج الشافى لبلوى ربيبتها ، و تُذكر سيدتها أنها بشئ من الذكاء يمكن أن تخرج من هذا المأزق ، و لكن فايدرا تنهرها لتكف عن نصائحها المشئومة ، بل و تطلب منها أن تغرب عن وجهها ، فهى ليست فى حاجة لها ، إذ أنها ستتدبر أمرها ، و ستجد الحل . تخرج المربية ،

و تستكمل فايدرا الحديث مع الجوقة ، و تتوسل لهن أن يحتفظن بسرها ، و تقسم الجوقة المتعاطفة معها على كتمان السر ، و تبدأ فايدرا في كشف خطتها التى تُبقى على طهارتها أمام أهلها و زوجها ، و تحفظ لأولادها كرامتهم ، إنها تفكر في الموت و لكن موتها لن يكون عقاباً لها ، بل هو أيضا انتقام من ذلك الذى أبى أن يقاسمها رغبتها ، إنه درس له كى يتعلم كيف يتصرف بحكمة و بلا غطرسة . تخرج فايدرا ، و تبدأ الجوقة في إظهار حسرتها على فايدرا التى ستنتحر ، ستشنق نفسها هرباً من خزيها ، و تضع نهاية لرغبتها غير المقدسة . و بالفعل يُسمع صراخ و ولولة المربية تنادى كل من فى القصر ليهبوا لنجدتها .

يدخل زوجها ثسيوس متوجاً بأكاليل الزهور و خلفه الأتباع ، و لكن القصر مُنشغل عنه بالصراخ ، فيسأل النسوة عن سر هذا العويل و الضوضاء ، و لما لم يُرحب به أحد و هو عائد لتوه من عند النبوءة ، تُعلنه الجوقة بالحقيقة ، ماتت زوجته فايدرا . ينزع ثسيوس أكاليل الزهر ، و يعلن أن وفاة زوجته قضت عليه ، و يطلب من الأتباع تحطيم الأبواب و كسر الأقفال كى يرى جثمان زوجته المُسجى على الفراش . ينفذ الأتباع رغبة سيدهم ، و يحملون الجثة التى علقت فى رسغها لوح مكتوب . تولول الوصيفات و الجوقة و الزوج المكلوم ، و كل منهم يرثى فايدرا بكلمات رقيقة ، يبكى فيها طهارتها ، بل و ينعتها زوجها بأنها أعز و أفضل النساء اللائى يراهن ضوء الشمس الساطع و بريق نجوم الليل .

يلمح الزوج اللوح المعلق فى رسغ زوجته ، و يقترب من الجثمان ليرى أخر ما خطته أصابعها ، بينما تعلق الجوقة و تتنبأ بنذير مشئوم ، و كارثة وشيكة الوقوع . و يصرخ الزوج ثسيوس ، و ينادى أهل المدينة الذين يتجمعون حوله ، و يعلن أن ابنه هيبوليتوس قد جرؤ على مراودة زوجته الوفية عن نفسها ، بل و اغتصب رفيقة فراشه بالقوة ، يصدق الأب ادعاء زوجته ، و يثور ، و يستمطر عليه اللعنات ، و يطالب بوسيدون بأن يقضى على ولده و لا يتركه يهرب اليوم . تتوسل الجوقة للملك أن يتراجع عن مطلبه ضد ابنه ، فسوف يكتشف يوماً أنه مُخطئ ، و يرفض الأب ، و يعلن فى إصرار أنه أم أن يموت أو ينفى عن هذه الأرض . يدخل هيبوليتوس الذى سمع نداء أبيه و جاء يستجلى الأمر ، فيقع بصره على جثة فايدرا ، فيتعجب أنه تركها منذ قليل فى كامل صحتها ، فكيف ماتت ، و لكن الأب يشيح بوجهه عن ابنه الذى يصر على معرفة ما جرى ، و لكن الأب لا يستجيب رغم إلحاح ابنه ، و أخيراً يخرج الأب عن صمته ،

و يعلن أن ابنه من صلبه قد دنس فراشه ، هكذا أعلنت الزوجة الوفية التي فضلت الموت على أن تعيش مجروحة الكرامة . يدافع هيبوليتوس عن نفسه، و عن عفته ، و عن تقديسه للآلهة ، و يعلن براءته عن ذلك الاتهام الذى ألقته فايدرا عليه ، إنه لم يمارس الفحشاء مع أى من النساء ، و لا يعرف عن هذه الأفعال سوى ما يسمعه من روايات و حكايات . و يقسم بزيوس أنه لم يعتد أبداً على فراش الزوجية ، بل لم يساوره التفكير فى هذا. و تسانده الجوقة مثنية على دفاعه و تراه كافياً لرد الاتهام .

يعود الأب و يعلن معاقبة ابنه بالنفى و التشرد و دون محاكمة . و رغم مرارة هذه العقوبة ، يرفض هيبوليتوس البوح بالسر ، فقد تعهد للمربية ، و هو لا يريد أن يحنث بعهده و قسمه . يطلب الأب ثسيوس من عبيده و أتباعه نفى ابنه ، فيتحرك هيبوليتوس نحو تمثال الربة أرتميس و يناجيها مودعاً ، كما يودع المدينة و الأرض و الرفاق ، ثم يغادر المسرح كما يغادره ثسيوس . تبدأ الجوقة فى إنشادها حول مصير الفتى هيبوليتوس الذى كان يملأ الدنيا نشاطاً ، فلن يعد إلى الصيد مرة أخرى ، و لن يعتلى عجلته ذات الخيول ، ستتوقف ربة الفنون عن مداعبة الأوتار و عن الغناء ، و ستفقد العذارى الرغبة فى المنافسة الغرامية للفوز بحبه . تعلن الجوقة غضبها من الآلهة ، لأنها توافق على طرد الفتى البرئ . و وسط هذه المناحة ، يدخل رسول من أتباع هيبوليتوس ليسأل الجوقة عن مكان ثسيوس. تشير الجوقة نحو القصر حيث يسير ثسيوس خارجاً . يتجه الرسول نحو الأب ليعلن إليه ما أصاب هيبوليتوس . و يتلقى الأب الخبر بلا مبالاة ، بل و تنتابه النشوة حينما يعلم أن بوسيدون قد استجاب لدعائه ، و بلهفة يسأل الرسول عن كيفية وقوع الحادث ، فيقص عليه الرسول ، أن هيبوليتوس بعد عودته من عند أبيه أمر خدمه بتجهيز الخيل استعداداً للرحيل عن المدينة ، و أثناء سفرهم على الطريق انبعثت ضوضاء أرضية تشبه صاعقة زيوس ، أرسلت هديراً قوياً يفزع المرء لسماعه ، مدت الخيول أعناقها و أذانها مستقيمة نحو السماء و استولى علينا فزع رهيب . إنها موجه مقدسة ترتفع و تلتصق بالسماء ، حتىأنها حجبت عن عينى رؤية شواطئ سكيرون ... و بفعل الموجه المنكسرة على الصخر و الموجه الثالثة و هى أشدها هولاً .. أخرجت الأمواج ثوراً ، وحشاً شرساً بخواره ملأ الأرض كلها رعباً ، و انتهى الأمر بأن سحبته الخيول حتى اصطدمت رأسه بالصخور و تمزق جسده .

يبتهج الأب لسماعه هذه الأنباء ، و لكنه يعود فيتذكر أنه ابنه ، من صلبه ، و مع ذلك يطلب من الرسول إحضار الفتى ليُفحمه بالقول ، و هنا تظهر الربة أرتميس ، و تخاطب ثسيوس و تلومه و تحمله وزر قتل ولده بسبب وشاية كاذبة من زوجته ، و تعلن أنها لن تساعده في شئ ، و أنها ستسبب له الألم . و تروى له قصتها مع ولده و حبها له ، و قصة حب زوجته لولده ، و رفض الابن هيبوليتوس الاستجابة لإغرائها ، فكتبت رسالتها الكاذبة لتشوه سمعة الفتى ، و تبرأ ساحتها أمامك و أمام الناس . و تواصل أرتميس توبيخها لثسيوس لأنه أساء استخدام واحدة من وعود أبيه الثلاثة ضد ابنه هيبوليتوس ، و دون أن ينتظر دليلاً مؤيداً لرواية زوجته ، أو يحقق في الأمر ليتدبر الحقيقة . يتأثر ثسيوس و يبدو عليه الندم . تعلن الجوقة اقتراب جسد هيبوليتوس محمولا على أكتاف أتباعه ، و برغم اصابات الفتى لا زالت فيه بقايا نبض تنبض في ضعف ، و في محاولة للتماسك يلقى نشيده الأخير ، و يعاتب زيوس الذى لم يقف الى جواره ، و هو الورع المطيع للآلهة ، الذى فاق الجميع فى ضبط النفس ، إنه في طريقه إلى الآخرة هاديس . ثم يستدير نحو أرتميس معلناً أنه يشعر بالراحة لوجودها ، و يتجاذب الاثنان الحديث حول ما أصابه ، و من أصابه ، إنها أفروديتى ، فقد تسببت فى هلاك فايدرا و الابن هيبوليتوس و الأب ثسيوس. يشعر الأب بفداحة جرمه و ما ارتكبت يداه ضد ابنه . و تعد أرتميس الفتى أنها ستنتقم له من أعز رجال أفروديتى ، و انها ستمنحه أسمى آيات التكريم فى مدينة ترويزن ، " فالعذارى غير المتزوجات سوف يقصصن خصلات " " شعرهن تكريماً لك قبل زواجهن ، و عبر الدهر اللانهائى سوف تذرفن " " دموع الحزن العميق تكريماً لك " .

و ما أن تنتهى من حوارها حتى تأمر ثسيوس بأن يضم ابنه بين ذراعيه ، و تطلب من هيبوليتوس ألا يكره أباه ، و تستأذن فى الرحيل حتى لا ترى الفتى و هو يموت . و يودع الأب ابنه ، و يطلب الابن من الأب أن يُغطى وجهة بالثياب ، و تُلقى الجوقة نشيدها الأخير و القصير .

أهم ما يلاحظ على هذه المسرحية

أولاً : تاريخ عرض المسرحية :

عرضت هذه المسرحية حوالى عام ٤٢٨ ق.م ، و قد حصل بها يوريبيديس على الجائزة الشرفية الأولى ، و حصل أوفون ابن سوفوكليس على المركز الثانى ، بينما جاءت ايسون لكايوس في المركز الثالث .

ثانياً : أصل المسرحية :

تدور المسرحية حول الفتي هيبوليتوس ابن ثسيوس و خليلته الملكة الأمازونية انتيوبى أو هيبوليتي . إذ أن هناك خلط بين الأختين ، فقد قال يوريبيديس و آخرون بأن انتيوبى زوجة ثسيوس ، و أطلقوا عليها هيبولتى .

على أية حال ، بعد أن هزم ثيسيوس ملك أثينا شعب الأمازون أخذ أجمل بناتها الى أثينا . و بعد أن ولدت هيبوليتوس ، ماتت و هناك من يقول إنها قُتلت عند ظهورها مع أتباعها فى حفل زفاف ثيسيوس و فايدرا ، و تهديدهم بقتل الضيوف ، بينما يقول آخرون أن ثيسيوس قتلها فى معركة ، و هناك من يرى أنها أصُيبت بسهم طائش من أحد أنصارها .

تزوج ثيسيوس من فايدرا ابنة الملك الكريتى مينوس من زوجته باسيفاى ، فأنجبت له فايدرا ولدين ديموفون و اكاماس .

لذلك أرسل ثيسيوس ابنه هيبوليتوس الى ترويزون ليعيش مع جد أبيه بتثيوس ، حتى إذا ما كبر تولى مُلك هذه البلاد . و فيما بعد نفى ثيسيوس ذاته لمدة عام من أثينا ، فذهب ليقضى مدة العقوبة مع زوجته فى ترويزون . و هناك التقت فايدرا مع ابن زوجها هيبوليتوس و وقعت فى حبه ، و لكن لما كان الفتي من أتباع الإلهة أرتميس ، فقد رفض هذا الحب المحرم . شنقت فايدرا نفسها ، بعد أن تركت لزوجها ما يفيد اتهامها لهيبوليتوس بمراودتها عن نفسها . عاقب الأب ابنه و استصرخ الإله الوالد بوسيدون - الذى وعده ذات مرة بتلبية ثلاث دعوات منه - أن يقضى على ولده . و بالفعل يصاب الفتى العفيف بإصابات بالغة . تظهر أرتميس كى تعلن الحقيقة و تبرئ الفتى أمام

والده ، و لكن هيهات ، فقد فات الأوان و مات هيبوليتوس بين ذراعي والده .

هناك بعض الأراء تقول بأن هيبوليتوس قد عاد إلى الحياة بواسطة اسكلييبيوس ، و لكنه رفض العفو عن أبيه و ذهب إلى أريتسيا في إيطاليا ، حيث أصبح ملكاً ، وأقام طقساً و شعيرة دينية على شرف أرتميس (ديانا) . و قد نال فيما بعد تبجيلاً كبيراً ، خاصة في ترويزون ، حيث تقوم كل عروس من أهل المدينة بقص شعرها قبل الزواج و تقديمه قرباناً لهيبوليتوس رمزاً لفقدان العروس لبكارتها بعد الزواج .

إن قصة هذه المسرحية تشبه قصة يوسف مع زوجة العزيز بوتيفار رئيس شرطة فرعون .

إذن كان هيبوليتوس يُعبد كآله و بطل في ترويزون و له معبد تقدم فيه الأضاحى و الهدايا طبقاً لما وعدت به أرتميس في نهاية المسرحية:

" أما أنت أيها المسكين ، ففى مقابل هذه المتاعب ، سوف"
" أمنحك أسمى أيات التكريم في مدينة ترويزون ، فالعذارى غير"
" المتزوجات سوف يقصصن خصلات شعرهن تكريماً لك قبل "
" زواجهن و عبر الدهر اللانهائى " . (سطور ١٤٣٤ و ما بعدها) .

و لما كان هيبوليتوس من الشباب الإغريقى الذى يجد متعته في العزوف عن ملاهى المجتمع الذى يعيشه ، و يكرس كل وقته للصيد ، فهو لا يفكر في ملذات الحب أو ممارسته ، و بسبب هذا الارتباط بين الفتى و الرياضة بنى الإغريق له مدرجاً للألعاب الرياضية (ستاديوم)، كما بنى له مبنى للألعاب (جمنازيوم) ، هذا ما تقوله العبارة المنقوشة على جدران المبانى .

إن المسرحية التى بين أيدينا هى المسرحية الثانية التى كتبها يوريبيديس تحت اسم هيبوليتوس ، و قد أطلق عليها اسم هيبوليتوس المتوج تميزاً لها عن مسرحيته الأولى التى اضيف إلى جوار الاسم صفة تميزها هى المُغطى . أهم ما ساد من تغييرات :

١ - فى المسرحية الأولى تواجه فايدرا بنفسها و شخصها هيبوليتوس و تعلن له حبها ، أما فى المسرحية الثانية فقد تركت ذلك لمربيتها .

٢ - ادعت فايدرا بأنها لجأت الى الشعائر الدينية كى تكبت حبها لهيبوليتوس ، و لم يظهر ذلك فى المسرحية الثانية .
٣ - فى المسرحية الأولى ، أرجعت فايدرا حبها لهيبوليتوس لخيانة زوجها ثيسيوس ، و هذه الخيانة لم تظهر فى المسرحية الثانية .
٤ - فى المسرحية الثانية ، واجه الابن هيبوليتوس الأب الغاضب ثيسيوس محاولاً الدفاع عن نفسه و نفى التهمة .
٥ - فى المسرحية الأولى ، تعترف فايدرا لزوجها بمحاولة ولده هيبوليتوس اغتصابها ، ثم تنتحر بعد ذلك ، أما فى المسرحية الثانية ، فهى تنتحر بعد أن تكتب رسالة تحمل مضمون شكواها و سبب انتحارها .

ثالثاً : المنظر الذى تجرى فيه الأحداث :

قصر الملك ثيسيوس ، فى مدينة ترويزون ، حيث يحتل تمثال الربة أفروديتى أحد جوانب المسرح ، بينما يحتل تمثال أرتميس الجانب الآخر . و تقع مدينة ترويزون جنوب أرجوليس على خليج سارونيتس. و كان يحكمها بيتثيوس والد أثيرا و هى أم ثيسيوس .

رابعاً : أهداف الفكرة الرئيسية :

١ - المسرحية تعالج موضوعا يتعلق بالروابط الأسرية ، حيث تتكون هذه العائلة من أب طاعن فى السن نسبيا ، و زوجة شابة ، و ابن فى ميعة الصبا ، اتصف بالعفاف .
٢ - يمكن أن نستنتج من أحداث المسرحية مقولة هامة حول أهمية أن يكون الزواج متكافئاً بين الزوجين خاصة فى ما يتعلق بالسن .
٣ - المرأة هى المرأة ، كَيدها عظيم ، فها هى فايدرا ترد على رفض الفتى العفيف الطاهر الاستجابة لإغرائها ، بمكيدة انتقامية أودت بحياته ، بل و دمرت الأسرة بأكملها .
٤ - تعرضت الفكرة الأساسية لموقفين متضادين لبطلى العرض ، شاب اتخذ من العفة و الطهارة شعاراً لحياته ، بالإضافة إلى رفضه تلويث فراش الأب ، و زوجة خائنة سعت جاهدة إلى إقامة علاقة غير شرعية بينها وبين ابن زوجها الذى يقارب فى العمر ، أحد أبنائها .

٥ - تؤكد الفكرة الرئيسية أن الرياضة و ممارسة الصيد من الأنشطة التى تعصم الشباب من الذلل ، و تشغله عن ارتكاب المعاصى .
و ها هو الشاعر يؤكد ذلك المعنى عندما جعل هيبوليتوس شغوفاً بها .
" لكنى أود أن أكون أول الفائزين فى المباريات الإغريقية (١٠١٦) " .
٦ - تقدم لنا الفكرة الأساسية الدليل على أن الأب ثيسيوس لم يكن ديموقراطيا ، بل يستبد برأيه .
٧ - كان من الضرورى أن يتحلى الأب بالحكمة ، و أن يتريث قبل أن يتخذ قراره ضد ابنه ، لمجرد أن زوجته سطرت اتهاما له فى لوح ، إن تقصى الحقيقة و سماع الطرف الأخر ، كان سيجنب الأب الكثير ، فابنه برئ ، و زوجته ظالمة .

خامساً : المناقشة و التحليل :

١ - بداية ، كان اسم هيبولوتوس يعنى الذى تحطم أو الذى تمزقت أعضائه بواسطة خيوله .
٢ - كتب يوريبيديس عن هذه الأسطورة مسرحيتين :
الأولى : و قد أسماها هيبوليتوس المغطى ، و فيها أكد يوريبيديس على الألم النفسى و الجسدى الذى تسببه الرغبة الجنسية ، هذه الرغبة قهرت الملكة ، و جعلتها تركع متوسلة للشاب ، مستجدية حبه . و بدلاً من الاستجابة التى يمكن أن تغفر له و هو فى سن المراهقة ، يرفض الفتى العفيف و يدارى وجهه فى رعب و فزع لما أرادته زوجة أبيه . أيضاً تتهم فايدرا فى هذه المسرحية الفتى أمام أبيه ثيسيوس ، و تعلن فى مواجهته أنه حاول إغرائها و غوايتها ، ثم بعد أن مات الفتى ، تنتحر فايدرا . عارض الجمهور الأثينى هذه المسرحية ، مما جعل الشاعر يكتب عن ذات الموضوع مسرحية آخرى عام ٤٢٨ ق.م .
الثانية : و هى مسرحية هيبوليتوس المتوج أو حامل الأكليل ، إذ تلافى فيها كل ما رفضه الأثينيون من حوادث المعالجة الأولى ، و مع ذلك أكد المظاهر المرضية للموضوع ، ثم أدار الصراع فى المقدمة الاستهلالية (البرولوج) و الخاتمة (الأبيلوج) بين الإلهتين أفروديتى و أرتميس . إذن ، قصة حب فايدرا

لهيبيلوتوس و شخصيتهما ، بقيتا كما هما في كل الروايات المختلفة كأسطورة مقبولة من الجميع ، و كحقيقة واقعة ، هذا ما أكده أريستوفانيس على لسان أيسخيلوس في مسرحية الضفادع (سطور ١٠٥ و ما بعدها) .

أيسخيلوس : يا مقتبس أناشيد الرثاء الفردية الكريتية ، و يا من تعرض قصص الزنا بالأقارب على خشبة المسرح .

أما الخلاف بين المعالجتين فهو في التفاصيل ، فمثلا نجد فايدرا تدعي أن عدم إخلاص ثيسيوس هو السبب الأساسي لوقوعها في حب هيبوليتوس . على أية حال ، يمكن اعتبار هذه المسرحية أول مأساة عن العشق .

٣ - في مشهد المناجاة الاستهلالي، يضع يوريبيديس صورة صادقة لآلهة الحب و الرغبات الجنسية أفروديت ، و يجسد قواها الخطرة، خاصة ضد من يقاومون رغباتها . و قد حرص يوريبيديس على تلخيص الأحداث في هذه المقدمة كعادته ، تمهيداً للفاجعة التي سوف يصل إليها مع نهاية الحدث ، خاصة و أن هناك سر ، يجب أن يعلمه المشاهد ، كي يتابع الحدث و هو حب فايدرا لهيبوليتوس .

٤ - بعد هذه المقدمة الاستهلالية ، يبدأ مشهد جديد كشف فيه هيبوليتوس عن إخلاصه لإلهته المفضلة أرتميس ، إذ أنه قد نذر نفسه لها ، لذا ، نلاحظ أن صلاته لها ، تتميز بجمال شعري ينم عن الطهارة ، و قد وضع الشاعر رموزاً لتأكيد هذا المعنى ، فمثلاً :

أ - جمع الفتى من المروج العذراء الساكنة ، زهورا ليقدمها لإلهته المفضلة .

هيبوليتوس : إليك أيتها الربة أحمل هذا الأكليل المجدول ،
أعددته من روضة لم تطأها قدم ، حيث لا يفكر
راع أن يرعى أغنامه ، و حيث لم يصل إليها
سلاح قط ...روضة نقية ، يرتادها النحل ..الخ .
(٧٣ - ٨٤) .

ب - يرفض هيبوليتوس بشدة تقديم فروض التحية و الدعوات لأفروديت ، عندما نصحه خادمه العجوز بذلك ، بل يذكرها بلا مبالاة ، و يوجه لها الإهانة حينما يتهمهما بعدم العفة :

هيبوليتوس : من بعيد احييها ، إذ أننى شخص عفيف (١٠٢).
و يعود الفتى مرة آخرى ليكشف عـن حبـه للفضـيلة و العفـة بمفهوم خاص حينما يقول إنه يرغب فى أن تنتهـى حياتـه كمـا بدأت ، مقرباً إليها. (٦٠ - ٨٠) .
برغم سلوكه المتزن تجاه إلهته أرتمـيس ، إلا أننـا نلمـح فـى الحوار بين هيبوليتوس و خادمه ، ذلك الخطـأ التراجيـدى الـذى سيكون سبباً فى سقوطه و نهايته ، إنه الشموخ بالأنف و التكبر.
التابع : أيها الأمير ــ إذ يجب نداء الألهة فقط بلقب السادة ، هـل تقبل منى نصيحة طيبة ؟
هيبوليتوس : بلا شك ، و إلا بدوت غير عاقل .
التابع : هل تعرف إذن ، العرف الذى فرض نفسه على البشر ؟
هيبوليتوس : كلا ...لا أعرفه.....و لكن عم تسألنى ؟
التابع : عن كراهية النـاس للمتكبـر الـذى لا يحبـه الجميـع .
(السطور من ٧٩ الى ١٠٥) .

٥ - إن الآلهة فى هذه المسرحية تسلك سلوك البشـر ، و بـذلك يكـون يوربيديس قد نزع عنها قدسيتها ، و أنزلها إلى دنيـا الواقـع . بـل أكثر من ذلك ، جعل يوربيديس الغيرة تأكل قلب الآلهـة أفروديـت، و هو فى ذلك قد سوى بينها و بين البشر فى الغرائز و الطباع .

٦ - جمع يوربيديس بين نقيضين ، رومانسية فايدرا التواقـة للإنطـلاق و التحرر من ذلك الواقع ، إلى الوهم الـذى نسـجه خيالهـا لـذلك العالم الأثيرى ، عالم الحب و الرغبة الغيـر شـرعية ، و واقعيـة المربية ، بل حمّل العبارات بمعانى ظاهرة و آخرى باطنـة ، فمـا تحلم به فايدرا و تريده هو ابن زوجها هيبوليتـوس ، الـذى ملـك عليها قلبها ، و ما هو متاح بين يديها ، هو الزوج الشـرعى الـذى تحول القلب عن حبه .
" لم تحنين الى مياه الينابيع الجارية و فـى متنـاول يـدك "
" قرب القصر نبعة يدر منها المـاء و يمكنـك أن تشـربى "
" منها إذا شئت " (السطر ٢٢٥) .

٧ - لم تفصح فايدرا عن سبب معاناتها مباشرة ، بـل أعطـت رمـوزاً جعلت المربية تخمن المقصود ، بل تحدد أسمه ، فتؤكد فايدرا أنـه هو ، و بذلك تكون فايدرا قـد فقـدت سـيطرتها علـى نفسـها و

إرادتها، وبدت عارية أمام مربيتها ، و لم تخشى على سمعتها و هي الأم و الزوجة .
إن الفعل برغم أنه مجرد مشروع ، لم يصل إلى حيز نطاق التنفيذ ، إلا أنه أصبح واقعاً ملموساً يحاسبها المجتمع على ارتكابه. و وفقاً للأفكار السوفسطائية ، تكون فايدرا قد خالفت العقل العادل المتهادن و تستحق العقاب ، و قد نالته من يدها .

٨ - من الثابت أن هيبوليتوس الشاب ، كان يعانى من وضعه كابن غير شرعى ، و ربما هذا هو السبب المباشر الذى جعله يخاف الزنى ، و العلاقات غير الشرعية حتى لا تكون هناك ثمرات تعانى نفس معاناته . إن مثاليته و تبتله لأرتميس دلالة قوية على حرصه ، و إنقاذاً لنفسه من التردى فى مصير يخشاه . و يتمشى مع فكرته عن المرأة و إثمها و تلوثها .

٩ - يرى د . شعراوى أن المسرحية تصوير صادق و معبر للحب الحسي و الغرائز (١) الجنسية ، و هو مالم يظهر فى الدراما الإغريقية قبل عرض هذه المسرحية .

١٠ - **شخصية هيبوليتوس :**

أ - اتسم بأنه فتى فى عمر الزهور و سن المراهقة ، السن التى تشغل فيها عقول الشباب بكل الحب و متعه ، فتستجيب غرائزهم لأول طارق ، و مع ذلك نجد أنفسنا أمام مزاهق من نوع آخر ، مراهق معتدل ، مثالى ، بل عفيف ، شديد التطرف فى مثاليته .

ب - من المقدمة الاستهلالية نلمح وصفاً للفتى من افروديتى ، إنه المواطن الوحيد من ترويزون الذى قال عنها إنها أسوأ الآلهة ، و فضل عليها الإلهة ارتميس و اعتبرها أعظم الربات ، إن صداقته لها ، صداقة فوق مستوى البشر . إنه فتى يعرف ما يريد تماماً ، و يحدد سلوكياته و علاقاته وفق معايير اجتماعية مثالية ، و لا يخلط الأمور . و برغم هذه المثالية إلا أن نقصاً شاب شخصيته ، فهو متهور ، يندفع بعنف ، و يتعامل بثقة تصل إلى حد الغطرسة و العجرفة . و قد وضح ذلك فى عدة مواضع من المسرحية (١٠٢) ، و فى وداعه لأفروديتى عند

١- المرجع السابق ، ص ١٣ .

مغادرته المسرح نلمح سخريته و ازدراءه و تهكمه على الإلهة.

هيبوليتوس : ......أما عن ربتك كوبريس ، فإنني أتمنى لها يوما سعيداً جداً (١١٣) .

إن مثل هذه السطور من وجهة النظر الإغريقية القديمة سطور هامة ، إذ تحدد ملامح الشخصية ، فالسلوك الوقح المتسم بالطيش و عدم احترام الآلهة ، هو سلوك مرفوض في المجتمع الإغريقي، و ليس له ما يبرره ، و تجسد هذا السلوك و زادت حدته ، بعد أن صلى تابع الفتى للإلهة افروديتي قبل خروجه .

التابع : لكننا نحن ـ من لا يجب علينا أن نقلد الشباب في تفكيرهم هذا ـ سوف نصلي مثلما يليق بالعبيد أمام تمثالك أيتها السيدة كوبريس (١١٤- ١١٧) .

ج - أيضاً إذا ما نظرنا لسلوك هيبوليتوس من وجهة النظر الحديثة، فإن الفتى يبدو في أسوأ حالاته ، و زاد هذا السوء في المشهد الذي يندفع فيه خارجاً من القصر ، و هو يلعن فايدرا ، و يشجب سلوكها ، فبالرغم من أن الخطأ الذي ارتكبته فايدرا ، فإنه لم يصل إلى دائرة التنفيذ ، و كان من الممكن إنهاءه بشكل مغاير ، و لكن فورة الشباب جسمت الخطأ فزاد عنف اللوم إلى حد المبالغة ، إنه عنف يتفق مع شخصية فتى مفتنون بطهارته و معتز بفضيلته ، و فخور بتعصبه لأفكاره . إن هذه الثورة قد أعطت بعض العذر لسلوك فايدرا بعد ذلك ، فهي في رعب من أن يبوح الفتى بسقطتها لأبيه ، دفاعاً عن النفس ، على اتهامه بمحاولة اغتصابها و قلبت الأوضاع .

على أية حال ، قادت الغطرسة هيبوليتوس إلى حتفه ، فقد رفض الاعتراف بالقوى الطبيعية ، فكانت نهايته على يد هذه القوى ، بل و تعلق مصيره بكل من أفروديتي في المقدمة ، و أرتميس في نهاية المسرحية .

د - يرى النقاد أن هيبوليتوس هو محور هذه المسرحية و بطلها ، إذ أن الاثنان يتقسمان الجزء الأول ثم تموت فايدرا في نهايته ، بينما يبقى هيبوليتوس حتى يلقى حتفه في نهاية المسرحية . أما فايدرا عند كل من راسين و سنكا فهي الشخصية الأساسية .

هـ - عومل هيبوليتوس كبطل في كل من أثينا و إسبرطة و ترويزون ، و طبقاً لرواية أسطورية مؤكدة أن اسكليبيوس قد أعاد هيبوليتوس إلى الحياة . إن قصة البعث هذه ، من الزم الأمور عند محاولة تأليه و تمجيد فرد .

١١ - **شخصية فايدرا :**

أ - هناك اتفاق بين شعراء المأساة ، الذين تناولوا قصة هذه المرأة، على أنها قصة الخسة و الدناءة . فقد جعلها سنكا مثلا و راسين تعترف صراحة بحب هيبوليتوس دون خشية من لوم ، أو حرص على السمعة ، لذا فهى الشخصية الرئيسية فى مسرحيتهما بعكس ما عند يوريبيديس .

ب - فى مسرحية يوريبيديس نجد الشاعر قد حاول تخليص الشخصية من كثير من مساوئها ، بل جعل فى الامكان التعاطف معها ، و الإشفاق عليها و الرثاء لها . حقق يوريبيديس كل هذا من خلال عدة محاور :

١ - محور افروديتى حيث كشفت لنا الإلهة عن مسئوليتها ، فقد أوقعتها فى حب هيبوليتوس :

افروديتى : فسيطر على قلبها حب مروع ، و حدث ذلك تنفيذاً لمشيئتى أنا . (٢٧ - ٢٨) .

مثل هذا الاعتراف يجعل المشاهد يحس بأن فايدرا مسيرة و ليست مخيرة ، و بسبب ذلك ، يمكن أن نلتمس لها العذر ، فهى لم تفعل ما فعلت بمحض رغبتها ، و إنما فعلته تنفيذاً لمشيئة الإلهة افروديتى .

و لتأكيد هذا المعنى نجد افروديتى تتوعد هيبوليتوس و تعلن أنها ستنتقم منه :

افروديتى : ... " و لسوف يقتل الوالد هذا الشاب الذى يتحدانى " . ثم تعود لتقول : " حقاً إن فايدرا حسنة السمعة ، لكن يجب أن تموت ، فسوف لا أقيم وزنا لعذابها فى سبيل أن ينزل عقابى بأعدائى ، و بالصورة التى تُرضينى " (٤٣ - ٥٠) .

و هناك دليل أخر على أن فايدرا مسيرة لا مخيرة ، تعطيه لنا ارتميس فى نهاية المسرحية تقريبا ، حينما تتهمها بأنها

قد وخزت بمناخيس ، أكثر الربات كراهية ، فوقعت في حب هيبوليتوس ، بل نجدها تلتمس لها العذر ، لأنها قد حاولت الفكاك من هذه المشيئة فلقيت حتفها . (١٣٠٠ - ١٣٠٥) .

٢ - محور المربية ، تلك المرأة المتعاطفة مع سيدتها ، و الماهرة فى ذات الوقت . لقد لعبت دوراً هاماً فى تجسيد رغبة فايدرا ، و من خلالها رد يوريبيديس الاعتبار لشخصية فايدرا . و نلاحظ أن أول لقاء بين المربية و فايدرا على المسرح تستخدم فايدرا أسلوباً شعرياً و لغة دورية ، بينما ترد عليها المربية بلغة اتيكية عادية .

كانت فايدرا واقعة تحت سيطرة الرغبة الجنسية ، و فى ذات الوقت تقاتل من أجل أن ألا تبدو مبتذلة ، فهى لم تنسى أنها امرأة نبيلة المولد . إن هذا المشهد من المشاهد المثيرة للعواطف ، فها نحن نشاهد أثار ما تعانيه فايدرا من صراع داخلى ، انعكس على هيئة آلام مبرحة ، جعلتها لا تبارح أريكتها ، محاولة حفظ سرها حتى عن أقرب الناس إليها .. مربيتها . و برغم هذه الصورة المتماوجة ، نجد المربية تحاول جاهدة مساعدة سيدتها فى إخراج ما يعتمل فى صدرها لتريح نفسها . و تنجح المربية فى الحصول على تلميحات و إشارات غير مباشرة ، تعلن بعده المربية سبب بلوى سيدتها و أساس علتها . و تعلن المربية أنها ستحقق لسيدتها رغبتها .

و بالفعل و بعد أغنية من أغانى الجوقة حول ايروس (اله الحب الإغريقى) ، الذى يصوب صواعقه و مشاعله فيحول المنازل إلى خرائب ، تتأكد فايدرا من أن المربية قد نفذت خطتها و أخبرت هيبوليتوس ، بل و تسمع رفضه بشدة (٥٨٠ و ما بعده) . بل تسمع إهانتها بأذنيها . وصلت المربية بالموقف إلى طريق مسدود ، فها قد علم الفتى بسر زوجة أبيه ، و عليه فقد جللت بالعار ، و لم يعد أمامها سوى طريق واحد لتمحو هذا العار . إنه الموت :

فايدرا : لا أرى سوى أمراً واحداً ... هو الموت توا (٥٩٩) فهو الخلاص الوحيد من المتاعب المحيطة بى الآن .

إن فكرة الموت لم تكن فكرة طارئة و مفاجئة ، بل ظلت تراودها من قبل ، و قبل أن ينكشف سرها ، أما بعد هذه الفضيحة فقد تبلورت الفكرة و اختمرت جيداً ، و لم يبق سوى التنفيذ ، بل و نفذت الفكرة ذاتها إلى ذات المتسبب ، و بالفعل أقدمت على ما عزمت فشنقت نفسها و في يدها وثيقة اتهام هيبوليتوس .

١٢ - هناك رأى (١) يقول إن هذه المسرحية نتاج انفعال شخصي ليوريبيديس ، إذ أنه كتبها بعد اكتشافه لخيانة زوجته الأولى ، و على ذلك فهى دلالة على كراهيته للمرأة . إننا نختلف مع هذا الرأى ، لأن هناك ما يدحضه ، إذ تزوج يوريبيديس مرة ثانية . و كان من الممكن أن نسلم بصحة الرأى لو أنه قيل بعد ما حدث للزيجة الثانية و تكررت الخيانة الزوجية .

١٣ - لجأ يوريبيديس إلى الآلهة لحل الموقف المتأزم ، و بالطبع هذا الأسلوب كما نعلم كان مفضلاً ، إذ يضع نهاية تعسفية لمسرحياته ، هذه الحيلة تتمثل هنا في ظهور الربة أرتميس لتعلن الحقيقة للأب . هذا الظهور لإعطاء التبرير المقدس للموضوع ، و تقديم البرهان الدينى لجعل الخاتمة أكثر إيجابية .

١٤ - تظهر بعض الأفكار السوفسطائية المتعلقة بالوفاء و عدم الحنث باليمين ، حينما يهدد هيبوليتوس بإفشاء سر فايدرا لأبيه ، و عندما تذكره المربية بما قطعه على نفسه من عهد يتملص قائلاً :

المربية : ولدى لا تحنث بوعدك .

هيبوليتوس : أقسم اللسان لكن العقل غير ملتزم بالقسم . (٦١١-٦١٢) .

١٥ - اتهم هيبوليتوس أبيه فى نهاية المسرحية بأنه رجل غير متروى، إنفعالى ، غير حكيم ، مستبد برأيه :

---

١ - د . أحمد عتمان ، الشعر الإغريقى ، تراثاً إنسانياً و عالمياً ، العدد ٧٧ من سلسلة عالم المعرفة ، مايو ١٩٨٤ ، الكويت ، ص ٣٠١ .

هيبوليتوس : دون أن تفحص قسماً أو عهداً أو نبـوءة عـراف .
هل ستطردنى من البلاد هكذا دون محاكمة ؟

سادساً : الجوقة :

١ - أسهمت الجوقة فى هذه المسـرحية فـى الحفـاظ علـى التشـويق و التوتر ، إذ أنها لم تبح بالسر الذى عرفته ، صيانة لعهـد قطعتـه على نفسها .

٢ - برغم ما سبق إلا أنها فى ذات الوقت أمسكت عـن قـول الحـق ، و هى بصمتها هذا ، تسببت فـى مصـرع الفتـى هيبوليتـوس ، و أبوه ثيسيوس ، و لكن يلتمس البعض لها العذر لتمسكها بالتقاليـد المرعية، التى يجب أن تخضع لها الجوقة على مدار عمر المأسـاة الإغريقية .

سابعاً : الحوار :

١ - استخدم الشاعر تنويعات مختلفة فمرة يلجأ إلى الأسـلوب الشـعرى، و تارة يربط بين اللغة الدورية و الاتيكيـة ، ثـم يسـتخدم الـوزن الانابايستى .

٢ - إن الحوار اللاأخلاقى الوحيد فى هذه المسرحية ، يتمثل فـى إجابـة المربية عن سـيدتها العفيفـة الرقيقـة . إن اسـتنتاجات المربيـة واضحة جداً ، و كأنها ضمير فايدرا و قد أيدتها الجوقـة و سـلمت بأن مقترحاتها عملية ، خاصة حينما قالت لها أنها فى حاجـة إلـى رجل لا كلمات معسولة (٤٩١) .

٤ - أبناء هرقل (١) :

عند بداية المسرحية يظهر الرجل العجوز يولاوس و هو راكع على درج الرجل العادل الخير ، الذى ولد لخير الناس من حوله ، و ذلك الذى ليس له مآرب سوى الربح ، الذى لا ينفع إلا نفسه . ثم يؤكد قوله بأنه خلاصة تجربة شخصية ، و يؤكد أن صداقته لهرقل تجعله يحفظ ذريته ، ، يحميهم من انتقام ايراستيوس (٢) ، فأخذهم و غادر المدينة و لكن ايراستيوس لم يرحمهم ، فقد لاحقهم فى كل بلد يحلون فيه ، حتى يطردهم حاكم هذا البلد ، خوفاً من بأسه ، و هم ضعفاء يتامى ، لا حول لهم و لا قوة. إنهم جابوا كل بلاد الإغريق ، إلى أن وصلوا إلى أرض ماراثون ، و إلى معابدها لجأوا ، و إلى آلهتها تضرعوا و استجاروا ، ويُبدى العجوز يولاوس تفاؤله ، إذ أن حكام هذه الأرض هما ولدا تيزيه ، و جدهما باندیونوس ، و على ذلك فهما من أقرباء هرقل .

إن الأسرة الهائمة على وجهها و المكونة من الأبناء ، و العجوز يولاوس ، و الجدة الكامينا ، الآن على مشارف مدينة أثينا . فجأة ، ينادى العجوز يولاوس على أبناء هرقل ، كى يقتربوا منه ، إذ أنه رأى رسول ايراستيوس ، قادماً ، و يلعن الرسول و من أرسله .

يدخل المنادى ليعلن للعجوز أن عليه و من معه مغادرة هذا المكان ، الذى ظن أنه بلد حليف ، عليه أن يرحل إلى أرجوس ، حيث يُرجم هناك . و يدور نقاش بينهما حول وجوده ، و وجود أبناء هرقل ، و يصر المنادى لى أخذهم ، فهم ملك ايراستيوس . يستغيث العجوز يولاوس بأهل أثينا ، فيدخل خمسة عشر شيخاً من شيوخ ماراثون ، يمثلون الجوقة . تتساءل الجوقة عن الخطب ، عندما ترى يولاوس طريح الأرض . يشير يولاوس على المنادى و يتهمه بعدم مراعاة حرمات الآلهة تسأل الجوقة عن هوية

---

١ - نعتمد بصفة أساسية فى تلخيصنا للنص على :
على حافظ ، المستجيرات لاشيل ، المستجيرات ليوربيد ، أبناء هرقل ليوربيد ، مرجع سبق ذكره .

٢ - و تكتب أحياناً يوروسثيوس . و هو ملك موكيناى . و قد اعتلى عرش الدولة الميسينية بمساعدة هيرا و أجبر هرقل على العمل فى خدمته ، فكلفه باثنى عشر مهمة خطيرة ، و لما مات هرقل ، اضطهد أبنائه ، و قد مات على يد هولوس ابن هرقل .

العجوز ، فيخبرهم بأنه من ميسينا ، و أنه يولاوس رفيق هرقل ، و الأطفال الذين معه أبناء هرقل . و أنهم جاءوا مستجيرين بهذا البلد . تتوجه الجوقة بالخطاب إلى المنادى ، بان يرعى حرمات المستجيرين بالآلهة ، و في صلف و كبرياء ، يطلب المنادى من الجوقة ألا تتدخل فيما لا يعنيها . و تعلن الجوقة أن على المنادى أن يقول ما يحلو له لملك هذه البلاد ديموفون بن تيزيه (١) و عليه أن يراعى حرمة الآلهة ، و حرمات بلد حر . و تعلن الجوقة عن قدوم الملك ، هو و أخيه أكاماس . يدخل الملك و حاشيته ، ليسأل أحد شيوخ الجوقة عن ما يجرى فى بيت زيوس . فتقص عليه الجوقة قصة استجارة أولاد هرقل و صديقه العجوز ، و محاولة رسول إيراستيوس استردادهم بالقوة . يسأله الملك عن هويته ، ولماذا تجاوز الحدود ؟ . يُجيب المنادى ، و يعدد مبررات قدومه ، و يعلن للملك أن أبناء هرقل و العجوز فارين من أرجوس ، و محكوم عليهم بالإعدام ، و أنه تنفيذاً لقانون بلده ، جاء ليأخذهم لتنفذ فيهم العدالة . و يطلب من الملك طردهم من أرضه ؛ كما فعلت كل بلد حلوا فيه ، و يخير الملك ما بين أمرين : إما أن يستبقيهم في أرضه ، أو يطردهم فتستردهم بلدهم أرجوس ، و يستكمل المنادى حديثه مهدداً الملك و متوعداً إياه بالحرب إن استبقاهم . و يذكر الملك بأن المسألة لا تستدعى أن يزج بوطنه فى حرب مع أرجوس ، ومن أجل أى شئ ؟ تطلب الجوقة من الملك سماع أقوال الطرف الأخر، يولاوس و أبناء هرقل قبل أن يحكم أو يقطع برأى فى المسألة .

يبدأ العجوز يولاوس فى الحديث بالثناء على أثينا و ديمقراطيتها ، ثم يدحض رأى المنادى بقوله إنهم ، بعد أن حكمت عليهم أرجوس ، أصبحوا غير أرجيين (ميسينين) ، فبأى حق يأخذهم إلى أرجوس ؟ يعود العجوز يولاوس إلى إطراء أثينا ، و يقارن بينها و بين تراخيس ، و القرى الآخية . يطلب الملك من يولاوس الكف عن المغالاة فى الثناء على المدينة . يؤكد يولاوس على طلب الاستجارة ، مذكراً الملك بصلة النسب التى بينه و بين المستجيرين ، و يحددها له ، ثم يطالبه بحق الصداقة التى كانت بينه و بين هرقل ، أن يرد الجميل الذى صنعه أبوهم يوم أنقذ تيزيه .

---

١ – هو ديموفون بن ثيسيوس و انتيوبى الأميرة الأمازونية . له أخ شقيق يدعى أكاماس. عندما نفى أبوهما من أثينا ، أرسل الولدان الى أوبويا ليظلا فى حماية اليفينور . حاربا فى معارك طروادة ، و استطاعا استعادة جدتهما إثيرا التى أجبرت على خدمة هيلينى .

تؤيد الجوقة العجوز في مطلبه . يعلن الملك أنه ملــزم بالموافقــة علــى استجارتهم ، لأنهم لجأوا أولا إلى زيوس ، ثم لصلة القربــى ثانيــة ، ثــم رداً للجميل الذى طوق به هرقل عنقه ، كما أن الخشية من العــار إن لــم يُجــرهم تلزمه بالموافقة . و يعلن موافقته للرسول ، و يأمره أن يبلغهــا إلــى ملكــه . يدور نقاش حول عاقبة هذا القرار بــين المــدينتين ، المنــادى يعــود للتهديــد و التلميح بالحرب ، و الملك يؤكد إصراره على الاستجارة مهما كــان الــثمن. يحاول المنادى الإمساك بالمجموعــة ، فيهــدده ديموفــون إذ نســى واجــب الحكمة. تتدخل الجوقة و تأمر المنادى بالخروج ، و الملك ألا يمــس الســفير . يذعن الملك و المنادى ، بعد أن يهدد بأنه سيذهب إلى الكاثوس ليــأتى بجــيش بلاده بكامل عدته و عتاده ، و بقيادة الملك ايرستيوس . يعلن الملك أنــه علــى استعداد لملاقاة جيش أرجوس . يُثنى يولاوس علــى ديموفــون ، و يُعلــن أن الأصيل أشد صلابة فى احتمال المكاره ممن لا أصل له ، و يحمد لــه قبــول استجارة الأبناء . ثم يوجه حديثه للأطفال ، و يطلــب مــنهم ألا ينســوا يومــاً صنيع ديموفون ، فلا يشتبكوا مع أثينا فى حرب . يشكر ديموفــون العجــوز ، و يستأذنه ليجمع قومه لملاقاة جيش المسينين (١) ، و يرسل العيون لتــأتى لــه بأخبار أعدائه ، و يسأل المتنبئين ، و يذبح الأضاحى ، و فــى الختــام يطلــب من العجوز يولاوس الذهاب بالأطفال إلى قصره . يرفض يــولاوس مغــادرة المحراب قبل أن تنتصر المدينة ، فعلامات النصر أن آلهة أثينــا أقــوى مــن آلهة أرجوس ، و أن أثينة باللاس لا ترضى لمدينتها بالهزيمة .

تبدأ الجوقة فى نشيدها موجهة خطابها للمنادى الذى رحــل ، و مفــاخرة بأثينا و قوتها ، و متهمة طاغية أرجوس بأنه لــيس حكيمــاً ، حينمــا أرســل مناديه كى ينتزع المستجيرين بآلهتهم ، و لم يستمع لقول ملــيكهم . إنهــم بلــد يحب السلام ، لكن إذا ما غار على بلدهم عدو فلن يخرج سالماً .

يدخل ديموفون مهموماً ، إذ حضر جــيش الارجيــين ، و علــى راســه ملكهم ايرستيوس . إنهم لم يغزوا أرض أثينا ، بل بقى الجيش عنــد الصــخرة المدببة ليتدبر القائد الأمر ، و يعلن ديموفون أنه أخــذ كــل حيطــة ، إذ وزع جنوده ، و قدم القرابين للآلهة ، و تدارس الأمر مــع مستشــاريه ، و انتهــوا إلى ضرورة التضحية بعذراء من نسل شريف لكورية (٢) بنت ديميتر .

---

١ – يطلق عليهم أيضا البيلاسجيين أو الأرجيين .

٢ – يترجمها البعض كورا ، و هو لقب أخر لبيرســيفونى ، و هــى زوجــة لهــاديس . و ملكة العالم السفلى و ربة الموت و الاخصاب .

يوجه ديموفون حديثه ليولاوس ، معتذراً أنه ليس في استطاعته قتل إحدى بناته ، و لا يمكنه إجبار أحد من قومه على فعل ذلك ، و لما كان الخلاف قد اشتد بين شعب المدينة حول ذلك ، فإنه يُلقى المشكلة برمتها في جانب يولاوس ، ليجد له مخرجاً و حلاً .

تدور رأس العجوز يولاوس ، فهم الآن و بعد رحلة شاقة من التنقل ، و بعد أن تصوروا أنهم وصلوا إلى بر الأمان ، ها هي الريح تهب ثانية لتجعلهم في مهب الأنواء . إن العجوز يعطي الملك الحق في عدم التضحية بابنته ، ثم يعرض الأمر على أبناء هرقل و يستشيرهم . و فجأة يعرض على الملك أن يسلمه هو إلى الأرجيين . تعترض الجوقة ، لأن ذلك عار سيسجله التاريخ ضدهم ، كذلك يرفض الملك ديموفون ، لأن جيش العدو ما جاء ليأخذ عجوزاً مثله ، بل يطالب بأبناء هرقل ، لأنهم يخشون هذه الذرية مستقبلاً .

تظهر ماكاريه (١) ابنه هرقل من المعبد ، و يدور بينها و بين يولاوس حديثا حول تنفيذ النبوءة التي أعلنها ديموفون منذ قليل ، و ما ذلك إلا كي ينجو أبناء هرقل ، و أن الملك غير مستعد للتضحية بإحدى بناته ، و لا الشعب أيضاً ، و المسألة متوقفة على القربان المطلوب ، إن قدمناه نجونا ، و إن لم نفعل ، فعلينا أن نرحل عن هذه الديار . تعلن العذراء الصغيرة قبولها تضحية نفسها من أجل نجاة أفراد أسرتها ، و تطالبهم باتخاذ الإجراءات . تثني الجوقة على العذراء ماكاريسه ، كذلك يفعل يولاوس ، و لكنه يرثي لمصيرها ، و يقترح إجراء قرعة بين الأخوات . ترفض ماكاريه ، و تصر على أن تكون هي القربان المطلوب ، و تطالبه بالتقدم معها إلى حيث ينفذ فيها المقدور ، فقط تطلب منه أن تسلم الروح بين أيدي النساء لا الرجال .

يرثي ديموفون للفتاة ، و لكنه أمام الضرورة يطلب منها وداع أخواتها و من أحبت ، و بالفعل تبدأ ماكاريه في وداع المجموعة ، بادئة بالعجوز يولاوس ، و تطالبه أن يُعلم اخوتها ليكونوا على شاكلته ، و في حكمته فهم أبنائه ، و على يديه نشأوا ، ثم توجه وداعا لاخوتها ، و تؤكد عليهم ضرورة احترام العجوز يولاوس ، و جدتهم الكامينا ، و الأثينيين ، و أن يذكروها إن هم عادوا إلى أرض الوطن .

---

١ – و تكتب ماكاريا أحيانا .

يطمئنها يولاوس ، وهو فى قمة الحزن و التأثر للموقف الذى حتم التضحية بزهرة من بنات هرقل ، و تؤكد الجوقة ، أن ذلك حال الدنيا ، فما من إنسان يعيش عمره كله سعيداً ، بل تتفاوت حظوظه كالخطوط البيانية ، بين صعود و هبوط . إن حياة الإنسان مرهونة بقدره ، و تحاول الجوقة التخفيف عن العجوز يولاوس .

يدخل الخادم ليسأل عن يولاوس و الكامينا ، يُجيبه العجوز فى انكسار و مذلة ، و لكن الخادم يطلب منه طرح أحزانه بعيداً ، فقد جاءه بأخبار سارة . انه خادم هيللوس (١) . يتهلل وجه يولاوس ، و ينادى على الكامينا، كى تستقبل ما يحمله الخادم ، الذى طال انتظارهم له ، من أخبار . و لكن الكامينا فى فورة حزنها لا تصدق ما تسمع ، و يعتقد أن القادم هو رسول أرجوس ، جاء ليأخذ أبناء ابنها . يطمئنها يولاوس ، بأن الخادم جاء ليعلن قدوم ابن هرقل . تسأل الجدة الكامينا فى لهفة عن ذلك الحفيد ، و لماذا تأخر مجيئه ؟ و يخبرها الخادم أنه يوزع جيشه ، إنه مع حلفائه فى الجناح الأيسر. يستأذن الخادم فى الذهاب ليلحق بسيده قبل نشوب المعركة ، . يذهب معه يولاوس . و لكن الخادم يُشفق عليه ، و يطالبه بالبقاء حيث هو ، لأن العزم وحده بلا قوة غير كاف للمحارب ، و لكن العجوز يولاوس يصر على الذهاب بعد أن يستعير سلاحاً من المعبد . تعاتبه الكامينا على فكرة ذهابه و تركها هى و الأطفال وحدهم . إن عزم يولاوس لا يلين ، و يدافع عن فكرته بقوة . يدخل الخادم حاملاً بعض العتاد و الأسلحة يناولها للعجوز يولاوس ، و يطالبه بالاستعداد ، فالمعركة على وشك الوقوع ، يلبس يولاوس الدرع و يطلب مساعدة الخادم حتى ينتهيان من الاستعداد ، و يخرجان و يولاوس يستند على رمحه و كأنه عصى ، بينما يده الأخرى تستند على الخادم .

تبدأ الجوقة فى نشيدها مشهدة الكون بآلهته و عرش زيوس ، أن أرجوس تحارب أثينا اليوم لأنها قامت بواجبها نحو المستجيرين ، و مع ذلك ستقاوم الحرب المفروضة عليها يساندها زيوس ليحق الحق ، و يفرض العدل . تستنجد الجوقة بآلهة المدينة و حارستها ، كى تزيح عنهم هذه الغمة.

يدخل رسول ليخاطب الكامينا بكلام موجز ، لقد انتصرت جيوش أثينا على جيوش أرجوس ، ومن فرط سعادة الكامينا بالنبأ ، تعتق الرسول فهو حر . تسأل الكامينا عن حفيدها و يولاوس ، فتعلم من الرسول أنهم أحياء،

---

١ – و تكتب أحيانا هولوس ، و هو ابن هرقل و ديانيرا .

بل إن العجوز يقاتل كأشجع الشباب . لم تكتف الكامينا بهذا الموجز ، فتطالب الرسول بمزيد من التفاصيل . يبدأ الرسول فى سرد المعركة ، التى بدأت بدعوة من هيللوس للقائد ايراستيوس أن يقتتلا هما أولا دون الجيوش ، فإن انتصر إيراستيوس كان من حقه انتزاع أبناء هرقل ، و إن خسر ، عليه الانسحاب بجيوشه و ترك أثينا و الأبناء . جبن ملك أرجوس ، و رفض المبادرة ، فعاد كل منهما إلى صفوف جيشه ، و دارت معركة رهيبة استبسل فيها جيش أثينا و حلفائه ، و أبلى العجوز يولاوس بلاءاً حسناً ، فقد تمكن من أسر إيراستيوس قائد الأرجيين ، و جاء به مكبلاً ، مقيد اليدين . تشكر الجوقة الإله زيوس على مساعدته لهم ، كما تشكره الأم الكامينا ، و لكنها تسأل الرسول ، لماذا لم يقتل يولاوس ، الملك إيراستيوس و جاء به حياً ؟ و يجيبها الرسول ، إن الحكمة تكمن فى إذلال هذا الجبار ، و حتى تراه الكامينا و قد تحطم جاهه ، و صار مستجيراً بعد أن كان باغياً . تتهلل الجوقة فرحاً للأخبار ، و تفاخر بأثينا الحرة التى تتبع سبل الحق و العدل ، و لا تصد أحداً استجار بها ، ثم تدعو لإقامة الصلاة للآلهة ، إن الآلهة أثينة، قد وقفت إلى جوار أبناء هرقل لأنه اتخذ منها نصيراً . يدخل ليعلن أنه قد جاء بالملك ايراستيوس أسيراً ، لتراه الجدة الكامينا ، و تمتع بصرها برؤية عدوها و هو فى محنته و بلائه . توجه الكامينا حديثها لإيراستيوس ، و تعاتبه على مغالاته فى كبره ، و تتحداه أن يواجهها بعد أن دارت عليه الدوائر ، و تذكره بكل ما فعل ضد ابنها هرقل . ينبهها الخادم إلى أن العرف قد جرى بعدم قتل من أسر حياً فى القتال ، و تؤيد مدينة أثينا هذا العرف ، فلا يستطيع أحد أن يمسه . يتوسل إيراستيوس لألكامينا ، مذكراً إياها بأنه قريب لهم ، ويعترف بأن ما قام به من أفعال ، إنما فرضتها عليه هيرا . يقر الملك المهزوم ببطولة هرقل ، و يعلن أنه خشى من أبناء البطل، فبالضرورة سيرثون كراهيته من أبيهم . و يتوسل إلى الكامينا أن تعفو عنه، تسانده الجوقة فى مطلبه . و لكن الكامينا مصرة على رأيها ، فيستسلم ايراستيوس ، و يعترف بنبؤة قديمة تفيد أن موته أنفع لمدينة أثينا من بقاءه حياً . و يطلب من الجميع دفنه لدى العذراء المقدسة بابلاس (اثينه) ، إذ سيكون منقذاً للمدينة من ذرية أبناء هرقل ، إذا حاولوا غزو أثينا . كما يطلب ألا يصبوا على قبره وضوءاً و لا دماً . إنه سينفعهم و يضر أعدائهم .

تنادى الكامينا على الخدم ليقتلوه ، و يحرقوا جثمانه ، و تساندها الجوقة فى رأيها .

أهم ما يلاحظ على المسرحية :

أولاً : تاريخ عرض المسرحية :

رأى يرى أنها عرضت عام ٤٢٧ ق.م ، بينما هناك من سجل عام ٤٣٠ ق.م كتاريخ لعرضها .

ثانياً : أصل المسرحية :

بالرغم من أن هرقل قد ولد فى طيبة ، إلا أنه يعتبر نفسه من أرجوس ، و كان من حقه حكم مدينة موكيناى ، و لكن أحقاد هيرا جعلت ابن عمه إيراستيوس يتولى الحكم .

و ما أن مات هرقل ، حتى خشى إيراستيوس من وجود أبناء البطل هرقل فى المدينة لعدة أسباب :

١ – قد يفكرون فى الانتقام منه بسبب مكائده ضد أبيهم .

٢ – قد يفكرون فى استعادة عرش المدينة من بين يديه .

لذا قرر نفيهم خارج المدينة ، بل و لم يكتف بذلك ، إذا طاردهم فى كل مكان حلوا به ، و كانت باقى المدن ، ترفض بقائهم فيها خشية بأس و قوة إيراستيوس ، و حتى لا تدخل فى عداء و صراع معه .

نصحهم كيوكس ملك تراخيس ، الذى عنى برعايتهم حينما كان والدهم حياً ، بالذهاب إلى أثينا ، حيث يمكن للملك ثيسيوس قبول حمايتهم .

يقودهم يولاوس ابن أخت هرقل ، و قائد عجلته الحربية كمستجيرين إلى مذبح زيوس فى أثينا ، حيث وافق ديموفون على بقائهم فى مدينته .

طلب إيراستيوس تسليم أبناء هرقل إليه ، رفض ديموفون ، فكان لابد من تدخل الجيوش . حشدت كل مدينة منهما رجالها استعداداً للمعركة ، و لكن يعلن ديموفون ، أن العراف أخبره بأن جيش أثينا لن ينتصر ، ما لم تقدم المدينة إحدى عذاراها النبيلة قرباناً للآلهة . تحير ديموفون ، إذ لماذا يضحى بابنته هو ، كما رفض أهل أثينا التضحية بأى من بناتهم ، فتقدمت ماكاريا ابنة هرقل لتصبح القربان المطلوب . انتصر جيش أثينا بقيادة هيللوس ابن هرقل و قتلوا إيراستيوس و حول هذه النقطة هناك روايتان :

الأولى : أن هيللوس و يولاوس قد طاردا إيراستيوس حتى جبال Sceironian على خليج كورنثة ، حيث أسراه و قتلاه ، ثم دفنا جثمانه هناك ، بينما حملا رأسه إلى أم هرقل الكامينا حيث فقأت عينيه .

الثانية : أن إيراستيوس قد أسر حيا ، فأخذوه إلى الكامينا التي أمرت خدمها بقتله ، رغم معارضة الأثينيين لقتل أسير الحرب ، و لأنه فعل لا يتفق مع العرف و التقاليد .

على أية حال ، أكد إيراستيوس للأثينيين أن جسده سوف يحمي المدينة من أي هجوم عليها ، خاصة من أولئك المستجيرين أبناء هرقل. دفن إيراستيوس بين أثينا و ماراثون ، أو حسب الرواية الثانية دفنت رأسه في Tricorythus أما جسده فقد دفن في Gargettus إن كلا المدينتين كانتا عند منطقتين هامتين على طريق الوصول إلى أثينا. و تحت قيادة هيللوس ، استولى أبناء هرقل على العديد من المدن في شبه جزيرة الموره (١) ، و لكن ما لبث أن تفشى في جيشهم الطاعون فأوقف زحفهم .

كانت النية منعقدة على الاستيلاء على كل شبه الجزيرة ، و لكن اضطرت حملة أبناء هرقل عن مواصلة زحفها . كانت نبوءة دلفي تقول إن أبناء هرقل سيغزون شبه الجزيرة بواسطة المجموعة الثالثة .

قام هيللوس بالمحاولة الثانية بعد ثلاثة أعوام من محاولته الأولى، و قابل جيوش المورة ، بقيادة اتريوس و أخيه ثويستيس أبناء بيلوس ، اقترح هيللوس إنهاء النزاع بإقامة مبارزة بينه و بين بعض أبطال أرجوس ، فإن مات ، فإن غزوات أبناء هرقل ستتوقف لمدة نصف قرن . قبل أخيموس (٢) ملك اركاديا التحدي ، و تمكن من قتل هيللوس الذي دفن في ميجارا .

بعد خمسين أو مائة عام من وفاة هرقل سأل كل من تيمينوس ، و كريسفونتيس ، و اريستوديموس أبناء أريستوماخيوس ، وحي دلفي

---

١ — أو البلوبونيز .

٢ — ابن ايروبيوس . خلف ابن خالته لوكورجوس في تولي عرش تيجيا . فاز في كل المباريات الأوليمبية التي اشترك فيها أيام هرقل . تقدم لينازل هيللوس ابن هرقل دفاعا عن شبه جزيرة المورة ، و تمكن من قتله . تزوج من تيماندرا ابنة تينداريوس ، و لكنها هجرته من أجل فيلوس بعد أن ولدت ابنها لاودوكوس .

عن الموعد الذى سينتصرون فيه على شبه جزيرة المورة ، فأجابهم الوحى بنفس الإجابة السابقة ، فى المجموعة الثالثة ، يعترض تيمينوس، و يُعلن أن هذه النصيحة قد تسببت فى وفاة جده العظيم ، و يرد وحى دلفى بأن ما جرى ما هو إلا بسبب خطأ خيللوس فى فهم معنى المجموعة الثالثة ، إذ أنها تعنى الجيل الثالث . كذلك لم يفهم سبب إصرار النبوءة على توجههم نحو المدينة الضيقة أنها كانت تعنى عدم الدخول إلى الخليج كما فعل هيللوس ، إذ أن المقصود كان خليج كورنثة الواسع .

أيا ما كان ، فقد فكر أبناء اريستوماخيوس فى هذا التفسير للنبوءة، و قرروا تكرار المحاولة للفوز بوطن هرقل . و طبقاً للتفسير، جهزوا أسطولاً فى ناوباكتوس (١) ، و فى ذات الميناء صعق البرق اريستوديموس و تحطم أسطوله بسبب العاصفة ، و تشتت جيشه بسبب تفشى الطاعون .

طالب تيمينوس وحى دلفى بمزيد من تفاصيل النبوءة ، فعلم أن قواته ستعاقب بسبب مقتل العراف الذى جندوه للتجسس . ثم يضيف وحى دلفى بطرف خفى إلى أن أبناء هرقل ، يحتاجون إلى رجل ذو ثلاثة عيون ليرشدهم و يقودهم .

قام تيمينوس بنفى هيبوتيس ، قاتل العراف لمدة عشر سنوات ، و واصل سيره الى أن التقى باوكسولوس (٢) يركب حصاناً بعين واحدة ، فاستعان به ليرشدهم ، و وعده بحكم مدينة ايليس كتعويض له. و قد تمكن من الاستيلاء عليها فيما بعد .

و للمرة الثالثة ، يشرع أبناء هرقل فى غزو شبه جزيرة المورة تحت قيادة اثنين من الأبناء الأحياء هم ، اريستوماخيموس ، و ابنى أخيهم المتوفى بروكليس و ايرستينيس ، الذين قسموا الأرض فيما بينهم .

---

١ – ميناء على مدخل خليج كورنثة الشمالى .

٢ – ابن اوريوس . نفذ أبناء هرقل وعدهم ، و منحوه حق حكم المدينة ، و لكنهم تركوه وحده يجد الوسيلة ليستولى عليها . فتقدم إلى ملكها ديوس و اتفقا على إقامة مباراة فردية فى المصارعة بين أحد أبطال المدينة ، و يدعى ديجمينوس ، و أحد أبطال جيش أوكسولوس و يدعى بورايخميس . فاز الأخير فى المباراة فأصبح اوكسولوس حاكما لايليس ، و أرسى العدالة فيها ، و شجع فلاحى المناطق المجاورة بالانضمام إلى المدينة محازات فى ثروتها الزراعية و خيراتها .

أبحرت الجيوش عبر خليج كورنثة إلى Molycrium ، و من هناك و على الطريق الأسهل الى جنوب المورة ، مروراً بايليس . خاف اوكسولوس من أن يغير أبناء هرقل رأيهم عندما يروا أرض ايليس المثمرة الخصيبة ، فلا يعطوها له ، فقرر أن يقودهم عبر طريق أخر يمر بين جبال اركاديا .

وصلت الجيوش الى أرجوليس ، فهاجم أبناء هرقل أرجوس ، و هزموا ملكها تيسامينوس (١) ملك إسبرطة ، و يقال إن الملك قد قتل فى هذه المعركة ، و هناك من يقول إنه نفى ، و مات فيما بعد فى اخايا .

قسم قادة الجيوش الأرض فيما بينهم على النحو التالى : -

١ - فاز كريستفونتيس بن اريستوماخوس بحكم أفضل هذه الأراضى ميسينيا ، و قد استخدم الحيلة و الخداع فى ذلك . قام كريستفونتيس بنفى من بقى من أبناء نيليوس ، حتى يكسر شوكة الأسر النبيلة فى ميسينيا ، و قد قرب إليه طبقة العامة و أشركهم فى الحكم . قتله اثنان من أبنائه ، بالاشتراك مع شقيقه بولوفونتيس . و لكن إنتقم له ابنه ايبوتوس و استولى على الحكم و أرسى العدالة و أمن الحكم لعدة أجيال قادمة .

٢ - كانت أرجوس من نصيب تيمينوس . و فيما بعد عزله أبنائه لأنه فضل ابن زوجته ديفونتيس عليهم . و قد أصبح ديفونتيس هذا ملكاً ابيبداروس بعد أن غزاها .

٣ - بقيت إسبرطة لولدى اريستوديموس (بروكليس ، ايرستيثيس) و كان الشقيقان يكرهان بعضهما ، فاختلفا كثيراً ، مما جعل كل منهما يستقل بقصر يحكم منه فى إسبرطة .

ثالثاً : المنظر الذى تجرى فيه الأحداث :

أحد معابد الآلهة فى سهل ماراثون بالقرب من أثينا ، يبدو نصب زيوس و قد غطته أغصان الزيتون ، رموز الاستجارة التى حملها أبناء هرقل و أمه و ابن خالته العجوز .

رابعاً : أهداف الفكرة الرئيسية :

١ - إن لجوء المستضعف إلى بلد ما ، يترتب عليه أمران :

---

١ - ابن اورستيس و هيرميونى .

أ – إما أن يقبل هذا البلد هؤلاء اللاجئين إليه ، و يسبغ عليهم حمايته ، و يمنحهم الأمان ، و فى هذه الحالة ، يتحمل هذا البلد النتائج المترتبة على هذا السلوك .

ب – أو يرفض الاستجابة لطلب المستجيرين ، خشية أن يتسبب ذلك فى إثارة العداء بين بلد اللاجئ ، و بلد المُجير ، و المحصلة النهائية لهذا العداء هى الحرب .

و ربما يكون الرفض بسبب ارتباطات تمنع هذا القبول ، أو يقتضيها حسن الجوار بين البلدين .

على أية حال ، كانت هذه القضية مرتبطة بقوة البلد أو ضعفه ، كما تتدخل شخصية الحاكم ، و نوعية نظام الحكم فى إصدار القرار ، خاصة و أن إجارة المستضعفين عُرف جارى بين المدن الإغريقية .

٢ – تؤكد المسرحية السلوك الحضارى الذى يجب أن يتبعه المنتصر حيال المهزوم ، أو أسير الحرب . فقد جرى العرف على الحفاظ على حياة الأسير إذا ما وقع فى أيدى عدوه حياً . و برغم أن الشاعر قد خالف هذا العرف ، إذ جعل الكامينا بمساندة الجوقة ، تقتل ايراستيوس ، و برغم أنه وضع مبرراً لذلك ، بأن جعل الأسير يعلن أن فائدته لأثينا و هو ميت ، تفوق فائدته و هو حى ، إلا أنه خالف عرفاً مستقراً ، و تقليداً حرصت عليه المدن .

٣ – إن على صاحب الحق ألا ييأس ، فالظلم لا يدوم طويلاً ، و على الباغى تدور الدوائر .

خامساً : المناقشة و التحليل :

١ – بدأ الشاعر مسرحيته بموقف شائع معروف مسبقاً ، بل و عالجه هو ذاته ، و غيره من الشعراء ، مرات عديدة أناس طردوا من بلدهم و يبحثون عن ملجأ .

إن قصة اضطهاد ايراستيوس لهرقل و أبنائه من بعده قصة قديمة ، و لكن دور أثينا فى هذه المسرحية قد تغير كى يساير ذلك التطور الحضارى ، الذى فرضه القرن الخامس حول مهمة أثينا و زعامتها .

لذا تتميز المسرحية بنبرة وطنية ، تدور حول تمجيد أثينا ، و تقاليدها فى إجارة من يلجأ إليها من المستضعفين .

٢ – كانت لتضحية ماكاريا ابنة هرقل من أجل انتصار جيش أثينا ، أثره الواضح على المشاهدين ، و يمكن القول أن مشاهد التضحية بالنفس من أجل الآخرين ، من الموضوعات المحببة ليوريبيديس، و عالجها كثيراً ، فى الكيستيس ، و ايفيجينيا ، و ها هو يعالجها هنا . إن هذه التضحية فى رأيه شجاعة .

٣ – كان يوريبيديس فى هذه المسرحية يدعم الجهود القومية ، و ينمى الروح القتالية لشعب أثينا ، و يغذى روح الكراهية ضد إسبرطة و دلفى .

٤ – هناك بعض التغييرات المفاجئة فى هذه المسرحية : فمثلاً :

أ – جبن و خوف ايراستيوس رغم ما يشاع عنه من شجاعة أرهبت باقى المدن . (سطور ٨١٠ و ما بعدها) .

ب – شجاعة يولاوس و بلاءه فى الحرب بلاءاً حسناً رغم عدم قدرته الواضحة منذ بداية المسرحية (سطور ٦٥٥ و ما بعدها) .

ج – ظلت الكامينا طوال النصف الأول أو أكثر من المسرحية ، صامته لا تتكلم ، ثم بدأت بعد ذلك فى المشاركة .

٥ – تضمنت المسرحية بعض التقاليد و الأعراف عن حقوق أسرى الحرب ، و طريقة معاملتهم .

٦ – إن اعتراف ايراستيوس بالنبوءة التى تجعله بعد موته حامياً لأثينا، يمكن أن يحول وجدان المشاهد الأثينى ليتعاطف معه ، برغم كونه معتدياً . كذلك تضمنت النبوءة رؤية مستقبلية ، حيث سيهاجم أبناء هرقل أثينا يوما .

٧ – هناك حقيقة تاريخية تقول بأن ايراستيوس قتل يولاوس ، بينما هناك رواية أخرى تؤكد أنه عاد إلى الحياة ليقتل ايراستيوس ، ثم عاد إلى العالم السفلى مرة أخرى (١) .

٨ – تضمنت المسرحية مشهداً فكاهياً مرحاً ، و هو ذلك المشهد الذى

١- أمين ، سلامة ، معجم الاعلام فى الأساطير اليونانية و الرومانية ، مؤسسة العروبة للطباعة و النشر و الإعلان ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص ٨٣ .

يستعد فيه يولاوس لخوض المعركة ، و لبسه للدروع و حمل الأسلحة . (سطور ٧٣٠ و ما بعدها) ، و ربما وضعه الشاعر بعد مشهد ماكاريا ، و قبولها التضحية بنفسها ، من أجل أن يخفف من وقع و تأثير المشهد السابق على المشاهدين .

٩ – بدت المسرحية قصيرة جداً ، إذ لم تزد سطورها عن ألف و خمسة و خمسين سطراً .

١٠ – من بين المشاهد الجيدة درامياً ، مشهد الرسول ، و مشهد ماكاريا ، و مشهد لقاء الكامينا و ايراستيوس بعد أسره ، و قد تميز هذا المشهد بالتحدى و المقابلة .

سادساً : الجوقة :

١ – تتكون الجوقة من خمسة عشر شيخاً من شيوخ ماراثون . و هم يمثلون ضمير أثينا .

٢ – إن أناشيد الجوقة و مقاطعها متناسبة مع الحدث ، و وثيقة الصلة بالموضوع فى كل أجزائه .

سابعاً : الحوار :

سادت بعض العبارات التى شاعت فى ذلك الوقت ، و كلها تتعلق بالعدالة المقدسة ، حينما تقول الجوقة فى السطر ١٠٤ " فلن تحل ذلك" " العدالة المقدسة " . ثم تعود الجوقة لتقول فى السطر ١١٢ و ما بعده " لا تنزع غريباً من معابد الآلهة و ارع حرمات بلد حر " . أيضاً تُعلق الجوقة على خطاب المنادى قائلة :

" من يحكم بالحق أو يرى الرأى قبل أن يسمع الرأى و نقيضه " (سطر ١٨٠) . ويرد ديموفون فى السطر ٢٨٢ و ما بعده على المنادى :

" ... فلسنا خاضعين لأرجوس ... إننا أحرار " .

٥ – أندروماخى (١) :

تدور حول اندروماخى أرملة هكتور بطل أبطال طروادة ، والتى وقعت أسيرة بعد تدمير طروادة .

تبدأ المسرحية أمام معبد ثيتيس فى فثيا بإقليم ثساليا ، وكعادة يوريبيدس ، تُلقى اندروماخى منلوج الاستهلال ، حيث تناجى مسقط رأسها مدينة ثيبى ، التى وفدت منها إلى بلاط الملك برياموس ، لتزف إلى هكتور ، وتأسف على ما آلت اليه ، فبعد ما شهدت من أيام عز وعظمة ، ها هى اليوم أسيرة بعد مقتل زوجها البطل هكتور على يد أخيليوس ، و إلقاء ابنها استياناكس من فوق الأسوار . لقد كانت كأسيرة من نصيب نيوبتوليموس ابن اخيليوس ، وأنجبت منه ابناً ، وبرغم ذلك فقد تزوج عليها الإسبرطية هرميونى ابنة منيلاؤس . كانت هرميونى عاقراً ، وقد أرجعت سبب ذلك إلى عقاقير سحرية خفية تجهزها اندروماخى ، كى تجعل زوجها ينفر منها ، وأنها تكيد لها حتى تحتل مكانها ، وهى الزوجة الشرعية ، وتنفى اندروماخى عن نفسها هذه التهم ، فهى تزوجته رغم إرادتها ، ولم تسع لتكون غريمتها فى فراش الزوجية . وتتساءل كيف تقنعها بذلك ، وهى تسعى لقتلها ، وكذلك أبوها مينلاؤس . لقد لجأت إلى هيكل ثيتيس علها تنقذها من الموت ، كما أنها خوفاً على حياه أبنها ، أرسلته إلى بيت أحد الجيران ، لا سيما وأن أبيه مسافر إلى أرض دلفى ، بينما هى على هذه الحالة ، تدخل عليها الوصيفة ، وتعلم من حوارها أنها إحدى وصيفاتها أيام طروادة ، تحمل الوصيفة لاندروماخى نبأ المؤامرة التى يدبرها مينيلاؤس وابنته ، وتحذرها من كيدهما . إنهما يجهزان لقتل ابن اندروماخى ، بل وسعى مينيلاؤس وراءه ليحضره ، تندب اندروماخى حظها وتتمنى لو كان زوجها بيليوس موجوداً ، رغم علمها أنه أعجز من أن يعينها . تطلب اندروماخى من الوصيفة الذهاب إلى زوجها كرسول ، وتحاول الوصيفة الاعتذار خشية ان تعلم هرميونى ، ولكنها ترضخ فى النهاية لرغبة سيدتها السابقة .

---

١ – نعتمد بصفة أساسية فى تلخيصنا للمسرحية على ترجمة اسماعيل البنهاوى ، الطرواديات، اندروماخى ، ليوريبيديس–٤ ، سلسلة من المسرح العالمى ، الصادرة عن وزارة الإعلام الكويتية ، أغسطس ١٩٨٣ ، العدد ١٦٧

تخرج الوصيفة تاركة اندروماخي تحكي للآلهة حكايتها الطويلة ، المليئة بالندب والنواح ، خاصة بعد تعدد مصائبها ، وسقوط مدينتها ، وموت زوجها البطل هيكتور ، و وقوعها في الأسر وذل العبودية . تدخل الجوقة ، وهي مجموعة من بنات فثيا من إقليم تساليا ، وتبدأ في مخاطبة اندروماخي، وتعلن قدومها لحل المشكلة العويصة التي نشبت بسبب مشاركة إبنه بلدهم لهرميوني في فراش زوجية واحد ، وتنصح الجوقة اندروماخي بألا تنسى أنها أسيرة ، وعلى أرض أجنبية ، وفي مدينة غير مدينتها ، تعيش بلا أصدقاء . تدخل هرميوني وهي تختال في لباس مطرز ، وتزين رأسها بتاج ذهبي مشغول ، وتتباهى أنه هدية والدها ، ومن بين بائنتها ، ودليل حريتها وسيادتها ، وتوجه خطابها لاندروماخي ، الجارية السبية مستنكرة محاولاتها لإقصائها عن هذا القصر بألاعيب سحرية ، وعقاقير جعلت منها عاقرة . إنها جاءت كي تضع حداً لشرورها ، جاءت لقتل غريمتها ، ولن يثنيها أو يمنعها توسل اندروماخي للآلهة ، أو لجوءها للمعبد . تتفنن هرميوني في إذلالها ، وتتهمها بالبربرية ، حيث يتزوج الأب ابنته والأم ابنها ، أما في بلدها المتحضر ، فالرجال يقنعون بزوجة شرعية واحدة . تعلق الجوقة على ما ترى بأنه غيرة أمرأة من أمرأة أخرى .

تبدأ اندروماخي في الدفاع عن نفسها ، ولكنها تخشى عجرفة هرميوني، ومع ذلك تدفع بحججها واحدة تلو الأخرى ، فهي أولاً أسيرة ، ثانية لا تملك ثروة ولا جاه ولا أصدقاء ولا تتمتع لا بالصحة ولا بالحرية ، ثم وضعها الاجتماعي يجعل من أبنائها عبيداً وبالتالي لا يجوز لهم تولي الحكم . إن من يحبونها في غربتها إنما إكراماً لهيكتور ، وليس للعقاقير السحرية ، إن كراهية الزوج لهرميوني ، يرجع إلى فشلها في أن تكون عوناً له ، فهي دائما تفاخر بوطنها ، وترفع مينيلاؤس أبيها فوق أخيليوس . وتنتهي اندروماخي بإسداء النصح لهرميوني بألا تكون كأمها هيليني ، التي كانت تتوق للرجال ، وأن تقنع بوضعها ، وألا تكون غيورة .

تتدخل الجوقة بنصح هرميوني ، بأن تتفاهم مع غريمتها بالحوار ، وتبدأ هرميوني في الرد متسألة عن تلك اللهجة المتعالية التي تتحدث بها اندروماخي ، وتتبادل الأثنتان الحديث ، إلى أن تصل هرميوني إلى القرار الذي اتخذته هي وأبيها ، إنه الموت لاندروماخي ، وتتوعدها أيضاً بالحرق في محراب الآلهة ، و رغم محاولات هرميوني لاستدراج اندروماخي خارج المحراب ، إلا أنها تفشل في ذلك ، وسرعان ما تصل إلى طريقة لذلك لا تفصح عنها ، وتتركها خارجة . وتنشد الجوقة نشيداً فاصلاً ، يدخل بعده

مينيلاؤس واتباعه يحملون ابن اندروماخى مولوسوس . يهددها الرجل بقتل ابنها إن لم تترك المعبد . تسخر اندروماخى من ذلك الرجل العظيم الذى تحركه كلمات ابنته الطفلة ليدخل فى صدام مع أسيرة لا حول لها ولا قوة . ثم تدعوه لتدبر الأمر ، فإن هو قتلها ، فكيف سيواجه الرأى العام وهو شريك فى الجريمة ، أيضاً لو قتل الطفل ، كيف سيواجه أبيه ، وماذا عساه صانع إن طلق ابنته ؟ ومن سيقبل الزواج منها بعد انفصالها عن زوجها ؟ وتقسم له أن لا يد لها فى ما تعانيه ابنته من عقم . وتعلق الجوقة على قولها بأنه أكثر مما يقال للرجال . و رغم قولها ، يصر مينيلاؤس على موقفه المنحاز لابنته ، وترد عليه اندروماخى متعجبة ، لماذا يصر على قتلها وهى لم تقترف ما يوجب القتل ، إنها محظية لسيدها رغم أنفها ، وشريكة فراشه باختياره هو ، أما بالنسبة لها فهو إذعان الذليل الضعيف الذى لا يملك الرفض ، وتجتر اندروماخى الذكريات الأليمة ، وتبكى حظها العاثر ، وتقرر فى لحظة أن تضحى بنفسها من أجل أن يعيش ابنها ، لأنه الأمل الذى سينتقم لأمه ، أو على الأقل سيحكى لأبيه ، فالأبناء لكل إنسان مثل روحه ، وتستسلم اندروماخى وتغادر المذبح ، بينما تتعاطف معها الجوقة وتوجه خطابها لمينيلاؤس ليصلح ما بين الأسيرة وابنته . ولكن الرجل يأمر خدمه بالقبض على اندروماخى ، ثم يوجه حديثه لاندروماخى متشفياً ، فقد أغراها حتى غادرت المذبح لتلقى مصيرها ، ظناً منها أنها تنقذ طفلها ، و لكن من حوار مينيلاؤس نفهم أن مصير الطفل مرهون بقرار الابنة هيرميونى . ولا بد أن تقتله . وتشعر الأم بالخديعة والغش ، ويفاخر الرجل بارتكابهما فى سبيل تحقيق ما يصبو إليه ، وبرغم محاولة اندروماخى لتذكير مينيلاؤس بالقوانين الآلهية ، التى ستقتص لها ولأبنها ، نجد الرجل مصراً على موقفه ، تنطلق اندروماخى فى صب اللعنات على أهل أسبرطة، ونعتهم بأحط الصفات ، وتطلب من الآلهة أن يحل الخراب بهم ، ثم تعود لتعير مينيلاؤس بجبنه ، وهروبه من ميدان القتال ، ليأتى الأن مدعياً البطولة أمام امرأة عزلاء ، ولكنها أقوى منه بإصرارها ، أكثر شجاعة منه فى مواجهه الموت ، أكثر قدرة على تلقى المصير ، وتذكره أنه اليوم فى مجد ، وهى فى محنة ، ولكن الأيام لا تبقى على حال ، فقد يتبدل الوضع يوماً .

يخرج مينيلاؤس واندروماخى ومعهما الصبى مولوسوس والأتباع بينما تعلق الجوقة على ما حدث ، فهى ضد الضرر ، وتعدد الزوجات ، وضد تعدد الحكام لدولة واحدة ، ففى رأيها أن فكرة أدنى لرجل واحد له كل

السلطة ، أفضل بكثير من حكمة عدد من المفكرين ، إن الحياة تحتاج لمن يقدر على اختيار اللحظة المناسبة لاتخاذ القرار . توجه الجوقة اللوم لهرميونى ، لأنها سترتكب فعلة شنعاء تنكرها الآلهة والشرائع ، وتتنبأ بأنها ستعاقب على فعلتها هذه ، ثم تبدى أسفها لما ستلاقيه اندروماخى وابنها .

يدخل مينيلاؤس وأمامه اندروماخى مقيدة الذراعين ، وابنها مولوسوس، وهما يساقان إلى الدرب الأسفل ، وينادى الطفل أباه ، فتحتضنه الأم ، بينما يتشفى مينيلاؤس فهما وهو سعيد بمصيرهما ، وتطلب الأم من ابنها أن يتوسل لمينيلاؤس كى يبقى على حياته ، ولكن الرجل صلد كالصخر ، أصم كالموج يرفض التوسلات ، إذ يرى تقديم العون للأحباب . تعلن الجوقة قدوم بيليوس وخلفه اتباعه ، ويسأل الواقفين ، لماذا هذه المذبحة، وكيف ، لماذا يعم الشر قصرنا ؟ ويطلب مينيلاؤس بأن يكف يده ، ويأمر أتباعه بتنفيذ أوامره . ويسأل اندروماخى عن سبب قيدها ؟ تروى له اندروماخى القصة ، ثم تركع له متوسلة إليه لينقذها هى وابنها من ذلك المصير . يأمر بيليوس بفك وثاقها ، ويعترض مينيلاؤس ويعلن أنها سبيته ، وهو الذى جاء بها من طرواده ، ويقرر انه ليس من حق بيليوس أن يخلصها من قبضته . يهدده بيليوس باستخدام العنف ، ويتحداه مينيلاؤس أن يفعل ، أو حتى يقترب منه خطوه ، فيعيره بيليوس بجبنه ، وبما حدث لزوجته أرذل النساء ، وهذا ليس بمستغرب ، فالمرأة الإسبرطية لا يمكن أن تكون عفيفة ، ثم يذكره برحيل هيلينى مع عشيقها إلى بلد أجنبى ، وحشده الجيوش كى يستردها ، وكان الأولى به أن ينفر منها لخيانتها ، ويتهمه بأنه قاتل اخيليوس ، وأنه روح شريرة ، لم يحارب ، لم يجرد حساماً من أسلحته، وعاد بها فى أغمدتها الفاخرة النظيفة ، لكل هذا ، نصح بيليوس ابنه ألا يصاهر مينيلاؤس ، وألا يجلب إلى البيت ابنه امرأة سيئة السمعة ، فالابنة صدى لأمها . يعود بيليوس لذات الموضوع الذى بدأه ، الجبن ، وخيانة الزوجة ، ويزيد عليهما أن مينيلاؤس قد فشل فى كبح جماح شهوته عندما التقى بالفاجرة هيلينى ، ويستمر بيليوس فى سرد مآخذ مينيلاؤس ، وينتهى بطرده وابنته من قصر حفيده .

يستنكر مينيلاؤس ما أتاه ، وفاه به بيليوس ، ويحتج على ما وجهه له من إهانات من أجل امرأة بربرية ، ضالعة فى إراقة دم اخيليوس ، إنها زوجة هيكتور، شقيق باريس القاتل ، ومع ذلك يسمح لها بيليوس بالعيش معه تحت سقف واحد ، وتشاركه مائدته ، ويربى أبناء أعداءه فى قصره . يعرج مينيلاؤس على مسألة الحكم ، وهل يجوز للأبناء غير الشرعيين تولى

الأمر ، وقيادة زمام الهيلينيين ؟ ثم يعدد الأدلة على صحة سلوكه ، ومبرراً تصرفاته حيال اندروماخي وابنها مولوسوس . ويحاول التماس العذر لزوجته هيليني ، ويرى أن ما حدث لها إنما بأمر الألهة ، وكان له فضل على شباب هيلاس ، إذ علمهم فنون الحرب والقتال . تتدخل الجوقة لتطلب منهما الكف عن الحديث لتجاوزهما الحد . ولكن بيليوس لا يعبء بطلب الجوقة ، ويستكمل رده على مينيلاؤس ، مذكراً إياه أنه وأخيه قد ارتقيا على حساب الجهود المضنية للأخرين ، ونالا التقدير عن باقي الجيش ، ويأمره بحزم أمتعته هو وابنته ، والرحيل عن القصر ، ويعيره بعقمها . ثم يأمر الخدم بالابتعاد عن اندروماخي ، ويقترب منها متحدياً ليفك أسرها ، وما أن يرى يديها الداميتين ، حتى يوجه توبيخاته لمينيلاؤس ، ثم يقترب أيضاً من الصبي مولوسوس ويطلب منه الاقتراب من أمه ، ويقسم أنه سيربيه على كراهيه الإسبرطيين . يحتج مينيلاؤس على توبيخات بيليوس ، ويقرر الرحيل إلى مدينة قرب وطنه إسبرطة ، سيزحف عليها بجيوشه ليخضعها لسلطته ، وبعد أن يتم له الأمر ، سيعود ليجلس وجها لوجه مع زوج ابنته ، ويعرض عليه قصة اندروماخي ، و يسمع وجهه نظره فيها ، فبإن عاقبها كان خيراً ، وإن لم يستجب فسيكون كل تصرف منه انعكاساً لتصرف نيوبتوليموس . ويختم حديثه موجهاً القول لبيليوس ، مستخفاً به وبعجزه ، ويعيره بعدم قدرته على الفعل ، أنه مجرد صوت ، كلام كله لغو ، (يخرج مينيلاؤس) . يطيب بيليوس خاطر اندروماخي وابنها مولوسوس ، فتدعو له اندروماخي بالجزاء الحسن ، وتحذر من أن الشر يمكن أن يعاود الكره ، مستغلاً شيخوخة الحامي ، فيطمئنها بيليوس أنه قادر على حمايتها ، وهو رجل شجاع لا يهاب . وتتولى الجوقة سرد فضل الأصل النبيل على الإنسان ، وأثر العدالة المبنية على الحق .

تدخل المربية معلنة أن هيرميوني ، بعد فشلها وأبيها في قتل اندروماخي و مولوسوس ، تزمع أن تقتل نفسها ، خشية أن يطردها زوجها ، أو يقتلها لما كانت سترتكبه ضد أناس ، دون وجه حق . يفشل الخدم إثناءها عن عزمها ، تطلب المربية من الجوقة الذهاب إليها علها تنجح في إقناعها ، وتعلن الجوقة أنها تسمع ضجة في البيت ، فقد هربت هيرميوني من بين أيدي الخدم لتندفع خارجة من البيت ، لإنهاء حياتها . وبالفعل تدخل هيرميوني إلى المسرح وهي تقطع شعرها ، وتود لو أنها نشبت أظافرها في لحم خدودها ، ولكن المربية تمنعها ، تتمادى هيرميوني فتمزق ملابسها ، وتعلن أنها نادمة على ما فكرت فيه ، وتحاول انتزاع السيف ، ولكن المربية

تطمئنها ، وتطلب منها ألا يقودها جنونها إلى الموت . و رغم ذلك تعلن هيرميونى هلعها وخوفها من انتقام الأسيرة الطروادية ، فتذكرها المربية بأصلها النبيل ، الذى سيحول دون أن يمسها أحد بشيء ، لا زوجها ولا اندروماخى ، كما أن أبيها لن يتخلى عنها ، وتطلب منها الدخول إلى القصر ، بينما تعلن الجوقة قدوم أجنبى ، وبالفعل يدخل اورستيس ليسأل النساء عن قصر ابن اخيليوس وكليتمينسترا ، وأنه جاء للسؤال عن ابنة خالته هيرميونى الإسبرطية ، تندفع نحوه هيرميونى ، كالغريق الذى يتعلق بقشة ، وترجوه أن يشفق عليها فى محنتها ، فيسألها ما الخبر ؟ وتقص عليه هيرميونى القصة ، وتعترف بأنها ما أقدمت على فعلتها إلا بتحريض من نسوة خبيثات سيطرن عليها ، و تقرر أن من الضرورى للمرأة المتزوجة ألا تصادق نساء أخريات ، فالمرأة تفسد المرأة . تلومها الجوقة لأنها أطالت لسانها على بنات جنسها . ويعترف اورستيس بحبه لهيرميونى ولكنها الأن تعيش فى عصمة رجل أخر بسبب خسة أبيها ، فقد وعده مينيلاؤس بالزواج من ابنته هيرميونى ثم نكص عهده ، وزوجها إلى ابن اخيليوس . إن اورستيس يقرر أنه سيأخذ هيرميونى من هيلاس إلى إسبرطة وسيسلمها لأبيها ، توافق هيرميونى وتطالبه بالإسراع قبل وصول زوجها ، أو وصول الأمر لجده بيليوس . يهون اورستيس الأمر ، ويفهم من قوله أنه يدبر أمراً ضد نيوبتوليموس .

يدخل بيليوس ليسأل عن حقيقة ما سمع عن هروب هيرميونى ، وتؤكد له الجوقة صحة الخبر ، وتعلل هروبها بأنها كانت تخاف أن يطردها زوجها بعد عودته ، كما كانت تخشى اندروماخى . لقد هربت مع اورستيس ابن اجاممنون الذى يدبر لقتل حفيد بيليوس . ويستفسر الجد عن مكان القتل ، فتخبره الجوقة أنه فى مقر لوكسياس المقدس بدلفى . يأمر بيليوس أحد اتباعه بالسفر إلى هناك ليخبر الأصدقاء بما انتواه اورستيس . يدخل الرسول حاملاً خبراً سيئاً لبيليوس ، فقد همس اورستيس فى أذن كل واحد من رجال دلفى أن نيوبتوليموس قد أتى إلى المعبد كى يسرق الكنوز الذهبية، وانتشرت الإشاعة ، فانقض عليه الحراس والجنود وأهل دلفى . أوسعوه ضرباً ، ثم طعنوه بالسيوف من الخلف وهو أعزل ، فاستدار لهم وامتشق سيفه ودرعه وصاح فيهم ، " لماذا تقتلونى وقد قدمت فى مهمه مقدسة " . ثم أخذوا يقذفونه بالحجارة ، ويمطرونه بالرماح ، والسهام ، وأسياخ الشى ذات الحدين ، وسكاكين الذبح ، ثم أحاطوا به من كل جانب ، فقفز منقضاً عليهم ، فاستداروا وفروا كالحمام عند مرأى الصقر ، وفجأة

جاء صوت من أعماق المعبد ، صوت مهيب مريع ، أشعل حماس الجماهير المحتشدة ، فسقط ابن اخيليوس مطعونا بسلاح حاد أغمده كل واحد من المجتمعين . ويعلن الرسول أنهم قد جاءوا بجثة الحفيد معهم ليدفنه . وينهي الرسول رسالته " بأن الإله الذى يوحى بالنبوات للآخرين ويحكم بالعدل فى الدنيا بين الجميع ، قد ثأر لنفسه من ابن اخيليوس ، فلم ينس خصومته القديمة ، مثلما لا ينساها رجل شرير ". يخرج الرسول ويدخل الأتباع حاملين جثمان نيوبتوليموس ، فترثية الجوقة ، وتقدم العزاء لبيليوس ، الذى يبكى مصير حفيده ، ويتألم لانتهاء ذريته ، ويلعن الزواج و هيرميونى ، فهما سبب وفاة حفيده . تحاول الجوقة تهدئته ، وتذكره بأنها مشيئة الآلهة . ويدور الحوار بينهما عن الأبناء والموت والمستقبل الذى ينتظر الشيخ المسن بيليوس ، ويلقى الشيخ بالصولجان على الأرض . تصرخ الجوقة إذ ترى طيفاً غامضاً وقوة الهية تطير فى الأثير، إنها ثيتيس تهبط على المسرح ، تخاطب بيليوس مذكرة إياه بحبها له فى شبابها ، وتدعوه ألا يحزن ، لقد جاءت لتحمل الجثمان إلى جوار مذبح بيثيا ، حيث تدفنه هناك ، وأن على اندروماخى أن تعيش فى أرض مولوسيا ، وتقترن بهيلينوس(و هو أحد ابناء بريامونس من هيكابى) ، و يعيش طفلها معها ، فمن سلالته سيتناسل ملوك عظام ، وتكافىء الآلهة العجوز بيليوس بأن تعفيه من كل الآلام التى تصيب البشر ، إذ ستجعل منه إلها لا يعرف الموت أو العفن . إن عليه الذهاب إلى دلفى لدفن الجثمان ، ثم العوده إلى مغارة صخرة سيبياس ، والإقامة فيها حتى تأتيه بجوقة من عرائس البحر ، بنات نيريوس ليصحبنه . يناجى بيليوس الإلهة ، ويعدها بأن يكف عن حزنه ، وسينتظر لحظة اللقاء ليأخذها فى أحضانه . تخرج ثيتيس ، ويختم بيليوس حديثه ، بأن على كل رجل رشيد ، أن يسعى إلى الزواج من أصل نبيل ، وأن يعطى ابنته لزوج طيب ومخلص ، وألا يتلهف للزواج من امرأة لا قيمة لها ، حتى لو أتت بيته ببائنه ثمينة للغاية .

أهم ما يلاحظ على هذه المسرحية :-

أولا : تاريخ عرض المسرحية :

١ - تعددت الأراء واختلفت التواريخ ، فمن قائل إنه حوالى عام ٤٢٦ ق.م ، بينما يرى آخر أنه عام ٤١٩ ق.م . وهناك من يقول إنه عام ٤٣٠ ق.م .

٢ – هناك رأى آخر يقول إن هذه المسرحية لم تقدم في أثينا ، ويختلف أيضاً بعض الدارسين مع هذا الرأى ، ويقررون أنها عرضت في أثينا ولكن من خلال شخص آخر .
٣ – يرى البعض أنها قدمت في أرجوس ، بينما يرى آخرون أنه قدمت في بلاط الملك مولوسيانس الذى يرجع نسبه إلى اخيليوس من خلال ابن اندروماخى .

ثانيا : أصل المسرحية

اندروماخى هى ابنه ايتون ملك مدينة ثيبى (١) أو طيبة ، وهى مدينة تقع عند سفح جبل بلاكوس في منطقة طروادة التى تقع في سيا الصغرى بالقرب من المدخل الجنوبى لهيلسبونت . هذه المنطقة أخذت اسمها من اسم مدينتها الحاكمة طروادة . كان هذا الملك حليفاً لطروادة. ولما نشبت الحرب الطروادية بين الإغريق وأهل هذه البلاد، مات هذا الملك في سنواتها الأولى ، ومات أبناءه السبعة في يوم واحد بيد اخيليوس (٢) ، الذى احتل المدينة بعد ذلك . وبقيت اندروماخى من هذه الأسرة ، فتزوجها القائد الطروادى هيكتور ابن برياموس وهيكابى، و أنجب منها طفلاً أسمته استياناكس ، بينما أطلق عليه أبوه اسم سكمندريوس .

بعد موت هيكتور ، و سقوط طروادة أمام الغزو الإغريقى ، أخذت زوجته اندروماخى أسيرة ، وأصبحت من نصيب نيوبتوليموس ابن اخيليوس الذى يدعى أحياناً بيرهوس ، وهو الذى ألقى أستياناكس ابن هيكتور واندروماخى من فوق أسوار طروادة قبل مغادرتها .

عامل نيوبتوليموس إسيرته اندروماخى معاملة طيبة ، فاتخذها خليلة له ، وأنجب منها ثلاثة أبناء ، مولوسوس ، بييلوس ، بيرجاموس.

كانت هيرميونى ابنه مينيلاؤس وهيلينى زوجة لنيوبتوليموس ، و وفقاً لمعالجة يوربيدس ، فهى عاقر ، لذا فهى تحقد على اندروماخى وتكرهها لأنها حققت لنيوبتوليموس ما فشلت هى في تحقيقه ، لذا انتهزت فرصة سفر زوجها إلى دلفى وأساءت معاملة اندروماخى

١- وهى بلد آخر غير طيبة التى جاء ذكرها في مسرحية أوديب
٢- الالياذه لهوميروس ، ٦/٣٩٥-٣٩٧ ، ٦/٤١٤ - ٤٢٨

وطفلها ، و روعتهما هى وأبيها مينيلاؤس .

استنجدت اندروماخى ببيليوس والد نيوبتوليمــوس ، فحماهــا هــى و ابنها .

هناك رواية أخرى تقول بأن الأحداث وقعت فى ايبريــوس ، وهــى منطقة تقع على الساحل الأدرياتيكى ، وليست فــى فاثيــا . كمــا تقــول نفس الرواية أن نيوبتوليموس قد تخلى عن انــدروماخى ، بعــد زواجــه من هيرميونى ، إلى حليفه هيلينوس اخو هيكتــور الــذى عمــل علــى رعاية أبناء اندروماخى ، وأنجب منها ولداً اسماه سستريتوس

حكمت سلالة اندروماخى ايبروس لعــدة أجيــال ، وتؤكــد نفــس الرواية أن لأندروماخى ضريحاً ومزاراً فى بيرجامون .

ثالثا : المنظر الذى تجرى فيه الأحداث :

أمام خيمة اجاممنون فى المعسكر الإغريقى قرب طروادة .

رابعا : أهداف الفكرة الرئيسية :

١- نظرا للعداء السافر بين هيلاس وطروادة ، فإن الشــاعر قــد قصــد الحط من قدر أهل طروادة ، وتشويه سمعة أهل إسبرطة .

٢ - تشوية سمعة الإله ابوللون فى دلفى ، ويسمى فى هــذه المســرحية لوكسياس أحياناً ، و فويبوس أحيانا أخرى .

خامسا: المناقشة والتحليل

١ - تنتمى هذه المسرحية إلى سلسلة مسرحيات يوربيــديس السياســية . ففى بداية الحرب البلوبونيزية استشار الإسبرطيون الــوحى الإلهــى فى دلفى ، فأعلن انهم سيكسبون الحرب إذا مــا قــاتلوا بشــجاعة ، وان الإله ذاته سيساعدهم ويناصرهم .
هذا الانحياز الإلهى ، جعل الأثينيين يحنقــون و يغتــاظون ، و قــد أعطاهم الحق فى كشف فساد هذه المؤسســة الدينيــة ، و يعبــرون عن كرههم لها . و ها هو الشاعر يعبر عــن ســريرة مواطنيــة ، فيهاجم ابوللون بلا هوادة.

٢ - تفتقد المسرحية للوحدة الدرامية ، إذ تقع فى ثلاثة أجــزاء ، تــربط بينها فكرة رئيسية واحدة هى مستقبل أسرة أخيل .

أ – يعطى الجزء الأول من المسرحية ثلثى الموضوع الكلى ، و هو يتمثل فى بطولة الأسرة ، و أسر أميرة طروادة اندروماخى ، التى أصبحت الآن عبدة للأمير الإغريقى نيوبتوليموس زوج هيرميونى العاقر ، و تنجب له ولداً ، مما يجعل الزوجة القديمة هيرميونى تكره اندروماخى ، و تخشى على مكانتها عند زوجها ، فتتآمر هى و أباها مينيلاؤس لتحطيم اندروماخى . و مع نهاية هذا الجزء من المسرحية ، يتقدم الملك العجوز بيليوس جد نيوبتوليموس ، لإنقاذ اندروماخى ، ثم تختفى اندروماخى و لا تعود إلى الظهور مرة أخرى .

ب – يبدأ الجزء الثانى بجنون هيرميونى ، و يصور لها هذا الجنون ، أن زوجها نيوبتوليموس سوف يقتلها عند عودته عقاباً على سلوكها . و عندما يظهر أوريستيس الذى كان يوماً خطيبها ، فإنها تتوسل إليه كي ينقذها ، و يستجيب لتوسلاتها ، و يعلن عن عزمه قتل نيوبتوليموس ، و أنه سيأخذها معه . و بالفعل ينفذ وعده ، و تختفى هيرميونى و لا تعود للظهور مرة أخرى .

ج – و مع اختفاء الشخصيتين الرئيسيتين ، فإن الاهتمام يتحول نحو بيليوس ، و يظهر الرسول ليقص عليه قصة مقتل نيوبتوليموس أمام مجموعة من رجال دلفى . و يحزن الملك العجوز بيليوس لوفاة نيوبتوليموس ، و أثناء بكائه تظهر الآلهة ثيتيس ، والدة أخيليوس و زوجة بيليوس يوماً للتعزية ، و تعده بحياة أبدية .

٣ – إن ابن اندروماخى الذى بقى وحيداً من هذه العائلة على قيد الحياة، يتولى مع جده بيليوس حكم بلاد مولوسيا ، و بذلك لم يقطع يوريبيديس سلسلة هذه الأسرة الحاكمة .

٤ – بالرغم من فقدان اندروماخى للوحدة الدرامية ، فإن أهم ما يميزها هو الشخصيتين النسائيتين هيرميونى و اندروماخى .

٥ – إن حوار اندروماخى منذ الوهلة الأولى لظهورها ، و حتى وقوعها فى الأسر و اختفائها ، يتسم بالغرور و الكبرياء و الغطرسة ، و هذا يتفق مع القواعد الدرامية بشأن عظامية

اللغة، فهى كأرملة هكتور العظيم ، تتحدث بلغة تتناسب مع مكانتها الاجتماعية ، و هذه الشخصية من أحلى ما رسم يوريبيديس من شخصيات .

٦ – حوت المسرحية العديد من الشخصيات المتصفة بالغدر ، مثل اجاممنون ، و مينلاؤس ، كما تظهر بعض الشخصيات النبيلة ، مثل بيليوس و اندروماخى .

٧ – حفلت المسرحية بالمواقف التى تخاطب العواطف ، و تستدر الدموع ، و تثير الشفقة ، و من بين هذه المواقف ، قيد اندروماخى استعداداً لقتلها ، و تعلق طفلها الصغير بذيل ثيابها .

٨ – أيضاً نجح يوريبيديس فى رسم شخصية هيرميونى ، و جعلها غير محبوبة كابنة لهيلينى ، وضع فى مقابلها اندروماخى ، التى ساهمت فى كراهية هيرميونى بما قالته هى و بيليوس عن الشخصية الإسبرطية .

٩ – للعصر تأثير كبير فيما كتبه يوريبيديس ، فهو لم ينفصل عن الواقع عندما هاجم إسبرطة و أهلها ، وحمل على سلوكهم و أخلاقياتهم ، بل ونعتهم بأبغض البشر ، و اتهامهم بالكذب ، و بالقتل ، و تدبير الجرائم ، بل و تمنى أن يحل الخراب بديارهم. و الأدلة كثيرة فى المسرحية :-

أ – ينادى أورستيس دائماً بأنه ابن اجاممنون ، كما جعله يقدم نفسه فى البداية كابن كليتمينسترا و اجاممنون .

ب – الجوقة : من أنت لتسأل هذا السؤال ؟ ٨٨٤ .

أورستيس : إبن أجاممنون و كليتمينسترا .. إسمى أورستيس .

ثم يدعوه الرسول بعد ذلك ابن كليتمينسترا (سطر١١١٥).

كل ذلك بهدف تذكير المشاهدين بجريمته التى ارتكبها فى حق أمه ، بل و فى أكثر من مرة أشار الشاعر إلى قتل أمه ، بل و يسهب فى ذكر الخزى و العار الذى عانى منه بسبب فعلته هذه :

أورستيس : ... فأخبرته بكل ما عانيته و بشقائى الحالى .

... فإذا به يهتاج و يعيرنى بقتل أمى (٩٧١ – ٩٨١)

أورستيس : ... فلسوف يثبت نفس هذا القاتل لأمه إن لن يتزوجك أحد سواه (٩٩٩) .

ج – إن المشاكل الزوجية استثمرت أولا كوسيلة لمهاجمة مينيلاؤس و هيرميونى و هيلينى ، ثم ثانياً للتعريض بالأخلاقيات الإسبرطية ، و قد جاء نقده هذا بذكاء و لطف. فمثلا :

١ – عندما ظهرت هيرميونى الذاهلة ، جعلها تلبس ثياباً فضفاضة ، خليعة ، و غير محتشمة ، أظهرت من مفاتنها أكثر مما سترت . (سطر ٨٣٢)

هيرميونى : أواه ، أواه ، إليك عنى يا غطاء رأسى جميل النسيج طر فى الهواء .. إنى بعيد.

المربية : يا ابنتى ، غطى صدرك و أقفلى رداءك .

هيرميونى : و لمّ أغطى صدرى بردائى ؟ جرائمى ضد زوجى مفضوحة مكشوفة ، و لا يمكن أن تبقى خفية . سطور (٨٣٠ – ٨٣٢) .

د – هذا التشويه المقصود لأهل إسبرطة ، بدأه الشاعر باتهامات صريحة عندما جعل بيليوس يقول لمينيلاؤس :

بيليوس : أو تجعل رأسك برأس الرجال ؟ يا أمير الجبناء ، و سليل الجبناء . أى حق لك فى أن تشارك الرجال فى الحوار ؟ أنت يا من جعلت رجلاً فريجياً يسلبك زوجتك ، تاركاً بيتك و موقده بدون قفل يغلقه ، أو حارس يحفظه ، و كأن هذه الزوجة التى كانت لديك هناك رمز للفضيلة ، و هى فى الواقع أرذل كل النساء ، فالزوجة الإسبرطية لا يمكن أن تكون عفيفة حتى لو أرادت ، فهى تغادر بيتها مع الشبان، و تعرى ساقيها ، و تدع ثوبها يطير ... الخ . (سطور ٥٨٩ – ٦١٠) .

و قد حاول البعض تبرير تصرف هيرميونى فوصف سلوكها بأنه غير إرادى و لا تُسأل عنه ، إذ أن الشاعر

جعلها ذاهلة . و لكن على العكس يود الشاعر منذ البداية تأكيد هذا العيب فى أهل إسبرطة ، و البرهنة على تأصله . فعبر عن ذلك عندما جعل بيليوس يتهم هيلينى أم هيرميونى بأن الابنة لأمها ، أو كما يقول المثل العامى المصرى ، " إكفى القدرة على فمها ، تطلع البنت لأمها " .

هـ – كان من سياسة أثينا منذ القدم ، أن تحد من سلطة غريمتها إسبرطة ، سواء أكان ذلك بعقد الأحلاف بينها و بين مدن البلوبونيز . لقد وضع الشاعر تحقيراً لإسبرطة على لسان بعض شخصياته :

اندروماخى : يا مواطنى إسبرطة ، يا أبغض كل البشر كافة، و مدبرى الغش و ملوك الإفك ، مخترعى المؤامرات الباغية ، بعقولكم اللئيمة ، و أساليبكم الملتوية . (سطر ٤٤٥)

... خطأ أن تكون لكم الزعامة فى هيلاس أية خسة ليست فى شرعكم ؟ كذابون تقولون كلمة بشفاهكم و تخفون أخرى فى قلوبكم ؟ (السطور من ٤٥٠ و ما بعدها) .

و يستمر الشاعر فى انتقاده لسلوكيات أهل إسبرطة ، و لم يكتفى بما وضعه على لسان بعض الكارهين لهم كبيليوس ، بل أورد نقائصهم على ألسنتهم :

١ – جعل مينيلاؤس الاعتراف فى وقاحة عن غدره و خيانته . (سطور ١٧٠ – ٣٨٠) ، (سطور ٤٢٤ – ٤٤٠) . ثم يؤكد ذلك فى حوار اندروماخى .

٢ – هيرميونى : " لا ينبغى للرجال العقلاء الذين لهم زوجات "
" أن يسمحوا لجنس النساء أن يزرن نسائهم "
" فى بيوتهم ، فسيعلمنهن الأذى . فواحدة "
" منهن – إذ تسعى إلى غرض معين فى "
" نفسها – تحاول إفساقهن ، و ثانية لأنها "
" ارتكبت ذلة ما تريد لنفسها رفيقة ، بينما "
" كثيرات منهن فاجرات ، و النتيجة أن "

" بيوت النــاس تصــاب بالفســاد ... الــخ " .
(سطور ٩٤٠ – ٩٥٠) .

و نلاحظ أن الشاعر قد ضرب عصفورين بحجر واحد ، إذ شــوه سمعة المرأة الإسبرطية و جعل شاهد من أهلها يقرر ذلــك ، ثــم فى ذات الوقت وسع المقولة لتشمل انتقاداً عامــاً للمــرأة ، ربمــا بسبب ما ترسب فى نفسه من خبرات سابقة .

و – صور الشاعر مينيلاؤس ملك إسبرطة فى صورة شريرة .

١٠ – ظهر بوضوح فى هــذه المســرحية ، مــدى كراهيــة بيليــوس للطرواديين ، و عبر عن ذلك ضمناً و صراحة ، و لعــل أبــرز هذه التصريحات حينما قال :

بيليوس : ... فانى لمنشئك فى فثيــا علــى أن تكــون عــدوهم اللدود . (سطر ٧٢٤) .

١١ – إن شخصية نيوبتوليموس أحاطها بعض الغموض ، فمــرة تتهمــه اندروماخى بالغباء ، حينما تقول فى المقدمة إن نيوبتوليمــوس قــد ذهب إلى دلفى ليكفر عن غباءه ، تاركاً إياها و ولده فريسة لحقــد زوجته الشرعية و غدر أبيها و خسته .

إن غباءه أيضاً قد وضح حينمــا طالــب يومــاً الإلــه فويبــوس بالتعويض عن قتل أبيه ، و كان ذلك نذير شــؤم . و قــد أشــار أورستيس الى ذلك حينما جاء على لسانه " و لسوف تهلكــه يــد " " ابوللون ، و افتراءاته على هلاكاً أليماً " . (سطر ١٠٠٢) .

ثم يعود الرســول لتأكيــد ذات التشــاؤم حينمــا يُعيــد كلمــات نيوبتوليموس :

نيوبتوليموس : ... أريد أن اكفر لفويبوس على تطــاولى الســابق عليه ، فقد طالبته يوماً بالقصاص العادل لدم أبــى . (سطر ١١٠٦) .

إذن موت نيوبتوليموس ليس بسبب رغبة أورستيس فــى إنقــاذ هيرميونى ، لأن ذلك ينفى الاتهام السئ ضد فيبوس .

١٢ – إذا ما تفحصنا الأسطورة ، سنجد أن تينداريوس جــد هيرميــونى قد أعطى وعداً بزواجها من أورستيس عندما كان مينيلاؤس فــى طروادة ، و أعطى وعداً أخر لنيوبتوليموس . و لكن الأســطورة

عند يوريبيديس ، قد تعرضت لبعض التعديل ، إذ جعل الشاعر مينيلاؤس يعطى كلا الوعدين (سطر ٩٦٧) .

١٣ – تعتبر اندروماخى فى هذه المسرحية هى الشخصية الرئيسية بينما كانت شخصية هامشية فى الطرواديات .

١٤ – دار صراع واضح ما بين اندروماخى و هيرميونى ، صراع حقيقى .

١٥ – كتب راسين عام ١٦٦٧ مسرحية تحمل ذات الاسم ، و لكنه تناول الموضوع بحرية و تصرف أكثر ، إذ جعل نيوبتوليموس أى بيرهوس ، هو الشخصية الأساسية لا اندروماخى .

سادساً : الجوقة :

١ – هن مجموعة من بنات فثيا بأقليم تساليا .

٢ – تتعاطف الجوقة مع اندروماخى ، ولكن يتم ذلك سراً ، حتى لا تعلم به هيرميونى . (سطور ١٤٠ – ١٤٣) .

٣ – أناشيد الجوقة تُساير الجو العام للمسرحية ، فهى حزينة تدور حول أحداث المسرحية مُعلقة ، مُستنكرة ، مؤيدة .

٤ – فزعت الجوقة لمجرد فكرة الأوامر الإلهية بقتل الأم بيد ابنها . (سطر ١٠٢٧ – ١٠٣٦) و قد اعترضت مستنكرة :

الجوقة : أى فويبوس ، أيها القوة المقدسة ، أنى لى أن أصدق هذه القصة ؟

٥ – لم يجعل يوريبيديس أناشيد الجوقة تعليقاً مباشراً على الأحداث . بل أناط بها رواية ما يتعلق بالحرب الطروادية ، التى كانت سبباً فى وقوع الأحداث التى تجرى أمام المشاهد .

سابعاً : الحوار :

استخدم الشاعر وزناً رثائياً حزيناً فى بداية المقدمة الاستهلالية للمسرحية . ثم أخذ ينوع فى الأوزان بحسب الموقف .

٦- هيكوبا :

تبدأ المأساة بظهور شبح بولودوروس ، محلقاً فـوق خيمـة أجـاممنون . و يستهل المقدمة بتعريف المشاهدين بنفسه ، فهو ابن هيكوبا ابنـه كيسـيوس ، والده بريام . أرسلته أمه خوفاً عليـه مـن الحـرب بـين مدينـة طـروادة ، و جيوش الإغريق ، معتقدة أن وجوده فى حماية بولوميسـتور ملـك تراقيـة الشرقية ، آمان له . حمل معه هذا الابن الصغير ، الكثير من الـذهب ، كـان هذا الذهب مطمعاً ، خان بولوميستور من أجله عهود الصـداقة و الاسـتجارة، فقتل الطفل و استولى على ذهبه ، خاصة بعـد أن علـم بسـقوط طـروادة ، و مقتل الملك بريام و معظم أفراد أسرته . تخلـص بولوميسـتور مـن جثـة الصبى بإلقائها فى البحر ، تتقاذفها الأمواج . ثم يعلـن عـن حالـة الأسـرة ، الأم هيكوبا فى انتظار رحيلها ، و الأخت بولوكسينا ستذبح قربانـاً لاخيلـوس، كى يسمح للأسطول الإغريقى بالتحرك . يختم الصبى مقدمته ، بأنـه سـيظهر لخادمة هيكوبا ، كى تقوم أمه بدفنه . تظهر هيكوبا و هى فى ملابس الإمـاء، تساند بعض النسوة الطرواديات خطاها ، و هى تتحـدث عـن رؤياهـا التـى رأتها فى نومها ، ابنها الذى أرادت إنقاذه ، قد قتل غـدراً ، ابنتهـا بولوكسـينا و ما ينتظرها من مصير مؤلم ، إنها تتجه نحو كاسـندرا ، كـى تفسـر لهـا أحلامها ، و تختم حوارها بالتوسل للآلهة كى تتدخل لتحمى ابنتها .

تدخل الجوقة ، و هن من نساء طروادة الأسيرات ، و تُعلن أنهـا تحمـل أخباراً غير سارة عن الابنة بولوكسينا ، إنها قربان أخيليـوس ، الـذى ظهـر واقفاً على قبره طالباً مـن الإغريـق أن يبـروا بالقسـم . تؤكـد الجوقـة أن أجاممنون قد رفض ، و لكن ابنى ثيسـيوس ، يصـران علـى تقـديم الفتـاه لأخيليوس ، وقد أيدهما لايرتيس والد أوديسيوس . الذى يطلـب مـن هيكوبـا الإسراع للذهاب إلى المعابد ، أو الركوع لأجاممنون ، و التضرع لـه ، كـى تنقذ ابنتها . تولول هيكوبا متحسرة على أبنائها ، باكية على أطلال مـا جـرى لمدينتها ، ثم تطلب من الفتيات ، الذهاب بها إلى خيمة ابنتها ، لتخبرهـا بالنبـأ المشئوم . تدخل بولوكسينا متسائلة عـن سـبب صـراخ و بكـاء هيكوبـا ، و تتوجس الابنة خيفة من طريقة الأم ، و تسألها الخبر . تخبرها هيكوبـا عـن مصيرها الذى قرره الإغريق . تأسى لأمها ، و ما حل بها من مصائب ، ثـم تعود لتأسى لنفسها متخيلة مصيرها المقرر ، و هى راقدة فـى ظـلام العـالم السفلى ، حيث ضحايا الموت ، و تعلن فى شجاعة ، أنهـا لـن تبكـى ، فمـا

سيحل بها يسعدها ، إذ سيرحمها من نير العبودية . أثناء حوار الأم و الابنة، تشير الجوقة لقدوم أوديسيوس ، و بالفعل يدخل ، و يصرح بخبر التضحية ببولوكسينا فوق ربوة قبر أخيليوس ، و أنه جاء ليرافق الفتاة ، و ينصحها بألا تقاوم . تلقى هيكوبا عليه بعض الأسئلة ، حول قدومه يوماً إلى طروادة كجاسوس ، يرتدى الأسمال القذرة ، يوم أن عرفته هيلينا و أخبرته بأمره ، فركع وقتها متعلقاً بركبتها ، و في ذلة طلب إنقاذه ، فأنقذته . يؤكد أوديسيوس كل كلمة قالتها الأم ، و لكن هيكوبا تستمر متسائلة في دهشة و استغراب من مقابلته صنيعها ، بشر يقدم عليه الآن ، و تتهمه بأنه شرير ، ناكر للجميل ، دنئ ، و مع ذلك ها هى تتوسل إليه أن يرد معروفها القديم ، و أن يترك لها ابنتها . يستهزئ أوديسيوس بقول العجوز هيكوبا ، معتبراً توسلاتها أوامر ، و يعلن أنه على استعداد لإنقاذها ، أما ابنتها فيجب أن تذبح قرباناً لأخيليوس ، حتى لا يتهم الإغريق بنكران الجميل لبطل من أبطالهم ، ثم يختتم حواره بتحقير أهل طروادة و يصفهم بأنهم برابرة . تعلن الأم يأسها ، بعد فشل محاولتها لإنقاذ ابنتها ، فتطلب منها أن تستعطف أوديسيوس ، عله يستجيب ، و لكن الفتاة بولوكسينا ، تعلن أنها ستذهب مع أوديسيوس ، حيث تلقى حتفها ، إنها ليست جبانة ، كما أنها لن تحيى بعد ما جرى ، فبعد أن كانت عروساً ، يخطب ودها الملوك و الأمراء ، صارت عبدة ، إنها ترفض أن تصبح أمة أو خادمة لدى سيد قاسى الفؤاد ، لا يحسن معاملتها .

تعرض هيكوبا على أوديسيوس أن تذهب هى بدلاً عن ابنتها ، فهى أم من قتل أخيليوس ، إنها أم باريس . يرفض أوديسيوس العرض ، متعللاً بأن شبح أخيليوس طلب بولوكسينا ، و لكن الأم تصر على مرافقة ابنتها ، و على أن تلاقى نفس المصير . ترفض بولوكسينا ، و تحاول إثناء أمها عن مصاحبتها ، و تودعها ، ثم تتجاذبان حواراً ملئ بالشجن ، تخرج بعده بولوكسينا مع أوديسيوس .

لا تحتمل هيكوبا الموقف ، فتهذى بكلمات عن هيلينا الإسبرطية التى كانت سبباً فى سقوط طروادة ، ثم يغمى على هيكوبا .

تبدأ الجوقة نشيدها الأول متسائلة عن مصير الفتاه الأسيرة ، و عن مستقبلها ، و فى أى الأماكن ستحط رحالها ، ثم تتحسر على المدينة و ما حل بها و بأهلها ، الذين أصبحوا لاجئين . يدخل تالثوبيوس حاجب الملك أجاممنون ، و يسأل عن الملكة هيكوبا ، فتشير له الجوقة عليها ، يتألم الحاجب لمنظرها ، و يأسى لها لقد أتى بأمر أجاممنون ليصحب العجوز

هيكوبا ، كى تدفن ابنتها . تطالبه هيكوبا بسرد لحظات قتل ابنتها ، استجاب الحاجب و حكى كيف أن الجميع قد احتشدوا ليشاهدوا ذبح بولوكسينا ، حيث قام ابن أخيليوس بأجراء الطقوس ، و كانت بولوكسينا شجاعة فى مواجهة الموت ، و لم تسمح لأحد بأن يمس لحمها ، إذ طلبت أن تموت واقفة حرة ، فمزقت ثيابها ، و كشفت صدرها و نهديها ، و جثت راكعة على الأرض ، و طلبت من أخيليوس أن يضرب ضربته فى صدرها . أجريت المراسم المتبعة ، فنثروا أوراق الأشجار فوق جثة الفتاة ، و جلبوا أخشاب الصنوبر. تتألم الأم لسماع القصة ، و تعلن أن النذل نذل ، أما النبيل لا يلوث طبيعته . تطلب من الحاجب أن يذهب إلى معسكر الإغريق ، و يعلنهم بألا يمس أحدهم ابنتها . يخرج تالثبيوس ، و تستمر هيكوبا فى إعطاء أوامرها للخدم، بأن يأخذوا إناءاً و يغمسوه فى ماء البحر المالح ، كى تقوم بغسل جثمان ابنتها ، إنها تود أن تدفنها بشكل لائق ، تعلق الجوقة بأنشودتها الثانية ، و ما أن تنتهى حتى تدخل الخادمة و معها بعض الحمالين ، يحملون جثمان مغطى، و تسأل عن هيكوبا ، فتشير إليها الجوقة بأنها قادمة ، و ما أن تصل إلى حيث الخادمة ، حتى ترى الجثة ، فتعتقد إنها لبولوكسينا . تكشف الخادمة عن الجثة ، فتصرخ هيكوبا ، إنها جثة ولدها بولودوروسى ، و تعلم من الخادمة أنها وجدتها على شاطئ البحر . تتهم هيكوبا التراقى بولوميستور بقتل ولدها ، و وسط هذا المشهد الأليم تعلن الجوقة عن قدوم أجاممنون ، و يسأل هيكوبا عن سبب بقائها هنا ، دون أن تذهب لتدفن جثمان ابنتها ، لا سيما و أنه خضوعاً لرغبتها ، أمر بألا تمس جثمان الفتاة يد أرجوسية (اغريقية) . يلمح أجاممنون جثمان الابن ، و يحسبه من أبناء أرجوس ، بسبب ارتداءه لملابس الأرجوسيين ، يسأل هيكوبا عن هوية صاحب الجثة ، بينما هيكوبا تتدبر فى صمت حساباتها ، هل تخبره ؟ هل تتوسل إليه وتركع عند أقدامه ليساعدها ؟ أسئلة كثيرة طرحتها على نفسها قبل أن تجيب على سؤال اجاممنون ، و بعد أن تيقنت أن انتقامها يجب أن يتم من خلاله . و فى النهاية تجثو على ركبتيها متضرعة ، فيعلن أجاممنون أنها حرة ، و لكنها تطلب منه ما هو أكثر ، أن تنتقم من خصمها ، و تقص عليه قصة هذا الابن ، و قصة غدر بولوميستور به من اجل ما حمله من ذهب و مال . و تسوق الحجة تلو الحجة ، متوسلة لأجاممنون فى خضوع وذلة ، حتى أثارت الشفقة فى وجدانه ، فيعلن أنه سيذيق بولوميستور طعم الانتقام ، برغم أن جيشه يعتبره صديقاً ، بينما يعتبر الميت عدواً له . تطلب منه هيكوبا أن يكتم فى سريرته كل ما سوف تدبره لقاتل ابنها ، و أن لا

يشترك فى التنفيذ . فيتعجب اجاممنون من قولها ، ويسألها ماذا ستصنع ؟ تجيبه هيكوبا أنها و الأسيرات الطرواديات سيقمن ، بما لهن من دهاء ، بكل الفعل ، فقط عليه أن يسمح لإحدى الأسيرات بالمرور عبر معسكر الجيش الإغريقى ، لتستدعى الملك التراقى بولوميستور و أولاده . يوافق أجاممنون و يخرج .

تبدأ الجوقة فى نشيدها الذى يدور حول وطن ايليوم و ما حل به على أيدى الإغريق ، ثم تصب لعناتها على هلينا و باريس .

يدخل بولوميستور مع ولديه الصغيرين ، و يتبعهم الحراس . و ما أن يدخل ، حتى يعلن إعتزازه بالملك بريام و بصداقته ، ثم بهيكوبا ، و يبدى أسفه و ألمه ، لما حدث ، و ما حاق بها و بأولادها و مدينتها ، و يعتذر عن تأخره فى الحضور، إذ لم يكن فى بيته وقت أن جاء الرسول برسالة هيكوبا، ثم يسألها عن سبب استدعاءه . تقرر هيكوبا أنها تريد أن تفضى إليه بسر خاص ، و تطلب منه ابعاد حراسه . يأمر بولوميستور رجاله بالابتعاد . و ما أن ينفردا ، حتى تسأله عن ابنها الذى أودعته قصره ، فيؤكد لها أنه حى يرزق ، وكذلك الذهب فى أمان ، و تواصل الأم استدراجه ، فتخبره عن الذهب الذى تحتفظ هى به فى خزائن قديمة فى معبد أثينا الطروادى ، و قد وضعت عليه علامة مميزة ، عبارة عن صخرة سوداء ناتئة فوق سطح الأرض ، ثم تناوله بعض المجوهرات كى يحفظها لها ، ثم تدعوه لدخول الخيمة هو و ولديه .

تنشد الجوقة نشيداً حول القصاص ، و أن العين بالعين و السن بالسن . لحظة، و تسمع صرخات بولوميستور من الخيمة ، معلناً فقدانه لنور عينيه ، ثم ينادى على ولديه ، فقد قتلتهما هيكوبا ، و يسمع صوت مطاردته لها ، تظهر هيكوبا من الخيمة منتصرة ، فرحة بما صنعت ، و تتبادل حواراً قصيراً مع الجوقة حول فعلتها ، و سرعان ما يدخل بولوميستور مترنحاً ، لا يرى طريقه ، يتمنى لو أن نور عينيه ، قد عاد من جديد ، لينتقم لنفسه من هؤلاء الطرواديات . تعلق الجوقة على ما حل به من مصائب ، جزاء ما اقترف من شرور ، و قد عاقبته الآلهة عقاباً مفزعاً و بيد ثقيلة الوطأة . ينادى بولوميستور فى يأس على حراسة التراقيين ، و على الأخيين ، نسل اتريوس طالباً النجدة .

يدخل اجاممنون ملبياً نداء بولوميستور ، الذى يتعرف على صوته ، و يرى اجاممنون ما آل إليه التراقى ، و يسأله عن من فعل به ذلك . يخبره بولوميستور بأنها هيكوبا و خدمها . و يسأله مرة أخرى عن السبب الذى

دعاها لهذا الانتقام الوحشى . يحكى بولوميستور قصة بولودوروسى ابن بريام و هيكوبا ، و يدعى أنه قتل الصبى حتى لا يحاول أن يجمع فلول الطرواديين ، حين يكبر و يقاتل أجاممنون ، ثم يجتاح سهول تراقيا و أرض فروجيا . علمت هيكوبا بالأمر ، و أغرته على المجئ ، و اختلت به و بولديه فى الخيمة ، و بطريقة شيطانية جردته هى و النساء من رمحه و ترسه ، و أبعدن الصغيرين ، ثم أخرجن الخناجر من أثوابهن و أخذن يطعن الأطفال ، كما كبلنه حتى لا ينقذ طفليه . و ما أن انتهين من قتل أبناءه ، حتى أمسكن بالدبابيس التى يشبكن بها ثيابهن ، و أخذن يوخزن بها مقلتى عينيه ، ثم هربن من الخيام . إنه يحاول فى ختام جملته أن يوغر صدر أجاممنون ضد هيكوبا ، حينما يقول له ، أنه قتل عدوه .

تدافع هيكوبا عن نفسها و عن فعلتها أمام أجاممنون ، مفندة ادعاءات بولوميستور ، مؤكدة أن فعله كان من أجل الذهب الذى حمله ابنها معه ، قتله لجشعه و حبه لجمع المال ، و تذكره بأنه أيام مجد طروادة ، كان يسعى لإرضاء بريام ، و كان يتفانى فى تربية الابن الذى قتله ، و لكن بعد هزيمة طروادة ظهرت نذالته ، فقتل الضيف الصغير الذى لا حول له و لا قوة ، و تطالبه إن كان صادقاً فى حبه للآخيين ، أن يسلمهم الذهب الذى استولى عليه ، و ما أن تنتهى من قولها ، حتى تخاطب أجاممنون محذرة إياه من مساعدة هذا الزنديق الخائن .

يرد أجاممنون على بولوميستور ، بأن ما اقترفه لم يكن من أجل الآخيين ، بل من أجل الذهب ، إن قتل الضيف فى عرف الإغريق عار ما بعده عار ، لذا فإن من العدل أن ينال جزاء ما اقترفت يداه .

يستمر الحوار بين هيكوبا و بولوميستور ، حول ما فعله كل منهما فى الأخر، و لكن كل منهما يدافع عن وجهة نظره . ثم يعلن بولوميستور ما سيحل بهيكوبا مستقبلاً ، إذ أن ديونيسوس قد أخبر العراف التراقى ، بأن هيكوبا ستصير كلبة ذات عينين حمراوين كالنار ، و أنها ستموت و سيحمل قبرها اسم قبر كلبة حقيرة .

و يستمر التراقى فى طرح النبوءة ، معلناً أن كاسندرا ستموت أيضاً ، إذ ستقتلها زوجة الملك ، كما يعلن أن كليتمينسترا ابنه تونداريوس ستقتله ، و أن حماماً من الدم ينتظره فى أرجوس . ينادى اجاممنون على الحراس ليأخذوا بولوميستور بعيداً ، و يطرحوه فى جزيرة مهجورة . ثم يطلب من هيكوبا أن تذهب لتدفن جثة ابنتها و جثة ولدها ، ثم ينادى على أسيرات طروادة بالاقتراب من خيام سادة الإغريق ، إذ أن بوادر الريح المواتية قد

ظهرت ، و يتمنى أن تكون الرحلة إلى هيلاس جميلة ، فبعد معارك ضارية يجب أن يعود الرجال الى بيوتهم .

تؤكد الجوقة قوله ، و تدعو الأسيرات بالذهاب إلى الميناء حيث تنقلهن السفن إلى ذل الرق ، و هذا قدرهن الذى لا يعرف الرحمة ، و لا يعفى أحداً.

يخرج الجميع . و تنتهى المسرحية .

أهم ما يلاحظ على هذه المسرحية :

أولاً : تاريخ عرض المسرحية :

١ - حوالى عام ٤٢٥ ق.م .

٢ - هناك رأى (١) يقول إنها عُرضت عام ٤٢٠ ق.م ، بعد مسرحية هيبوليتوس .

ثانياً : أصل المسرحية :

تدور حول ملكة طروادة هيكوبا ، بعد هزيمة مدينتها ، و تحطم أسوارها و جيوشها ، و فى الوقت الذى كانت أساطيل الإغريق تستعد فيه للإقلاع ، عائدة إلى وطنها ، بينما الأسيرات الطرواديات ، و من بينهن هيكوبا ، ينتظرن مصيرهن .

و تتوالى الأحداث على الملكة التى عانت معاناة عظيمة ، فقد جعلها الشاعر تتلقى الضربة ، تلو الضربة :

١ - مات زوجها بريام .

٢ - مات أولادها ، سواء فى الحرب ، أو قربانا للأبطال أو غدراً .

٣ - خراب مدينتها و سقوطها فى أيدى أعدائها .

ثالثاً : المنظر الذى تجرى فيه الأحداث :

أمام خيام اجاممنون فى معسكر الإغريق على شاطئ الجزيرة التراقية .

---

١ - Albin Lesky , Gerrk Tragady , Ernest Benn Limited , London , Third Edition . 1978 , P . 155

رابعاً : أهداف الفكرة الرئيسية :

١ – عرض المعاناة الرهيبة التى يلقاها أسرى الحرب ، مهما كانت مكانتهم الاجتماعية .
٢ – الهزيمة تُبيح للمنتصر التحكم فى المهزوم ، أيا كان نوع التحكم ، فلا يملك الأسير من أمره شيئاً ، فقط عليه الطاعة .
٣ – لا يجب أن يثق الإنسان إلا فى نفسه ، لأن النفس البشرية أمارة بالسوء ، متلونة ، قُلب .
٤ – على الإنسان أن يتقى غضب الحليم ، و يتجنب انتقام المجروح .

خامساً : المناقشة و التحليل :

١ – هذه المسرحية تدور بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، و استولت اليونان على طروادة ، كما تصور لحظة اقتسام الغنائم .
٢ – إن هذه المسرحية ، محاولة من الشاعر لتجميع المعاناة المأساوية فى إطار مليودرامى ، و يمكن اعتبارها إمتداد لمحاولة الشاعر التعبير عن أثر الحرب البيلوبونيسية ، و مدى كراهيته لما تخلفه من دمار و خراب و سبى و قتل .
٣ – إن انتقام هيكوبا الوحشى ، يُذكرنا بمشاهد مماثلة فى أعمال شعراء أخرين ، فمثلا :
أ – محاولة انتقام اياكس من الإغريق فى معسكرهم بطروادة .
ب – انتقام كريوسا من أيون فى مأساة أيون .
ج – انتقام اتريوس من أخيه ثويستيس .
٤ – إن المسرحية لا تعتبر من أفضل أعمال الشاعر ، و قد أحس هو ذاته بذلك ، فتناول ذات الموضوع ، و صنع منه مسرحية أكثر من رائعة ، و هى الطرواديات ، و على ذلك يقال إن الطرواديات تصحيح لما شاب هيكوبا من نقص و ضعف ، أو على الأقل محاول لاستثمار أفضل لكوامن الموضوع و إمكانياته .
٥ – جعل الشاعر ، شبح بولودوروس هو الذى يُلقى المقدمة الاستهلالية ، و فيها تنبأ بأن عذاب و معاناة هيكوبا لم تنتهى بعد، إذ أن هناك أحداثاً فى الأفق :
أ – الملك التراقى بولوميستور خان العهد و الأمانة ، و قتل الطفل بولودوروس ، طمعا فيما يحمله من هدايا و أموال و ذهب ،

على حين تعتقد الأم هيكوبا أن الملك التراقى سيحسن وفادتـــه، و يمنحه الأمان .

ب – ستضطر بولوكسينا إلى تقـــديم نفســـها كقربـــان لأخيليـــوس ، و تتقبل بولوكسينا المصير بروح أبطـــال يوريبيـــديس ، فلـــم تساوم أو تتوسل لأوديسيوس ، كى يحفظ حياتها ، ففى رايهـــا أن موتها أفضل من أن تعيش عبدة أسيرة فى بلاد الإغريق .

٦ – كثف الشاعر الأحداث الحزينة واحدة تلو أخرى ، و ترتـــب علـــى هذا التكثيف :

أ – فى البداية أكد حـــوار هيكوبـــا الحـــزين ، المـــزاج النفســـى للمأساة.

ب – ترتيباً على ما سبق ، لم يضع الشاعر نشيداً لدخول الجوقة.

ج – ظل التراكم المأساوى يتصاعد حتى وصل بالأم هيكوبـــا إلـــى قمة الغضب ، و بالتالى إلى نقطة الانفجار ، فاتخذت قرارهـــا بالانتقام .

٧ – أن القضاء و القدر فى هذه المأساة لم يكن قوى غيبيـــة غامضـــة ، بل هو خصم إنسانى ، و هـــو أيضـــا شـــعور يجتـــاح الإنســـان ، و يُطلق كوامن الرغبة غير المحدودة للانتقام ، بالطبع كـــان انتقـــام هيكوبا مروعاً ، و قد دبرت له و خططـــت بحســـاب دقيـــق لكـــل العوامل ، تماماً كما فعلت ميديا .

٨ – اشتملت المسرحية على حدثين رئيسين غير مرتبطين :

الأول : موت بولوكسينا كقربان لأخيليـــوس ، و مـــا يخلقـــه هـــذا الموقف من ألم و حزن لهذه الأم .

الثانى : قتل بولوميســـتور للصـــبى الطـــروادى بولـــودوروس ، و أثر هذه الخيانة على نفسية الأم المكلومـــة ، التـــى ســـبق و أحسنت وفادة مضيف ابنها .

و مع ذلك يمكن القـــول بـــأن الأم تـــربط بـــين هـــذين الحـــدثين و بطريقة غير مباشرة .

٩ – كانت شخصية بولوكسينا شخصية مأساوية ، فقـــد اتســـمت بالنبـــل و الشجاعة و الترفع ، فلم تتوسل كى تنجو بحياتهـــا ، رغـــم أنـــه أمر كان فى متناول يـــدها ، لا ســـيما و أن اجـــاممنون ضـــعيف الشخصية .

١٠ – حرص الشاعرعلى تشويه صورة هيلينا ، و الحط من قدرها ، و هو من الموضوعات المفضلة لدى الشاعر ، و قد أكد هذه الكراهية فى عديد من مآسيه ، كالطرواديات مثلا ، حيث جعل هيلينا خصما لهيكوبا .

١١ – تقاسمت شخصيات المأساة معظم الأحداث ، وشاركت فى الغناء.

١٢ – تضمنت المسرحية أحداثاً من مسرحيات سابقة ، و لكنها جاءت على هيئة تنبوءات و إرهاصات ، على سبيل المثال ، ورد ضمن حوار بولوميستور ، ما سوف يحل بكل من اجاممنون و كاسندرا ، و هو ما حدث فعلاً فى مسرحية اجاممنون قبل سنوات عديدة من ظهور الشاعر .

سادساً : الجوقة :

١ – الجوقة فى هذه المأساة مكونة من النسوة الطرواديات الأسيرات بعد هزيمة جيوش طروادة .

٢ – تميزت أناشيد الجوقة بالقصر ، إذ كانت مجرد شطرة و جوابها و ختام .

٣ – اقتصر دور الجوقة على تحديد الفواصل بين أقسام الحدث الرئيسية ، مما أكد ضآلة دورها فى هذه المأساة .

٤ – ناسبت أناشيد الجوقة المصاحبة لهيكوبا الأحداث ، و عبرت عنها.

٥ – ليس هناك نشيد لدخول الجوقة إذ وضع الشاعر حوار هيكوبا الحزين بعد مقدمة بولودوروس الاستهلالية ، كى يحدد منذ البداية المزاج النفسى للمأساة .

٧ ـ الكوكلوبس (١) أو السيكلوب :

يدخل سيلينوس (٢) خادم باخوس العجوز ، أتياً من الكهف ، و فى شبه مناجاة للنفس يبدأ المقدمة الاستهلالية ، فيقص عن أيام الشباب ، أيام أن كان يتابع باخوس ، و ما فعله ، أيام أن سلطت عليه هيرا عصابة اللصوص ، من فرق القراصنة التوسكانية لتأخذه فى رحلة ، و يوم أمسك هو بدفة السفينة ، بينما جدف الغلمان . هبت عاصفة ، أطاحت بالسفينة إلى سفح أتنا، حيث يقيم الكوكلوبس التى تسكن الكهوف ، و تأكل البشر .

أسر بوليفيموس (٣) المجموعة ، و أمر الغلمان برعاية الماشية و الأغنام ، بينما بقى سيلينوس لخدمة هذا الكوكلوبس ، فيملأ أحواض شراب الأغنام ، و ينظف الكهف ، و يطهو الطعام . تدخل الجوقة و هى تسوق الأغنام ، و يحادث أحد الساتور تيسا شارداً و يطلب منه الحضور ، و لما يمتنع ، يغريه بالعشب و الماء ، فيقذفه بحجر ، و يخاطب ساتور آخر عنزة من القطيع ، كى يأخذها للحلب . ثم تتحد أصوات الجوقة و تنشد لباخوس ، و تتساءل ، أين هو ؟ لماذا لم يأتى ليرى خدمه و قد صاروا عبيدا للعملاق ذو العين الواحدة ؟ يأمر سيلينوس الغلمان بالكف عن الأناشيد، و الإسراع بإحضار القطيع تحت سقف الكهف الصخرى . تلفت الجوقة نظر الأب ، لوجود سفينة تمخر البحر ، يتأكد الأب أنها سفينة إغريقية ، ترسو على الشاطئ ، و بحارتهم و قائدهم قادمون نحو الكهف ،

---

١ – نعتمد فى تلخيصنا لهذه المسرحية :
أمين ، سلامة ، الموسوعة الكلاسيكية للمسرح اليونانى و الرومانى (مرجع سبق ذكره) ص ٣٢٧-٣٨٣ .

٢ – أحد المرافقين لديونيسيوس أى باخوس ، و هو عجوز يشبه إلى حد ما الساتير ، و لكن هذه الفئة تتميز بالحكمة و بادمان الشراب . و هم من أمهر عازفى الموسيقى، و لهم قدرة على التنبؤ . ربى مثل صديقة ديونيسيوس ، على جبل نوساnysa و هو من حيث الشكل يعتبر ذا سحنة فكاهية ، أصلع الرأس ، أفطس الأنف ، ذو لحية ، و كرش ضخم . لذا كان بطئ الحركة ، و مع ذلك كان مغرما باللهو و مضاجعة النساء و احتساء الخمر و الرقص و الغناء . كان مغنيا حلو الصوت ، و يقال أن الإله قد منحه خاصية تحويل كل ما يلمسه إلى ذهب . Tripp . Classical Mythology , (Op. Cit , P .524) .

٣ – أحد الكوكلوبس و العمالقة ذوى العين الواحدة . كان أكثرهم قوة .

يتحسر على القادمين ، إذ يعلم أن الوحش ذو العين الواحدة نهم للحم البشر ، فمصير هؤلاء ، كمصير غيرهم . يدخل اوديسيوس و معه بحارة السفينة ، و يسأل سيلينوس أن يدلهم على نبع الماء ، و أن يبيع لهم بعض الطعام ، و يعتقد بعد أن رأى سيلينوس و الجوقة ، أنه فى مدينة باخوس . يتقدم أوديسيوس و يعلن لسيلينوس عن شخصيته . يتعرف عليه العجوز سيلينوس، ثم يقص أوديسيوس عن سبب وجوده على هذه الجزيرة ، فقد هبت العواصف على سفينتهم ، و قذفت بها الأمواج الى هذا الشاطئ ، و يعلم أوديسيوس أنه فى أتنا ، أعلى قمة فى صقلية ، حيث لا مدينة و لا قلاع ، و لا بشر ، إن سكان المكان ، وحوش كاسرة ، كوكلوبس تعيش داخل كهوف ، حرفتهم الرعى ، و يأكلون الجبن و لحم الضأن ، و يشربون اللبن فقط ، ولا يعرفون زراعة الكروم ، و لا صناعة النبيذ ، و لا يغنون و لا يرقصون . و يتساءل أوديسيوس ، هل هم ديموقراطيين ، يزرعون القمح ؟ هل هم مضايفون ، يرحبون بالغرباء ؟ فتأتيه الإجابة مخيفة ، إنهم من أكلة لحم البشر ، و ما من غريب حل بصحرائهم هذا إلا و التهموه . يسأل اوديسيوس عن هؤلاء الوحوش ، فيعلم أنهم بعيداً ، فيطلب من سيلينوس قضاء حاجتهم من طعام و شراب حتى ينصرفوا . يعلن سيلينوس أن ما لديه لحم ضأن جاف ، و جبن دسم ، و زبد أشبه بالبحر ، و يتفق الاثنان على المقايضة ، إذ ليس مع أوديسيوس نقود ، إن معه خمراً حصل عليه من مارون (١) ابن باخوس ، و يتفقان ، الصفقة مقابل كاس ، و يملأ أوديسيوس الكأس ، و يعطيها لسيلينوس ، ليتذوق الخمر ، إنها بلا ماء ، و ما أن يرتشف الكأس ، حتى يترنم بلذتها ، و يعلن أنه يبيع الدنيا من اجل رشفة منها ، و ينصرف كى يحضر ما طلبه أوديسيوس .

يتجاذب أوديسيوس مع ساتور الحديث ، و تدور الأسئلة حول طروادة و أسر هيلينا ، و ماذا فعل الرجال بها ، ألم يغمد كل منهم نصلاً فى جسدها؟ يدخل سيلينوس مع عدد من الساتور يحملون الأوانى و الحملان ، و يقدموها لأوديسيوس ، يطلب سيلينوس من أوديسيوس الاختباء فى أحد الكهوف ، فيرفض اوديسيوس إذ أن الكهف هو المصيدة ، و الهرب أيضاً لا يتفق مع ما حققه من بطولات فى حرب طروادة .

يدخل الكوكلوبس ، فينتحى أوديسيوس و رجاله جانباً ، بينما يتسلل سيلينوس إلى الكهف .

---

(١) تقول بعض الأراء أنه أحد كهنة باخوس .

يوجه الكوكلوبس حديثه إلى الساتور و لماذا هم واقفون بدون عمل ؟ هل أنجزوا أعمالهم ؟ تنظر الجوقة نحو السماء ، فيتعجب الكوكلوبس من ذلك ، و لكن تعلن الجوقة أنها تنظر إلى زيوس ، حيث ترى منطقة أوريون و فيها سبعة نجوم . يسأل الكوكلوبس عن إفطاره ، و يطمئن إلى أنه جاهز ، و لكنه يسمع بعض الضوضاء ، و يرى أوديسيوس و رجاله ، ويرى الأشياء التى قدمها العجوز سيلينوس لاوديسيوس ، ثم يدخل سيلينوس مشجوج الرأس و كأنه ضحية اعتداء وسطو ، و يدعى أن أوديسيوس و رجاله هم الفاعلون ، المعتدون عندما منعهم من سرقة متعلقات الكوكلوبس، بل و يدعى أنهم يحتزمون شد وثاقه بالحبال وضربه بالسياط ، و أخذه معهم ليبيعوه لصاحب محجر ليحمل الأحجار الضخمة أو يعمل فى مطحن .

يطلب الكوكلوبس من سيلينوس تجهيز سكاكين اللحوم و إشعال النيران لشواء هؤلاء الآدميين ، حيث سئمت معدته لحوم الضوارى الجبلية . يؤيده سيلينوس .

يدافع أوديسيوس عن نفسه و رجاله ، و يؤكد أنه جاء ليشترى بعض الطعام و الشراب ، و أن سيلينوس قد باعهم إياهم نظير الخمر ، و أنه كاذب ، اختلق قصة ضربه لينجو من العقاب . يدافع سيلينوس عن نفسه ، مقسماً بكل الآلهة ، أنه لم يبع شيئاً . و لكن غلمانه يكذبوه ويشهدون ضده . يسأل الكوكلوبس الغرباء ، من أين أبحروا ؟ و ما هى دولتهم ؟ يجيب أوديسيوس أنهم من إيثاكا ، و أنهم جاءوا من أيليوم بعد تدمير المدينة . ليتأكد الكوكلوبس ، يسأل مرة أخرى هل هم الذين ذهبوا ليبحثوا عن هيلين التى هربت . و يعلن أنه عار جلبوه على أنفسهم ، إذ حاربوا من اجل إمرأة واحدة .

يتوسل أوديسيوس للوحش ألا يأكلهم ، فهم قد أسروا معروفاً لوالد الكوكلوبس ، إذ حافظوا على معابده فى كل مكان من بلاد الإغريق ، و يعدد أسماء المعابد ، ثم يسترشد بقانون الأمم ، الذى ينص على إجارة المتضرعين التائهين ، لا على أكلهم . ينصح سيلينوس الكوكلوبس بأكل لحم أوديسيوس ، و يشير بأكل لسانه أيضاً ، كى يكون لبقاً مثله . لا يهتم الكوكلوبس بأى قول قاله أوديسيوس ، و لا بزيوس ، فحين تمطر الأمطار يلجأ الى كهفه ، و حينما ترعد الرعود وتسقط الثلوج ، يتدثر بجلود القطيع ، و يوقد النار ، و يقدم الذبائح لنفسه ، و يعيش لنفسه. و يلعن القوانين التى تربك حياة البسطاء ، ثم يختتم قوله بأمر بالاستعداد للذبح .

يتحسر اوديسيوس على مصيره المنتظر ، فيستنجد بالآلهة كـــى تســـاعده فى الخروج من محنته هذه ، يسوقهم الكوكلوبس إلى الكهف ، بينمـــا الجوقـــة تتصور مصير أولئك الغرباء . يدخل أوديسيوس ، فـــاراً مـــن الكهـــف و مـــا يجرى فيه من أمور ، فقد أكل الكوكلوبس إثنين من رفاق أوديســـيوس ، بعـــد أن شواهما فى النار ، و تسأله الجوقة مزيداً من تفاصـــيل مـــا يجـــرى داخـــل المغارة . و يقص أوديسيوس ما جرى بتفصـــيل مقـــزز ، حـــول تصـــرفات الكوكلوبس مع فرائسه و ضحاياه . و ما أن فرغ من التهـــام طعامـــه ، حتـــى رقد على ظهره مستلقياً فى ارتخاء ، فقفزت إلى ذهن أوديسيوس فكـــرة تقـــديم دن من الخمر للكوكلوبس ، و بالفعل قدم له الخمر ، فارتشفها دفعـــة واحـــدة ، فأعطاه أوديسيوس كأساً ثانية و ثالثة بغرض أن يُفـــرط فـــى الشـــراب ، فـــلا يقوى على الحراك ، و ها هو يخرج من الكهف ليســـأل الجوقـــة ، إن كانـــت ترغب فى النجاة ، و إنقاذ نفسها . هل هم مستعدون للهـــرب معـــه ، خاصـــة و أن أباهم سيلينوس قد وافق على الخطة ، توافق الجوقة ، فيعـــرض علـــيهم اوديسيوس ما ينوى فعله ، إنه ســـيغرى الكوكلـــوبس بالبقـــاء فـــى الكهـــف ، و معه الخمر ، و عندما ينام ، سيشكل أوديسيوس جذع شجرة زيتون بســـيفه، كى يجعل طرفه مدبباً ، وسيضعه فى النار إلى أن يتوهج ، ثـــم يولجـــه فـــى عين الكوكلوبس حتى يحـــرق مقلـــة عينـــه . تســـعد الجوقـــة لهـــذه الخطـــة و تستحسنها ، بينما يستكمل أوديسيوس باقى الخطـــة ، إذ ســـيأخذ الجوقـــة ، و سيلينوس ، و من بقى من رجاله . تعلن الجوقة أنهـــا تـــود المســـاعدة فـــى حمل جذع الزيتون الملتهب . يدخل أوديسيوس إلـــى الكهـــف ، بينمـــا وقفـــت الجوقة فى الخارج . يسمع صوت الكوكلوبس و هو يغنـــى، ثـــم يخـــرج مـــع أوديسيوس فتغنى له الجوقة ، و هو فى قمة السعادة ، و يسأل أوديســـيوس أن يعطى اخوته بعضاً من هذا الشراب السحرى ، و لكن أوديسيوس يـــدعى أنـــه يحتفظ بهذا الشراب للكوكلوبس وحـــده . أدارت الخمـــر رأس الكوكلـــوبس ، فيهرج و يمرح ، و يود الذهاب إلى أخوته للسمر ، و لكـــن يقنعـــه كـــل مـــن أوديسيوس و سيلينوس بالبقاء فى مغارته .

تصل النشوة بالكوكلوبس إلى ذروتها ، و يُعلن أنه إكرامـــا لأوديســـيوس سيجعله آخر الرفاق الذين سيأكلهم . يطلب الكوكلوبس مزيـــداً مـــن الخمـــر ، فيتوج سيلينوس رأس الوحش باكليل من الورد ، كى يغطـــى عينيـــه ، و بعـــد حوار ماجن حول الخمر ، يمسك الكوكلوبس بسيلينوس ليمارس معه الجـــنس، فيستنجد سيلينوس بأبنائه ، ومع ذلك لم يستطع أحـــد نجدتـــه ، إذ يـــدخل بـــه الوحش إلى الكهف . يشحذ أوديسيوس همـــة الجوقـــة لتســـاعده ، فهـــا هـــى

الفريسة داخل الكهف ، خاصة و أن كل شئ معد و جاهز ، و من فرط الرعب تتخاذل الجوقة ، و يعتذر بعضهم عن عدم المشاركة ، فيقرر أوديسيوس الاستعانة ببحارته ، و يطلب من الجوقة إلقاء بعض الأناشيد الحماسية المشجعة ، فتبدأ الجوقة في نشيدها ، بينما يؤدى أوديسيوس و بحارته المهمة ، و ينجحوا فى فقأ عين الكوكلوبس ، الذى يصرخ من الألم ، و يدور الحوار بينه و بين الجوقة حول ما حدث ، و يعلن الكوكلوبس أن ذلك الغريب ، هو الذى قتله ، بعد أن أغرقه في الشراب ، و يسأل عن أولئك الغرباء ، فتدله الجوقة على موقعهم قرب الصخرة . يقفز الكوكلوبس، و يضرب رأسه على الصخرة ، فيهرب الرجال ، بينما يتألم الوحش من عنف الضربة ، و هكذا تتلاعب به الجوقة ، و توجهه توجيهات خاطئة ، حتى يهرب البحارة بعيداً ، و يعلن أوديسيوس عن نفسه ، و هنا يعترف الكوكلوبس بتحقق النبوءة التى قالت إن أوديسيوس سيصيب الكوكلوبس بالعمى ، و هو عائد من طروادة ، كما أن نفس النبوءة قالت إن أوديسيوس سيُعاقب إذ ستتقاذفه الأمواج سنين طويلة . يسخر أوديسيوس من نبوءة الكوكلوبس ، بينما يهدده الكوكلوبس بأنه سيقذف عليه صخرة تحطمه ، و تحطم سفينته ، بينما تغنى الجوقة فرحا بعودتها إلى أرض الوطن ، تاركة ذلك الوحش يتلمس طريقه وسط الصخور .

أهم ما يلاحظ على المسرحية :

أولاً : تاريخ عرض المسرحية :

هناك تضارب فى تاريخ العرض ، و إن كان بعض النقاد يرجع أنه حوالى عام ٤٢٣ ق.م .

ثانياً : أصل المسرحية (١) :

المسرحية معالجة ضاحكة لقصة أوديسيوس و بولوفيموس التى جاءت فى الأوديسا . فما هى هذه القصة :

---

١ - نعتمد فى روايتها على مصدرين :

الأول : Philip Whaley Harsh . A Hand book Of Classical Mythology . New American Library . New York . 1970

الثاني : أمين سلامة ، معجم الأعلام فى الأساطير اليونانية و الرومانية ، (مرجع سبق ذكره) ، ص ١١٦ ، ٥٦ – ٥٧ .

فى البداية ، الكوكلوبس هى حيوانات غريبة الشكل ، عملاقة الجسد ، مخيفة الشكل ، قوية البنية ، لكل منها عين واحدة فقط تتوسط جبهته .
و حمل لنا التاريخ قصتين عن هؤلاء الوحوش :
الأولى : أن أورانوس قد أنجب من جيا ثلاثة من هذه الوحوش هم ، أرجيس ، و برونتيس و ستيروبيس ، وقد خشى أبوهم من قوتهم فحبسهم فى تارتاروس ، إلى أن أفرج عنهم التيتانيس ، أفرج عنهم زيوس ، فشكلوا له الصواعق و الرعود و البرق ، لتكون فى خدمته ، و ظلوا يقومون بهذا العمل حتى قتلهم أبولون ، لينتقم لنفسه من زيوس الذى قتل ولده اسكليبيوس .
الثانية : أن بوسيدون و حورية البحر ثووسا ابنة فوروكس ، قد أنجبا أحد الكوكلوبس ، و أطلقا عليه اسم بولوفيموس . عاش هذا الابن مع غيره من الوحوش العملاقة وحيدة العين ، وسط جزيرة صقلية ، و فى كهوف جبل أتنا ، حيث يقومون بالرعى، و يتغذون بلحوم البشر و الضوارى . و فى يوم ما ، جاء العراف تيليموس ، ليعيش وسط هؤلاء الكوكلوبس ، و حذر العملاق بولوفيموس ، بأنه سيفقد بصره يوماً على يدى رجل غريب يدعى أوديسيوس . لم يكترث العملاق بهذه النبوءة ، و عاش حياته .
بعد سنوات ، ألقت الريح بسفينة أوديسيوس و رجاله الاثنى عشر ، على شاطئ قبرص ، و عند سفح جبل أتنا . خرج أوديسيوس مع رجاله بحثاً عن الطعام ، لجأت المجموعة إلى أحد الكهوف حيث وجدت مأربها .
عاد بولوفيموس إلى كهفه ، ليجد هؤلاء الغرباء ، و قد أكلوا من مخزون الجبن ، فقبض على اثنين منهما و قتلهما و أكلهما ، ثم قام بحبس الأخرين فى الكهف ، بعد أن وضع على مدخله صخرة ضخمة ، كى يمنعهم من الهرب ، إلى أن يعود ليلتهم منهم عدداً آخر .
كان قائد الأغراب قد ادعى أن اسمه نوبودى ، لا أحد ، كما أعلن أنه و رجاله بحارة من بلاد الإغريق ، رست سفينتهم قرب الشاطئ .
فكر أوديسيوس فى طريقة للخلاص هو و رجاله من هذا المأزق ، و هداه تفكيره إلى الحل ، إذ قدم بعضاً من النبيذ القوى

الذى كان معه للعملاق بولوفيموس ، فشرب منه حتى الثمالة ، و لم يفق إلا و الرجل قد فقأ عينه الواحدة . هاج الوحش ، و أزاح الصخرة التى تسد منفذ المغارة، كى تخرج أغنامه ، و وقف وسط المنفذ يتحسس الخراف و الكباش المارة ، حتى يتأكد من أن الغرباء لم يهربوا . لجأ أوديسيوس مرة أخرى للحيلة و الدهاء ، إذ ربط كل ثلاثة كباش معا ، و أمر رجاله بالتعلق تحت بطن الكبش الأوسط و فعل هو مثلهم ، و بذلك تمكن من الهروب هو و رجاله ، و ما أن وصلوا إلى سفينتهم حتى استعدوا للرحيل . صرخ بولوفيموس طالباً النجدة ، و لما وصل رفاقه سألوه عمن فعل به ذلك ، فأجابهم أنه نوبودى (لا أحد) ، فتركه الرفاق ، و هم متأكدون أنه إذا لم يفعل ذلك أحد ، فلا بد و أن يكون الفاعل أحد الآلهة .

صرخ أوديسيوس قبل إقلاع سفينته منادياً بولوفيموس ، ليعلن له أن اسمه الحقيقى أوديسيوس و ليس نوبودى ، و هنا تذكر الوحش النبوءة التى حذرته ، و لكن فات الوقت ، و هاج العملاق، و أخذ يقذف الصخور الطائشة علها تصيب السفينة ، ثم صلى لوالده بوسيدون كى يعاقب أوديسيوس ، و يمنع عودته إلى وطنه قبل عشر سنوات .

ثالثاً : المنظر الذى تجرى فيه الأحداث :

أمام أحد الكهوف العديدة فى جبل أتنا فى قبرص .

رابعاً : أهداف الفكرة الرئيسية :

١ - يجب على الإنسان ألا يستسلم لمصيره ، و ييأس من الخلاص ، بل عليه أن يحاول قدر استطاعته لكى يفلت من مصيره .

٢ - منح الله الإنسان العقل ، و الوسائل الطبيعية التى تُعينه فى الدفاع عن نفسه ، و على قدر نجاح الإنسان فى استخدام عقله ، و تسخير تلك الوسائل الطبيعية ، يتوقف خلاصه و نجاته . فقط عليه اختيار أنسب هذه الوسائل ، و الوقت الملائم لها .

٣ - إن الحذر و الحرص يجنبان الإنسان الوقوع فى المأزق ، فعلى الرغم من قدرة العملاق و قوته ، أصبح صيداً سهلاً لإنسان أقل منه قوة و حجماً ، و لكنه أكثر دهاءاً و مكراً .

٤ - كيف يأمن الإنسان ، و خاصة ذلك الوحش للغرباء و هناك نبوءة تحذره من أن أحداً منهم سيفقأ عينه .

خامساً : المناقشة و التحليل :

١ - هى المسرحية الساتورية الوحيدة التى وصلتنا كاملة .
٢ - سبق لكل من ايبخارموس و كراتينوس ، تناول هذا الموضوع .
٣ - لم يلتزم الشاعر التزاماً حرفياً بالقصة الأصلية ، بل أدخل بعض التعديلات ، و أضاف بعض الإضافات . أهم هذه التعديلات :

أ - إن شخصية سيلينوس و غلمانه الساتير لم تكن ضمن القصة الأصلية ، بل أضافها الشاعر .
ب - كثف الشاعر الحدث ، فاستغرق وقوعه يوماً واحداً ، بدلاً من امتداده لعدة أيام .
ج - لم يفقد أوديسيوس سوى اثنين من رجاله .
د - الغى الشاعر الصخرة الضخمة التى استخدمها بولوفيموس لسد فتحة الكهف ، برغم أنها من معالم القصة الأصلية ، مما جعل قصة هروب أوديسيوس و رجاله تختلف تماماً عن طريقتهم فى القصة الأصلية ، أى لم تكن أسفل الكباش .

و ربما وضع الشاعر مثل هذه التغييرات ، من أجل الضرورات الحرفية ، و كى يُسهم فى تقديم عرض مسرحى سهل ، لا تكتنفه صعوبات تقنية .

و تمشيا مع روح المسرحية ، ربما أشفق الشاعر على شخصية أسطورية مثل أوديسيوس من الهرب أسفل الكباش ، مما يقلل من شأنه . و قد يتفق هذا التفسير مع سلوك أوديسيوس حينما علم بقدوم الوحش ، فلم يفر جبناً ، كذلك فى فقأ عين الكوكلوبس الوحيدة .

(و وضعه و هو البطل الهومرى وسط شخصيات غير مأساوية).

٤ - اتفق الشاعر مع القصة الأصلية فى مسألة فقأ عين بولوفيموس ، إذ أن التفكير فى ذبح الوحش ، كان سيعقد الأمر ، إذ يتعذر على الرجال زحزحة الصخرة ، و بالتالى يستحيل عليهم الهرب . و هكذا استخدم أوديسيوس الحيلة المناسبة بذكاء و دهاء ، بعد تقدير كافة العواقب .

٥ - قام سيلينوس و غلمانه بإشباع رغباتهم بدعابات شائنة ، كما وضع الشاعر على لسان الكوكلوبس بعض الألفاظ البذيئة .

٦ - يعود الشاعر مرة أخرى لإدانة هيلينا على لسان الوحش البربرى بولوفيموس ، حينما اعترض على قيام الحرب بين مدينتين من أجل امرأة غير محتشمة ، خائنة ، كما جعله يبدى رأيه ضد الآلهة ، وضد البشر و ماديتهم ، و كأنه فيلسوف من فلاسفة الشك.

٧ - جعل الشاعر واحداً من أبطال حرب طروادة ، يأسف لقيامها بطريق غير مباشر ، إذ جعله يصف ما حل بالإغريق المنتصرين من خراب ، و ربما هذه هى المرة الثانية التى يُشير الشاعر إلى مثل ذلك فى مسرحية الطرواديات :

أوديسيوس : ... جردت أرض بريام أرضنا الهيلينية بما يكفى ، بشرب دماء ألاف من القتلى ، و كذلك بترميل الزوجات ، و سلب الأمهات و الآباء ذو الشعور البيضاء من أبنائهم .

٨ - المسرحية بسيطة الحبكة ، مليئة بالمواقف المسرحية التى تثير الضحك ، (هذا يتوقف على دقة الترجمة من اللغة الأصلية و تمكن المترجم حتى يعطى أبعاد الموقف صحيحة) .

و يمكن أن نلاحظ أن المسرحية أقرب إلى المأساة منها إلى الفكاهة القديمة ، الخلاف الوحيد الذى يميزها عن المأساة ، هو أناشيد و أغانى الجوقة الأقل تعقيداً . فقد حفلت المسرحية بأربعة أغانى كورالية ، تقسم المسرحية إلى أخمسة أقسام ، إذ تفتتح المسرحية بمقدمة قصيرة ، يتبعها دخول الجوقة بأغنية باروديـة ساخرة ، حيث يخاطب ساتور جدياً متوسلا إليه أن ينزل ، بينما يخاطب ساتورا آخر عنزة ، ثم يغنى الجميع لباخوس و أفروديتى .

أ - يبدأ الأبيزود الأول (المشهد التمثيلى الأول) بدخول أوديسيوس ، و هنا يبدأ الحدث الدرامى ، ثم يتعقد الحدث بدخول الوحش بولوفيموس ، الذى يكتشف أن سيلينوس يتاجر بممتلكاته من الطعام و الشراب .

و فى مشهد حوارى مسلى يدافع سيلينوس عن نفسه ، و ينتهى هذا الحوار بمشهد المحاكمة اليوريبيدية ، و بإدانة أوديسيوس

و الحكم عليه ، و توسله و صلاته لأثينة و زيوس ، ينتهي الأبيزود الأول .

ب - يبدأ الأبيزود الثانى برواية أوديسيوس عن ذبح و التهام اثنين من رفاقه البحارة ، ثم عرض خطته السرية التى وضعها للانتقام من الوحش ، و تتلخص القصة فى أنه سيسكر الوحش حتى تخمد حركته ، ثم يفقأ عينه الوحيدة .
يتخلل هذا الجزء ، أغنية كورالية من بحر الأنابسط ، يبنها تغيير فى الأبيات و المقاطع الشعرية مع الوحش المترنح .

ج - تعمد الشاعر إظهار بولوفيموس على المسرح فى هذا المشهد، كى يطلع الجمهور على الحالة التى وصل إليها الوحش ، و يقصد إثارة الضحك على حركات و سلوك العملاق السكران ، فلو استبعدنا هذا المشهد ، لما تأثر السياق.
و فى الحقيقة ترجع أهمية المشهد ، فى كونه لإثناء الوحش و إقناعه بعدم استدعاء رفاقه فى المغامرات الأخرى ليشاركوه سعادته ، إذ لو حضروا لتعقد الأمر ، و ما تمكن اوديسيوس من تنفيذ خطته ، و لأكلت الوحوش المجتمعة هؤلاء الغرباء .
و ينتهى هذا الجزء بخلوة الوحش بسيلينوس ، و صلاة أوديسيوس للآلهة من أجل نجاح خطته .

د - تنشد الجوقة أنشودتها حول ما سيقع ، و هنا يدخل اوديسيوس لدعوة الساتير لمشاركته المغامرة ، و يفوا بوعدهم و يساعدوه ، و تتقاعس المجموعة خوفاً ، مفضلين الجبن على الشجاعة المهلكة . يفضل أوديسيوس الاستعانة ببحارته ، و فى فترة اختفائه، تنشد الجوقة أغنية قصيرة .

٩ - فى نهاية المسرحية يجعل الشاعر من بولوفيموس إلهاً يختم المسرحية ، حيث يعود لتذكير أوديسيوس بباقى النبوءة ، و يروى ما سيحل به من مصائب .

سادساً : الجوقة :

مجموعة من الساتورى أتباع ديونيسوس ، الغريبى الشكل . دورهم حيادى ، و إن اتصلت أناشيدهم بالموضوع صلة وثيقة.

سابعاً : الحوار :

١ - حفـل بالعبـارات الإغريقيـة السـائدة وقتهـا ، كالديموقراطيـة و العدالة .

٢ - به كثير من التوريات و الرموز خاصة فى أغنيات الجوقة .

٨ ـ المستجيرات (١) :

تبدأ المسرحية بمقدمة استهلالية تُلقيها ايثرا ملكة أثينا ، و فيها تناجى ديميتر ربة معبد اليوسيز (٢) و سدنتها ، و تطلب منهم إسعادها ، بالاستجابة للنسوة المتضرعات القادمات من أرجوس ، يحملن غصون الاستجارة ، إنهن الأمهات اللاتى ثكلن أبنائهن السبعة ، الذين استشهدوا على أبواب كادموس ، إنهن يطلبن فقط جثث أبنائهن ليدفنها ، و يأبى أهل طيبة المنتصرون الاستجابة للطلب . لقد قدم معهم ادراست ، ملك أرجوس متوسلاً ، كى يساعده ملك أثينا فى الحصول على هذه الجثث . و تستمر ايثرا فى سرد سبب مجيئها ، و ما فعلته لهؤلاء النسوة، إنها أرسلت مناديا الى المدينة ليأتيها بتيزيه (٣) ملك أثينا كى يرفع عن هذه الأرض هذا المشهد الأليم ، و يعمل ما يُرضى الآلهة .

بعد هذه المقدمة ، تبدأ الجوقة فى الإنشاد ، متضرعة للآلهة كى تساعدهم فى استلام جثث الأبطال الصرعى فى الحرب ، تطلب الجوقة من بعضهن لطم الخدود حتى تدمى الجلود .

يدخل تيزيه متسائلاً عمن يبكى ، و يتوجس أن يكون مكروهاً قد أصاب أمه ، و يندهش لتجمع نساء حلقن رؤسهن حول أمه الكبيرة . تطمئنه ايثرا ، مشيرة إلى أمهات الأبطال ، اللائى فقدن أبنائهن ، جئن مستجيرات بها ، و معهن ملك أرجوس ادراست ، و أبناء الأبطال . يطلب تيزيه من ادراست الكلام . يبدأ الملك فى سرد القصة التى وردت فى المقدمة ، و يطلب منه أن يتشفع له عند أهل طيبة ، و أن يُسهم فى دفن قتلاهم . و يسأله تيزيه عن سبب إرسال سبعة جيوش لمحاربة طيبة ، فيرد أدراست ، إنها من أجل إرضاء صهره تيديه و بوليذيس من أهل طيبة ، و تنفيذاً لنبوءة ابوللون . و فى استنكار ، يتعجب تيزيه ، لاتباع أدراست لنبوءة المتنبئين و عرافة العرافين .

---

١ – نعتمد بصفة أساسية فى تلخيصنا لهذه المسرحية على ترجمة :
على حافظ ، المستجيرات لأشيل و أبناء هرقل ليوريبيدس ، (مرجع سبق ذكره).

٢ – مدينة قديمة فى اتيكا ، كان بها معبدا لديميتر .

٣ – ترجم البعض هذا الاسم ثيسيوس ، و هو ابن ايجيوس ملك أثينا و أثيرا . كما ترجموا أدراست بادراستوس ، و هو ابن تيلاوس ملك أرجوس .

و يدور الحوار حول هذا الفعل ، و ينبه تيزيه ضيفه أدراست إلى خطأه . يركع الملك على قدمى تيزيه ، مستعطفاً أن يستجيب لمطلبه ، و مطلب الأمهات اللائى ثكلن أبنائهن . و يتطرق حديث أدراست حول اسبرطة (أرض بيلوس) ، و يتهمهما بالخيانة ، بالإضافة إلى صغرها كدولة و ضعفها ، و يعقد مقارنة بين هذا الضعف و قوة تيزيه وأهله . تـ.. ـاند الجوقة أدراست فى مطلبه متوسلة لتيزيه .

تجد توسلات الغرباء بعض القبول لدى تيزيه ، و لكن قبل أن يعلن موافقته ، يبدأ ، و فى حوار فلسفى ، يناقش الموضوع برمته ، و ينتهى إلى أن الملك أدراست مغرور ، و قد ضل الصواب حينما زوج بناته إلى أغراب، و حينما قاد أهل أرجوس أيضاً إلى حرب ظالمة ، أودت بخيرة شبابها ، من أجل إرضاء نزوة من يتطلع إلى القيادة و الحكم . ثم يستعرض طبقات المجتمع و يصنفها إلى ثلاث طبقات ، غنية لا خير فيها ، و فقيرة ناقمة و حاسدة لطبقة الأغنياء ، و وسطى و هى حارسة الأمة ، و حامية النظام الذى اختارته هذه الأمة . و هنا تتدخل الجوقة ملتمسة العذر لخطأ العجوز أدراست ، بينما يعلن الرجل عن استياءه المغلف لانتقادات تيزيه ، ثم يطلب من النسوة الانصراف معلناً أنه أشهد الآلهة و دعاها بلا فائدة .

و تعود الجوقة لتذكير تيزيه بصلة الرحم و الدم ، و تطالبه بالوقوف معهن فى محنتهن و تدعو الأم كى تضغط عليه ، فتتوسل ايثرا إلى تيزيه كي يرحم المستجيرات ، و يجبهن إلى طلبهن .

و لكن ، يفكر تيزيه قليلاً ، و يدور حوار بينه و بين أمه حول المطلب الملح ، و توصيه برعاية حقوق الآلهة ، و نصرة المظلوم ، و تذكره أن فى ذلك مجده و شرفه ، إن استجابته تعنى نفاذ شريعة الإغريق ، و احترام القوانين ، و فى ذلك قوة له و لمدينته . و تحذره من مغبة التقاعس ، و ما سوف يجره عليه من تهكمات و اتهامات تضر به و بسمعته ، و بسمعة أهله، ثم تختم حوارها مذكرة إياه بالحكمة القائلة ، إن الله مبدل كل شئ ، و الدائرة تدور على الباغى . تثنى الجوقة على قول و حكمة ايثرا ، كذلك يثنى عليه تيزيه ، و يخضع لكلام أمه ، و يمتثل لنصحها . سيحاول إقناع أهل طيبة بالإفراج عن جثث الموتى ، فإن رفضوا ، فليكن حد السيف هو صاحب القرار ، و يعلن أنه سيستشير شعبه أولاً و يشركه فى الأمر . ثم يستأذن النسوة فى أن يأخذ أمه إلى بيت ايجييه معلناً حبه و ولاءه لوالديه ، و أن من أحب والديه و أطاعهما ، احبه و أطاعه أبناءه . تعلق الجوقة على قول تيزيه ، و تعجب برعايته حق الله ، و حرمات بلاجيا الكبرى ،

و أرجوس ، ثم تتساءل ، ماذا ستقرر المدينة من أجلها ، و تدعو مدينة باللاس ولية العهد ، كي تحفظ القوانين الإنسانية ، و تنصر المظلوم ، و تأخذ بيد المسكين .

يوصى تيزيه أحد رسله بالذهاب إلى ملك الكادميين ، و ينقل له رسالته التي تتناول مطلبين :

الأول : الموافقة طواعية على تسليم الجثث لدفنها .

الثاني : إذا رفض ، فإن تيزيه مضطراً سيأتي على رأس حملة من المقاتلين.

و قبل أن يتم تيزيه كلامه ، يدخل المنادى ، و هو رسول من عند كريون ملك كادموس ، و يسأل عن الطاغية الحاكم لهذه الأرض ، فتأتي إجابة تيزيه بمفهوم سياسى معبر تماماً عن الديموقراطية الإثينية وقتها . يواصل الرسول سرد رسالته ، فهو قادم من كادموس ، حيث الملك الفرد يحكم دون العامة ، و فى معرض حديثه ، يوجه اللوم للخطباء لتقلب أهوائهم و مواقفهم ، ثم يرد على حكمه و مقولة تيزيه بحكمة أخرى . إنها مباراة كلامية بينهما حول الحكم و أصوله ، و مدى ما يصيب البلد من الحكم الاستبدادى للفرد الواحد ، الذى يحكم بإرادته دون قوانين عامة ، مما يجعل حكمه غير عادل ، و يقرر تيزيه فى النهاية أن سيادة الشعب أفضل من سيادة طاغية . و ينهى حديثه بالسؤال عن مضمون رسالة الملك كريون .

يبدأ الرسول فى طرح فحوى الرسالة التى حملها فهى :

أولاً : كإرادة شعب كادموس ، يجب على تيزيه عدم استقبال أدراست فى طيبة .

ثانياً : إن كان موجوداً بالمدينة فعلى تيزيه طرده قبل الغروب .

ثالثاً : عدم إقامة وزن لأغصان الاستجارة .

رابعاً : لن تسلم كادموس القتلى .

خامساً : يحذر المنادى تيزيه من التدخل فى الأمر ، و إلا قامت الحرب بين طيبة وأثينا .

بعد هذه المطالب التى تنم عن غطرسة و كبرياء ، يطلب الرسول من تيزيه ألا يغضب منه ، و أن يتدبر الأمر بالروية و دون تهور ، و يرجوه أن يتمسك بالسلم ، لأن الحرب مهلكة للطرفين .

تعلق الجوقة على تجبر حامل الرسالة ، و يسبه أدراست ، بينما يطلب تيزيه من أدراست الصمت و يدعه يرد على كريون ، و بالفعل يبدأ تيزيه فى الرد بالترتيب :

أولاً : إنه يرفض ما يدعيه الرسول من سلطان كريون على الأثينيين و فرض رأيه عليهم .

ثانياً : إن ما طالب به ، إن هو إلا حق لكل الهيلينيين ، حق دفن الموتى . إنه لم ينادى بحرب

ثالثاً : إن الموتى نالوا جزائهم ، فقد خسروا حربهم و فقدوا حياتهم ، فلا خوف منهم إن دفنوا .

رابعاً : إن لم يوافق كريون على دفن جثث الأبطال ، سيدفنهم غصباً و بالقوة .

يعود المنادى الى الغطرسة و الرفض ، بينما يتمسك تيزيه بما ينوى فعله ، و يطرد المنادى ، و يعلن التعبئة ، فلن تحل القضية بغير الحرب . ثم يطلب من أدراست البقاء فى طيبة ، أما هو فسيحارب تحت مظلة العدل و الحق و بعون الآلهة .

تنشد الجوقة نشيدها حول مأساة الحرب الجديدة ، و تتضرع لزيوس كى يكون حليفاً لتيزيه . و ما أن تنتهى الجوقة من نشيدها ، حتى يدخل رسول يحمل أنباء انتصار تيزيه ، و سلامة جيش الأثينيين . و تطالب الجوقة الرسول بمزيد من التفاصيل ، فيبدأ الرسول فى سرد ما جرى فى المعركة ، مؤكداً أنه رأى ما يحكى عنه رؤية العين ، و لم يسمعه من أحد ، و قد أفاض فى سرد روايته ، و لم يترك شاردة أو واردة إلا و ذكرها فى تفصيل شديد . تعلن الجوقة عن فرحتها بما حل بأهل كادموس ، نتيجة ظلمهم و بغيهم ، كذلك يعترف أدراست بأن ما من قوة إلا و تغلب و تقهر. ينتهى الرسول بالإعلان عن قيام تيزيه بنفسه بدفن جثث الموتى عند تلال الكيثايرون ، قرب صخرة اليثيريس الظليلة . و فى محاورة بين الجوقة و ادراست حول المصاب الأليم للأبطال السبعة ، يلوم أدراست نفسه لتزويج بناته من غرباء وفقاً لنبوءة أبوللون .

يدخل تيزيه ليخاطب الجوقة و أدراست ، و يطلب من أدراست أن يحكى لشعب أثينا عن بطولة أولئك الذين لقوا حتفهم ، و يستجيب أدراست فيحكى عن كابانيوس (١) الغنى ، الذى لم يغيره غناه ، فعاش بساطة الفقراء، و كان وفياً لأصدقائه ، صادقاً ، عف اللسان ، أما ايوثوكل فكان

---

١ – أو كابانيه ، و هو ابن هيبونوس و ابن أخت ادراست و زوج ايفادنيه ، و أحد القواد الذين حاربوا طيبة . تطاول على زيوس و أدعى و هو يتسلق حائط القلعة ، إن أحداً لا يستطيع أن يوقعه ، و لا زيوس نفسه ، فأرسل إليه زيوس صاعقة صعقته .

فاضلاً ، بدأ حياته فقيراً ، و قد تعفف عن كسب المال ، كان يكره المخطئين . و بالنسبة لثالثهم هيبوميدون ، فقد كان منذ نعومة أظافره شجاعاً، محباً للعمل و الصيد و ركوب الخيل و الرماية ، و بذلك هيأ نفسه ليكون قوياً نافعاً لوطنه . و رابع القواد بارثينوبايوس بن اتالانت الصيادة ، كان جميل الصورة ، و هو من اركاديا ، و عاش فى أرجوس و بين أهلها كواحد منهم ، و حارب فى جيشها ، يفرح لانتصارها ، و يحزن لهزيمتها . و خامس هؤلاء هو تيديه ، مقدام فى الحرب ، واسع الحيلة ، محباً للمجد . ثم يستعرض ادراست بعض مسائل الفلسفة الاجتماعية حول التعليم و التعلم، و الشجاعة و ما إلى ذلك من أمور شغلت المجتمع وقتها . و يستكمل تيزيه ما بدأه ادراست حول ابن ايكليوس النبيل الذى ابتلعته الأرض حيا هو و عربته ، و يثنى على بولينيس بن أوديب .

يدعو ادراست الأمهات للاقتراب من الجثث ، و لكن تيزيه يرفض حتى لا يُزيد الأمهات عذاباً ، فيعود ادراست إلى التعليق و نبذ الحروب و الدعوة إلى السلم .

تبدأ الجوقة فى العويل على الأبناء ، و ما صار إليه حال الأمهات ، بلا ولد و لا خلف و لا سعادة ، أمهات الأبطال أصبحن شقيات ، عليهن حلق شعرهن و العيش على ذكرى الأولاد ، باكيات ، دامعات العيون . تعلن إحدى الأمهات أنها ترى مرقد كابانى و قبره المقدس ، و ترى مقام الشهداء الذى شيده تيزيه للقتلى خارج المعبد ، كما ترى زوجة كابانى الذى أحرقته الصاعقة ، و هى بنت الملك ايفيس ، و قد نصبت صخرة شاهقة تطل على البيوت و تخترق الطريق .

تظهر ايفادنيه فوق الصخرة ، و تتذكر يوم زفتها أرجوس بأناشيد سعيدة زوجة لكابانيه ، و يوم أن تُلقى بنفسها من أعلى الصخرة كى يلاقى حطام جسدها جسد زوجها فى النار . تعلن الجوقة قدوم ايفيس والد ايفادنيه، الذى أتى ليسأل الجوقة أن ترحم شيخوخته ، فهو قد أتى ليُشيع جثة ابنه اتيوكل ، و يبحث عن ابنته التى اختفت من المنزل ، و يتساءل هل رآها أحد .

ترد ايفادنيه على أبيها مندهشة لسؤاله ، فها هى فوق الصخرة تحلق كالطائر فوق نار كابانيه ، فينتبه ايفيس ، و يسألها عن سبب وجودها هنا و قد زينت جسدها ، و فى إصرار ، تُجيب الفتاة أباها ، أنها ستموت بجوار زوجها ، و يرفض الأب هذه الفكرة ، و مع ذلك تلقى الفتاة بجسدها إلى حيث انتوت ، يجزع ايفيس لمصير ابنته و ولده ، و يتمنى لو كان للإنسان

فرصتين ، يعيش شبابه مرتين ، و شيخوخته مرتين ، فإن أخطأ فـي الأولـى أصلح خطأه فى الثانية . و يتألم العجوز على ما أصاب أولاده مـن مكـروه ، و يتسائل كيف يذهب إلـى داره ، إنهـا خرابـة الآن ، و حتـى دار كابانيـه أصبحت مثل داره . يختم ايفيس حديثه بأن البنات أكثر عطفـاً علـى أبـائهن من الأولاد ، و يلعن الشيخوخة و أولئك الـذين يسـعون بالسـحر و الـدواء لإطالة أعمارهم .

تنادى إحدى نساء الجوقة الأبناء كى يحملنهـا لتـرى جنـازة الأبنـاء ، و يتقدم الأطفال و فى أيديهم وعـاء صـغير يحـوى ركـام الأب ، و يعلـن الأطفال أنهم أيضا أشقياء ، فهم يتامى ، لا أب يضـمهم إلـى صـدره ، ثـم يُناجى الأطفال بقايا الأباء ، و يتمنوا لو كبـروا ليأخـذوا بالثـأر ، و تغـذى الجوقة هذا الأمل .

يدخل تيزيه مخاطباً ادراست و نساء أرجوس و الأطفال السـبعة مطالبـاً اياهم ألا ينسوا فضله و فضل مدينته ، بل و يطالبهم بتلقين أبنائهن عـن هـذا الصنيع ، و أن يعلموهم تمجيد أثينا . يرد ادراست على تيزيه بـأنهم ذاكـرين فضله ، و لن ينسوا جميله و معروفه .

تظهر أثينة منادية تيزية ليسمع نصحها ، إنها تطالبه بعـدم تسـليم رمـاد الأجساد لأبناء الأبطال ، قبل أن يوقعـوا المواثيـق بـين أرجـوس و أثينـا ، و قبل أن يقسم ادراست اليمين نيابـة عـن أرض الـدانائيين ، بـألا تعتـدى أرجوس على أرض أثينا ، و إن اعتدى أحد عليها ، وقفوا معهـا و ناصـروا أهلها .

تطلب أثينا من تيزيه أن ينحر ثلاثة من الغـنم فـى الوعـاء ذو القـوائم الثلاثة ، الذى أوصى به هرقل ، و اقترح وضعه إلى جـوار المحـراب فـى دلفى ، و أن يأخذ دم الغنم و يكتب به القسم فى صـفحة الإنـاء ، ثـم يـودع الإناء فى المعبد ليحفظه ابوللون ، و ليكون شاهداً على هذا القسـم و العهـد . و تستمر أثينا فى نصحها ، فتأمر تيزيه بدفن السكين الذى يذبح به الغـنم فـى جوف الأرض ، التى أحرق فيها جثث الأبطـال ، و عليـه أن يتـرك هـذه الأرض كبقعة مقدسة بجانب الطريق المثلث المؤدى إلى آلهة البـرزخ . و مـا أن تنتهى من نصح تيزيه ، حتى توجه حديثها إلى أبناء أرجـوس ، و تطلـب منهم عندما يكبروا ، مهاجمة طيبة و غزوها ليأخذوا بثـأر أبـائهم ، و تعلـن أن الآلهة ستؤازرهم .

و فى نهاية المسرحية ، يمتثل تيزيه لنصح أثينـة ، و يعلـن أنـه سـيقيد ادراست بقسم ، و يطلب منها أن تحفظـه فهـى حاميـة مدينتـه ، و تخـتم

المسرحية بمطالبة ادراست بحلف اليمين لتيزيه و لمدينة أثينا جزاء ما قدموه لهم من خدمات .

أهم ما يلاحظ على هذه المسرحية :

أولاً : تاريخ عرض المسرحية :

هناك رأى أنها عُرضت ٤٢٢ ق.م ، أما الرأى الآخر فيرى أنها عرضت عام ٤٢١ ق.م ، و هناك من يرى أنها قدمت عام ٤٢٤ ق.م. و الرأى الغالب بين الدارسين أنها مسرحية مجهولة التاريخ .

ثانياً : أصل المسرحية :

تدور حول الحرب التى اشتركت فيها أرجوس ضد طيبة ، لمساندة بولينيكيس عندما طرده أخوه اتيوكليس بعد أن وعده أدراست بالمساعدة فى استرداد حقه فى الحكم . و بالفعل جهز أدراست الحملة التى عرفت باسم السبعة ضد طيبة ، و التى فشلت فى الانتصار على طيبة ، ومات قواد الحملة ، و لم ينجو منهم إلا أدراست ، و يصور لنا الشاعر ما حدث بعد الهزيمة . إن نفس ما حدث لأرجوس قد حدث مع أثينا يوما عندما هزمتها طيبة فى معركة ديليوم .

ثالثاً المنظر الذى تجرى فيه الأحداث :

ساحة من ساحات مدينة اليوسيز ، حيث معبد و محراب الإلهة ديميتر. تُحيط الصخور بالمكان ، و يمكن تمييز صخرة عالية تطاول ارتفاع المعبد .

رابعاً : أهداف الفكرة الرئيسية :

١ - إن المسرحية تدور حول ما تسببه الحروب من مآسى و دمار ، سواء للأفراد أو الأمم ، و بذلك جسد الشاعر بشاعة هذا الفعل فى العديد من المسرحيات ، و من بينها هذه المسرحية .

٢ - التأكيد على القيم الأخلاقية التى سادت العصر ، و على الأخص إغاثة المستجير ، و نصرة الحق .

٣ - تمجيد الديموقراطية الأثينية ، و التباهى بها على أهل غيرها من المدن .

٤ - تأصيل حب الوطن فى نفوس المواطنين .
٥ - الوفاء لذكرى الموتى ، و الوفاء الزوجى ، فها هى ايفادينه تلقى بنفسها فى محرقة زوجها كى تلقى نفس مصيره .

خامساً المناقشة و التحليل :

١ - إن هذه المسرحية ، توحى لقارئها بأن كاتبها قد صاغها ليذكر مدينة أرجوس بتعهدها و التزامها الذى قطعته على نفسها لأثينة ، كما يذكرها بالعداوة القديمة بينها و بين طيبة . اتسمت المسرحية بنقدها اللاذع لطيبة ، و تلك اللغة الحادة و النبرة القاطعة لأرجوس . كذلك قد يبرهن على أن تاريخ كتابة المسرحية هو عام ٤٢١ ق.م ، و هو الزمن الذى تم فيه التحالف بين أرجوس و بؤتيا ، أعداء أثينا تضمنت المسرحية مديحاً لبطولة أثينا التى قمعت من عداها .
٢ - إن المشهد الافتتاحى تكرر و بنفس الأسلوب فى مسرحيات أبناء هرقل ، هرقل . و يمكن إضافة مشهد استجارة كل من اندروماخى و هيلينى فى المسرحيتين اللتين تحملان نفس الاسم .
٣ - أن تحليل تيزيه لقضية أدراست قد ساده المنطق ، و لم يتأثر فيه بأية مؤثرات عاطفية . و قد انتهى هذا التحليل الى عدة نتائج تتفق و منطق تيزيه :
أ - إن اشتراك أدراست و معه جيش أرجوس فى الحرب ضد طيبة ، كان خطأ كبيراً منه ، إذ أنه عارض مشيئة الآلهة ، و أيد الشباب الطامحين الطامعين .
ب - ليس هناك أسباباً ملحة تجعل أثينا تُشعل حرباً بينها و بين طيبة من أجل أرجوس ، لا سيما و أنه ليس هناك حلفاً بين الدولتين ، يجعل أثينا تهدر دماء أبنائها من أجله .
٤ - برغم تدخل الأم اثيرا كى تقنع ثسيوس ليتدخل لاستعادة الجثث السبعة ، مستخدمة فى ذلك منطق العدل و الشرف ، و مذكرة اياه بالتعاليم الدينية و التقاليد المرعية ، و برغم موافقة ثيسيوس حتى لا يُغضب أمه ، إلا أنه مقتنع بمنطقه ، و بما وصل إليه من قرارات .
٥ - لام ثسيوس ضيفه ادراست لأخذه بالعاطفة ولم يحكم العقل و المنطق ، فها هو يقول فى السطر ١٦١ :

شيوس : اتبعت الشجاعة ، و تصاممت عن العقل و الرأى .
و برغم هذا اللوم ، نجد شيوس يفعل نفس الشئ بعد تدخل الأم .

٦ - رغم ما وجهه ادراست من اتهامات للشباب ، فهو يثنى على تيزيه كقائد شاب شجاع ، بل و يمتدحه . و قد وضح ذلك فى السطور ١٩٠-١٩١ إذ يقول :

ادراست : ......مدينتك ترعى الرحمة ، و أنت راعيها البطل الشاب .

٧ - المسرحية ككل ، ملحمة مديح و إطراء لاثينا ، كبطلة مدافعة عن المظلومين ، ففى تلك الفترة لعبت اثينا دور البطل المدافع عن الإغريق ، و مجيرة المستجيرين .

٨ - أقحم الشاعر قضايا العصر السائدة وقتها ضمن المسرحية ، لاسيما قضية الديموقراطية و مآثرها و نظمها . و قد وضح ذلك فى عدة مواضيع من المسرحية :

أ - فى المشهد بين شسيوس و المنادى الطيبى . فعندما سأل المنادى عن طاغية هذه الأرض ، أجابه شسيوس ، بأن أفراد الشعب يتناوبون أعباء الحكم ، و ليس هناك طاغية ، فهى مدينة حرة . (سطور ٤٠٠ و ما بعدها) .

المنادى : من الملك (١) الحاكم لهذه الأرض ، ...... الخ.

تيزيه : ... إذ جئت تبحث عن ملك مطلق السلطان فينا لا تحكم فينا إرادة ملك مفردة ، فنحن بلد حر و الشعب فينا سيد يتعاقب أبناؤه فى الحكم كل عام . و لا نؤثر الأغنياء بالحكم ... بل للفقير نصيب كنصيب الأغنياء .

ب - فى المشهد بين تيزيه و أدراست ، ففى السطر ١٨٥ و ما بعده :

تيزيه : ... و أنا أحمد الله الذى أخرج لنا حياتنا من البهيمية و الفوضى و هدانا سبلنا . قد وهبنا العقل و الذكاء و لساناً ناطقاً ، يصل ما بيننا و بين الناس و يفصح عما نقول .

---

١ - استخدم الشاعر كلمة المنادى Tyrannos أى طاغية بدلا من كلمة Monarchos و تعنى حاكم . (مورى ، جلبرت ، يوريبيديس و عصره ، ترجمة د . عبد المعطى شعراوى ، بروفيشنال للإعلام و النشر ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ٦٨) .

و فى نفس المشهد يعدد بعض ملامح النظام الديموقراطى :
تيزيه : المواطنون ثلاث طبقات ، طبقة الأغنياء و هؤلاء لا خير فيهم لأمتهم . ... و طبقة المعدمين الذين لا يملكون القوت الضرورى ، و هؤلاء خطيرون ، يحسدون و ينقمون و يولون سهام شرورهم الى من يملك شيئاً . ... و الطبقة الثالثة هى الطبقة الوسطى ، و هذه هى حارسة الأمة و تحمى النظام الذى اختارته الأمة للحكم .

ج - فى المشهد بين ايثرا و تيزيه ، نلمح مبدأ هاماً من مبادئ الديموقراطية ألا و هو الشورى . فيقول تيزيه فى السطور ٣٤٥ و ما بعدها :
" سأستفتي المدينة جميعاً فى هذا الأمر ، و ستجمع المدينة "
" على ما أحب . و إذا جعلت للشعب نصيباً فى الرأى "
" آزرنى بحبه " .
" إنى قد أقمت فى هذه المدينة نظاماً ملكياً ، و جعلتهم "
" أحراراً ، و ساويت بينهم فى الرأى ."

د - فى السطور ٤٣٠ و ما بعدها يقول تيزيه فى عدة مواضع :
١ - لا ينزل بمدينة بأس أشد من أن تحرم من قوانينها العامة، و يتحكم فى حياتها فرد واحد يجعل من إرادته وأهوائه قانوناً ، و ليس فى حكمه عدل ولا مساواة .
٢ - ......القوانين إن كتبت استوى فى سلطانها الغنى والضعيف ......الخ .
٣ - أما أية الحرية فينا ، فهى أن ينادى المنادى فى مجالس الشورى ..الخ .
٤ - اثيرا : إن احترام القوانين فيه قوة المدائن و صلاحها . (سطور ٣٠٠ و ما بعدها) .

٩ - من بين القضايا التى سادت أيضاً المجتمع الإغريقى ، قضية الطبيعة الموروثة و التعلم التى قال بها السوفسطائيون . فها هو ادراست يقول فى السطور ٩١٠ و ما بعدها :
" ... فمن تهذب تهذيباً حسناً لا يعدم الحياء و الشرف و من شب على مبادئ الجمال و الخير يستحى أن ينقلب شريراً و الفضيلة و الشجاعة قد تكتسب بالتعليم ، لأن الطفل يتعلم أن يقول و أن

يسمع أشياء لا يعلم ما هى ، و ما يتعلمه المرؤ فى الصغر ، يظل فى النفس الى الكبر . فاحسنوا تهذيب أبنائكم . "

١٠ - وضحت فكرة نبذ الحروب و الدعوة إلى السلم بين ثنايا المسرحية ، و فىعدة مواضع منها ، فمثلاً :

أ - ادراست : قد سمعت بالحرب المنشوبة التى شننتها "

......فى هذه الحرب فقدنا زهرة أبناء أرجوس .

تيزيه : تلك عاقبة الحرب الخاسرة .

ب - فى وصف رسول اثينا عن الحرب . (سطور ٦٥٠ و ما بعدها) .

ج - ...أيها الإنسان ما أشقاك ..ما بالك تشترى السلاح للقتل . كفوا عن القتل ، و استريحوا من شقائكم وعنائكم ، و احموا بلادكم بالسلم . (سطور ٩٥٠ و ما بعدها) .

د - المنادى : و إذا اجتمع شعب ليقرر حرباً لا يظن أحد أنها ستهلكه (سطور ٤٨٠ و ما بعدها) .

على أية حال ، ركز الشاعر على مظهرين من مظاهر الحب فى هذه المسرحية :

الأول : الأسف و المعاناة متمثلة فى حالة الأمهات السبع .

الثانى : العنف و الانتقام متمثلاً فى ثورة و حماس أهل أرجوس لرد الاعتبار ، و وضح ذلك من حوارهم المفعم بالحقد و الكراهية ، و الرغبة فى الانتقام التى يلقنونها للأبناء .

١١ - المسرحية مناسبة طيبة لاظهار العداء الاساسى بين أنظمة الحكم فى كل من أرجوس و طيبة ، و إعلان التآلف و المودة بين أرجوس و أثينا . هذا التقسيم سمح بتوجيه العديد من الانتقادات و الشتائم ، و الإساءة لسمعة طيبة . أهم هذه الانتقادات :

أ - أنه بلد يحكمه طاغية مستبد ، إذ أنه لم يعرف الحكم الديموقراطى .

ب - إنه بلد لا يطبق القوانين ، لأن إرادة الحاكم قانون .

١٢ - الحبكة فى المسرحية بسيطة ، و مع ذلك تبدو من الناحية البنائية وثيقة الصلة بالفكرة الرئيسية ، و هى معاناة أهل أرجوس .

١٣ - يلاحظ أن الشاعر يراعى وحدة الزمان فالوقت بين سفر الجيش لمحاربة طيبة و انتصاره عبارة عن أغنية كورالية لا تتعدى

ستة و ثلاثين سطراً ، و مع ذلك فهى غير مقنعة من الناحية الواقعية .

١٤ - كرر الشاعر أسلوباً جديداً بالنسبة لدخول الشخصيات ، فقد تعمد أن يبدو دخول تيزيه و الرسول و كأنما يستكملان حديثاً بدأه قبل ظهورهما . و على سبيل المثال دخوله عند سطر ٨٣٧ و هو يخاطب الجوقة و أدراست .

١٥ - يرى البعض أن المسرحية عبارة عن مرثية باكية ، و نواح على الموتى مما يجعلها تعبيراً عاطفياً مسرفاً ، بينما يرى أخرون أن مشاهد حزن الجوقة تنسجم تماماً مع عبقرية يوريبيديس ، و أنها من أفضل مشاهد المسرحية لأنها توافق الفكرة الأساسية .

١٦ - من التقاليد المرعية فى المأساة الإغريقية ، عدم ظهور مشاهد العنف على المسرح ، بل يتم الفعل خارج المسرح ، ثم يرى الجمهور بعد ذلك نتيجة الفعل . و لكن فى هذه المسرحية نجد أن الشاعر قد كسر هذا القانون ، و جعل ايفادينه تلقى بنفسها فى نار محرقة زوجها أمام المشاهدين .

١٧ - رأى البعض أن مشهد ايفادينة و أبوها ايفيس ، مشهد دخيل و ابتر ، بينما يرى آخرون أنه تمهيد و تحضير للإشارة الى كابانيه ، و ما حل به نتيجة غروره و تطاوله .

١٨ - إن شخصية ثسيوس لدى البعض ، تجسيد لشخصية الكبياديس الذى وصل سريعاً الى السلطة .

١٩ - أضفى الشاعر على رغبة أهل أرجوس فى الانتقام و الأخذ بالثأر هالة مقدسة ، إذ جعل الإلهة أثينة تبارك خطهم ، و قد حمل التاريخ أنباء انتصار أرجوس فيما بعد .

٢٠ - تناول ايسخيلوس نفس هذه الأحداث . إن النص يعبر عن مرثية للموتى و احتفالية المؤلف بهم ، و الإسراف فى مدح و إطراء أثينا كأنها غناصر تدعونا إلى الاعتقاد بأن يوريبيديس قد استفاد كثيراً من مسرحية ايسخيلوس .

سادساً : الجوقة :

١ - كانت الجوقة تمثل أمهات الأبطال الذين لقوا مصرعهم أمام أبواب طيبة .

٢ - برغم ما سبق فهى ليست الشخصية الرئيسية فى هذه المسرحية .
٣ - تعتبر أناشيد الجوقة من أفضل عناصر المسرحية ، و قد جاءت مرتبطة تماما بالحدث الدرامى .
٤ - يلاحظ أن عدد أفراد الجوقة إثنى عشر فرداً هم سبع أمهات و خمس جثث ، بينما المفروض وفق العرف السائد ، أن يكون عددها خمسة عشر فرداً .

سابعاً : الحوار :

١ - حفل الحوار بالعديد من الحكم ، و الأقوال المأثورة مثل :
أ - احترام القوانين فيه قوة المدائن و صلاحها .
ب - من غير الله يقسم الحظوظ ؟
ج - الثأر يدعو الثأر ، و القتل يدعو القتل .
د - أن الآلهة تهبنا اللطف فى المصائب .
هـ - كل شئ يعود إلا غائب الموت .

٩ - أيــون (١) :

تبدأ المسرحية أمام معبد الإله ابوللون فـــى دلفـــى ، حيــث يــدخل الإلـــه هرميس ، شقيق ابوللون ، و فى المقدمة اليوريبيدية ، يقدم نفســه للمشــاهدين، فهو رسول زيوس ، و ابن مايا ، و يحدد أنه فى دلفى ، ثم يبـدأ فـــى ســرد وقائع اعتداء فويبوس (٢) بالقوة على عفاف كريوسا ، ابنــة اريختيــوس فــى مدينة بالاس ، و دون أن يدرى والدها ، و ما أن حانــت لحظــة المخــاض ، حتى وضعت طفلاً ، ثم حملته إلى ذات الكهف الذى اغتصــبها فيــه الإلـــه ، و تركته كى يموت ، و فعلت مثلما يفعل أجــدادها ، إذ تركــت إلـــى جــواره حليتين على هيئة حيتين لتحرساه ، اعتادت البنـــات مــن ســلالة ارخيثيــوس تزين أطفالهن بحيات مصنوعة من الذهب . و يروى هرميس أنـــه خضــوعاً لأوامر ابوللون قام بإحضار الطفل و متعلقاته من الكهف إلى مقر النبــوءة فـــى دلفى ، و وضعه على عتبة المعبــد ، و لمــا رأتـــه الكاهنــة بيثيــا أصــابتها الدهشة، و فكرت فى إلقاءه بعيداً ، و لكـــن الشــفقة تغلبــت علـــى القســوة ، فتعهدت بتربيته فى رحاب المعبد ، و هى لا تعرف انه طفل فويبوس ، الـــذى أصبح فيما بعد أميناً على أموال الإله ، بينما أمه كريوسا الأثينية قــد تزوجــت من كسوثوس ابن ايولوس الأخينى ، ثمناً لمساعدته لأثينا فى حربها ضـــد مـــن يسيطرون على جزيرة يوبويا . و برغم السنوات التى قضاها مــع زوجتـــه ، لم ينجبا ذرية ، لذا فقد حضرا اليوم إلى نبؤة ابوللون كــــى يســاعدهما علـــى الإنجاب . و يؤكد هرميس على أن لوكاسياس ، سوف يُعطـــى ابنـــه لهمـــا ، عل أمه الحقيقية كريوسا تتعرف عليه ، إنه ايون .

يظهر ايون كى يُنظف أمام المعبد ، و يبدأ حديثـــه عـــن إلـــه الشـــمس ، الذى يملاء الأرض بالضوء ، و تغطى أطيافه قمم بارناســـوس ، إن الكاهنــــة الدلفية ، تأخذ مكانها فـــوق المقعــد المقــدس ، ذى القـــوائم الثلاثـــة ، تنقـــل للإغريق همسات ابوللون . يدعو ايون أهـــل دلفـــى للتطهــر بمـــاء النهـــر ، و الاغتسال ، كى يعودوا إلى المعبد ، ريثما يقوم هو بواجبـــه اليـــومى نحـــو نظافة المكان ، فهو فى خدمة الإله ، لأنه بلا أب و لا أم .

---

١ - نعتمد بصفة أساسية فى تلخيصنا لهذا النص على :
عبد المعطى ، شعراوى ، يوريبيديس - ٦ ، أيون ، سلســلة المســرح العـــالمى ، وزارة الإعلام الكويتية ، العدد ١٨١ ، أكتوبر ١٩٨٤ .

٢ - هو أحد أسماء الإله أبوللون ، كذلك يطلق عليه لوكسياس .

و برغم ما فى عمله هذا من مشقة ، إلا انه مُحبب إلــى نفســه ، فالقيــام بالأعمال المجيدة تُنسى التعب . يُنهى ايون عملــه بــتلاوة بعــض الدعيــة . تظهر بعض الطيور فى الأفق متجهة نحو المعبد ، فيطاردها حتــى لا تتســبب فى قذارة المكان الذى قام بنظافته ، و لا تدنس القرابين . يــدخل أيــون إلــى المعبد ، و تظهر الجوقة ، و هن مجموعة من نساء أثينا ، جئن فــى صــحبة كريوسا . تتعجب الجوقة من عمارة المعبد ، و مجموعة التماثيــل و الصــور التى تعتبر من معالمه البارزة . إن جثة انكلادوس ، بالاس الربة ، و صــورة الصاعقة المشتعلة الطرفين فى يدى زيوس ، و اللعين ميماس ، و برومبــوس الباخى . أثناء تجوال الجوقة ، يظهر أيون من المعبد ، فتســأله قائــدة الجوقــة عن إمكانية الدخول إلى المحراب المقدس حافيات ، إلا أن أيون يؤكــد لهــن ، أنه غير مباح . إنهن فى سرة الأرض و مركزها . إن بإمكانهن التقــدم نحــو الأعتاب المقدسة ، دون أن يتوغلن إلى داخله . و يتجاذبن أطــراف الحــديث مع ايون عن سيدتهن كريوسا ، و بيتها . ثم يُعلــن ظهورهــا ، يوجــه ايــون حديثه لها ، و يمتدحها و يثنى على مظهرها النبيل ، و يتعجب لتلــك الــدموع التى تبلل وجنتيها ، و يسألها عن سببها و سرها ، فتجيبه بأن زيارتهــا للمعبــد قد ذكرتها بأمر وقع بينها و بين الإله منذ زمن بعيد ، ثم تســأله هــى بــدورها عن ذلك الذى تعرض عليه قضاياها ، فيحاورها الفتــى ايــون متســائلاً عــن هويتها ، و وطنها ، و أباها ، و ما هو الاسم الــذى يجــب أن يناديهــا بــه . تجيبه كريوسا ، إنها ابنة ارخيثوس ، و هى من مدينة أثينا . و يتمــادى الفتــى فى أسئلته حول والد كريوسا ، و ما دار حوله من أســاطير، إذ يقولــون إنــه قدم بناته ذبائحاً للآلهة من أجل الوطن ، و نجت كريوسا لأنهــا كانــت طفلــة حديثة الولادة فى حضن أمها . و يسألها ايون عن منطقة الصــخور الممتــدة ، التى يقدسها الإله البوثى ، فتُبدى كريوسا امتعاضاً لذكر هذه المنطقــة ، ففــى أحد كهوفها ارتكب ابوللون معها عملاً مشيناً . يدور الحــوار حــول عقمهــا ، و قدومها مع زوجها ، الذى تخلف عند كهف ترفونيوس لاستشارة الإلــه فــى الأمر ، و يمس الحوار سر كريوسا بطريق غير مباشر ، فقد ســألها ايــون إذا ما كانت قد أنجبت من قبل أم لا ؟ و يتطرق الحديث لهوية ايــون و طفولتــه، و نشأته ، و ملابسه الفاخرة ، و والديه ، ثم تقــص عليــه قصــة مضــاجعة فوبيوس لإحدى صديقاتها ، و إنجابها طفــلاً لا تعــرف مكانــه ، لــذا فهــى ستسأل عنه الإله ، هل هو على قيد الحياة ؟ أم أكلته الوحوش الضــارية ، لقــد بحثت عنه أمه فى ذات المكان الذى تركته فيه فلم تجده . يعلن ايون أن حالــة ذلك الطفل تشبه حالته تماماً ، و ينصح كريوسا بالابتعــاد ، فــالعراف لــن

يفشى سراً حرص الإله على كتمانه ، تتهم كريوسا الإلـه فوبيـوس بالقسـوة و عدم العدل ، فقد أنقذ ابنه ، و لكن لم يخبره بهويـة أمـه . تلمـح كريوسـا زوجها القادم من بعيد ، فتطلب من ايون عـدم إفشـاء مـا دار بينهمـا مـن حديث. يدخل كسوثوس ملقياً بالتحية على الإله ثم علـى زوجتـه ، و يطلـب منها الطواف حول المحاريب المقدسة ممسكة بأغصان الغـار ، و متضـرعة للآلهة كى يحصل على وعد من ابوللون بإنجاب طفل جميل . يـدخل الـزوج إلى المعبد ، كما تخرج كريوسا . يقف ايون متعجباً علـى تطـاول كريوسـا على الإله ، و متحيراً لعباراتها الغامضة ، و مندهشـاً لأن الآلهـة تغتصـب العذارى عنوة ، و تنجب أبناءاً فى الخفـاء ، و تتنصـل مـن مسـؤليتهم دون عقاب ، بينما تعاقب الآلهة كل شرير من البشر وفق قوانين تفرضـها الآلهـة و تخرج عليها و لا تحترمها . يخرج ايون .

تبدأ الجوقة فى إنشادها منادية الربة أثينة ، لتأتى هى و ثنتا ابنـة ليتـو ، ثم تتطرق الجوقة لحكمة الحياة ، فـالثروة بـلا أطفـال ، لا تعنـى شـيئاً ، فالأطفال زينة الحياة الدنيا ، و تتحسر الجوقـة علـى تلـك العـذراء ، التـى أصبحت أماً ، و أنجبت لفوبيوس طفلاً ، و أن ذرية الآلهة من البشـر تتمتـع بشئ من السعادة . يدخل ايون ، و يسأل عن كسوثوس ، و هـل لازال داخـل المعبد أم خرج ؟ و تسمع الجوقة صرير الأبواب ، حيـث يـدخل كسـوثوس ليلتقى بأيون ، فيبادره قائلاً :

" ولدى ......أبشر ، فهذه أول كلمة يليق بى أن أنطق بها . "

يتعجب ايون لادعاء كسوثوس أبوته ، و يؤكـد الرجـل لأيـون صـدق قوله، فهكذا قال لوكاسياس ، إن أول من يقابله كسوثوس و هـو خـارج مـن المعبد ، و هو ولده ، يستنكر ايون ، و لكن الحوار المتبادل يدور حـول هـذه النقطة حتى يستسلم ايون ، بدعوى عدم الشك فى قـول الإلـه ، و يحتضـن الابن أباه ، و يتوق لأن يحتضن أمه . و يتبادل الاثنان الحـوار ، و يسـتحث كسوثوس على الإسراع إلى اثينا حيث الثراء الواسع ، فـلا فقـر ، و لا مـن يعايره بوضاعة الأصل . يفكر ايون قليلاً ، فمظهر الأشياء فى رأيـه يختلـف باختلاف مسافة الرؤية ، و يصارح ايون الرجل بما يعتريه من قلـق ، فوفـق التقاليد ، يعتبر الجنس الأثينى ابن الأرض ، وفيما عـداه نـازحين ، و عليـه سيجمع بين نقيضتين ، الأولى انه ابن غير شرعى ، و الثانية أنـه ابـن لوالـد نازح ، و سيترتب على ذلك أن يعتبره الآخرون لا شئ ، ثـم يتنـاول ايـون وضعه الاجتماعى ، و علاقته بسادة هذا المجتمع ، إنـه سـيكون دائمـاً فـى موقف ضعف ، كذلك الحال بالنسبة للزوجة العاقر التى ستكون بمثابـة أمـه ،

سيكون غريباً فى دارها ، مكروهاً ، و عليه كوالد أن يختار بين رعايته لابنه أو احترام مشاعر زوجته ، حتى لا يتسبب فى هدم بيته و أسرته و سعادته ، و فى النهاية يعلن رأيه ، إنه يفضل أن يعيش مغموراً و سعيداً على أن يكون حاكماً تحوطه المؤامرات ، إنه يفضل العيش فى فراغ ، خادماً عادلاً للإله ، إن أحواله هنا تعجبه ، و على كسوثوس أن يتركه و شأنه . و لكن كسوثوس يصر على اصطحابه إلى منزله كصديق ، و أنه سيدخل أرض أثينا كزائر و ليس إبناً ، حتى لا تتضايق الزوجة ، و عندما تحين اللحظة المناسبة سيقدمه إلى زوجته ، و يطلب من ايون وداع أصدقائه، ثم يوجه حديثه للجوقة كى تلتزم الصمت و لا تفشى ما سمعت .

يوافق ايون ، و يتمنى لو أنه عرفه أمه الحقيقية ، و يا حبذا لو كانت أثينية ، حتى لا يعتبرونه مواطناً بالاسم ، عبداً بالفعل .

تبدأ الجوقة فى نشيدها الذى يدور حول مصير الطفل و ما ينتظره من مستقبل ، و توقعاتها حول موقف الزوجة العاقر من ذلك الطفل الغريب ، الذى سيؤول إليه العرش مستقبلاً ، ثم تتناول ذلك الغموض الذى يحيط بهذا الغلام ، و تفكر الجوقة فى إخطار سيدتها كريوسا بما لديها من معلومات ، بل و يصل بها الأمر أن تتمنى موت الغلام حتى لا يغزو أثينا أجنبياً آخر .

تدخل كريوسا و معها مربى أبوها ، و هو فى ذات الوقت مربيها ، و هى تأمل فى نبوءة لوكاسياس ، و تسأل الجوقة عن الأنباء السارة التى تحملها ، و لكن رد فعل الجوقة لا يبشر بالخير ، و تعلن الجوقة أن كريوسا لن تنجب أطفالاً ، تنفجر كريوسا بكاءاً على حظها النكد ، و تستمر الجوقة فى إبلاغها باقى الخبر ، لقد منح لوكاسياس لزوجها شاباً يافعاً ، هو ذلك الذى كان ينظف المعبد ، و أن أسمه ايون ، و هما الأن يحتفلان بهذه المناسبة . يحاول المربى مواساة كريوسا ، و يعلن غضبه على زوجها الأجنبى ، الذى خدعها و ضاجع جارية فى السر ، و انجب منها طفلاً عهد به إلى أحد الدلفيين كى يربيه ، و فى الوقت المناسب ، حرضك على القدوم إلى المعبد بحجة العقم ، و يحرضها على فعلة زوجها التى لا يمحوها إلا قتله ، هو و الفتى بالسيف أو بالسم ، و يعلن العجوز عن استعداده لقتل الصبى فى المعبد . تتعاطف الجوقة مع سيدتها . تنتحب كريوسا و هى تحاول إفشاء سرها ، و تبكى قدرها ، فقد ظلمها الإله حينما واقعها سراً فى المغارة ، ثم ظلمها زوجها حينما واقع أخرى و انجب منها بعد أن تأكد من عقمها . تلوم كريوسا ابوللون لأنه أهمل فى طفله و تركه للجوارح ، و تخلى عنها . يتعجب المربى لسماع قول كريوسا عن لوكسياس ، و يسألها

عن ذلك الطفل الذى قد أنجبته ، و يطالبها بإعادة روايتها . تقص كريوسا قصتها مع لوكاسياس ، و ما عانته من الآلام ، و كانت تأمل أن ينقذ الإله ابنه . يعود المربى العجوز لتحريض كريوسا على قتل زوجها ، أو قتل الصبى . و تقترح كريوسا استخدام القطرة السامة من دماء الجورجونة ، على أن يتولى المربى تنفيذ المهمة . يوافق مرحباً ، و تتفق كريوسا معه على قتله فى أثينا ، و لكن المربى يعترض ، لأن ذلك قد يضعها موضع شبهة كزوجة أب ، و بالفعل توافق كريوسا على اقتراح المربى بارتكاب الجريمة فى دلفى ، و تناوله السم و تخرج ، بينما العجوز يشجع نفسه ثم يخرج . تبدأ الجوقة فى نشيدها المؤيد لما تنتوى كريوسا فعله ، بل و تتوسل إلى اينوديا ربة مفترق الطرق كى تسهم فى تحقيق الأمانى ، و بذلك لا يحكم أجنبياً مدينة أثينا ، و تبقى مقاليد الملك فى يد آل أرخثيوس ، و تعلن الجوقة أن فشل كريوسا يعنى انتحارها ، و تطالب الجوقة ربة الفنون موسى لتهاجم الرجال لأن كسوثوس أنجب ابناً غير شرعى .

يدخل خادم كريوسا ليقوم بدور الرسول ، يسأل عن كريوسا ، فقد بحث عنها و لم يجدها ، تتلهف الجوقة لسماع ما يحمله من أنباء ، فيُعلن الخادم أن جموع المحتفلين تسعى وراءها ، لتنتقم منها على تدبيرها ضد ايون ، إنهم سيرجمونها بالحجارة ، أنها انتوت قتل الصبى ، و أن الإله قد كشف عن المؤامرة . تتوسل إليه الجوقة ليقص عليها ما جرى ، و يبدأ العبد فى سرد الوقائع ، و يروى كيف بنى ايون خيمة الاحتفال ، التى بلغت عشرة آلاف قدم مربعة ، و غطاها بالأقمشة المقدسة ، ذات الصور الجميلة لآلهة السماء ، و الشمس ، و ربة الليل ابنة بليونى، هى و ايون ، و نجم الدب الأكبر ، وربة الفجر ، و علق على الجدران منسوجات من صناعة أجنبية ، و عند المدخل علق منظراً لكوكرويس بالقرب من بناته ، و فى وسط مكان وضع طاسات ذهبية لخلط النبيذ ، ثم خصص مناد يوجه الدعوة إلى كل من يريد من أهل المنطقة لحضور الاحتفال . امتلأت الخيمة بالمدعوين ، أكلوا حتى الشبع ، فتقدم رجل عجوز أثار ضحك المدعوين ، لأنه أصر على أن يغسل الجميع أيديهم من أباريق الماء ، ثم وضع بخور المر ، و طلب استبدال كؤوس النبيذ الصغيرة بأخرى كبيرة ، حتى تنتشى قلوب الرجال سريعاً ، تناول العجوز إحدى الكؤوس و ملأها بالنبيذ ، ثم وضع فيها سماً زعافاً قيل إن كريوسا قد أعطته له كى يقتل به الصبى . و يواصل الرسول سرد القصة ، فقد تفوه أحد الخدم أثناء رفع الكؤوس ، بكلمة غير لائقة أثارت ايون ، فألقى بكأسه على الأرض ، و فعل الآخرون مثله ، ثم طلب

كأساً أخرى ، و فى نفس اللحظة وفدت بعض طيور اليمام ، التى كانت تعشش فى معبد لوكسياس ، و ارتشفت النبيذ المسكوب ، و ارتعش جسد الطائر الذى شرب من كأس ايون ، و صرخ من الألم و مات . هنا صرخ ايون و تساءل ، من من البشر أراد قتله ؟ و أمسك بالعجوز و سأله عن الفاعل الحقيقى و المحرض ، اعترف المربى العجوز ، فجرى ايون نحو السادة البوثيين يُشهدهم ، و يعرض الأمر فقرر حكام دلفى بأغلبية الأصوات، إلقاء كريوسا من فوق صخرة ، و أن تموت لأنها حاولت قتل كاهن . يخرج الرسول ، و تنطلق الجوقة فى حيرة من أمرها ، أين تختبئ من مصيرها المنتظر ، و كيف تتحاشى الموت ، تظهر كريوسا ملثمة ، و يبدو عليها الفزع ، تنصحها الجوقة بالاحتماء داخل المحراب المقدس . تعلن كريوسا قدوم ايون و مجموعة المسلحين ، و تتوسل له كريوسا ألا يقتلها ، و تحذره من ذلك ، و يسألها لماذا كانت تريد قتله ؟ فتجيبه " لأنك عدو منزلى ، حاولت أن تشعل النار فى بيت ارخثيوس ، أردت أن تستوطن أرضى ، و تستولى بالقوة على ممتلكاتى . " يحاول ايون اخراجها من الحراب ، و لكنها تتمسك بالبقاء فيه . أثناء ذلك ، تدخل كاهنة دلفى البوثية، فيرحب بها ايون ، فهى مربيته ، و يتجاذبان الحديث إلى أن تتطرق العجوز إلى السفط الذى كان يرقد فيه ايون و هو طفل ، يوم عهد به إليها لتربيته ، كما خبأت الأقمطة التى تقمط بها ، فهى دليل على أمه ، ثم تناوله الأشياء ليحاول التعرف على أمه ، تخرج الكاهنة ، و يبقى ايون وحيداً يجتر الذكريات و يُقلب فى متعلقاته ، تشاهد كريوسا السفط و تعترف ببنوتها لأيون ، يطلب منها ايون تسمية الأقمطة التى فى السفط قبل أن ترى ما بداخله ، و بالفعل تحدد ما بداخل السفطة بدقة ، رداء منسوج غير مكتمل عليه رسم الجورجونة و مطرزاً بالخيوط وسط الرداء ، محاطة بأفريز من الحيات على طريقة العباءة . حيات من الذهب الخالص ، و إكليل من أغصان الزيتون المقدس . و بعد أن يتأكد ايون من صدق قولها ، يعانقها . تناجى كريوسا كاهنة ابوللون متسائلة عن كيفية وصول طفلها ايون إلى معبد لوكسياس ، ثم تحتضن ابنها دليل خصوبتها ، فلم تعد عاقراً ، و اصبح لأثينا حاكم من صلب أرخثيوس . يطلب ايون من أمه استدعاء أباه كسوثوس كى يشاركهما فرحتهما ، و لكنها ترفض ، فهو ليس أبوه الحقيقى ، إن أباه هو ابوللون ، لا يصدق قولها برغم أنها تقسم له بأثينة بأن ابوه لوكسياس ، فيتعجب ايون ، إن كان أبوه حقاً ، فلما أعطاه إلى والد آخر ، و يقرر الدخول إلى المعبد ليستجوب فويبوس ، و تطل عليه الربة

أثينه من فوق سطح المعبد ، و تعلن أنها قادمة من عند ابوللـون تحمـل لهمـا رسالة تؤكد صحة ما قالته كريوسا ، فهى أمه ، و ابوللون أبـوه ، و تطلعهمـا على مشيئة الإله ، فقد جهزت لهما عربة تنقلهمـا إلـى أرض الكـوكرويس ، و هناك تجلسه كريوسا على العرش الملكى كواحد من آل ارخثيـوس ، حيـث سيذيع صيته ، و يلـد أربعـة أولاد أولهـم جليـون ثـم الهـوبليتيس ، ثـم الأرجاديس، ثم الأجيكوريس . و تكريماً لاسم الصبى سيسـمى شـعب هـذه المنطقة بالأيونيين ، ثم تنصح الربة أثينة الأم كريوسا بألا تعترف بـأن الصغـل طفلها حتى تنعم بما لديها من نعم . يؤمن ايون بقول أثينة ، كما تثنـى الربـة على كريوسا لأنها تثنى على فويبوس . تطلب كريوسا من ولدها العـودة إلـى مدينتهم أثينا ، و تعلن الربة أثينـة أنهـا سـترافقهما ، و تغـادر المجموعـة المسرح تاركة الجوقة تلقى نشيد الختام .

أهم ما يلاحظ على المسرحية :

أولاً : تاريخ عرض المسرحية :

من الممكن أن نقول إنها عرضت حوالى عام ٤١٧ ق. م .

ثانياً : أصل المسرحية :

ليس للمسرحية قصة معروفة ، و تغطى أحـداثاً لا يعـرف عنهـا المشاهد شيئاً من قبل ، و بـذلك نجـح الشـاعر فـى إثـارة فضـول جماهيره، و زاد من تشوقهم لمتابعة الأحداث و أدهشهم بوقائعها .

على أية حال ، كان ايون ابناً لكريوسا ، و جده لأمـه ارخيثـوس ملـك اثينا . و هناك قصتان حول نشأة ايون ، تمثل كل منهما روايـة مختلفـة عن أصل الأيونيين :

١ - إن ثيسالين كسوثوس قد رحل من أثينا و هـاجر إلـى اجيلـوس ، المقاطعة الساحلية لشمال البلوبونيز حيث مات هناك .

أحد ابناءه اكيوس ذهب إلى ثيسالى ، و الأخر ايـون ، بقـى فـى أجليوس و جمع الحلفاء حوله بهدف الاستيلاء على مقاليـد السـلطة فى هذه الأرض .

توقع سيلينوس ، ملك البلاسجين خطة ايون فبادر بإحباطها بـذكاء، إذ زوجه بأبنته هيليسى و جعله وريثه الشرعى .

بعد موت سيلينوس ، أصبح ايون ملكا ، و أطلق على أهل أجيلوس اسم الأيونيين .
و فيما بعد ، استدعى الى الوطن أمه كى يقود الأثينيين فى حربهم مع اليوسيس ، و مات فى المعركة ، و دفن فى بوتامى .
و بعد فترة ، أجبر الأخيون العديد من الأجيال الأيونيية على مغادرة أيونيا ، فاستقبلهم أهل أتيكا بترحاب بسبب علاقتهم بأيون.

٢ - الرواية الثانية هى تلك التى صاغ منها يوربيديس مسرحيته أيون، حيث تزوج كسوثوس من كريوسا ، إبنة اريختيوس ، ثم ما لبث أن اصبح ملكاً على أثينا بعد موت حماه . لم يرزق الزوجان بأطفال ، و لكن نعلم من المقدمة التى يلقيها هرميس أن لكريوسا طفلاً ولدته فى السر ، و أن أبوه هو ابوللون ، و أنها تركته فى كهف أسفل الأكروبوليس ، حيث إغتصبها الإله هناك . و دون أن تعلم كريوسا مصير الطفل ، أمر ابوللون أخوه الإله هرميس بنقل الطفل سرا الى دلفى ، و نذرته للإله ، و ربته حتى كبر ، فكرس جهوده لخدمة المعبد و المترددين عليه ، و دون أن يعلم شيئاً عن أصله و نسبه .

ثالثاً : المنظر الذى تجرى فيه الأحداث :

أمام معبد ابوللون فى دلفى .

رابعاً : أهداف الفكرة الأساسية :

١ - ترسيخ الفكرة القائلة بأن ايون هو مؤسس قبائل الإغريق الأيونيين، و أنه ابن الإله ابوللون نصير الإغريق و حاميهم .
٢ - تمجيد عظمة أثينا و شعبها ، إذ ذكر اسمها كثيراً بين ثنايا المسرحية ، و فى كل مرة يشيد بسموها و عبقريتها و حضارتها.
٣ - تناول الشاعر ذكر كل من دوروس ، مؤسس القبائل الدوريية فى أرض بيلوس ، و اخايوس ، مؤسس القبائل الآخية ، و هما مؤسسا باقى السلالة الإغريقية .
٤ - لم يسبق لأحد من شعراء التراجيديا ، أن تناول قداسة أصل و نسب ايون قبل يوريبيديس .

خامساً : المناقشة و التحليل :

١ - تنتمى المسرحية إلى أعمال يوربيديس الأخيرة ، و برغم عدم معرفة تاريخ كتابتها على وجه التحديد ، إلا أن هناك من يرى أنها معاصرة لمسرحية الفينيقيات .

٢ - عندما التقت كريوسا بابنها ايون فى بداية المسرحية ، نشعر من الحوار أن هناك رابطة دم بينهما دون أن يعرف أيا منهما هوية الآخر (٣٠٦) ، مما يدل دلالة قاطعة على مهارة الكاتب ، و معرفته بالمشاعر الإنسانية ، فالمرأة تُخفى خطيئتها فى خجل ، و تندب حظها لأنها لم تربى طفلها ، ثم أخيراً تؤنب الإله الذى كان سبباً فى هذا الموضع الشائن ، دون أن يؤمن سلامتها و سلامة طفلها . لقد لمس قول ايون جرح كريوسا و كاد يُجبرها على الاعتراف ، و لكنها تداركت الأمر ، و نسبت الخطأ إلى صديقة لها.

إنها تطلب من الإله أن يساعدها كى تنجب ، و هى فى الحقيقة تسعى لمعرفة مصير وليدها . و بالمثل ، سعى كسوثوس ليحصل على نبوءة من الإله ، فانتهز الإله الفرصة كى يُصلح خطأه ، و يولى ابنه عرش أثينا ، بل ويجعله يقابل أمه . إنها كلها مشاعر إنسانية دافقة بالعواطف و الانفعالات ، فالأب يقابل ابنه ، و الأم تحارب ابنها الحقيقى فيما بعد ، وفق غريزة زوجة الأب .

٣ - تدخلت الآلهة كثيراً فى هذه المسرحية ، فابوللون و ما ارتكبه فى البداية ، ثم شقيقه هرميس ، ثم الإلهة اثينة ، مما يجعلنا نطرح سؤالا لا نجد له إجابة ، ماذا نظن بهذه الآلهة ؟

٤ - استخدم يوريبيديس أسلوب التعرف من خلال الأشياء ، فالأم تعرفت على ابنها ايون من متعلقاته التى تركتها معه بعد ولادته .

٥ - أراد يوريبيديس زيادة جرعة التأثير العاطفى للحوار ، حينما يتبادل الابن و أمه الحوار ، لذا جعل هرميس يربط فى المقدمة بين ايون و كريوسا ، فيعلم المشاهد الصلة و العلاقة دون أن يعلمها ايون . كذلك تجعل هذه الصلة إقدام كريوسا على قتل ولدها دون أن تعلم ، أمراً مثيراً يشد انتباه المشاهد .

٦ - تحمل المسرحية هجوماً ضارياً ضد الإله ابوللون ، فقد اتهمه الشاعر بالنذالة و الخسة و الكذب ، و وضح ذلك منذ بداية المسرحية ، فقد اغتصب كريوسا ، ثم تخلى عنها و عن ابنه

الرضيع ، ثم محاولته نسب ابنه لكسوثوس . و هنـاك تأكيـد لهـذا المعنى وضعه الشاعر في نهاية المسرحية ، فلم يظهر ابوللون ، بـل أرسل الإلهة اثينة لتنهى المسرحية نيابـة عنـه ، إذ مـاذا عسـاه أن يقول بعد كل ما ارتكب .

٧ - يرى د . شعراوى (١) أن يوريبيـديس قـد اعتمـد كثيـراً علـى الصدفة، أى ربة الحظ في هذه المسرحية ، و عـدد مواضـع هـذه الصدفة بوضوح .

الموضع الأول : مقابلـة كسـوثوس لايـون عنـد خروجـه مـن المحراب.

الموضع الثانى : أحد الخدم نطـق أثنـاء الاحتفـال الـذى أجـراه كسوثوس لايون بكلمة اعتبرها ايون فألا سيئاً ، فـألقى بكأسـه إلـى الأرض و نجا من شرب النبيذ المسموم .

الموضع الثالث : لماذا جاءت الحمائم مـن دلفـى لترتشـف النبيـذ المسموم المسكوب فى هذه اللحظة . إنها الصدفة كى تؤكـد وجـود السم .

الموضع الرابع : قدوم كاهنة المعبد بمتعلقات ايون و هو طفـل قبـل إقدامه علـى قتـل أمـه كريوسـا ، فتسـهم بـذلك فـى تعـرف كل منهما على الآخر .

٨ - حرص يوريبيديس على تصوير الفتى ايـون بصـورة انطوائيـة ، فهو ابن المعبد الذى لم يبعد كثيـراً عنـه ، بـل وانحصـرت كـل معارفه و معلوماته فـى طقـوس الديانـة الأبولونيـة ، و الأعمـال المتعلقة بالمعبد ، فمن أين جائته تلك المعلومات الدقيقة عـن أثينـا و ما يجرى فيها ؟ ، و ما يحكمها من أنظمة ؟ و قد يرد الـبعض بـأن ساحة المعبد ملتقى الاضاد ، حيث يجتمـع فيهـا مـن كـل حـدب و صوب ، و ربما التقى فيها ايون ببعض مواطنى أثينـا ، و جمـع معلوماته هذه عن طريق هؤلاء المريدين المترددين علـى المعبـد ، و رغم وجاهة هذا الرأى ، إلا أنه غير مقنع ، فلا وقت للمتعبد كـى يُضيعه ، لقد جاء للتعبد و تلقى البركة أو النبوءة ، فمـا أن يحصـل عليها حتى يعود مسرعاً إلى مدينته .

---

١ - المرجع السابق ، ص ١٥ .

بالإضافة إلى ذلك ، فأن وقت ايون مسخر لأعمال المعبد و خدمة الإله ، بكل إخلاص و تفانى ، و بالتالى لن يُضيعه فى أحاديث جانبية .

إن ما تحويه المسرحية من مناقشات فلسفية و سياسية و اجتماعية ، لا يتفق مع شخصية ايون و ثقافته ، إنها قضايا أوردها يوريبيديس على لسانه و كأنه هو الذى يخاطب الجماهير.

٩ - هناك بعض التناقضات فى الحوار ، فمثلا :

أ - يقول الرسول فى السطر ١١١٠ " إننا مطاردون ، حكام المنطقة يبحثون عنها كى تموت بالحجارة . "

و عن نفس الواقعة يرد على لسان الرسول أيضا ١٢٢٠ " قرر حكام دلفى بأغلبية الأصوات أن تُلقى سيدتى من فوق صخرة " . و تتأكد نفس الجملة فى حوار الجوقة (سطر ١٢٣٧) حينما تقول " رمياً من فوق صخرة " .

و يعود ايون لتاكيد معنى الرمى من فوق الصخور فى البيت ١٢٦٨ . إذن ، أيهما الأصح ، الجملة الأولى أم الجمل التى تلتها فى عدة مواضع .

ب - أيضاً ، هناك تناقض فى رواية مولد الطفل ، فقد قال هرميس فى البداية أن كريوسا وضعت الجنين فى منزلها (سطر ١٥) ، ثم نقلته الى الكهف الذى اغتصبها فيه ابوللون .

ثم نجد كريوسا تؤكد أنها وضعت فى ذات الكهف و ليس المنزل (سطر ٩٤٨) . هل هو تناقض مقصود ، أم أنه سهو من الشاعر ؟

١٠ - كان يوريبيدس حريصا فى رسم شخصيات مسرحيته ، فأعطى لكل منها ملامحها الدقيقة ، و سلوكها المتوافق معها و على سبيل المثال :

أ - المربى العجوز ، و برغم الحنكة التى أسبغتها السنون عليه، إلا أنه لم يتعظ ، فهو وفى وفاءاً أعمى ، و مخلصا بلا عقل، فمن أجل خدمة سادته لا يتوانى عن ارتكاب أى شر ، و اقتراف أى جريمة ، إنه يرد الدين الذى طوقت به الأسرة عنقه ، بأن يضع حياته ثمناً للوفاء .

ب - كسوثوس ، رجل سلاح و حرب ، حسن الطباع ، جلف لا يعرف المجاملة ، و لكونه أجنبياً ، فهو لم يشعر بشئ من التمجيد و الحب لوطنه المكتسب ، فهو لا يذكر أثينا بالتوقير اللازم ، كما أنه لا يؤمن بأصل زوجته ابنة الأرض .
و برغم تلك الطباع المتفقة مع تكوين الشخصية ، نجد جانباً متناقضاً لهذا الجانب ، فهو لم يُعير زوجته بعقمها ، بل جاء معها لتلقى نبوءة دلفى ، كما أنه أبدى كثيراً من العطف و الحب لذلك الابن الذى منحه له الإله .

١١ - تتضمن المسرحية أفكاراً جديدة عن الإنسان ، تختلف كثيراً عن تلك الأفكار التى شادت من قبل . و قد ظهر ذلك فى مسرحيتى يوريبيديس الكترا (شخصيات الفلاحين) ، و اوريستيس . أما هنا فتظهر فى أقوال العبد المربى فى السطور من ٨٥٤ - ٨٥٥، حينما يقول " فإن شيئاً وحيداً هو الذى يجلب " " المهانة للعبيد ، اللقب ، أما من النواحى الأخرى ، فإن العبد " " ليس أسوأ من الأحرار ما دام شهماً أميناً " .

١٢ - تؤكد هذه المسرحية أفكار الفلاسفة الأيونيين ، فقد استخدم يوريبيديس الاسم لبطل مسرحيته ، كما وضح النقد اللاذع لغراميات الإله فى السطر ٤٣٦ . " أيغتصب العذارى عنوه ثم يغرر بهن ؟ أينجب أطفالاً خفية و لا يكترث بموتهم ؟ " و أيضاً فى السطور من ٤٤٥ - ٤٥٠ ، نلمح بعض الأقوال المأثورة و الحكم التى تعبر عن هذه الجزئية " ليس من العدل أن تصفو " " البشر بالسوء ما دمنا نحن نقلد الأعمال المجيدة التى تقوم " " الآلهة بها ، بل يجب أن يوصف بالشر هؤلاء الذين يعلموننا " " ذلك . "

١٣ - صنف النقاد هذه المسرحية بأنها تراجيكوميدى .

١٤ - ساد المسرحية أسلوب رومانسي و عاطفى ، خاصة فى قصة كريوسا حيث تكرر ذلك أربعة أو خمس مرات ، كما وضح أيضاً فى حزن و رغبة ايون الشديدة لمعرفة أمه . كذلك وضح فى استغراقه فى التفكير عندما أعطته الكاهنة المهد الذى وضعته فيه والدته و هو رضيع .

١٥ - لجأ الشاعر إلى أسلوب إثارة التشويق و التوتر فى العديد من المشاهد ، ففى المقدمة ، جمل تشير إلى أن كريوسا لن تتعرف

على ايون قبل حضوره إلى أثينا (فلربمـــا تتعـرف عليـه أمـه كريوسا عندما يذهب إلى داره ، ٧١) . ثم يعـود الشـاعر إلـى نفس الشئ عندما تقول الإلهة اثينة " لقـد أراد الإلـه السـيد أن " " يُخفى عنك ذلك كى يُحيطك علماً فـى أثينـا أن هـذه المـرأة " " أمك ، و هى التى أنجبتـك ، و أن والـدك هـو فويبـوس " . (١٥٦٦ - ١٥٦٧) .

١٦ - إن الخطة التى وضعت للتخلص من ايون ، قـد أضـافت الكثيـر من التوتر و التشويق للمسرحية .

١٧ - إمكانية لجوء كريوسا للانتحار قد وردت فى جملة " ليتنـى أمـوت" (٧٦٣) ، كما ذكرت الجوقة أنها ستقتل نفسها حتى لا يحكمهـا ذلك الأجنبى . كل ما سبق بالإضـافة إلـى المخـاطر و الشـك و القلق العارم عند الذروة قد زاد من الاثارة و التوتر .

١٨ - اتفقت نية و عزم كسوثوس مـع الخطـة الإلهيـة حينمـا يقـرر " سأقودك إلى أرض أثينا مدعياً أنك مجرد زائـر و لـيس إبنـا " " لىّ ، إذ أننى لا أريد أن أضايق زوجتـى " . (٦٥٧ - ٦٦٠). مثل هذه الجمل يمكن أن تخدع المشاهدين و تضللهم .

١٩ - كمسرحية مليودرامية ، يمكن أن نلمح بين ثناياها بعـض المشـاهد التى تقترب من الفكاهة ، على سبيل المثال ، محاولـة كسـوثوس معانقة ايون بعد خروج ايون من حضرة الإله . (٥١٥-٥٢٥) .

سادساً : الجوقة :

١ - تتكون الجوقة فى هذه المسـرحية مـن نسـاء أثينـا ، و حاشـية كريوسا. و برغم أن الملك قد أوصاهن بعدم إفشاء السـر ، الـذى قيل فى حضرتهن ، إلا أنهن قد نقلنه إلى سـيدتهن . ترتـب علـى إفشاء هذا السر ما يلى : -

أ - قلب الخطط الإلهية و غير كل شئ .

ب - أثار فضول المشاهدين و زاد من تشوقهم .

ج - أثبت أنهم أكثر إخلاصاً لسيدتهن من سيدهن . بل لقد لعنـه، و صلين من أجل هلاك ايون .

" ليته يهلك ، ليته يهلك من خان سيدتى " . سطر (٧٠٤) .

" ليت الصبى لا يصل الى مـدينتى أبـداً ، ليتـه يمـوت " " و يفارق الحياة الشابة " . (سطر ٧٢٠) .

د - تصرفت كريوسا على ضوءه سريعاً ، فكان رد فعلها التخلص من ايون .

٢ - جاء في المقدمة أن العلاقة ما بين كريوسا و ايون و ابوللون يجب أن تكون سرية ، و بالرغم من أن أثينة قد كشفت في نهاية المسرحية عن هذه العلاقة أمام الجوقة ، لولا ذلك الإعلان لما عرف كسوثوس بهذه الحقيقة .

٣ - إن حضور الجوقة فى المشهد بين ايون و كسوثوس و اطلاعهن على السر أمر محير ، ماذا قصد به الشاعر ، رغم أن بقاء هذا السر فى طى الكتمان ، يسهم فى وضع النهاية السعيدة للمسرحية.

سابعاً : الحوار :

١ - نجح الحوار فى إثارة فضول المشاهد ، و على سبيل المثال :

أ - عندما انتهى هرميس من حواره الإخبارى ، عبر عن عزمه على الانسحاب الى الوادى ، حتى يعلم ما قد تقرر بشأن الطفل الذى أتى به إلى المعبد . (٧٥ - ٨٥) و الإثارة نابعة من أن الإله لا يعرف مصير الطفل ، فما بالك المشاهدين ، فاهتمام الإله يزيد من اهتمام المشاهدين لمعرفة المصير .

ب - الجمل التى تدور حول التخلص من ايون ، و انتحار كريوسا ، و تهديد الجوقة بالقتل إن أفشين السر ... الخ .

٢ - لجأ الشاعر فى نهاية المسرحية إلى الوزن التروخى (١) لزيادة سرعة ايقاع الحدث .

---

١ - و هو مقلوب الأيامب ، و هو ثلاثى التفعيل .

١٠ ـ الطرواديات : (١)

تبدأ المسرحية و هيكابى نائمة ، بينما يدخل بوسيدون ، و كالعادة يلقى الافتتاحية اليوريبيدية ، و فيها يعلن عن قدومه من أعماق البحر الإيجى ، حيث جوقات عرائس البحر ترقص . و يُذكر المشاهدين بأنه قد يشيد هو و فويبوس قلاعاً من الأحجار حول أرض طرواده ، و أنه متعاطف مع مدينته الفريجية ، التى ينبعث منها دخان الحريق و الخراب . يعرج بوسيدون فى مقدمته على ذلك الحصان الخشبى ، الذى شكله أبيوس الفوكى معاونة بالاس و جمع فى أحشاءه جيشاً مدرعاً ليدخلهم خفية إلى داخل الحصن . لقد سقط بريامو س صريعاً أمام هياكل الآلهة ، و غنمت القوات الآخية (٢) أبناء هيلاس المنتصرة الذهب و الغنائم . إن المنتصرين فى انتظار الرياح المواتية التى ستساعدهم على الإبحار إلى حيث يلتقون بزوجاتهم و أبنائهم . إن الأسيرات العذارى ، يوزعن بالقرعة على أهل أركاديا و قوم تساليا و أبناء ثيبوس . و هناك مجموعة أخرى من الأسيرات معزولات فى خيام ، و سوف توزعن على قادة الجيش . من بين هؤلاء هيلينى ابنة تينداريوس ، و هيكابى ، ترقد أمام الأبواب ، تذرف دموعاً غزيرة ، فعند قبر اخيليوس ماتت ابنتها بوليكسينى ، كما مات بريامو س ابن لاوميدون ، زوج هيكابى ، و كذلك أبناؤها . أما كاسندرا العذراء المخبولة ، فقد كانت من نصيب أجاممنون ، و يتحسر على المدينة التى كانت يوماً مزدهرة ، بالعز و يودعها . تدخل اثينه ، و تبادل بوسيدون الحوار ، الذى يفهم منه أن هناك صلة قربى بينهما ، كما أن هناك عداوة قديمة ، و لكن يجب أن يتناسيها ، لأن هناك أمر مشترك بينهما ، فيسألها ، هل تحمل أنباء من الآلهة ، أم من زيوس ، أم من قوة آلهية أدنى ؟ و لكن تنفى أن أيا منهم له دخل بالأبناء ، إنها سوف تحادثه عن طرواده ، فيستغرب بوسيدون ، و يتساءل ، هل تخلت أثينه عن كراهيتها لطرواده . أيهما ستساعد الآخيين أم الفريجيين ؟ و تعترف أنها تريد أن تقف إلى جوار الطرواديين ، لأن اياس قد انتزع كاسندرا ، و حاقت الإهانة بمعابدها ، أنها ستسلط عليهم

---

١ ـ نعتمد بصفة أساسية فى تلخيصنا لهذه المسرحية على ترجمة اسماعيل البنهاوى ، الطرواديات ، اندروماخى يوريبيديس ـ ٤ ، سلسلة من المسرح العالمى ، وزارة الإعلام الكويتية ، العدد ١٦٧ ، أغسطس ١٩٨٣ .

٢ ـ الأخيون ... نسبة إلى آخيا على الخليج الكورنثى ، على حدود فثيا .

و هم يعبرون البحر ، أمطار زيوس و ثلوجه الرهيبة ، و عواصفه المدمرة، فقد وعدها زيوس بأن يرسل صواعقه ذات البرق ليحرق سفنهم ، و تطلب من بوسيدون أن يجعل المضيق الأيجى عالى الأمواج ، ملئ بالدوامات . يوافقها بوسيدون و يعدها بالمساعدة يخرج بوسيدون و اثينة ، و تستيقظ هيكابى ، و تبدأ حوارها بإبداء الألم على ما أصاب طرواده ، فلم يبق لهـا غير الدموع ، مات الأبناء ، و الزوج و ضاع الوطن ، بسبب زوجة مينيلاؤس ، التى جلبت العار لكاستور و قاتلة برياموس ، و هى السبب فيما آلت إليه ، فمن ملكة القصر إلى عبودية الأسر . يدخل نصف الجوقة و هن من السبايا الطرواديات ، و تتساءل النسوة عن صرخات هيكابى وعويلها ، فتجيبهن ، أنه بعد لحظات ستبحر سفن الأرجيين ، محملة بالسبايا إلى وطن المنتصرين . تطلب هيكابى منهن آلا يدعن كاسندرا تغادر غرفتها لأنها تهذى ، و سيهزأ بها الأرجيون . يدخل النصف الآخر من الجوقة متسائلات عن مصيرهن ، هل سيحملن بعيداً عن طرواده ، و تعود هيكابى لتندب حظها العاثر ، فبعد صولجان الملك ، ستعمل خادمة لأبناء المنتصرين . تتحسر الجوقة أيضاً على مصيرها الغامض ، فقد تساق مكرهة إلى سرير أحد الهلينيين ، أو تحمل الماء من ينبوع بيرينى المقدس ، أو تقابل مينيلاؤس ، أو تكون جارية له فى موطن هيلينى الكريه . تتمنى الجوقة الذهاب إلى أرض ثيسيوس المقدسة ، أو تجد بيتاً على ذلك الشاطئ المتاخم لبحر أيوننا . يقطع أحلام الجوقة دخول تالثيبيوس رسول جيش الدانائيين ، يحمل الأوامر الجديدة إلى هيكابى ، التى يبدو من حديثهما أنه يعرفها جيداً ، و تسأله عن المدينة ، التى ستستقر بها ، هل ثاليا ، أم فثيا ، أم كادميا (و هو الاسم القديم لمدينة طيبة التى بناها كادموس) ، ثم تعاود السؤال ، من نصيب من كانت ابنتها كاسندرا ، فيجيبها ، أنها غنيمة أجاممنون ، و محظيته فقد أحبها ، تستنكر الأم هذه القسمة ، فالفتاه كاهنة فويبوس العذراء ، وهبها الإله ذو الجدائل الذهبية نعمة العذرية . تسأله مرة أخرى عن ابنتها بوليكسينى ، فتعرف أنها ستكون خادمة قبر أخيليوس ، فقد لقيت مصيرها ، و بذلك تخلصت من الشقاء ، كما تعلم منه أن اندروماخى زوجة هيكتور أصبحت شريكة فراش نيوبتوليموس ابن أخيليوس ، أما هيكابى فهى من الآن أمة أوديسيوس ملك ايثاكى ، و تندب هيكابى حظها الذى أوقعها فى أسوأ البشر ، إن سيدها الجديد مخاتل ، وحش ، متقلب ، و هى تمقته. تعزيها الجوقة فى مصيرها ، و قد عرفته ، أم الجوقة فلم تعرف حتى هذه اللحظة من نصيب من ستكون . يأمر الرسول تالثيبيوس الخدم بإحضار

كاسندرا و باقى السبايا كي يوزعهن على أسيادهن الجدد . يلمح الرسول نيراناً مشتعلة ، فيتصور أن الأسيرات ينتحرن حرقاً ، و تطمئنه هيكابى ، إن ذلك هو موكب ابنتها كاسندرا ، تقدم و هى تحمل المشاعل ، و بالفعل ، تدخل الفتاه ، و هى تناجى هيمن هيمينايوس مليك الزفاف ، ثم تخاطب أمها، و تعلل حملها المشعل بسبب انشغال أمها هيكابى بالبكاء و النحيب على موت الأب و الزوج ، و على ما حل بالوطن .تطلب كاسندرا من الجوقة مشاطرتها الرقص ، و صيحات الفرح ، كما تدعو أمها أيضا إلى الرقص بخطوات و إيقاع بهيج ، و تناشد الجميع ليحيوها يوم زفافها بأغانى و صيحات هيمن . تُبدى الجوقة قلقها على كاسندرا ، و تأسف على طريقة زواجها ، و تطلب منها المشعل ، و تستحث الطرواديات على ذرف الدموع. تطلب كاسندرا من أمها أن تزفها إلى زوجها أجاممنون ، الذى سيجد عروسه مشحونة بالوبال أشد من وبال هيلينى ، و تعلن أنها سوف تقتله ، و تدمر بيته ، انتقاماً لقتل أبيها و اخوتها . تلوم كاسندرا الأخيين الذين خاضوا حرباً من أجل هيلينى ، و ماتت النساء أو ترملن من أجل وطنهن ، ثم تحى هيكتور ، أفضل الرجال الذى مات بطلاً ، و تختم حوارها بأن " الحكيم من يتجنب إشعال الحرب " تعود كاسندرا وتكرر أنها ستنتقم من أعداء وطنها . يعلق تالثيبيوس على جنون كاسندرا و خبلها ، و يسوى بين عقلها و عقول الحكماء ، فها هو اعظم ملوك هيلاس ، ابن اتريوس ، قد عشق فتاه مجنونة ، و اختارها دون سائر السبايا ، و لو أن القدر وضعه فى مكان اجاممنون ، لما اختار هذه الفتاة زوجة له . يأمر تالثيبيوس السبايا بالتقدم نحو السفن ، ليقام حفل الزفاف ، ثم يأمر هيكابى أن تتبع ابن لائيرتيس ، فهى ستخدم بنيلوبى زوجة اوديسيوس . و تستغرب كاسندرا ، فالرسول يقول إن أمها ستخدم فى قصر اوديسيوس ، بينما وحى ابوللون الذى أتاها ، أنبأها بأنها ستموت فى مدينتها ، و تعاود الاشارة إلى ما تضمره لسيدها و زوجها اجاممنون من شرور ، و تتنبأ بما سيلاقيه من أهوال فى طريق عودته إلى وطنه ، و برغم نجاته من البحر ، فإنه سيلقى مصيره فى بيته . تودع أكاليل الآلهة و التماثيل ، و تودع أمها ، و تطلب منها أن تجفف دموعها ، و تودع من مات من أسرتها ، و تعدهم أنها ستعود إليهم ، بعد أن تدمر بيت أبناء اتريوس ، أعداء وطنها . يخرج تالثيبيوس و كاسندرا ، بينما تهيب الجوقة بالجوارى مساعدة هيكابى التى تتهاوى ، و لكنها ترفض القيام ، و تجتر الذكريات ، فهى من أسرة ملكية ، و زوجها ملك ، و أما لذرية من علية القوم فى فريجيا كل ذلك قوضته حراب هيلاس،

لقد ذبحوا زوجها برياموس ، و احتلوا مدينتها ، و سلبوا بناتهـا ، و عاملوهـا كسبية و جارية . إنها تتمنى أن يدركها أحد أبنائها أو إحدى بناتهـا ، و لكـن هيهات ، أين هم الآن ؟ فلماذا تنهض و قد ضاع كل أمل .

تطلب الجوقة من ربة الشعر أن تغنى قصـة عـن طـروادة ، و مرثيـة جنائزية ، تحكى فيها ما جرى لطروادة علـى أيـدى الأرجيـين ، و بحيلـتهم الدنيئة للنيل منهم ، حصان طـروادة و مـا أخفـى بداخلـه مـن مقـاتلين ، و لسذاجة أهل البلاد ، سحبوا الشرك المميت إلى معبد العذراء بـالاس بنـت زيوس ، و هم ينشدون أهازيج الفرح ، و خرج أهل البلاد فى يـد كـل مـنهم هدية تليق بالألهة ، و تركوه فى الساحة. و مع الليل ، و وسط انشغال النـاس برقصهم و غنائهم ، دوت صيحة الموت ، إذ خرجت جحافل آريـس المقاتلـة من بطن الحصان ، و أعملت السيوف و الحراب ، فعـم القتـل ، و أريقـت الدماء ، و حل الخراب .

تعلن الجوقة قدوم اندروماخى زوجـة هيكتـور ، و ابنهـا اسـتياناكس ، و هى تركب عربة محملة بأسلحة زوجها . تتعجب هيكابى من المنظـر ، ثـم تتبادلان الحسرة على ما لقيتاه ، و ما حل بمدينتهما و وطنيهمـا ، و مـا حـل بابنها هيكتـور ، زوج انـدروماخى . تعلـن انـدروماخى أنهـا رأت جثـة بوليكسينى الذبيحة عند قبر اخيليوس ، فغطتها بعباءة ، و تنصـح انـدروماخى حماتها قائلة " إن الموت أفضل بكثير من حياة الشـقاء فـالموتى لا يشـعرون بالألم ، و لا يعرفون الحزن " . ثم تحكى عن نفسها ، و هى ترى أنـه علـى الزوجة التى يموت زوجها ، أن تحيى لـذكراه ، و لا تسـعى لقضـاء ليلـة جميلة فى فراش رجل أخر ، بحثاً عن السعادة و النسيان . و تتـدخل الجوقـة لتذكرها بأن مصيرهن واحد ، و توصى هيكـابى انـدروماخى بـأن تحتـرم زوجها و سيدها الحالى ، و تقدم له نفسـها كطعـم ، فيسـاعدها ذلـك علـى هزيمته ، و أن عليها أن تربى ابن هيكتور لينتقم لمدينـة أليـون (١) و يعيـد بنائها من جديد .

يدخل تالثيبيوس ، و يخبر اندروماخى بما انتـوى الـدانائيين (٢) فعلـه ، إنهم سوف يقتلون ابنها ، سيقذفون به من فوق أبـراج طـروادة ، و ينصـحها ألا تتشبث به ، بل تتحمل مصائبها بشجاعة ، و تتقبل قدرها راضية ، و ألا

---

١ - أليون أو أليوس ، نسبة الى الملك الطروادى ألوس ، و هى اسم قلعـة طرواديـة . و هناك اسم آخر للقلعة هو بيرجاموس .

٢ - الدانائيون ... نسبة الى داناؤس ابن أيو ، وهو جد السلالة الإغريقية .

حرمت من دفن ابنها . و رغم النصيحة ، تجد عاطفة الأمومة تطغى على الأم الثكلى ... و تتساءل لمّ يقتل الطفل ، و هو لم يُسئ إلى أحد ، و تلعن ابنة تيندراوس جلابة المصائب .

تسلم لهم الطفل في يأس من نجاته ، لينفذوا فيه مشيئة القائد المنتصر . تخرج اندروماخى و تالثيبيوس ، و هو يحمل استياناكس ، بينما تتألم جدته هيكابى لما سيلاقيه من مصير ، و تلطم الخدود ، و تضرب الصدور و الرأس بعصبية . و تبدأ الجوقة فى عتاب الآلهة ، لأنها تخلت عن أرض طروادة ، و تركت أعدائها يدمرونها . يدخل مينيلاؤس ، الذى جيش الجيوش كى يستعيد هيلينى من ذلك الطروادى الذى تجرأ على حرمة داره ، و اختطف زوجته ، إنه جاء ليعاقب ناكر الجميل الذى ضرب عرض الحائط بكل الأخلاقيات ، لقد وقعت الزوجة الاسبرطية فى يد زوجها ، و هو لن يقتلها فى طرواده ، بل يقرر اصطحابها إلى أرجوسْ . يأمر رجاله بجذبها من شعرها و ضربها ضرباً مبرحاً ، و أن يأتوا بها . يخرج اتباع مينلاؤس، الذى يبقى ، فتتناهى إلى سمعه همهمات أدعية إلى الآلهة ، إنها هيكابى ، التى تحذر مينيلاؤس من سهام الرغبة ، فإن زوجته قادرة على أن تأسر قلبه مرة أخرى ، إنها ساحرة . تدخل هيلينى و معها الحراس ، و هى تحتج على عنف المعاملة ، و تسأل مينيلاؤس عن مصيرها ، و يعلن الزوج، أن قرار الجيش الذى سلمها له ... هو الموت ، و تحاول مناقشة القرار مع الزوج ، الذى يرفض ذلك ، و لكن تتدخل هيكابى و تقنع مينيلاؤس ليتركها تدافع عن نفسها ، و ستتولى هى الرد على دفاعها ، فهى أعلم منه بما ارتكبت من مخازى فى طروادة ، و يوافق مينيلاؤس ، مدعياً أن ذلك من أجل طلب هيكابى و ليس هيلينى . و تبدأ هيلينى دفاعها بأن هيكابى و زوجها برياموس هما مصدر هذه المشاكل ، لأنهما أنجبا باريس رغم تحذير العرافين ، باريس الذى كان سبباً فى تدمير طروادة ، سمى باريس باليكساندروس بسبب قوته . و وصفته هيلينى بأنه جذوة نار مشئومة(١) ، أخذت هيلينى تقص ما دار حول التحكيم الذى قام به باريس أجمل البشر ، ليحدد أيا من الربات الثلاثة أكثرهن جمالاً ، و وعدته كل منهن بشئ إن حكم لصالحها ، فبالاس بنت زيوس وعدته بالإمارة على كل

١ - كان العرافون قد تنبأوا بأن مولد باريس سوف يجر على طروادة الخراب . لذا فقد تخلص منه بريامــوس و ألقاه فى العراء فوق جبل ايدا ، فالتقطه الرعاه ، و قاموا على تربيته .

الفريجيين و تدمير هيلاس ، بينما وعدته هيرا بأن تمد ملكه عبر اسيا و أقصى حدود أوربا ، أما كيبرس أى أفروديتى ، فساعدته على اختطاف هيلينى الجميلة ، و بذلك نجت هيلاس من الدمار ، و مع ذلك يوجه لها اللوم الآن ، بدلا من تتويج رأسها ، تتوقف هيلينى لتعلن أن مينيلاؤس قد يسأل نفسه ، لماذا ابتعدت هيلينى عن صلب الموضوع الحقيقى ؟ ، لقد جاء باريس أو الكساندروس ، فاستضافه مينيلاؤس فى منزله ، ثم تركه و أبحر بعيداً عن إسبرطة ، إلى كريت ، بعدها مال قلبها رغماً عنها نحو الفتى ، إنها مشيئة الآلهة فعاقبها هى لا أنا . و تستكمل هيلينى القصة ، فبعد أن مات باريس ، كانت تنوى أن تغادر بيته إلى الأسطول الأرجى ، بل و يشهد حراس الأبراج و الخفراء على محاولاتها العديدة لتنفيذ ذلك ، و لكن ديفوبوس (أخو باريس و ابن برياموس) منعها ، و حملها عنوة لتكون زوجته ضد إرادة الفريجيين ، هكذا كانت مرغمة ، فكيف يأتى زوجها الآن ليقتلها . تنفعل الجوقة لما سمعت ، و تطلب من هيكابى الدفاع عن أبنائها و وطنها ، مفندة حجج هيلينى المضللة . و تتصدى هيكابى لأقوال الزوجة الخائنة التى تقلب الحقيقة ، و تنفى هيكابى إدعاءات هيلينى عن الإلهتين هيرا و بالاس ، و تنزهما عن ذلك القول . و تنتقل هيلينى إلى الإدعاء الثانى ، و هو حضور كيبريس و باريس إلى منزل مينيلاؤس ، إن المنطق يفترض أن فى مقدور الآلهة أن تحضر هيلينى و كل مدينة أميكلاى إلى أليون . أن سحر ابنها قد فتن هيلينى و خلب عقلها . إنها هربت مع باريس طواعية ، فلو اختطفها عنوة كما تدعى ، لصرخت مستغيثة ، و لهب لنجدتها كل شباب إسبرطة . حتى عندما قامت الحرب ، فإن هيلينى كانت تكيف علاقتها وفق مسار الحرب ، ثم هى لم تسلك سلوك الزوجات النبيلات، عندما يرحل أزواجهن ، لقد طلبت هيكابى منها الرحيل مرات و مرات إلى السفن الأخية كى تعمل على إيقاف الحرب بين طروادة و هيلاس ، ولكنها لم تفعل ، و ها هى الآن تظهر مع زوجها ، مرتدية أفخر الثياب بدل من الأسمال . ثم توجه حديثها إلى مينيلاؤس ، و تطلب منه تتويج انتصار هيلاس بقتل المرأة الخائنة الفاجرة ، كعقاب لها على ما اقترفت . و تشارك الجوقة هيكابى الرأى ، و تستحث مينيلاؤس ، و تشعر هيلينى بذلك ، فتركع متوسلة ليسامحها ، و تحاول هيكابى الضغط عليه حتى لا يتراجع عن قراره ، و يطمئنها مينيلاؤس ، و هى تستمر فى التحذير ، إذ من عشقت مرة ، تعشق مرات و مرات ، ويعدها مينيلاؤس بأن يقتلها فى

أرجوس ، لتكون عبرة لكل بنات جنسها ، حتى يلتزمن العفة . يجذب مينيلاؤس هيلينى و يخرج . تبدأ الجوقة فى لوم زيوس ، لأنه سمح للأخيين بأن يطأوا معبده فى أليون ، و يدنسوا مذبحه الملئ بقرابين الأضحية المحترقة ، و يحطموا تماثيل الآلهة الذهبية . ثم تبدأ الجوقة فى النواح على جثمان الزوج الهائم ، الذى تتركه دون دفن و غسل ، و تمخر عباب البحر على ظهر سفينة حيث مرساها الأخير ، أرجوس ، حيث انتزعها الأخيون لتكون جارية فى هيلاس . تدعو الجوقة ألا يصل مينيلاؤس إلى وطنه ، ذلك الذى عاد بزوجته الخائنة ، ثم تشير إلى جثمان إستياناكس الذى قتله الدانائيون ، بإلقاءه من فوق القلاع .

يدخل تالثبيوس و أتباعه و يحملون جثمان إستياناكس على درع هيكتور، و يخاطب هيكابى محذراً أن السفن قد بدأت رحلتها عدا واحدة ، ثم يخبرها عن أخبار اندروماخى التى التمست من سيدها الأذن بدفن جثمان ابن هيكتور ، كما رجته ألا يحمل درع هيكتور النحاسى إلى موقد بيت بيليوس ، إنها ستتخذ من هذا الدرع نعشاً لجثمان استياناكس ، و ها هى ترسله إلى هيكابى كى تتولى دفنه بعد أن اضطرت للرحيل مع زوجها . و يطلب منها أن تتم هذه المهمة بأسرع ما يمكنها ، و سيحفر هو القبر . يخرج تالثيبوس تاركاً هيكابى الحزينة التى تأمر الرجال بوضع الدرع على الأرض ، و فى ذات الوقت توبخهم على اقترافهم جريمة قتل الابن ، خوفاً من أن يُعيد مجد طروادة من جديد ، و بعد جمل عبرت فيها الثكلى عن مصير ابنها ، تطلب من الخدم إحضار ما يصلح لديهم لزينة الميت ، و بالفعل تعلن الجوقة عن إحضار ما طلبته من أسلاب طروادة ، و تبدأ الجدة فى مراسمها و هى تنثر الكلمات الحزينة التى تقطع نياط القلوب ، و فى ذات الوقت تشاركها الجوقة بجمل تزيد من حدة الحزن ، و تصل هيكابى إلى الكفر بالآلهة إذ تقول :-

هيكابى : يبدو أنه لا يشغل الآلهة شئ سوى نكباتى ، و أن طروادة فى نظرهم أكره المدن جميعاً . عبثاً كنا نضحى لهم ......الخ (٢٥٠) .

تطلب هيكابى من الأتباع حمل الجثمان إلى القبر ، و تبكيه الجوقة و تتحسر علي أمه الثكلى ، و موته الفاجع من محتلى طروادة . يظهر تالثيبيوس فوق الأسوار ، و يستحث الجنود حاملى المشاعل لحرق مدينة اليون ، و هى أخر المهام قبل الرحيل إلى الوطن ، كما ينبه أهل طروادة ، بضرورة اللحاق بالسفن الأخية بمجرد سماعهم نفخ البوق ، ثم يأمر هيكابى الشقية الشيباء الشمطاء بالاستعداد للرحيل مع رجال اوديسيوس ، حيث ستعمل جارية فى قصره ، و فى حسرة و يأس تفضل العجوز هيكابى الاندفاع وسط النار

المشتعلة لتموت مع حطام طروادة ، و لكن أوامـــر تـــالثيبيوس تحـــول بينهـــا و بين ما انتوت الإقدام عليه ، إذ يسرع أتباعه للقبض عليها ، و هـــى تصـــيح طرواده تحترق ، منازل برجاموس تنهار و الأسوار العالية شعلة واحـــدة مـــن نار ، و يتعالى صوت هيكابى تنادى أبنائها ، و لكـــن الجوقـــة تـــذكرها بأنهـــا تنادى على الأموات ، و تتناوب الجوقة و هيكـــابى إفـــراغ شـــحنة الغضـــب و الرثاء على كل ما صار حطاماً ، ثم تنهى هيكابى قولهـــا و هـــى مدفوعـــة نحو السفن الآخية وسط نواح الجوقة .

أهم ما يلاحظ على المسرحية :

أولاً : تاريخ عرض المسرحية :

أ - قُدمت هذه المسرحية عام ٤١٢ ق.م . كان السلام قـــد ســـاد ربـــوع البلاد ، و فى ذلك الوقت كانت أثينا تجهز لحملـــة للاســـتيلاء علـــى صقلية . اعتبر البعض هذه الحملة جرأة للتوسع نحو الغـــرب ، بـــل و عبر المتشككون عن تخوفهم علـــى وطـــنهم إذا مـــا فشـــلت هـــذه الحملة.

ب - ظهر فى هذه المسرحية ذلك المزاج الذى ساد هذه الفترة .

ثانياً : أصل المسرحية :

١ - تحكى المسرحية قصة انتصار حملة الإغريق على طروادة .

٢ - هذه المسرحية سبقتها مسرحيتان لنفس الشاعر ، آى أنها ثلاثية .

الأولى : باسم الكسندر ، و هى تحكى قصة الفتى بـــاريس الـــذى جـــاء يوماً إلى طروادة للاشتراك فى حفل يقام على شرف ابن متـــوفى لملـــك البلاد ، و نازل الجميع و انتصر علـــيهم بمـــا فـــيهم أخوتـــه و دون أن يعرفهم . سبب انتصاره هذا غضب أخيه ديفوبوس فأراد قتلـــه ، و لكـــن هرب باريس إلى المعبد حيث تعرفت عليـــه أختـــه كاســـندرا و تقدمـــه للأسرة و يرضى عنه أبيه .

الثانية : بالاميديس ، و هى تدور حول إدعاء اوديسيوس الجنـــون قبـــل حرب طروادة حتى لا يشارك فى المعركة حقـــداً منـــه ، و نكايـــة فـــى البطل بالاميديس الابن الحكيم لناوبليوس .

كانت وسيلة اوديسيوس للانتقام من بالاميديس تدور حول وضع كمية من الذهب فى خيمة البطل ، و اصطنع خطاباً مزوراً وقعه بإمضاء بريام ، ثم أعطاه لأحد الأسرى الفريجيين ليوصله إلى بريام ، أرسل أحد جنوده ليقتل هذا الفريجى بالقرب من معسكر الإغريق و لما عاد رجال الجيش الإغريقى فى تلك الليلة من المعركة ، وجدوا جثة الفريجى والخطاب . حملوا الخطاب إلى اجاممنون ، و بذلك أحكم المؤامرة ضد بالاميديس فظهر بمظهر الخائن الذى يتصل بالأعداء ، و يتلقى منهم الرشوة ليخون وطنه . حاول القائد الدفاع عن نفسه فى مشهد المحاكمة ، و مع ذلك حكم عليه اجاممنون بالموت رجماً بالحجارة ، و أمر الجيش بأن يتولى تنفيذ الحكم على الخائن .

و قد جعل الشاعر الجوقة تتعاطف مع بالاميديس و فى نفس الوقت معادية لأوديسيوس و قادة الإغريق فى هذه الحرب .

أما الثالثة : و كانت مسرحية الطرواديات .

الرابعة : و هى مسرحية ساتورية باسم سيسيغوس .

و من المعروف أن يوريبيديس قد فاز بالمرتبة الثانية عن هذه الثلاثية، بينما فاز شاعر مغمور يدعى كسينوكليس بالمرتبة الأولى . على أية حال ، تتفق ثلاثية يوربيديس فى الموضوع ، كما أن موضوع الطرواديات يشبه إلى حد بعيد موضوع هيكابى ، و قد استفاد سينيكا من هذا التشابه ، فادمج الموضوعين معاً فى مسرحية واحدة و اسماها الطرواديات أيضاً .

ثالثاً : المنظر الذى تجرى فيه الأحداث :

ساحة المعركة ، و أمام خيمة اجاممنون فى المعسكر الإغريقى ، قرب طروادة .

رابعاً : أهداف الفكرة الرئيسية :

١ - تصوير مدى ما تخلفه الحرب من دمار .

٢ - توضح لنا سلوك المنتصر تجاه أعدائه .

٣ - برغم انتصار طرف ضد طرف أخر، إلا أن الطرف المنتصر يُعانى أيضاً من الخسائر ، سواء فى الأرواح أو العتاد .

خامساً :المناقشة و التحليل :

١ - المسرحية تحكى قصة تدمير الأثينين لمدينة ميلـوس عـام ٤٠٦ ، و قبل الحملة التى سُيرت إلى صقلية للاستيلاء عليهـا و ضـمها إلى أثينا . و هى تعبير عن ما أصـاب الشـاعر مـن أحاسـيس بسبب المذبحة فـى ميلـوس ، و إدراكـه للمحاولـة الاسـتعمارية الأثينية ، فنادى فيها بالسلم و شهر بالحروب .

٢ - بدأ الشاعر مسرحيته بمقدمة اسـتهلالية ألقاهـا الإلـه بوسـيدون ، و من هذه المقدمة نعلم أنه و الإله فويبوس قد أسـهما فـى تشـييد أسوار طروادة ، بل و تعاطفاً مع أهل المدينـة الفريجيـة ، و هـو الأن يروى ما حل بها من إبادة و خراب . و يرجـع أسـباب هـذا الخراب إلى رغبة الإلهة اثينه في الانتقام من أهل فريجيـا . أيضـاً من هذه المقدمة نستقى بعض المعلومات المستقبلية :

أ - مصير الجيش الإغريقى المنتصر .

ب - التوحد الدنس بين كاسندرا و اجاممنون برغم مشيئة فويبـوس التى تريدها عذراء ، و هذا استخفاف بـأمر الإلـه و برهـان على شخصية اجاممنون .

ج - تواجد هلينى الاسبرطية بين الأسيرات الطرواديات ، (٣٥) .

د - إن الألهة مزاجية ، تعبث و تلهو مثل البشر ، فهى يومـاً ضـد طروادة ، ثم تتحول فـى يـوم آخـر لتسـاندها ، و تعـادى هيلاس .

٣ - مع نهاية مقدمة بوسيدون ، تظهر الألهـة اثينـه ، و فـى حـوار بينهما، نعلم تحول اثينه عن موقفها ، فبعـد أن كانـت سـبباً فيمـا أصاب المدينة الطروادية ، ها هـى تتعـاطف مـع أهلهـا ، بـل و تطلب مساعدة بوسيدون للقضاء على جيش الآخيين (الإغريـق) عند عودتهم ، و تحطيم سفنهم . إذن وفقـا لمـا سـبق ، أعطانـا بوسيدون معلومات هامة عن خراب طروادة و ما حل بها ، ثم هـا هى اثينه ترهص بما سـيحل بجيـوش الإغريـق المنتصـرة (٧٨ -٤٨) . إن هذا الانتقام ليس جزءاً من الحدث الدرامى ، إنه إنـذار يضيف سخرية درامية قوية على نصر الإغريق .

٤ - ما أن تنتهى المقدمة الاستهلالية ، حتـى تبـدأ مناحـة هيكـابى ، و هى مرثية طويلة ، تتحول فيما بعد إلى شبه أغنية متبادلـة بينهـا و بين الجوقة .

٥ - يدخل الرسول تالثيبيوس ، و معنى دخوله مزيد من الكوارث تحل بعائلة برياموس ، و فى هذه المرة يُعطى عدة معلومات عن :

أ - مصير بوليكسينى ، الموت ، لتخدم فى قبر اخيليوس .

ب - مصير كاسندرا ، فقد اختارها اجاممنون خليلة له .

ج - مصير اندروماخى ، إذ نالها بيرهوس ابن اخيليوس .

د - مصير هيكابى ، فقد أصبحت جارية لاوديسيوس .

هـ - لم يشر الرسول إلى مصير الطفل استياناكس إمعاناً فى التشويق .

٦ - حرص الشاعر على استمرار وجود هيكابى مع تطور الحدث ، و هذا يزيد التأثير الدرامى فى نفس المشاهد .

٧ - إن ظهور كاسندرا و اختيارها لتكون عشيقة فراش لأجاممنون ، يذكرنا بمصيرها فى مسرحية اجاممنون لايسخيلوس ، هذا الربط سيزيد من التأثير الدرامى .

٨ - و مع دخول كاسندرا ، يعطينا يوربيديس بعض الصور المتتابعة، التى تتسم بالكلام المنطقى ، و يستخدم الشاعر نبوءتها و إرهاصاتها كوسيلة لتحويل انتباه المشاهدين عن ما حل بطروادة ، إلى ما سوف يقاسيه هؤلاء المنتصرين ، الذين ينجون مما هو مقدر لهم ، و من بين ذلك الأجاممنون .

و يرى البعض أن المشعل الذى حملته كاسندرا عند دخولها ، ما هو إلا رمز لزواجها ، و لكن يرى آخرون أنه يمكن أن يكون كناية عن وفاتها ، أو عن جنونها و خبلها . إن السعادة و الفرح الذين غمرا الفتاة ، ليس بسبب الزواج ، و إنما بسبب ما اختمر فى ذهنها من أفعال ، فهى تضمر شراً لسيدها الجديد ، و قربها منه يسهل لها تنفيذ ما انتوت عمله ، و يساعدها فى الانتقام من ذلك الذى كان سبباً فى دمار وطنها ، و موت أبيها ، و شتات أسرتها . كان هذا المشهد من عوامل تلطيف المأساة التى تدور هيكابى فى دوامتها . لذا نجد الشاعر يحاول إعادة المزاج النفسى الحزين الذى تعيشه هيكابى ، و تستمر محاولته هذه فى خمسين سطراً قبل أن ينجح فى ذلك (٤٦٥-٥١٠) .

٨ - إن التحضير لمشهد اندروماخى و ابنها استياناكس أقل إتقاناً و إحكاماً من مشهد كاسندرا . و ما ذلك إلا بسبب إعلان الرسول لمصير اندروماخى .

٩ - أيضاً ، كان المشهد الذى تطرح فيه اندروماخى ماضيها ، و حياتها و تفضيلها لأن تلقى مصيرها على أن تساق جارية ، يبدو أقل تأثيراً من مشهد وداعها لأبنها (٧٣٩-٧٧٠) .

١٠ - تدور هذه المسرحية حول ما يجب أن تكون عليه معاملة الأسرى و التعامل مع بلد محتل .

فمنذ أن غزت أثينا مدينة ميلوس ، بعد أن هزمت الفرس ، و هى لا تكف عن معاملة أهلها معاملة فظة ، و ترهق كاهلهم بالضرائب ، و هى فى سبيل تحقيق السيطرة الكاملة على هذه المدينة ، قد لجأت إلى العنف و سفك الدماء ، و السلوك اللاإنسانى نحوهم .

كل هذه الأفعال ، أثارت حفيظة يوربيديس و استثارت نخوته ، فأفرغ شحنته العاطفية فى هذه المسرحية ، كإعلان احتجاج على ما ترتكبه أمته من سلوك غير حضارى و ممارستهم سياسة غير حصيفة .

فقد أظهر يوريبيديس الأثينين المنتصرين على طروادة فى صورة همجية ، فلم يكتفوا فى رأيه بتدمير المدينة ، بل سبوا النساء ، و غنموا الغنائم ، مما دفع الملكة هيكابى ، بعد مقتل زوجها بريام ، إلى لعنة الأثينين لما ارتكبوه من عنف ، و توزيعهم النساء الطرواديات على قادة الجيش . بل كانت هيكابى واحدة من هؤلاء .

لم يكتف جيش أثينا بكل هذه المهانة ، فأقدم على إلقاء الطفل استياناكس ابن هيكتور من فوق أسوار اليون ، حتى يقضى على آخر أمل لأهل طروادة ، الذين فى لحظة اليأس و الانكسار ، قد تطلعوا الى هذا الطفل كمنقذ لهم ، و آخذ ثأرهم من الأثينين .

١١ - من الملاحظ أن يوريبيديس قد جعل شخصية الملكة الطروادية هيكابى ، بطلة لأثنين من مسرحياته ، هما الطرواديات و هيكابى ، بل و جعل الجوقة فى كلا المسرحيتين من نساء طروادة الأسيرات ، كما أن التشابه بين الموضوعين كبيراً مع اختلاف فى الحبكة و البناء .

١٢ - عالج يوريبيديس مظهرين من مظاهر الحرب فى هيكابى ، هما الانتقام ، و المعاناة ، ثم عاد فى الطرواديات ليؤكد بصورة أقل على المعاناة و الرغبة فى الانتقام .

١٣ - رغم ما ألم بهيكابى من مصائب تنوء عن حملها الجبال ، فإن يوريبيديس قد حرص على جعلها قادرة على نصرة الحق و العدل ، فغدت محكمة لكل من خالف النواميس ، إنها امرأة قادرة على الفعل ، برغم كل الظروف المحيطة .

١٤ - يرى النقاد أن يوريبيديس قد وفق فى بناء هذه المسرحية ، إذ قسمها إلى مأساتين :

الأولى : ابنتها كاسندرا فى حالة هياج عصبى عاطفى ، تهدأ بعده هدوءاً عميقاً ، و تحتفل بزواجها من أجاممنون الذى طلب الانتقام من طروادة .

الثانية : مأساة أندروماخى الحزينة الأسفة ، و أرملة الملك الأسيرة بدت فى قمتها عند انتزاع ابنها الصغير استياناكس ، و قذفه من فوق أسوار طروادة .

هذا المشهد واحد من مشاهد الأسى و الحزن المتميزة .

١٥ - و رغم أن أحداث هذه المسرحية قليلة ، إلا أن أشعارها جيدة ، عكست مهارة و إمكانيات يوريبيديس فى تطويع الكلمة ، لتعبر عن العواطف الجياشة ، مما جعل المسرحية أكثر المسرحيات تعبيراً عن موضوع الحرب و مآسيها ، بل و كشفت عن أفكار يوريبيديس و مدى كراهيته للحروب ، و نفوره من المعاملة اللاإنسانية و الوحشية للضعفاء من الأسرى ، و هو بذلك يعرى أهل أثينا و يفضحهم بإسقاطه أسطورة الطرواديات على ما حدث لمدينة ميلوس .

١٦ - عنى الشاعر بالمشهد الذى دار بين هيكابى و مينيلاؤس فأضفى عليه نغمة مأساوية . على أية حال ، أجمعت الأراء على أن هيلينى هى السبب فى قيام الحرب بين الهلينيين و طروادة ، و لكن نجد يوريبيديس هنا يحمل باريس قدراً كبيراً من المسؤلية، حينما جعل اندروماخى تقول :

اندروماخى : ... منذ ذلك اليوم الذى نجا فيه ابنك ذاك من الهلاك، هو الذى جلب الخراب على قلعة طروادة من أجل عروس لعينة . (٥٩٧) .

و لكن يعود يوريبيديس إلى إدانة هيلينى ، إذ يجعل نهاية النقاش الذى دار بين هيكابى و مينيلاؤس ، إدانة لهيلينى ، و يؤكد مسؤليتها الشخصية ، بل و يجعل زوجها مينيلاؤس يوافقها

الرأى، حينما يعلن أن زوجته هربت مختارة مع باريس . بالطبع اتهام هيلينى من وجهة نظر الأم هيكابى ، هو فى ذات الوقت دفاع مستميت عن ابنها باريس ، و لنفى التهمة عنه . و قد وصل حد الإقناع إلى تراجع مينيلاؤس عن اتهامه لباريس ، فهو من لحظة دخوله ، يعلن أنه جاء يحارب طروادة لا ليسترد زوجته ، أو يقتلها ، بل لينتقم من الرجل الذى خان ضيافته و اختطف زوجته .

١٧ - فى بداية دخول مينلاؤس يرفض تسمية هيلينى بأنها زوجته ، بل دعاها المرأة الإسبرطية (٨٧٠) و يعلن أن جيش طروادة سلمها له و وضعه بين خيارين ، إما أن يقتلها ، أو يعفو عنها و يحملها معه إلى أرجوس ، و يعلن أنه سيأخذها حية إلى هيلاس، ثم يقتلها هناك ، تأتى هيلينى لتلقى مسئولية قيام الحرب على كل من هيكابى ، لأنها أنجبت باريس ، و بارياموس لأنه لم يصدق النبوءة و يقتل باريس ، ثم تستمر فى دفاعها بأن وقوعها فى حب الفتى ما هو إلا إرادة إلهية ، فقد وعدته كيبريس ، إن هو حكم لصالحها بأن تجعله ينالنى ، فأنا مُسيرة و لست مُخيرة ، و تضيف هيلينى إلى أدلتها ، دليلاً يدمغ مينيلاؤس نفسه ، إذ هو الذى ترك باريس فى منزله و سافر إلى كريت ، و بذلك وضع النار إلى جوار الحطب ، ثم يعود اليوم ليلومها ..و تستمر هيلينى فى سرد أدلة الإقناع كى تبرأ نفسها ، آخر هذه الأدلة محاولتها الهرب مراراً دون جدوى ، و حتى بعد موت زوجها باريس ، اتخذها أخوه ديفوبوس ابن برياموس زوجة له رغما عنها ، فأين المهرب ؟ ، و تفند هيكابى مزاعم و أدلة هيلينى و تُعريها أمام زوجها ، و تطلب هى و الجوقة من مينيلاؤس أن يقتلها جزاء خيانتها .

برغم كل ذلك ، نجد سطراً واحداً قالته هيكابى يعبر تماما عن شخصية الزوج مينيلاؤس : –

هيكابى : بل من كان عاشقاً ذات مرة سيظل يعشق دائماً أبداً (١٠٤٩) .

ثم تعود الجوقة لتؤكد ذات النظرة إلى الرجل حينما تستحثه ليثأر لنفسه :

الجوقة : ... و طهر نفسك من تهمة التخنث كما أخذت عليك
هيلاس ، و دع أعدائك يرون نخوتك (١٠٣٢) ،
بالطبع ، سافرت هيلينى فى سفينة مينيلاؤس ، و ما
توقعته هيكابى و الجوقة قد حدث ، رجل ضعيف سوف
يخضع و يلين أمام اغراءات امرأة جميلة مثل هيلينى .

١٨ - اتسمت هذه المسرحية ، كمأساة صارخة ، بالقسوة ، إذ تعددت فيها المواقف المروعة .

١٩ - يرى البعض أن حبكة المسرحية بسيطة وفقاً لمعيار أرسطو ، فهى تخلو من مشاهد انقلاب الحظ ، و التعرف ، و تمضى المشاهد فى تصاعد مأساوى . و هناك من يرى أنها مسرحية بلا حبكة . بل و يؤكد أصحاب هذا الرأى أنها مسرحية مفككة ، و حوادثها العرضية المتعددة لا تقع وفق العلاقة بين الأسباب و النتائج .

٢٠ - هناك من يرى أن مسرحية الطرواديات ما هى إلا نسخة معدلة من مسرحية هيكابى ، إذ أنه أخذ نفس الموقف و كتب مسرحيته أكثر تماسكاً بعد تلافى أى نقص شاب هيكابى .

٢١ - تعطينا المسرحية دليلاً على فكر يوربيديس الدينى ، إذ كتب صلاة لهيكابى فى صراعها مع هيلينى :

هيكابى : أنت يا من ترفع الأرض و يستقر عليها عرشك ، لغزاً
يفوق إدراكنا سواء كنت زيوس ، أو ضرورة طبيعية ،
أو عقل إنسان ، إننى أدعوك ، فإنك لتسلك مسالكاً
مبهمة ، بيد أنك تقود مصائر البشر نحو العدل .
(سطر ٨٨٤-٨٨٨) .

٢٢ - هناك بعض الأفكار السوفسطائية عن العقل و القوة المقدسة ، و هى من تعاليم اناكساجوراس ، صديق بركليس ، و قد اعتبره البعض أستاذاً ليوربيديس .

٢٣ - لم يلجأ الشاعر فى هذه المسرحية إلى الإله من الماكينة لإنهاء مسرحيته ، و بالتالى لم يظهر أى إله ، بل أنهى المسرحية بحزن حقيقى .

سادساً : الجوقة :

١ - فى نشيد الجوقة الأول تتخيل هذه المجموعة مصيرها المنتظر ، و الذى على وشك الوقوع ، إنها تعدد الأماكن المتوقعة و غير المتوقعة ، و تقبلها كلها عدا إسبرطة (سطر ٢١٠) موطن هيلينى الكريه . و إذا ما حددنا البلاد و الأماكن التى قبلتها الجوقة لوجدناها تبدأ بأثينا ثم سيسلى (صقلية) ، ثم ساحل إيطاليا الجنوبى، و هنا يمكن أن نقول إن ضمير الشاعر الأثينى يفرز أحلام مواطنيه التوسعية نحو الغرب .

٢ - الجوقة هنا من نساء طروادة ، لذا فهن صدى لهيكابى ، متعاطفين مع كل ما هو طروادى .

٣ - زادت أناشيد الجوقة من تماسك المشاهد نسبياً ، خاصة من ناحية إضفاء النغمة و روح الحدث . و قد أسهمت فى بناء الجو المأساوى .

٤ - استخدم الشاعر أناشيد الجوقة عند سقوط طروادة كخلفية مصاحبة للمعاناة التى تقاسيها هيكابى .

سابعاً : الحوار :

اتسم الحوار سواء أكان منلوجات فردية أو حوار متبادل ، بصياغة شعرية تعتبر من أروع ما كتب الشاعر .

١١ - الكترا (١) :

يلقى فلاح من ميكيناى المقدمة الاستهلالية ، التى تدور حول مصرع اجاممنون بيد زوجته كليتمينسترا ابنة تينداريوس ، و عشيقها ايجستوس ابن تويستيس ، و ما ترتب على ذلك من حوادث لاحقة ، حتى يُذكر المشاهدين بالحكاية القديمة ، و يستمر الفلاح فى إعطاء المشاهد بيانات هامة ، حول الوريث الشرعى للعرش اورستيس ، الذى أبعده مربيه من أرجوس إلى فوكيس ، خشية أن يقتله عشيق أمه ، أما أخته الكترا ، فقد عاشت فى القصر مهيضة الجناح ، فما أن كبرت و شبت عن الطوق ، حتى تقدم العديد من أمراء هيلاس لخطبتها ، و لكن يرفض ايجستوس تزويجها لأى واحد من هؤلاء ، خشية أن تنجب طفلاً ، يصبح الوارث الشرعى للعرش ، أو يفكر فى الانتقام لجده اجاممنون . بل فكر عشيق الأم فى قتل الكترا حتى يقضى على ذرية أسرة الأتريد ، و لكن تقف الأم الخائنة بقوة ضد هذه الفكرة . و وفقا لخطة عشيق الأم ، زوّج الكترا من فلاح بسيط ، وضيع الأصل ، و يقرر الفلاح أنه قبل هذه الزيجة ، و لكنه فى ذات الوقت حفظ على الفتاة عذريتها ، لاقتناعه بالفارق الطبقى بينهما ، و حتى لا يُسئ إلى ابنة اجاممنون العظيم ، و حتى لا يعود اورستيس يوما إلى أرجوس فلا يرضى عن هذا الزواج . تدخل الكترا حاملة جرة ماء على رأسها ، كى تملئها من النبع كعادة الفلاحات ، و تعترف فى مناجاتها أنها غير مضُطرة لفعل ذلك ، و لكنها كى تؤكد للآلهة ، المهانة التى سببها لها ايجستوس ، و أمها . يستنكر الفلاح ما تفعله زوجته الكترا ، فهى لم تعتد مثل هذه الأعمال ، و نلمس فى الحوار بينهما تلك المعاملة الرقيقة التى يعامل بها هذا الفلاح زوجته ، إذ تمتدح الكترا سلوكه نحوها ، و تعاطفه مع محنتها ، و هى بدورها تود أن ترد بعض ما طوق به عنقها ، و تخفف عنه أعبائه ، و تشاركه شقاءه فى الحصول على لقمة العيش . يخرج الاثنان ، ليدخل اورستيس و هو يُطرى صديقه بيلاديس ، و ما قدمه له من معونات . و من الحوار نعلم أنهما قادمان من مذبح ابولون ، و أن أمام اورستيس مهمتان ،

---

١ - نعتمد بصفة أساسية فى تلخيصنا لهذه المسرحية على ترجمة :
اسماعيل البنهاوى ، الكترا . اورستيس ، من المسرح اليونانى القديم ، سلسلة من المسرح العالمى ، العدد ٥٦ ، مايو ١٩٧٤ ، وزارة الاعلام ، الكويت .

الأخذ بثأر أبيه من أمه و عشيقها ، و أنه زار قبر أبيه و قدم لـه الأضـاحى ، و وضع خصلة من شعره كقربان للميت العظيم . إنه فضل أن تكـون عودتـه سراً ، لا يعلم به أحد حتى ينجز مهمته بنجاح ، أما الهدف الثانى فهو البحـث عن أخته الكترا ، التى نمى إلى علمـه أنهـا تزوجـت . أثنـاء ذلـك يلمـح اورستيس الكترا قادمة من بعيد ، فيطلب من بيلاديس الجلـوس حتـى إذا مـا اقتربت منهما يسألانها ، فربما يستشفان منها بعض الأخبار . تـدخل الكتـرا ، و تبدأ فى مناجاة نفسها ، التى تفصح فيها عن شخصيتها و هى ترثى أبيهـا ، ثم تتشوق إلى أخيها و أخباره ، ثم تستحث زيوس ليحررها من حيـاة الشـقاء، و ليُعيد إليها أخيها كى يثأر لأبيه . تتصاعد حدة الرثاء ، و تكرر قصـة أبيهـا فى آسى و ألم . تدخل الجوقة لتعلن أن هناك رسول ، هو صاحب أرض فـى ميكيناى ، يطلب من الأرجيين تقديم الضحايا فـى اليـوم الثالـث مـن الآن ، و أن على كل الفتيات الذهاب إلى هيكل هيرا .

ترد الكترا على الجوقة بأن همومها تمنعها مـن الاحتفـال أو الـرقص ، فهى حزينة ، و ثوبها غير لائق ، و حليقـة الشـعر . تعـدها الجوقـة بـأن تقرضها أثواباً موشاة ، و حلياً مـن الـذهب ، لتتـزين بهـا ، فالـدموع لـن تساعدها فى النصر على الأعداء ، و إنما الصلاة النقية إلى السـماء ، سـوف تجعل الحظ يبتسم . إن الحزن الذى خيم علـى الكتـرا جعلهـا لا تقبـل مـا عرضته عليها الجوقة ، بل زاد من همومها ، و وسط هذا الجـو المشـحون ، تلمح الكترا اورستيس و صديقه ، فتتوجس خيفة و تحـاول الهـرب ، و لكـن يستوقفها اورستيس ، و يحاول الاقتراب منها ، بينمـا تجفـل هـى رافضـة ملامسته ، رغم ما فى قوله من تلميحات لم تفهمها الكترا ، ثم يعلن أنـه قـادم إليها بأنباء عن أخيها ، ساعتها فقط تطمئن ، و ترجـوه أن يطـرح أخبـاره ، و يدور حوارهما عن أحوال اورستيس فى منفاه . يطمئنهـا اورسـتيس عـن نفسه ، و أنه حى دون أن تعلم أنه أخاها حتى تلـك اللحظـة ، ثـم يتطـرق حديثهما عن أحوال الكترا ، و زواجها ، و تطرى زوجهـا ، رغـم اعترافهـا أنه ليس بالرجل المناسب لها ، و لكنه فاضل .

يتطرق حديثهما حول الجوقة ، و هل هى صديقة تؤتمن علـى السـر أم لا . ثم يسألها عن الوسيلة و الطريقة التى يمكـن أن تسـاعد اورسـتيس فـى الانتقام من قتله أبيه ، و هل تساعد أخيها إن أقـدم علـى ذلـك ، فتؤكـد لـه استعدادها و إصرارها .

تأسف الكترا عن عدم قدرتها على التعرف علـى أخيهـا ، فقـد غـادر أرجوس و هو صغير ، و هى أيضاً كانت صـغيرة ، و قـد محـت الأيـام

ملامح صورته ، أو قد تغيرت تلك الملامح بفعل السنوات و المنفى ، و تقترح الاستعانة بمربيه العجوز في التعرف عليه .

يطلب منها اورستيس سرد الأحداث التى تلت مقتل أبيها ، كذلك تفعل الجوقة ، فتوافق على زواية ما جرى ، على شريطة أن ينقله حرفياً لأخيها اورستيس ، و تبدأ القصة عن حالها و قذارة ثيابها ، و حقارة مسكنها و كوخها ، ثم تتحول إلى المأساة التى تحياها بعد ارتكاب أمها للجرم العظيم ضد بطل حرب طروادة ، و حتى بعد موته ، لم يلق التكريم اللائق به ، فهو في قبر مهمل ، و لم يتلق شراباً يسكب عليه ، أو رياحين تنثر فوقه حتى الآن ، إن عشيق الأم يُمطر قبر البطل العظيم بالحجارة و هو ثمل ، و يستهزئ بأسرته ، و يسخر من أبناءه .

تلمح الجوقة زوج الكترا العائد من الحقل ، و تنبه الزوجة ، يدخل الفلاح فيرى زوجته مع الغريبين ، فيسأل عن هويتهما ، و هل يطلبان المساعدة ، ثم يوجه توبيخاً بسيطاً لزوجته ، مذكراً اياها أنه لا يصح للمرأة التحدث مع الشبان . تتوسل إليه الكترا ألا يشك فى فعلها ، فإنها ما حدثتهما إلا لأنهما يحملان أنباء عن أخيها اورستيس . يندهش زوج الكترا لعلمه أن أخاها حياً . و يسألهما عن الرسالة التى يحملانها ، و يدعوهما إلى داره مرحباً بهما ، و يطلب من خدمه حمل أمتعه اورستيس و صديقه . يتعجب اورستيس من سلوك زوج أخته ، إذ أثبتت الطبيعة أن قيمة الإنسان لا تحددها المكانة الاجتماعية ، فرب نبيل يلد شريراً و نذل ، و العكس صحيح. و يقبل اورستيس ضيافة الرجل المتواضع الذى يبذل قصارى جهده لإظهار الحب و الود . يخرج اورستيس و بيلاديس ، و تعلن الجوقة لالكترا فرحها إذ ستشرق شمس السعادة من جديد ، بينما تلوم الكترا زوجها لترحيبه بالضيفين مما يحمله أكثر من طاقته ، و تطلب منه الذهاب إلى العجوز ، مربى أبيها الذى يعمل بالرعى الآن ، و يطلب منه تقديم بعض الزاد ، و سيرحب بذلك ، و يسعد بالأنباء عن اورستيس . يوافق الزوج ، و لكنه يطلب من زوجته الدخول إلى المنزل و تدبر الأمر ، فالخير القليل يكفى لو أحسنت الزوجة التدبير . يخرج الزوج مع زوجته الكترا ، و تبدأ الجوقة فى اجترار بعض حوادث الماضى ، خاصة حرب هيلاس و طروادة و ما صنعه الأبطال فى الحرب ، و ما أسهمت به نجوم السماء و هياديس ضد هيكتور ، ثم تعرج على كليتمينسترا بنت تينداريوس اللعينة بسبب قتلها لزوجها اجاممنون ، ثم تتنبأ بمصيرها . يدخل العجوز مربى اجاممنون ليسألا عن الكترا ، كى يقدم لها حملاً رضيعاً جاء به ، مع زهور و جبن

و زجاجة شراب . تدخل الكترا ، فترى العجوز و قد دمعت عيناه ، تطيب خاطره ، و يستمر العجوز معلناً أنه زار قبر سيده اجاممنون و سكب خمراً عليه، و وضع أغصان الريحان حول القبر ، و شاهد كبشاً قدمه أحدهم كقربان للعظيم ، مع خصلة شعر كستنائية . يعلن العجوز أن ما من أحد يجرؤ على الاقتراب من القبر ، و يشك في أن اوريستيس قد جاء خلسة ، ثم يعقد مقارنة بين خصلة الشعر المجذوذة و شعر الكترا ، لينتهي أنهما من نوعية واحدة .

ترفض الكترا تصديق استنتاجات العجوز حول وجود اورستيس في المدينة و تدحض كل براهينه ، و يحاول المربي العجوز طرح عديد من العلامات التي تؤكد ما ذهب إليه ، و لكن الكترا تفندها . يسأل العجوز عن الضيفين ليستجوبهما .

يدخل اوريستيس و صديقه بيلاديس ، و ما أن يراهما المربي العجوز حتى يعلن أن مظهرهما ينم عن أصالة و نبل . يتعارف الغريبان مع العجوز، الذي ينظر إلى اورستيس في إمعان ، و يلف حوله ، ثم يعلن أن الغريب ما هو إلا اورستيس ، لا تصدقه الكترا ، فيؤكد لها ، إذ أن هناك ندبة بطول حاجبه أثر جرح قديم ، و يدعوها لمعانقة أخاها ، يتعانقان في فرح غامر . تعلن الجوقة معبرة عن سعادتها لقدوم الغائب ، و تدعو النسوة إلى إقامة الصلاة ، و التضرع للآلهة كي ترعى الأخ العائد . يطلب اورستيس من الجميع أن يكفوا عن إبداء السرور ، ثم يسألا المربي العجوز عن أنسب الأوقات لتنفيذ الانتقام ، الذي جاء من أجله ، إنه يريد أن يقتص من عشيق أمه ايجستوس ، و أمه الخائنة .

يؤكد له المربي أنه الآن وحيد ، بلا صديق ، و عليه أن يعتمد على نفسه . و يرسم العجوز الخطة ، إذ على اورستيس الذهاب إلى عشيق الأم حيث يستعد للاحتفال بين الحقول ، و أن يقترب كثيراً من مكان الخائن حتى يستطيع أن يراه و هو يذبح الثيران ، فإذا رأه سيدعوه للوليمة ، و وقتها يكيف اورستيس خطته طبقاً للظروف . يسألا اورستيس عن أمه ، فيعلم أنها في أرجوس و ستلحق بزوجها . تطلب الكترا ترك قتل أمها لها ، و تروى لهما الخطة ، فسوف يذهب المربي العجوز إلى كليتمينسترا ، و يبلغها أن الكترا وضعت غلاما منذ عشرة أيام ، ستأتى الأم فإن جاءت ، ستكون نهايتها أكيدة .

تدعو الكترا المربى العجوز لأن يكون مرشداً لأخيها ، يقبل العجوز ، بينما يتضرع اورستيس لزيوس كى يلطف بهم ، ثم ينادى هيرا كى تنصرهم، ثم يدعو أبيه كى يسانده .

تشحذ الكترا همة أخيها ، و تطلب منه القضاء على عشيق أمها ، و تحذره من الفشل فى قتله ، إذ أن ذلك معناه القضاء عليهما ، يخرج اورستيس و صديقه و معهما المربى العجوز . تطلب الكترا من الجوقة أن تعلن بصوت عال نتيجة النزال .

تبدأ الجوقة فى فاصل إنشادى حول قصة إله الرعاة و الصيادين ، و حمله الجميل ذو الفروة الذهبية ، و موسيقى أرغوله ، و الأناشيد عن حب زوجة اتريوس الآثم ، إلى أن تصل الجوقة إلى جريمة كليتمينسترا ضد اجاممنون . فجأة تدعو الجوقة إلى الإنصات ، إنها ضجة تشبه الزلزال ، صوت مرعد مدوى ، ثم تنادى على الكترا ، و تعلن لها أنها تسمع صيحات رجال يحتضرون . يدخل الرسول معلناً انتصار اورستيس و مقتل ايجستوس . تبتهج الجوقة ، فقد تحققت العدالة بموت ايجستوس ابن ثوبستيس ، و من فرط سعادة الكترا ، و تشفياً فى غريمها ، تريد أن تتلذذ بسماع تفاصيل النبأ ، فتسأل الرسول أن يروى كل شئ ، الطريقة و الوسيلة . و يبدأ الرسول فى سرد القصة ، حيث رحب بهم ايجستوس بعد أن أفهموه أنهم غرباء من تساليا ، و هم فى طريقهم إلى ضفاف نهر الفيوس للتضحية لزيوس الأوليمبى ، دعاهم ايجستوس إلى الوليمة التى أقامها للنيمفاى ، و اصطحبهم إلى القصر ، و أمر الخدم بإحضار الماء ليغتسل به الغرباء . و بذكاء يتخلص اورستيس و من معه من هذا الموقف بعد أن ادعى تطهرهم فى النهر قبل لقائهم به . و يستعد الجميع للتطهر ، فوضع الحراس أسلحتهم ، و انشغل الخدم فى تجهيز المذبح بكل المتطلبات ، ثم قام ايجستوس بافتتاح الطقوس ، و نثر الشعير ، و تلاوة الأدعية ليحل الخراب بأعدائه . و فى ذات الوقت ، كان اورستيس يتلو صلاته ، داعياً أن يستعيد بيت أبيه . اقترب ايجستوس من الضحية ، و استل سكيناً طويلاً حاداً ، و قطع بعض الشعر من العجل و ألقاه فوق النار المقدسة ، ثم قطع رقبته . بعدها توجه ايجستوس إلى أورستيس و ناوله السكين ، و طلب منه أن يريه براعة التساليين . و بالفعل أثبت اورستيس براعته فى سلخ جلد الثور ، ثم شج البطن ، و تقدم ايجستوس ليتفحص الأمعاء فلاحظ أن الوريد البابى ينتفض كنذير شؤم ، و أعلن أنه يخشى غدراً من غريب ، و أفصح عن كرهه لابن اجاممنون . و صح توقع ايجستوس ، إذ شج اورستيس ظهر

غريمه بساطور حاد ، فسقط يترنح ، بينما اندفع الخدم بأسلحتهم نحو اورستيس و بيلاديس ، فأمسك كل منهما برمحه ، و أعلن اورستيس عن شخصيته ، فتراجع الخدم . و ما أن انتهى الرسول من سرد القصة ، حتى طالبت الجوقة الكترا بالرقص فرحاً بنصر أخيها . تعلن الكترا عن سعادتها، و تستعد لتزين رأس أخيها بأكاليل الغار ، و تشاركها الجوقة الفرحة ، بينما يدخل اوريستيس و بيلاديس و معهما جثة ايجستوس ، فتلقاهما الكترا بالترحاب ، و تضع الإكليل على رأس أخيها ، و تعطى بيلاديس زهراً . و فى تواضع يذكر اورستيس أخته بالآلهة خالقوا الحظ ، و أنه منفذ لمشيئتها، و تخاطب الكترا جثة عدوها كملاك الحساب ، و تحار بأى مظالمه تبدأ ؟ و بأيها تنتهى ؟ لقد تسبب فى دمارها ، و يتمها هى و أخيها ، و جلل أسرتها بالعار عندما تزوج أمها ، قاتلة اجاممنون ، و فى قول مأثور تقرر الكترا عن أمها ، إن من خانت زوجها مرة ، فمن السهل عليها الخيانة مرات و مرات . و تصمه الكترا بالشر و الإثم ، ثم تعود إلى قولة مأثورة ، الثروة لا ترفع قيمة الإنسان . تستمر الكترا فى تشفى ، سرد كل مأخذ ايجستوس سواء فيما يتعلق بسلوكياته ، أو عجرفته و كبرياءه . يطلب اورستيس إخفاء الجثة فى المنزل حتى لا تراها كليتمينسترا إذا ما حضرت. و بالفعل يعلن اورستيس عن قدوم أمه ، وسط حشد من خدمها ، و يتشاور مع الكترا ، هل يقتلها ، يقتل من حملته و أرضعته ، و تشجعه الكترا بعد أن تذكره بجريمتها فى حق أبيهما . يلعن اورستيس نبوءة فويبوس (ابولون) فقد طلب منه ارتكاب هذه الجريمة ، و بعدها سيمضى إلى المنفى ملطخاً بدم أمه . يدور حوار سريع حول تنفيذ الجريمة ، يدل على بعض التردد ، الذى اعترى اورستيس ، مما يجعلنا نشعر بعظم الجرم الذى سيُقدم عليه لدى المجتمع الأثينى . تشحذ الكترا همته ، و يستسلم الابن رغم إيمانه بأن ما سيقوم به عمل بشع ، و لكنها مشيئة السماء . يخرج اورستيس ، و تدخل كليتمينسترا ، فترحب بها الجوقة ، و تطلب كليتمينسترا من عذارى طروادة الترجل ، لأخذ يدها كى تنزل من عربتها ، و فى سخرية تتساءل الكترا ، لماذا لا تطلب منها أمها المساعدة ، فهى مثل هؤلاء الطرواديات عبدة ، طريدة من قصر أبيها ، و فى بلادة ترفض الأم ، و تزداد الكترا توتراً ، و تفتح النار على أمها ، التى تدافع عن نفسها باتهام اجاممنون بالتآمر و الدناءة على أقاربه ، و أنه أساء إلى سمعتها ، فتسبب فى شعورها بالمرارة نحوه ، ثم تذكرها بموقف أبيها من ابنته افيجينيا ، و التضحية بها فى اوليس ، من أجل عبث هيلينى و حماقة زوجها مينلاؤس ، ثم عاد من

الحرب و معه عشيقته كاسندرا بنت بريام ملك طـروادة . و هكـذا طرحـت كليتمنسترا الأسباب و الدوافع في وضوح ، ثم توجه اللوم لأجـاممنون لتبـرر فعلتها . ترد الكترا علـى أمهـا ، و لكنهـا تطلـب منهـا ألا تغضـب مـن صراحتها، تطمئنها الأم و تشجعها على قول ما تريد .

تبدأ الكترا حديثها باطراء جمال أمها و خالتهـا هيلينـى ، ثـم تتهمهمـا بأنهما غير فاضلتين ، فهيليني قد هربت مع عشـيقها بإرادتهـا ، و هـا هـى كليتمينسترا تقتل زوجها بحجة الثأر لأبنتها . تعلن الكتـرا أن مـا تدعيـه الأم من أسباب ليس صحيحاً ، فالأم قد بحثت بإرادتها عن عشـيق فـور مغـادرة زوجها اجاممنون لقصره ، بل و غضبت عندما علمت بسـقوط طـروادة ، إذ أن ذلك معناه انتصار زوجها اجاممنون ، كذلك عودته إلى قصره . ثـم تفنـد الكترا دفوع أمها ، و تتساءل ، إذا كان اجاممنون ذبـح ابنتـه ، فمـاذا جنـت هي الكترا و أخاها اورستيس ؟ لماذا شردتهما ؟ و تنتهى إلى أن العـرف قـد جرى على مقابلة القتل بالقتل ، و وفقاً للعرف فإن على الكتـرا و أخيهـا قتـل أمهما ثأر لأبيهما . و فى محاولة للتماسـك ، تعلـن كليتمينسـترا أن حـديث الكترا الغاضب يرجع بالطبع لحبها العميق لأبيها ، و لذلك فهـى تغفـر لهـا . ثم تتساءل الأم عن تلك الحالة التى وصلت إليها الابنـة الكتـرا مـن قـذارة . تستمر الكترا فى استفزاز أمها ، و تسألها ، لماذا لـم تسـتدعى ذلـك المنفـى اورستيس ؟ و هنا تتضح أفكار الأم إذ ترى أنها ترعى مصـلحتها لا مصـلحة الكترا ، فالابن غاضب لمقتل أبيـه ، و الكتـرا عنيـدة ، و زوجهـا حـانق غاضب ، و لكن تعد كليتمينسترا ابنتها أنه لن يؤذيها .

تسألها الأم عن سبب استدعائها ، فتجيبها الكتـرا بأنهـا لا تعـرف شـيئاً عن تقديم الأضاحى المعتادة فى اليوم العاشر بعـد المـيلاد ، خاصـة و أنهـا كانت وحدها فى مخاضها و وضعها . و تسـتغرب الأم لعـدم لجـؤ ابنتهـا للجيران ، و لكن الكترا تعلن أن الفقراء لا أصدقاء لهـم . توافـق الأم علـى الدخول إلى المنزل لتقديم القربان للآلهة شكراً على حفظهـا الطفـل ، و قبـل أن تدخل ، تأمر خدمها بالابتعاد ، على أن يوافوها مرة أخرى بعـد الانتهـاء من الطقوس ، إذ عليها أن تعود إلى القصر كى ترضى زوجها أيضاً .

تدعوها الكترا إلى الدخول إلى الكوخ ، و فى سـخرية مريـرة تحـذرها من أن تتسخ ملابسها من تراب الجدران ، و فى كلمات تحمـل معـانى غيـر معانيها الأصلية ، تحدد الكترا ما سيجرى داخل الكوخ بعـد لحظـات . تبـدأ الجوقة فى فاصلها الانشادى حول تبدل الأوضـاع ، فالجـانى يصـبح يومـاً

مجنى عليه ، ثم تذكر المشاهدين بما جرى لأجاممنون فى حمامه يوما ، إن ما يجرى الأن هو العدالة التى تقتص من الزوجة القاتلة ، الخائنة .

يسمع من الداخل صوت استغاثة كليتمنسترا ، بينما تعلق الجوقة ، و تبدى أسفها لموتها بيد أبنائها ، و لكنها مشيئة الآلهة ، و سنة القصاص العادل ، ثم تعلن الجوقة قدوم اوريستيس و الكترا بعد أن أجهزا على أمهما ، و إن بدا عليهما الندم لاقترافهما جريمتهما ضد أمهما . و يتساءل اوريستيس الى أى مدينة يمضى بعد ما فعل ؟ و إلى أى صديق يلجأ ؟ أيضاً تتساءل الكترا نفس التساؤلات . إن الندم يغلف المشهد ، بل و يتضح فيه تماماً :

اوريستيس : ....فعمل شنيع ما حرضت أخاك على غير رغبته أن يرتكبه .

و وسط هذا الجو المشحون بالأحاسيس المتباينة ، يتبادل الاثنان رواية ما جرى داخل الكوخ ، و اللحظات العصيبة التى مرا بها ، ثم يطلب اورستيس من الكترا تغطية الجثة . يظهر الديوسكوروى (و هما كاستور و بوليدوكيس) ، و يخاطبا اورستيس ، و يعرفانه بنفسيهما ، إنهما أبنا زيوس ، وصلا تواً إلى أرجوس ، و يعلنان أنهما شاهدا ذبح أختهما كليتمينسترا ، و يعترفان بأنها قد نالت الجزاء العادل ، و لكنهما يعترضان على ارتكاب الفعلة ، و يقرران أن ما تنبأ به فويبوس ليس دليلاً على الحكمة ، و أن عليه الآن أن يتبع أوامر زيوس و القضاء . و يأمرانه أن يقدم الكترا إلى بيلاديس كزوجة ، و أن يغادر أرجوس ، لأن ربات الانتقام ستدفعه إلى الجنون ، و يطاردنه . عليه إذن الذهاب لأثينا ، و الصلاة لبالاس (الآلهة أثينة) ، ثم يذهب الى تل آريس ، حيث يجلس الآلهة ، و حيث تُتخذ القرارات العظيمة القدسية ، ليعرض قضيته ، و سيسانده لوكسياس (ابولون أو فويبوس) ، فإذا حكم المحكمون لصالحه ، ستتوقف ربات الانتقام عن مطاردته ، ثم عليه بعدها أن يقيم فى مدينة اركاديا على ضفاف نهر الفيوس . يقرر الديوسكوروى أن يدفن مواطنوا أرجوس جثة ايجستوس ، أما جثة كليتمينسترا ، فسيدفنها مينيلاؤس و هيلينى .

تقترب الجوقة و تطلب إدارة الحوار مع الديوسكوروى ، كما يطلب اورستيس مشاركتهم الحوار . و تتساءل الجوقة ، لماذا لم ينقذ أبناء زيوس أختهما من الهلاك ؟ كما تتساءل الكترا ، لماذا قدر عليها أن تقتل أمها ؟ و يحسب أبناء زيوس ، إنها اللعنة القديمة . و يودع الأخ أخته وداعاً أخيراً ، إذ سيذهب كل منهما فى اتجاه مغاير ، فلعنة دم الأم تفصلهما عن بيت أجدادهما ، و يتمنى اورستيس السعادة لأخته مع زوجها بيلاديس .

أهم ما يلاحظ على هذه المسرحية :

أولاً : تاريخ عرض هذه المسرحية :

عام ٤١٣ ق.م ، و قد كانت أثينا فى حرب مع سيراكوزا ، و تحاصرها ، دون أن تنجح فى اقتحام قلاعها .

ثانياً : أصل المسرحية :

١ - تتناول قصة الكترا ابنه اجاممنون و كليتمينسترا ، التى تسعى للانتقام من أمها و عشيقها ايجستوس ، لقتلهما أبيها اجاممنون . و ترى بعض الروايات أنها أنقذت أخيها الطفل اورستيس ، بأن أرسلته من أرجوس الى فوكيس ، حتى تبعده عن يدى ايجستوس، و بذلك تضمن نجاته ليعود بعد أن يكبر ليشاركها انتقامها . و برغم زواجها الاجبارى من فلاح فقير ، فإنها فى الحقيقة قد تزوجت فيما بعد من بيلاديس و أنجبت منه ولدين ، ميدون و ستروفيوس . و هناك قصة تقول إن الكترا كادت تتسبب فى أن تفقد افيجينيا بصرها ، بسبب قصة زائفة تفيد أن افيجينيا قد ضحت باورستيس على مذبح الإله ارتميس . يدخل اورستيس فى الوقت المناسب لكى يمنع هذه الكارثة .

٢ - لقد تناول كل من ايسخيلوس و سوفوكليس ذات الموضوع ، و لكن كل بطريقته الخاصة ، كما تناولها أيضاً يوريبيديس بطريقة مخالفة لهما :

أ - **من ناحية شخصية الكترا :**

١ - فايسخيلوس عندما عالج الموضوع فى مسرحيته حاملات القرابين ، أضفى على الكترا ثوب البطولة ، و أصاب أخيها اورستيس بلوثة غير معروفة السبب .

٢ - أما سوفوكليس فقد جعلها شخصية مثالية مما أضفى عليها رومانسية خيالية .

٣ - نزل بها يوريبيديس إلى أرض الواقع .

ب - **من ناحية الموضوع :**

١ - الموضوع عند ايسخيلوس أخذ طابعاً دينياً .

٢ - أما عند سوفوكليس فهو مثل أى قصة عاطفية .

٣ - بينما عند يوريبيديس ، فهو دراسة لسبر أغوار النفس البشرية ، و تحليل انفعالاتها ، بغرض التركيز على نقاط الضعف و القوة فيها ، و هذا يمكن أن يكون دليلاً آخر على اتجاهه الواقعى .

ثالثاً : المنظر الذى تجرى فيه الأحداث :

أدار يوريبيديس الحوادث أمام كوخ حقير فى أطراف مدينة أرجوس ، حيث تقطن الكترا مع زوجها الفلاح الفقير .

رابعاً : أهداف الفكرة الرئيسية :

١ - الحقد قد يُعمى بصيرة الإنسان و يقوده إلى ارتكاب أفظع الجرائم، دون النظر إلى الرابطة التى تربط الجانى بالمجنى عليه .

٢ - التشكيك فى قرارات بعض الآلهة ، بهدف التشكيك فى وجودهم أصلاً ، فها هو اورستيس يرتكب جريمته الشنعاء بأمر من ابوللون . هذا التشكيك يتفق مع إيمان يوريبيديس بأفكار بروتاجوراس السوفسطائى ، المتشكك فى وجود الآلهة .

٣ - الاحتجاج على قتل الأقارب بهدف الانتقام ، خاصة الأم أو الأب، و هو بهذا يضع قاعدة أخلاقية متحضرة ، فالقصاص يجب أن تقوم به جهات يحددها المجتمع ، لا أن يقتص كل إنسان لنفسه . و قد حدد يوريبيديس هذه الجهة ، و أمر اورستيس بالتوجه إليها، و هى محكمة الأريوباج فى أثينا .

خامساً : المناقشة و التحليل :

١ - كان ليوريبيديس هدفه المباشر من تناول هذه القصة التى سبقه إليها كل من ايسخيلوس و سوفوكليس ، إذ أنه أراد أن يؤكد وجهة نظر أخرى فى ذات الموضوع :

أ - تفسير شخصى لعملية قتل كليتمينسترا بيد اورستيس .

ب - جعل الشخصيات أكثر واقعية ، و الحدث أكثر معقولية .

و هو فى سبيل وجهة النظر هذه ، قدم بعض الابتكارات التى تساعده على تحقيق هدفه . أهم هذه الابتكارات :

١ - جعل زواج الكترا من الفلاح زواجا صوريا لا فعلياً ، فهى أمام الناس زوجته ، أما فيما بينهما فهما أصدقاء ، يختلفان فى المرتبة و المكانة الاجتماعية .

٢ - أدار الحوادث بعيداً عن المدينة ، و أمام كوخ حقير يليق بذلك الفلاح . و الجدير بالذكر أن هذه الابتكارات بالنسبة للعلاقة الزوجية و موقع السكن ، قد ساعدته على إبراز ما يلى :

١ - مدى المعاناة التى تلقاها الكترا ، و المهانة التى وصلت إليها ، و الظلم الذى تعيشه ، و قد جسد الشاعر كل هذا فى أن جعل الشخصية المحورية تلبس ملابس رثة متسخة ، بالإضافة إلى قذارة البدن الناتجة عن عدم الاغتسال كعادة الفلاحات القرويات ، اللاتى يشاركن أزواجهن أعمال الحقل. و إمعان فى إظهار المذلة ، جعلها الشاعر أيضاً حليقة الشعر . لكل ما سبق تحولت سليلة بيت الأتريد إلى كائن يجتر آلامه ، و يستعذب اضطهاده من أجل تحقيق هدف محدد ، فعلى سبيل المثال ، رفضت الاستجابة لدعوة الجوقة حينما طلبت منها الاحتفال و الابتهاج .

٢ - التأكيد على أنها لاقت نفس مصير اورستيس ، فقد نفى عن المدينة و هو صغير ، بينما فرض عليها الاغتراب فى وطنها ، فهى منفية أيضا رغم أنها بين أهلها .

٣ - كانت عودة اورستيس إلى أرجوس غير محسوسة بالنسبة لأعدائه ، مما حقق الأمان للعائد و أخته كى يخططا لانتقامها .

٤ - إمكانية تنفيذ خطة الانتقام بنجاح .

٢ - شخصية الكترا عند يوريبيديس شخصية محورية ، بل هى أقوى من شخصية أخيها اورستيس بدليل :

أ - عند دخول اورستيس لأول مرة بعد عودته من المنفى ، أعلن صراحة أنه يسعى لمقابلة أخته الكترا لأنه محتاج لمساعدتها .

ب - وضح تصميمها على الأخذ بثأر أبيها ، و لم تضعف امام دفاع أمها ، و لا أمام توسلاتها ، بعكس اورستيس الذى تردد، و سأل نفسه و كأنه يود التراجع .
ج - ساعد كل هذا الحقد الدفين ضد أمها ، فى وضع خطة قتل أمها بنفسها ، و لم تتردد لحظة عند التنفيذ .
د - عندما تردد اورستيس ، شحذت همته بجمل قاطعة أعادت إليه ثباته :

اورستيس : كيف أقتلها ، من حملتنى و أرضعتنى .

الكترا : اقتلها كما قتلت أباك و أبى .

إن رد الكترا تكرر بذات الكلمات عندما هنأت اورستيس بعد قتله لايجستوس . هذا يعنى أن خطأ كل من ايجستوس و كليتمينسترا على نفس الدرجة

هـ - عند الذروة ، وقفت الكترا رابطة الجأش ، متماسكة ، باردة و كأنها بلا قلب ، فلم تلين أمام كلمات كليتمينسترا ، بل و حملت كل ردودها بسخرية واضحة و تهكم مثير .

الكترا : الأن ستقدمين للآلهة ضحية ملائمة ، هناك تقبع السلة جاهزة ، و السكين مسنون ، ذات السكين الذى سفح الثور (تقصد ايجستوس) . ثم تنهى جملتها بإعلان مصير أمها .

إن هذه العبارة يمكن مقارنتها بعبارة أوردها ايسخيلوس فى مسرحيته حاملات القرابين ، حينما كانت كليتمينسترا تُغرى اجاممنون بدخول القصر فى ترحاب ساخر ، يحمل فى باطنه غير ما يعنى فى ظاهره .

٣ - شخصية الفلاح زوج الكترا ، من الشخصيات الجديرة بالوقوف أمامها طويلا لاستخلاص العديد من الحقائق ، إذ أنها من الشخصيات التى لها أثرها الفعال فى الأحداث برغم قصرها . ففى البداية ، جعله الشاعر يتلو المقدمة الاستهلالية للمسرحية ، و هذا دليل على أهميته كشخصية فى رأى يوريبيديس ، الذى اعتاد أن يجعل مقدم المسرحية ، إلهاً أو شخصية رئيسية ، أو ثانوية . و لعل من المفيد أن نناقش مقولة هامة سادت المجتمع الإغريقى وقتها ، الطبيعة Nomos أو العرف .Physis. لقد امن ذلك المجتمع بأن الإنسان إذا ما ورث صفات أسرته ، فإن هذه

الصفات تلازمه و تتحكم فى سلوكه و تميز شخصيته ، و قد تمسك المجتمع الارستقراطى الإغريقى بهذه المقولة ، لدرجة أنها ظهرت فى أغانى بندار ، إذن ، جوهر طبيعة الإنسان أمر مقدور و مفروض يلازمه كظله . و من ثم تكمن قيمة الإنسان فى موروثاته ، و ليس فيما حصل عليه من علم وثقافة . هذه المقولة تتعارض تماماً مع الفكرة السوفسطائية السائدة فى ذلك الوقت ، و التى ترى أن الإنسان الوضيع المولد يمكن أن يكون نبيل الخلق، و أن يكتسب الصفات الحميدة بالعلم و التعلم . بل و وفقاً لهذه الأفكار الجديدة ، أصبحت هناك نظرة جديدة لقيمة الإنسان ، إنسان تحررت إرادته من تلك القيود السابقة ، التى كبلته ، إنسان حر التعبير حتى و لو كان عبداً

و السؤال المطروح ، أين فلاح الكترا من هذه القيم الجديدة ؟ إن يوريبيديس قد أصر على نبل هذا الفلاح رغم فقره ، بل يمكن القول بأنه الوجه المشرق فى المسرحية ، مؤكداً أن النبل ليس قاصراً على أبناء الأصول و العائلات ، إنما هو سلوك بشرى يمكن أن يكتسبه واحد من عامة الشعب ، و الدليل :

أ – رغم أن الكترا زوجته قانوناً ، إلا أنه لم يتعامل معها بهذه الصفة ، و لم يقاسمها فراشها .

ب – كان تصرفه هذا من منطلق تعاطفه مع محنة زوجته و تقديراً لمعاناتها .

ج – بالغ فى رقة معاملته لها ، و سايرها إكراماً لها عندما دعت اورستيس و بيلاديس إلى داره ، رغم كونهما غريبين لا يعرفهما ، و من أجل خاطرها أحسن استقبالهما .

٤ – شخصية كليتمينسترا ... برغم ما أعلنه الديوسكورى من أن كليتمينسترا قد نالت القصاص العادل ، الذى تستحقه ، فإن الشاعر قد تعمد أن يخفف من صورتها البشعة ، مما جعل المشاهدين يتعاطفون معها ، وهو فى ذلك يختلف عن كل من ايسخيلوس و سوفوكليس ، فمثلا :

أ – عند ايسخيلوس ، كانت امرأة تحمل إرادة رجل .

ب – عند سوفوكليس فهى امرأة ذات قلب متحجر ، قاسى .

ج – عند يوريبيديس هي امرأة عادية ، إنسانه ، لا تنكر جريمتها، لذا فقد ظهر جرمها أقل بشاعة للأسباب الاتية :

١ – إنها شريك لايجستوس و ليست فاعلة أصلية .

٢ – وقوفها ضد إرادة عشيقها ايجستوس عندما هم بذبح الكترا ، و إنقاذها لإبنتها الكترا :

الفلاح : ... و أزمع ايجستوس أن يقتلها ، بيد أن أمها ، رغم قسوة قلبها ، أنقذت الفتاة من يده . (سطور ٢٥ – ٢٨) .

٣ – رغم علمها بأن ابنتها تكرهها ، فقد جاءت لنجدتها عندما استشعرت أنها في حاجة إلى مساعدتها .

٤ – رفضها أن تساعدها ابنتها في النزول من العربة ، إذ أن ذلك من واجبات الخدم و الحاشية ، و هي أيضا لا تريد أن تجشمها أي مشقة .

٥ – أعلنت أنها ارتكبت الخطأ دفاعا عن كرامتها كامرأة ، فقد أهانها زوجها عندما حضر منتصراً و في صحبته عشيقته كاسندرا لتقاسمها فراش الزوجية .

٦ – إن ما فعله زوجها اجاممنون ، و تضحيته بابنته من أجل مجد شخصي ، أوغر صدرها ضده .

٧ – لم يجعلها الشاعر تعلن عن سعادتها في تشفي لارتكاب الفعل كما هو عند سوفوكليس ، بل جعلها تتحسر على ما أصاب أبنائها من اضطهاد .

٨ – و مع ذلك يمكن القول بأن كل الشعراء الذين تناولوا هذا الموضوع ، قد اتفقوا على أن من أبرز صفاتها :

أ – الأنانية : فهي في سبيل رغبتها تزوجت عشيقها ، بعد أن قتلت زوجها ، كما أنها لم تهتم بأولادها ، رغم صغر سنهما ، فتركت اورستيس في منفاه ، دون أن تكلف خاطرها بالبحث عنه .

ب – الغيرة : فمن المعروف أنها تكـره أختهـا هيلينـى لأنها أجمل منها ، و بسبب هذا الجمال قامـت الدنيا، و وقعت حروب طروادة . أيضاً كانت الغيرة سـبباً فـى ارتكابهـا جريمتهـا ضـد اجـاممنون عنـدما عـاد و معـه عشـيقته كاسندرا.

٥ – شخصية اورستيس ... فى هذه المسـرحية تحمـل ذات الصـفات التى حددها كل الشعراء الذين تناولوا هذا الموضوع ، مـع تغييـر طفيف أضفاه يوريبيديس ، إذ جعله إنسـاناً يفـيض بالإحسـاس ، و قد وضح ذلك فى لحظة قتل أمه ، و تردده فى ارتكـاب الجـرم ضد من حملته و أرضعته ، بل اسـتنكر ذلـك . و هـذا عكـس معالجة ايسخيلوس .

و من هذا المنطلق نجده يهاجم الإله ابوللون الـذى حرضـه على ارتكاب الجريمة ، بل تساءل عما إذا كان هنـاك حـل بـديل لهذا الانتقام الذى قرره الإله . إن حيرته هذه تشبه حيرة هاملت .

و لكن عندما شرع اورستيس فى قتل غريمـه ، كـان ثابتـاً ، رابط الجأش ، على عكس حالته مع أمه .

٦ – شخصية بيلاديس هنا شخصية ثانوية ، فقد جعله الشـاعر صـامتاً، لم ينطق برأى أو تعليق ، علـى عكـس مـا جـاء فـى معالجـة ايسخيلوس .

٧ – مشهد التعرف : كان لقاء اورستيس و الكترا قصيراً و مختصـراً. و التعرف من المشاهد الصعبة ، و له حرفيته التـى تحتـاج إلـى جهد و وقت و خبرة ، و قد كـان يوريبيـديس أسـتاذاً فـى هـذه المشاهد . و نلاحظ أن يوريبيديس قد كبت الفرح ، الذى يصـاحب لقاء الأشقاء بعد طول غياب . و إذا ما قارنا هذا المشـهد ، بـذات المشهد عند سوفوكليس مثلاً ، نجد أن سوفوكليس قد أطـال فيـه ، و أبرز المشاعر و العواطف ، و ترك الانفعالات على سجيتها .

٨ – مشهد المؤامرة و رسم الخطة : اتسم بالبسـاطة عنـد كـل مـن ايسخيلوس و سوفوكليس ، رغم ذلك يمكن أن نلمح بعـض التعقيـد عند ايسخيلوس ، إذ زاد من تشوق الجمهور ، و تخوفه مـن فشـل الخطة ، حينما أرسـل ايجسـتوس المربيـة العجـوز و حارسـه

ليستطلعا الأمر . أما عند يوريبيديس فقد وضعت الخطـة بإتقـان مما يجعلها قابلة للتنفيذ .

٩ – إن الضعف الذى اعترى بعض الشخصيات عند يوريبيديس ، إنما هو ضعف إنساني ، ناجم عن أن شخصياته ليسوا أبطالاً ، بل بشر عاديين .

١٠ – ظهرت إشارات إلى مصير كليتمينسترا . و قتلها بيد اورستيس، في العديد من مسرحيات يوريبيديس فمثلا :

أ – في اندروماخي حيث تعترض الجوقة على نبوءة ابوللون (سطور ١٠٣٦) .

الجوقة : هي ذاتها دفعت دين الدم بالموت ، فبأيدى أبنائها نالت هلاكها . مشيئة الإله التنبؤية نفذت فيها ، يوم خرج ابن اجاممنون (اورستيس) من ارجوس و زار معبده و هكذا ذبحها ، نعم سفك دم أمه .

ب – في مسرحية افيجينيا في توريس ، سطور ٥٥٩ و ما بعدها.

افيجينيا : ... هل زوجة الضحية المسكين حية ؟

اورستيس : بل ميته ، أبنها – ولدها الذى حملته – ذبحها .

و في نفس المسرحية نجد الملك ثواس يعترض على اقتراف مثل هذه الجريمة . (سطور ١١٧٠ و ما بعدها) .

ثواس : من كان ضحيتهما ؟ أود أن أعرف .

افيجنيا : لقد سفكا دم الأم ، طعناها معاً طعنة رجل واحد .

ثواس : يا ابوللون ، حتى وسط البرابرة لا أحد يجسر على فعل ذلك .

١١ – استخدم يوريبيديس وسيلته المفضلة لإنهاء المسرحية ، فقد أظهر الديوسكورى كي يؤديا عدة مهام :

أ – أمرا بدفن جثتي ايجستوس و كليتمينسترا ، و هذا بالطبع يخالف ما انتوى عليه اورستيس ، حينما أعلن أنه سيمزق عشيق أمه ، و يلقى بأجزاء جسده لتأكلها الطيور . (السطور ٨٩٦ – ٨٩٨) .

ب – أعلنا أن هيلينى لم تهرب إلى طروادة ، بل اتجهت إلى مصر .

ج – أمرا بزواج الكترا من بيلاديس ، على أن يقيما فى أخيا .

د – إتهما فعل اورستيس بالخطأ و نددا به ، كما اتهما ابوللون بعدم الحكمة .

هـ – أوصياه بالاستماع الى نصيحة الآلهة التى تقضى بمغادرته مدينة أرجوس إلى أثينا للصلاة للإلهة بالاس (أثينة) ، و تقديم نفسه لمحكمة الأريوباج .

و – أن يقيم اورستيس فى مدينة اركاديا على ضفاف نهر الفيوس ، قرب مذبح ابوللون اللوكيانى ، إذ ستسمى المدينة باسمه .

سادساً : الجوقة :

١ - إن بعض المقاطع التى ترددها الجوقة تتسم بالصفاء و الشاعرية .

٢ - الجوقة هنا تمثل ضمير الأمة و صوت الشعب .

سابعاً : الحوار :

١ - ناسب ذلك الأسلوب الواقعى الذى لجأ إليه يوريبيديس و لذلك نجد بعض الجمل المفعمة بالشعبية و لهجة سكان الأكواخ .

٢ - أخذ الحوار شكل المناظرة و المحاورة ، خاصة بين الكترا و كليتمينسترا و على عادة السوفسطائيين .

١١ - افيجينيا فى تاوريس (١) :

تبدأ المسرحية قرب هيكل أرتميس على شاطئ البحر ، حيث تدخل افيجينيا ، و تستهل المسرحية بمنلوج المقدمة على الطريقة اليوريبيدية ، و يدور هذا المنلوج حول أصول عائلتها ، و بحسب الترتيب ، بيلوس بن تانتالوس (ابن زيوس و جد أسرة إتريوس) الذى تزوج هيبوداميا اينة أوينوماؤس ، و أنجب منها ولدين ، اجاممنون و مينيلاؤس . ثم تُذكر المشاهد أنها ابنة اجاممنون و كليتمينسترا بنت تينداريوس ، و التى قدمها أبوها قرباناً من أجل أن تسمح أرتميس لأساطيل الجيش بالإبحار من خليج أوليس ، طبقاً لنبوءة العراف كالخاس ثم تروى باقى القصة التى دارت حولها مسرحية إفيجينيا فى أوليس ، و إنقاذ أرتميس لها من الذبح ، و رفعها لتقيم فى أرض التاوريين ، حيث الملك ثواس الذى جعلها كاهنة فى معبد أرتميس ، و وفقاً لمراسيم عيد الآلهة ، فإن عليها أن تقدم كل من يلمس شاطئ المدينة من أهل هيلاس قرباناً لأرتميس . ثم تقص قصة الرؤى الغريبة ، التى رأتها بالأمس ، فقد حلمت بأنها هربت من تاوريس إلى أرجوس ، حيث شاهدت الزلزال يدمر قصر أبيها ، و لم يبق منه إلا عموداً واحداً واقفاً ، و قد " اسابت من تاجه خصلات شعر ذهبية تنطق بلسان بشرى " . و تفسر الحلم لنفسها ، بأن أخيها اورستيس قد مات . و من أجله تريد أن تبدأ طقوساً لتسكب قرباناً لأخيها ، لذا فهى تبحث عن الجوقة ، و هن مجموعة السبايا العذارى الهلينيات تابعات إفيجينيا . تخرج إلى المعبد، بينما يدخل اورستيس و بيلاديس قادمين من الشاطئ ، و فى تلصص و احتراس يدخلان ، و يتساءل اورستيس إن كان هذا المكان هو مقر الآلهة؟ و هل ما يراه هو المذبح ، الذى تتناثر عليه دماء الهلينيين ؟ و يبدأ أورستيس فى لوم فويبوس لأنه حمله بنبوءة ثانية ، بعد أن قتل أمه كليتمينسترا ، ليثأر لأبيه ، إنه الأن طريداً تلاحقه ربات الانتقام الإيرينيات ، و قد سألأ الإله أن يضع حداً لمتاعبه ، فكانت النبوءة التى جاء من أجلها ، فقد أشار عليه فويبوس ، أن يحصل بالحيلة على تمثال أرتميس ، الذى سقط من السماء إلى داخل المعبد ، ثم يعود به و يقدمه للأثينيين ، و هذا العمل

---

١ - نعتمد بصفة أساسية فى تلخيصنا لهذه المسرحية على ترجمة الدكتور اسماعيل البنهاوى ، إفيجينيا فى أوليس ، و إفيجينيا فى تاوريس ، العدد ١٦٦ من سلسلة المسرح العالمى ، وزارة الإعلام ، الكويت ، يوليو ١٩٨٣ .

هو الذى سيضع حداً لعذابه .

و يواصل أورستيس حواره مع بيلاديس حول كيفية اقتحام معبد الآلهة، فالأسوار عالية ، و الأقفال موصدة ، و المهمة عسيرة ، و يعلن خوفه و يأسه ، بل يود لو أنه عاد من حيث أتى ، فالعاقبة وخيمة إن ضبطا متلبسين ، سيذبحان . يرفض بيلاديس الهرب أو التراجع ، و يطلب من أورستيس الاختباء حتى يحل الليل ، و وقتها يأخذان التمثال بأية طريقة و يخرجان ، بينما تدخل إفيجينيا و معها الجوقة ، و تبدأ الجوقة فى تلاوة نشيدها مُحيية إبنة ليتو ، ثم توجه خطابها إلى إفيحينيا متسائلة ، لما تُغرق الفتاة فى التفكير ؟ و لما جاءت إلى المعبد ؟ تعلن إفيجينيا للجوقة أنها تبكى أخاها الذى رأته فى أحلامها ميتاً ، إنها تتحسر على ما حل بسلالتها ، فآخر أبناء أجاممنون قد فارق الحياة ، و ها هى اليوم جاءت تسكب القربان السائل على حجر الأرض من أجله ، " إنه لبن حلب من بقرات جبلية ، جرعة من مشروب باكخوس ذاته " . و تبدأ إفيجينيا فى تنفيذ مراسم القربان ، و تتبادل مع الجوقة كلمات الرثاء ، و تعرج فى مرثيتها على ما حاق بها ، و ما جرى لها كقربان ، ، كعروس الغم ، لابن ربة البحر بنت نيريوس ، لأخيل إنها الأن مكلفة بذبح الغرباء . يدخل أحد الرعاة معلناً أنه يحمل أخباراً لابنة أجاممنون و كليتمينسترا ، و يقرر أن هناك شابان هاربان على مركب ، وصلا إلى البلاد ، و أن عليها أن تجهز نفسها و طقوسها لتقديمهما قرباناً على مذبح أرتميس . و يعلن الرجل أنهما من هيلاس ، و أن أحدهما نادى الآخر بيلاديس . و يسرد الراعى قصة اكتشافهم للغريبين فى تفصيل شديد ، و روى عن أحد الغرباء أنه استل سيفه ، و أعمله فى قطيع البقر ، و كأنه يحاول القضاء على شئ أمامه ، حتى غطت الدماء زبد البحر . ثم روى الراعى ما قام به صديق ذلك الغريب نحو صديقه ، إذ عنى بجسده و جراحه و غطاه . و أنهى الراعى قصته بأنه و الرجال قد ألقوا القبض على الغريبين ، و قدموهما إلى الملك الذى بعث بهما إلى إفيجينيا لتطهيرهما. تتعجب الجوقة من قصة الرجل ، بينما تأمر إفيجينيا الراعى بإحضار الغريبين ، يخرج الرجل و تبقى إفيجينيا تحادث نفسها مُعلنة أن موت أخيها جعلها قاسية لا ترحم ، و زاد من قسوتها ما كابدته عندما جعلوها قرباناً ، ثم تعود لتعلن رفضها لوسيلة إراقة الدماء مهما كان الداعى لها . تخرج إفيجينيا و تحتل الجوقة الساحة متسائلة عن هوية الغريبين ، الذين ألقى بهما حظهما التعس إلى هذه الأرض الشرسة ، حيث تراق دماء البشر على مذبح بنت زيوس . و تتعجب الجوقة لو أن هيلينى هى التى تجئ

إلى هذا المعبد ، حتى تهلك بسكين إفيجينيا . يدخل اورستيس و بيلاديس تحت حراسة مشددة ، و قد كبلوهما بالسلاسل ، و تعلن الجوقة أنهما من سادة الأمة الهيلينية . تدخل إفيجينيا ، و تأمر بفك قيد الأسيرين ، و بدخول الجميع إلى المعبد ليستعدوا لبدء الطقوس ، ثم تسأل الغريبين عن أمهما و أبيهما و أختهما ، و من أى البلاد هما . كل هذه الأسئلة التى وجهتها إفيجينيا ، قد غلفها الحزن و الدموع ، مما جعل اورستيس يتساءل عن سبب بكائها . تسأله الفتاة عن بيلاديس ، فيشير الفتى على صديقه ، فتعود لتسأل من أى دولة فى هيلاس ؟ و هل هما أخوان ، و ما اسم الفتى الذى يجاوبها؟ و يراوغ اورستيس فى الإجابة ، و لكنها ترجوه الإجابة ، فيستجيب الفتى و يخبرها بكل ما تريد معرفته ، فتعاود السؤال عن عودة هيلينى إلى زوجها مينيلاؤس ، إن الإجابات تعطى الفتاة بعض التلميحات عن الغريبين ، و تظل الفتاة تسأل و تسأل ، عن الآخيين ، و عن كالخاس و عن اوديسيوس، و عن أخيل ، وفى كل مرة تعلق بما يجيش فى نفسها عن الشخصيات ، إلى أن يسألها أورستيس من تكون ، و من أين لها كل هذه المعلومات عن هيلاس ، ثم تعود لتسأل عن أبيها أجاممنون ، و تعلم أنه مات ، قتلته زوجته ، و بلا وعى تبدر منها زفرة حزن يتعجب لها أورستيس ، و يطلب منها أن تكف عن الأسئلة ، و لكنها تلح فى معرفة مصير كليتمينسترا ، و يعلن أورستيس أن ابنها قد ذبحها ثأراً لأبيه . المهم تعرف إفيجينيا أخبار الأسرة ، بل و تعلم أن شقيقها حى و لكنه مطارد ، يهيم على وجهه .

تبدأ إفيجينيا فى عقد صفقة مع أورستيس ، تمنحه بموجبها حياته فى مقابل أن يحمل رسالة منها إلى أصدقاء لها فى أرجوس ، أما صديقه فسيقدم قرباناً . يحاول أورستيس إنقاذ صديقه ، و يطلب منها إعطاء الخطاب لصديقه ، بينما يلقى هو مصيره . تعجب إفيجينيا بمنطق أورستيس و نبله و وفاءه ، و توافق على اقتراحه . و يسألها أورستيس عن مصيره ، و تجيبه الفتاة ، ثم تستأذن لتحضر الخطاب من هيكل الإلهة ، كما تأمر الحراس بمراقبتهما . تعلق الجوقة على مصير أورستيس بالرثاء ، بينما تغبط صديقه بيلاديس على نجاته ، ثم يدور حوار بين الصديقين حول الفتاة، و ما طرحته من أسئلة ، و يستنتجان من تكون . و يطرح بيلاديس فكرة نجاته رافضاً إياها ، مفضلاً مشاركته لصديقه نفس المصير . يرفض أورستيس ما طرحه صديقه ، و يطلب منه الزواج من أخته الكترا ، و إنجاب أبناء لأسرة اتريوس ، بل و يهديه منزل أبيه ، و يطلب منه أن

يقيم له قبراً و تسكب عليه أخته الدموع ، و تنثر الخصلات . ثم يُنهى حديثه بالقاء اللوم على ابوللون الذى خدعه بنبوءاته ، و أقصاه إلى أبعد أرض عن هيلاس . يُطمئن بيلاديس صديقه و يطلب منه عدم اليأس ، ففى أحلك الظروف تنفرج الأزمة . تدخل إفيجينيا من المعبد ، و تأمر الحارس بالذهاب لمساعدة كهنة الموت فى إعداد ترتيبات الذبح ، تطلب من بيلاديس ألا يتوانى فى تسليم رسالتها ، و عليه أن يُقسم على تنفيذ ما وعد به فى مقابل أن تقنع الملك بالعفو عنه . يطلب أورستيس من صديقه القسم ، كما تقسم إفيجينيا بأرتميس ، يُقسم بيلاديس بزيوس . و يعلن بيلاديس أنه سيسلم الرسالة ، و لكن إذا ما غرقت السفينة و فقد بسبب ذلك الرسالة ، فإنه برئ من قسمه ، فتقرر إفيجينيا إعلان فحوى الرسالة المكتوبة ، و اسم من سيستلمها . إنه أورستيس ابن أجاممنون ، و مضمون الرسالة أن أخته التى ذبحت فى أوليس ، هى مرسلة هذا الخطاب ، أى أن إفيجينيا حية ، رغم اعتقاد أهل أرجوس أنها ماتت . و يسأل أورستيس عن إفيجينيا ، فتعلن أنها هى إفيجينيا ، ثم تستكمل الرسالة التى تطلب فيها من أخيها الحضور لإنقاذها ، و حملها إلى أرجوس . و تروى قصة نجاتها حينما فدتها الإلهة أرتميس بغزال ، و أسكنتها هذه الأرض . يتناول بيلاديس الخطاب ، و يسلمه إلى أورستيس معلناً إنه من أخته ، فيتقدم أورستيس من إفيجينيا ليحتضنها ، بينما تحتج الجوقة على لمسه العذراء ، و تدنيس ملابسها المقدسة . لا تصدق إفيجينيا أنها أمام أخيها ، و تطالبه بتقديم الدليل على صحة نسبه ، فيقص عليها قصة النزاع بين إتريوس و ثيستيس التى سمعها من الكترا ، عندما تنازعا على العرش (١) .

و تؤكد رواية أورستيس صدقه ، و برغم ذلك يُعطيها دليلاً آخر عن حربة بيلوس القديمة ، التى كانت مخبأة فى مخدعها ، و هنا تندفع إفيجينيا نحوه ، و تضمه بين ذراعيها ، و تعلن فرحتها بلقياه ، و يتذكران الأيام و الحوادث ، ثم تفكر فى وسيلة لنجاة أخيها ، الذى يُحيط به الموت من كل جانب من أهل هذه القبائل المتوحشة ، و الطرق الوعرة . تبدى الجوقة رأيها بأن ما حدث معجزة أعجب من الخيال ، و فى ذات الوقت ينبه

---

١ – القصة تقول إن من تظهر له علامة الهية يفوز بالحكم ، و قد ظهرت هذه العلامة على هيئة حمل ذهبى بين قطعان اتريوس ، و لكن زوجته ايروبى قد ذهبت بالحمل الى أخيه ثيستيس . و عندما اكتشف اتريوس خيانة زوجته ، القى بها فى البحر ، ثم ذبح أطفال ثيستيس . و قدمهم له كوليمة عقاباً له . (المرجع السابق ، ص ١٩٣).

بيلاديس صديقه إلى التفكير في مخرج للهرب من هذا المأزق . و وسط هذا الجو المشحون ، تسأل إفيجينيا عن أختها الكترا ، فيشير أورستيس على صديقه بيلاديس ، إنه زوجها ، إنه ابن ستروفيوس ، و هو من فوكيس ، إنه ابن عمتهما . ترحب به إفيجينيا ، بينما تلوم أخيها لقتله لأمه ، فيبرر لها فعلته ، و يطالبها بنسيان الأمر ، فمينيلاؤس الأن ملكاً على أرجوس ، و هو ، ابن أجاممنون ، هارب من ربات الانتقام ، اللاتى يتعقبنه طلباً للقصاص ، و يخبر إفيجينيا بما جرى له منذ أن أقدم على قتل أمه ، و ما لقيه بعد وصوله إلى أثينا ، و وقوفه أمام محكمتها ، و على الطرف الأخر كبرى ربات الانتقام ، و كل منهما يدافع عن وجهة نظره ، و قد شهد ابوللون إلى جانبه ، و لما تساوت أصوات المُحكمين ، رجحت بالاس براءته ، فاستسلمت بعض ربات الانتقام للحكم ، بينما رفضته أخريات ، و أصررن على مطاردة فريستهن ، فاضطر إلى اللجوء إلى أرض ابوللون متوسلا ، فأمره الإله بالذهاب الى تاوريس و إحضار تمثال أرتميس الذى سقط من السماء ، و إقامته فى أتيكا ، و فى هذا خلاصه ، و فى النهاية ، يطلب مساعدة أخته . تعلن إفيجينيا رغبتها فى مساعدته ، و فى ذات الوقت تعلن عن خوفها و خشيتها إن افتضح أمرها ، و تقترح أن يقوم بالمهمة وحده ، و يتركها لمصيرها . يرفض أورستيس الفكرة ، و يصر على أخذها معه ، فلوكسياس يساعدهما . و يفكر أورستيس فى قتل الملك ، و لكنها لا توافقه الرأى ، فيطلب منها إخفاءه فى المعبد حتى يحل الظلام ، و لكنها تنبهه إلى وجود حراس داخل المعبد . تجد إفيجينيا حلاً ، إذ أنها ستعلن أن الغريب قد قتل أمه تواً ، و على ذلك فهو قرباناً غير لائق للإلهة ، و أنه ليس طاهراً ، و أن عليها أن تطهره فى ينابيع البحر النقية ، و أن عليها أن تغسل التمثال أيضاً ، لأن الغريب قد لمسه و دنسه . أما بيلاديس فهو أيضاً دنس . يطلب منها أورستيس أن تأمر الجوقة بالصمت ، حتى تنجح الخطة ، و بالفعل تطلب إفيجينيا من الجوقة كتمان السر ، و تعدهن بأن تأتى بهن سالمات إلى هيلاس . و توافق الجوقة على الصمت . تطلب إفيجينيا من أخيها و صديقه الدخول إلى أبهاء المعبد ، لأن الملك سرعان ما يحضر ليطمئن على تنفيذ الذبح فى الغريبين ، بينما تتوسل إفيجينيا إلى الإلهة أرتميس لتنقذها ثانية ، و حتى يصدق الناس أقوال لوكسياس ، تخرج إفيجينيا و أورستيس و بيلاديس . تبدأ الجوقة فى نشيدها الذى يدور حول مهمتها فى معبد الآلهة ، ثم تصور رحلة إفيجينيا من تاوروس إلى أرجوس، و قد رعاها فويبوس ، و حفت بها الموسيقى . يدخل الملك ثواس ملك

التاوريين و يسأل عن إفيجينيا ، و عن مراسم الذبح . تدخل إفيجينيا حاملة تمثال أرتميس ، فيتعجب الملك لحملها تمثال الإلهة ، فتطلب منه عدم دخول المعبد ، و يتوقع الملك أن دنساً ما قد حل بالمعبد ، و تعلن الفتاة أن الغريبين هما سبب الدنس ، بدليل أن تمثال الإلهة قد تحرك من تلقاء نفسه ، و أغلق عينيه ، ثم تستمر فى سرد القصة التى روتها لأخيها من قبل . يستنكر الملك فعلتهما ، و يشيد بذكاء إفيجينيا لاكتشافها هذا الأمر . تعلن الفتاة للملك عن أخبار سارة حملها الغريبان لها ، إذ قالا إن أباها لا زال حيا، و أن أخاها أورستيس أيضاً ، و برغم ذلك ، فهى لم تتوانى فى إتمام إجراءات الذبح ، فهى تكره هيلاس ، لأنها ضحت بها . يسألها الملك عما ستفعله بالغريبين ، فتعلن أنها ستطهرهما بماء البحر ، الذى يغسل كل أدران البشر ، فيوافق الملك على أخذهما حيث تشاء ، فتطلب منه الموافقة على تطهير التمثال أيضاً ، كما تأمر بقيد الغريبين . و تستأذن الملك فى أن يرسل معها بعض خدمه فيوافق ، كما تطلب منه أن يحذر رسوله أهل المدينة ليبقوا فى بيوتهم حتى لا يلتقوا بالقاتلين ، و أن يتوارى هو عن العيون تماماً ، و أن يُطهر المبنى بلهب النار . و ترجوه الفتاة ألا يقلق إن هى تأخرت فى العودة . يخرج الملك ، و تبقى إفيجينيا لتعلن عن خروج الغريبين ، و معهما مستلزمات التطهير ، و تحذر الجميع من الابتعاد عن الطريق حتى لا يتعرضوا لأى رجس . يدخل الملك ثواس إلى المعبد ، بينما تتجه إفيجينيا و الغريبين و الخدم ناحية باب الخروج ليتوجهوا نحو الشاطئ. تنشد الجوقة نشيدها الذى يدور حول ابوللون و ما جرى بينه و بين ثيميس (١) . و استغاثة ابوللون بأبيه زيوس ، الذى وعده " بوقف الأصوات التى تسمع بالليل ، و سحب من البشر عرافة الظلام ، فأسبغ نعمه على لوكسياس أن يؤمن البشر جميعاً بنبوءاته التى يرتلها على عرشه وسط جموع الحاجبين " .

يدخل رسول يبحث عن الملك ثواس ، فتتساءل الجوقة عما حدث فيعلن الرسول اختفاء الغريبين ، و أنهما سيهربان بمساعدة إفيجينيا ، و معهم

---

١ – واحدة من المردة . و هى زوجة يابيتوس و أم بروميثيوس . و تعتبر ربة العدالة . كانت لها القدرة على التنبوء ، فقد حذرت ابنها بروميثيوس من المتاعب التى تنتظره. كانت هى أولى القوى الإلهية التى بنى لها معبد على سطح الأرض ، و كآلهة أم ، كانت نبوءتها فى دلفى أقدم من نبوءة ابوللون . (المرجع السابق ، ص ١٩٧) .

التمثال المقدس للإلهة ارتميس . تخبره الجوقة وهـي تـدعى عـدم تصـديق الرسالة ، بأن الملك الذى يبحث عنه قد غادر المعبد إلى جهة غيـر معلومـة ، و عليه أن يمضى فى أثره لينبئه بما لديه من أخبار . يـتهم الرسـول الجوقـة بأنها شريكة فى المؤامرة ، فترد الجوقة عليه باتهامـه بـالجنون ، و يـرفض الرسول الذهاب ما لم يتأكد من عدم وجود الملك فى المعبـد . أثنـاء الحـوار يظهر الملك ثواس من المعبد متسائلا عن ذلك الذى يصرخ بصوت عـال فـى المعبد . يخبره الرسول أن الجوقة حاولـت إبعـاده ، و ادعائهـا كـذباً بعـدم وجوده ، ثم يخبر الملك بما يحمله من أخبار ، و يطلـب مـن الملـك تـدبير خطة لاسترجاع الغرباء . ثم يستمر فى رواية ما حدث ، إذ أمـرتهم إفيجينيـا بفك وثاق الغريبين عند الشاطئ ، و الوقـوف بعيـداً ، ثـم تصـنعت القيـام بطقوس التطهير ، و استمر ذلك طويلاً ، و لمـا دب الشـك فـى النفـوس ، أسرع و من معه إلى شاطئ البحـر ، فوجـدوا السـفينة تسـتعد للإبحـار ، و يقسم للملك أنه حاول و رجاله منع الغريبين من تنفيـذ خطتهمـا ، و أنهـم قبضوا على الكاهنة ، و لكن الشابان أوسعوهم ضرباً و لكماً ، كمـا أمطـرهم رجال السفينة بالسهام ، و أرغموهم على التقهقر . حمل الشاب افيجينيـا علـى كتفه و ركب السفينة و أمر بحارته بالإقلاع . ثـارت الأمـواج و اعترضـت اندفاع السفينة ، فقامت إفيجينيا و صلت للإلهة ، و ترنم البحارة بنشـيد نصـر يظاهرون به دعاء الفتاة . و ما أن ينتهى الرسول من روايته ، حتـى تتحسـر الجوقة على مصير إفيجينيا ، بينما يطلب الملك مـن الجميـع الإسـراع إلـى الشاطئ ، و يتوعد الجوقة بالعقاب بعد أن يسترد التمثـال ، و يقـبض علـى الغرباء .

تظهر أثينة على المسرح ،و تسأل الملك عـن وجهتـه ، و تـأمره بـأن يكف عن المطاردة ، فما فعله اوريستيس كان بأمر ابوللـون ، و قـد طلبـت من بوسيدون أن يساعدهم على الرحيل ، ثم تخاطـب اوريسـتيس الغائـب ، و تحدد له ما يقوم به من أفعال بعد وصوله من مدينة اثينا ، و أن يشـيد فـى هالاى معبداً و يقيم التمثال فيه ، و تكون إفيجينيا كاهنة للمعبد . تطلـب اثينـا من ثواس إطلاق صراح الجوقة من نساء هيلاس ، و تطيب خـاطر ثـواس ، و ترجوه ألا يغضب . يوافق ثواس على كل ما أمرت به الربة أثينـه اكرامـاً لرغبتها ، فتعلن اثينا أن حكم الضرورى أقوى من أى شئ حتى الآلهة ، كمـا تقرر مشاركة اوريستيس رحلته للمحافظة على تمثال أختها أرتمـيس ، تبـارك الجوقة صنيعها و تدعو لها . يخرج الجميع .

أهم ما يلاحظ على هذه المسرحية :

أولاً : تاريخ عرض المسرحية :

حوالى عام ٤١٤ أو ٤١٢ ق.م .

ثانياً : أصل المسرحية :

أعلن التاوريون تقديم أى إنسان غريب عن مدينتهم كقربان للعذراء أرتميس ، خاصة أولئك الإغريق ، الذين تُلقيهم الأمواج على سواحل المدينة. و قد كلفت إفيجينيا إبنة أجاممنون بتجهيز هذه القرابين قبل ذبحها . كانت التضحية بالبشر و تقديمهم كقرابين من الطقوس المعروفة قبل التاريخ الإغريقى ، إذ سادت المجتمعات البدائية القديمة.

و يلاحظ اسم إفيجينيا ، و قصة التضحية بها فى أولسيس لم ترد فى أشعار هوميروس ، إذ أن أسماء بنات أجاممنون وردت على سبيل الحصر كالأتى : لوديكى ، كروسوثيميس ، ايفياناسا .

و يرى البعض أن اسم إفيجينيا و يعنى الميلاد القوى ، قد يكون للدلالة على اسم إلهة الولادة و المخاض ، و أصبح فيما بعد كناية عن أرتيميس .

و بناء على ذلك تكون المسرحية نتاج لاختلاط العديد من القصص و الأساطير عن إفيجينيا عبر الديانات الأولى .

و من المعروف أن قصة أوريستيس رددتها الأساطير مرات و مرات ، و يعرف عنها مشاهدى المسرح الإغريقى الكثير ، بل وقد دونها هيرودوت ، إذ جاء فى روايته أن أوريتيس فى بلاد الإغريق ، و على ذلك فإن المشاهد الإغريقى يعرف سلفا أن بطل المسرحية سينجو ، و سيعود إلى بلاده ، و قد اسهم ذلك فى تخفيف التوتر و التشويق .

ثالثاً : المنظر الذى تجرى فيه الأحداث :

على شاطئ البحر فى تاوريس ، قرب هيكل أرتميس .

رابعاً : أهداف الفكرة الرئيسية :

١ - أن وطنية الإنسان تظل كامنة فى أعماقه مهما طال الزمن ، فبرغم أن أهل توروس قد نصبوا إفيجينيا كاهنة لمعبد الربة أرتميس ، إلا أنها مع أول لقاء مع واحد من بنى وطنها ، حتى ظلت تسأل و تسأل لتتقصى أى معلومة تفيدها عن أهلها و عائلتها .

٢ - المرأة هى المرأة حتى و لو كانت كاهنة ، فها هى إفيجينيا ذات الأصل و النسب و الحسب ، قد اكتسبت صفات غير صفاتها الموروثة ، إذ هى تؤلف حكاية لتخدع الملك ، و تسهم فى هرب شقيقها و صديقه ، بل هربها هى .

خامساً : المناقشة و التحليل :

١ - من المعروف أن الديوسكورى فى نهاية مسرحية الكترا ، قد نصح أوريستيس بالذهاب الى محكمة الأريوباج فى اثينا ، و هناك سيحصل علي براءته .

و قد اتسم تناول يوريبيديس لهذه المعلومة بشئ من الحرية و الجرأة ، إذ عقد الأسطورة و وسع فيها ، فجعل بعض ربات الانتقام تزعن لحكم المحكمة و توافق عليه ، بينما رفضت الباقيات ، و أصررن على مطاردة اوريستيس .

٢ - ربط الشاعر ما بين أهل أتيكا و توروس فى عبادة الإلهة أرتيميس ، حينما جعل فويبوس (ابوللون) ، يطلب من اوريستيس الذهاب إلى بلاد التاوريين ، و إحضار تمثال أخته التوأم الذى سقط من السماء و استقر فى تلك البلاد ، و وعد بأن نجاحه فى جلب التمثال سيضع حداً لشقائه و جنونه . (٨٠ -١٠٠)

٣ - أعلنت أفيجينيا فى المقدمة ، عدم رضائها عما تقوم به من أعمال فى معبد أرتميس ، و توجست خيفة من أن يتحقق حلمها ، إذ رأت أخيها اوريستيس يموت فى بلاد بعيدة ، فقد نثرت عليه فى منامها الماء المقدس ، الذى يستخدم فى طقوس الأضاحى ، و هذا يعنى فى عرفها أنه هالك لا محالة .

و ما أن تفرغ من سرد هواجسها و تخرج ، حتى يدخل اوريستيس و صديقه بيلاديس ، و هنا يبدأ التوتر و القلق على مصيره فقد جاء إلى موقع هلاكه بالفعل .

إن المقدمة التى ألقتها إفيجينيا ، قد نجحت فى إثارة عاطفتى الخوف و الشفقة ، إذ وضعت تفسيراً متشائماً لحلمها ، و برغم علم المشاهد الإغريقى بأن الوحى الإلهى قد بشر أورستيس بالعودة سالماً ، و أنه سيموت فى وطنه ، إلا أن المشاهد ، قد أحس بأن الخطر قد حاق بالشابين من كل جهة بمجرد ظهورهما ، و أسهم حلم إفيجينيا و تفسيرها فى زيادة التوتر .

٤ - بعد دخول الجوقة ، و هن من النساء الإغريقيات الأسيرات تابعات إفيجينيا ، تتطور الأحداث سريعاً ، إذ يعلن أحد الرعاه نبأ القبض على غريبين فى منولوج إخبارى ، و أن أحدهما و كأنه مطارد من ربات الانتقام . كما يعلن أنهما سرعان ما يمثلان أمام إفيجينيا ليلقيا مصرعهما على مذبح الربة .

إن بين سطور هذا المنولوج ما يُشير بطرف خفى إلى هوية أحد الغريبين . ثم تتوالى المعلومات عن هذا الغريب لتتجمع و تصبح صريحة و تؤدى إلى مشهد التعرف . فى البداية تتعاطف إفيجينيا معهما حينما تعلم أنهما من أرجوس ، ثم تبدأ فى إلقاء فاصل نشط و سريع من الأسئلة و الأجوبة المتبادلة ، و التى تدور حول أخبار وطنها و أبطاله ، و مصير أقاربها .

٥ - مما سبق يمكن أن نقول أن المسرحية من نوع الميلودراما ، إذ تعتمد أحداثها على فكرات و مشاعر لا تمت إلى الواقع بصلة ، كما تعتمد على الإثارة الحسية أكثر مما تعتمد على قوة بناء الشخصيات ، لذلك وضح ميل الشاعر الى المصادفات و المبالغة. كما أن النتيجة النهائية جاءت عكس كل التوقعات . إنها خرافة رومانسية تقوم على رواية مجموعة من المغامرات .

٦ - نلمح بين ثنايا الحوار جذور العقائد الدينية السائدة وقت تقديم المسرحية ، فقد جاء على لسان بطلتها فى الأبيات من ١٥٧ - ١٦٣ " من أجله أمضى لأسكب هذا القربان السائل على حجر الأرض ، هو قدح من أجل الميت الراحل ، من لبن حلب من بقرات جبلية جرعة من مشروبات باكخوس ذاته . و مما اختزنه النحل الخمرى من جهده و هى العطية الملطفة التى تمنحها العادة للموتى . "

مما سبق يمكن أن نتبين ما درج عليه أهل الإغريق من عادات و طقوس ، إذ كانوا يتركون بعض الأطعمة كوجبة جنائزية

للميت، و يحرم على أى حى المساس بها ، حتى و لو كان من أهله .

٧ - نجح الشاعر فى إثارة عاطفتى الخوف و الشفقة ، و كثفهما مع تطور الأحداث ليحافظ على استمرار التوتر ، و مؤخراً بقدر الإمكان النهاية السعيدة .

٨ - أثار الشاعر موقفاً عدائياً عند أول مواجهة بين الأخ و أخته ، و قد ذكرنا هذا الموقف بموقف مشابه عند لقاء كريوسا و أيون ، و برغم ذلك الرباط السرى غير المرئى الذى يربط كل واحد منهما بالأخر ، إلا أن اللقاء كان عدائيا . فقد أعلنت إفيجينيا غضبها من أبيها و ضيقها لمحاولته التضحية بها ، كما أعلن أورستيس أيضاً عن ضيقه بسبب ما أبدته إفيجينيا من رقة نحو وطنه و أهل و هى عدوة لهم ، بل استنكر فضولها الوقح ، فلم يجبها على بعض أسئلتها ، و لم يُعلن عن اسمه ، بل اتسمت كل ردوده باللامبالاة مما زاد التشويق و التوتر و الترقب .

إن هذا التجاهل و الجهل جعل الموقف يزداد دراميه ، فإفيجينيا و هى تجهل هوية ضحيتها ، تبدو و كأنها على وشك القيام بمهمتها و ذبح أخيها (٧٢٧) ، و هذا فى رأى أرسطو أقوى و أجدى دراميا إذ أن الخوف و الشفقة التى تنشأ عن ترتيب الحوادث هى الأفضل فى رأيه .

٩ - نجح الشاعر فى تأخير مشهد التعرف بين الشقيق و شقيقته أطول وقت ممكن ، و يرى أرسطو أن التعرف الذى سينتج من الوقائع نفسها هو أفضل أنواع التعرف ، حينما تقع الدهشة عن طريق الحوادث المحتملة (١٤٥٥ أ) ، و ضرب مثلا بإفيجينيا فى هذه المسرحية ، إذ من الصعب أن تكلف أورستيس بحمل رسالة (٥٨٢) .

١٠ - جاءت اللحظة الحاسمة للتعرف بطريقة طبيعية ، حينما أعلن بيلاديس عدم مسئوليته عن فقد الرسالة لأى سبب خارج عن إرادته ، و بسبب تعلله هذا أعلنت إفيجينيا عن مضمون الرسالة ، فانكشف السر و عرف الأخ أخته . و قد زاد من التوتر و التشويق ، مقاطعات و تساؤلات أورستيس . (٧٧٠ - ٨٣٠). كذلك صاحب التحول النفسى تحول أخر أدى إلى تغيير المواقف.

١١ - فى دوامة التعرف ، ينشغل الاثنان بأمور قد تبدو تافهة إذا ما قورنت بالموقف الذى يلى ذلك . فقد سألت إفيجينيا عن الكترا و العائلة ، بينما أعاد أورستيس سرد مأساته . و فجأة يتنبه الاثنان إلى موقفهما اليائس . و على عادة كتاب المسرح الإغريقى ، تفكر إفيجينيا فى الموقف و تجد الحل و هذه سمة من سمات المرأة فى التراجيديا أو الملهاة الإغريقية ، المهارة فى إيجاد الحل و المخرج .

١٢ - اعتمد بناء المسرحية على عنصرين :

أ - الاهتمام بالإنسان .

ب - فقدان الدلالات الدينية .

١٣ - انتقد كثيرون ، استسلام إفيجينيا و اعتبروه عيباً فى شخصيتها ، و قد رأينا كيف أن جوته فى مسرحيته التى تحمل ذات الاسم ، قد جعل بيلاديس هو صاحب الفكرة و الحل ، و ترك لإفيجينيا التنفيذ، و بذلك تغامر الفتاة بمصيرها و مصير من معها و يصبحون تحت رحمة الملك ، و يصبح الملك أكثر نبلاً منها ، فيسمح لها بعد معرفة الحقيقة بالرحيل هى و من معها و مودعاً إياهم بترحاب . هل هذا النبل يتفق مع كون الملك ثواس بربرياً .

١٤ - أثبتت المسرحية أن حيلة الإله من الالة لم تكن ضرورية كحيلة يلجأ إليها الشاعر لحل التعقيد فى ختام المسرحية ، فقد كان هناك حل طبيعى يمكن أن يساعد الشاعر فى الوصول إلى هدفه . كان من الممكن أن يترك سفينة أورستيس تبحر دون مقاومة من أمواج البحر ، و لا من العواصف مما يجعل هروبهم آمنا . و لكن كانت كل هذه العراقيل وسيلة المؤلف للحفاظ على التوتر و التشويق حتى آخر لحظة فى المسرحية .

١٥ - جمعت المسرحية العديد من المشاعر المتباينة ، فهى من الوهلة الأولى تصور لنا الحزن المُخيم على بطلة النص ، ثم تطور الأحداث لينفرج هذا الحزن بلقاء الأشقاء ، ثم شعور جارف بخطر محدق بالمجموعة الإغريقية ، ثم المحاولة اليائسة للهرب ، و نجاح خطتهم و مساندة أثينة لهم .

١٦ - المسرحية تستغل الأسطورة الشهيرة للحدث المعروف عن أسرة أتريوس بطريقة مغايرة ، إذ تقول الأسطورة الأصلية ، أن الرياح المعاكسة قد حالت دون تقدم الأسطول اليونانى فى حربها مع

طروادة ، فيسرع أجاممنون بتقديم ابنته إفيجينيا قربانا للآلهة ، كى تسمح للسفن أن تمخر العباب نحو طروادة .

سادساً : الجوقة :

١ - الجوقة هنا عبارة عن مجموعة من نساء هيلاس جئن معها من أوليس ، حيث يعملن فى مساعدتها فى مهمتها الجديدة .

٢ - تطلب إفيجينيا من الجوقة كتمان سرها و عدم البوح بخطتها ، و قد تعاطفت الجوقة معها لعدة أسباب :

أ - إنهن من بنات هيلاس .

ب - و عدتهن إفيجينيا بإحضارهن إلى هيلاس فى حالة نجاح خطة هربها .

و بالفعل تنفذ الجوقة وعدها و تلتزم الصمت ، فلم يبوحن بالسر عند دخول الرسول ، بل حاولن تضليله و خداعه . لذا نجد الرسول يتهمهن بالمشاركة فى المؤامرة و يعاملهن بخشونة ، و يتوعدهن بالعقاب .

٣ - بعد أن غادرت إفيجينيا و الغريبين ، أنشدت الجوقة أغنية إضافية فاصلة ، تدور بطريق غير مباشر حول الموقف ، و تعبر عن شوق الجوقة إلى أرض الوطن ، كما أنها تتعلق بنصيحة أبوللون الذى سيصحب الركب الهارب إلى الوطن بقيثارته و أغانيها .

ولقد أدان أرسطو مثل هذا النوع من الفواصل (١٤٥٦ أ) و اعتبره دخيلا على النص ، و يقلل من وقع الحدث و التوتر .

سابعاً : الحوار :

١ - أسهم الحوار فى تأخير لحظة التعرف ، و قد استخدم الشاعر أسلوب الاقتراب من هذه النقطة و التراجع مع إيجاز فى الردود .

٢ - لجأ الشاعر إلى التغيير المفاجئ فى الأوزان ، و التحول إلى الأوزان التروائية السريعة ذات الجمل القصيرة المتبادلة ، و ما ذلك إلا لزيادة التوتر و التشويق .

١٣ - هيلينا (١) :

بعد أن تؤدى هيلينا صلاتها على قبر بروتيوس (٢) ، تبدأ المقدمة الافتتاحية للمسرحية متغزلة فى النيل و مياهه التى تروى حقول مصر ثم تتحدث عن بروتيوس و زوجته بساماثى ، أرملة اياكوس ، ثم تذكر أبناء بروتيوس ، ثيوكلومينوس ، و ايدو التى سميت بثونوى ، و هى عرافة قادرة على قراءة الغيب ، و قد ورثت هذه القدرة عن جدها نيريوس .

تعرف هيلينا المشاهدين بنفسها ، فهى ابنة تينداروس ملك إسبرطة ، و قد جاءت نتيجة علاقة غير شرعية بين ليدا و زيوس . تروى هيلينا قصة احتكام الربات هيرا ، و كوبريس ، و أثينة لباريس ليحدد أيهن أكثر جمالا ، و محاولة كل منهن رشوته ، و وعده بشئ ، حتى حكم لأفروديتى ، التى وعدته بأجمل نساء الدنيا هيلينا . و لما جاء باريس إلى إسبرطة ، قامت هيرا بصنع شبح يشبه هيلينا ، و زوجته لباريس . ثم تروى كيف وصلت إلى مصر ، و اتهام الناس لها بأنها السبب فى نشوب الحرب الطروادية ، و تعلن أن هيرميس يعرف أنها لم تذهب إلى طروادة قط .

و تستمر هيلينا فى رواية قصتها ، فهى هنا فى حماية بروتيوس ، و لكن ها هو قد مات ، و تولى ابنه ثيوكلومينوس الحكم ، و قد تاقت نفسه للزواج من هيلينا ، و يطاردها و هى ترفض ، و تحتمى بقبر أبيه كى يحفظ عليها شرفها .

يدخل تيوكير ، أحد المحاربين فى طروادة ، و يتساءل عن أصحاب هذا الحصن . يلمح هيلينا ، فيعتقد أنها شبيهتها ، فيلعنها .

تسأله هيلينا لماذا يلعنها ؟ فيرد عليها أن كل واحد فى هيلاس يمقت ابنة زيوس ، و يعتذر لها عما بدر منه . تسأله هيلينا من يكون ؟ و من أين

---

١ - نعتمد بصفة أساسية فى تلخيصنا لهذه المسرحية على :
أمين سلامة ، الموسوعة الكلاسيكية للمسرح اليونانى و الرومانى ، مسرحيات يوريبيديس ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

٢ - ملك مصر ، تزوج من الحورية بساماثى خليلة اياكوس . أنجب منها ولدا هو ثيوكلوميثوس ، و ابنة هى أيدو التى سميت فيما بعد بثونوى . و لأن الرجل كان يتمتع بسمعة طيبة ، فقد أحضر هرميس ، الجميلة هيلينا ليجعلها فى مأمن أثناء حرب طروادة . و حسب رواية يوريبيديس مات و دفن فى مصر أثناء إقامة هيلينا هناك .

جاء؟ فيعلن أنه تيوكير ابن تيلامون من أرض سلاميس ، و أنه جاء إلى مصر منفيا ، مطرودا من وطنه ، فقد طرده أبوه بسبب انتحار أخيه إياس في طروادة . تتعجب هيلينا من قول تيوكير ، و تتساءل هل كان مجنوناً . يروى لها تيوكير قصة صراع أخيه و أوديسيوس و أخرين حول الفوز بسلاح اخيلوس . يروى لهيلينا عن طروادة و ماحل بها من خراب ، فتندب هيلينا حظها ، و تأسف لموت الفروجيين و الآخايين من أجلها ، و يحدد لها تيوكير الزمن الذى استغرقته الحرب الطروادية ، و لكن في النهاية أسروا هيلينا ، إذ جرها زوجها مينلاؤس من شعرها . تسأل هيلينا تيوكير ، هل ما يرويه رآه رؤية العين أم سمعه ، يؤكد الرجل أنه شاهد كل شئ بعينيه . تحاول هيلينا التشكيك فى السيدة التى أسرها مينلاؤس ، إذ تذكر أنها قد تكون شبحاً أرسلته السماء ، و لكن تيوكير ينفى هذا الخاطر . و يؤكد تيوكير لهيلينا أن مينلاؤس و زوجته لم يصلا بعد إلى أرجوس ، فقد غابا عن الأنظار ، و قد شتت الرياح تجمعات الأرجوسيين ، عند الممر الأوسط لبحر إيجة .

يعلن تيوكير أن الإشاعات تقول ، إن مينلاؤس قد مات . تسأله هيلينا عن ليدا ، فتعلم أنها ماتت ، شنقت نفسها ، ثم يتطرق تيوكير لقصتين عن أبناء توندراوس ، الأولى تقول بأنهم حُولوا إلى نجوم ، و يسميهم الناس آلهة، أما الثانية فتقول إنهم ماتوا منتحرين ، بسبب العار الذى ألحقته بهم أختهم هيلينا . بعد أن ينتهى تيوكير من سرد ما سبق ، يعلن أنه قادم ليرى العرافة ثيونوى ، كى تدله على الطريق الذى تسلكه سفينته الى ميناء قبرص، حيث سيقيم هناك ، طبقاً لأوامر ابوللون .

تطلب منه هيلينا مغادرة هذه البلاد قبل أن يراه ثيوكلومينوس ، لأنه يقتل كل إغريقى يراه . يشكرها تيوكير ، و يشيد بها و يذم فى هيلينا ، ثم يخرج .

تبكى هيلينا ، و تتساءل إلى أية ربه من ربات الفنون تتوسل بالدموع ، ثم تنشد مطالبة عرائس البحر مصاحبتها بناياتهن الحزينة ، و مزاميرهن المتفقة و عويلها ، ثم تستنجد ببيرسيفونى لتعيرها زميلات حزن من هاديس.

تدخل الجوقة و تلقى نشيدها ، الذى يدور حول ما كانت تفعله قبل دخولها ، إذ بينما كانت تنشر أثوابها المصبوغة بالأرجوان ، سمعت صراخاً و أنيناً . ترد عليهن هيلينا بما لديها من معلومات ، نقلها تيوكير عن أهلها . تشاطرها الجوقة ألمها و حزنها ، و تذكرها بما ألم بها من مصائب و ويلات . تتبادل هيلينا مع الجوقة حواراً حول الأهل ، و الآلهة التى كانت

سببا فى مصائبها . ثم ما حل بها و هى منفية عن بلدها ، و ما ينتظرها من موت إن هى عادت الى أرجوس .

تحاول الجوقة التخفيف عن هيلينا ، مدعية أن كلام الغريب قد لا يتسم كله بالصدق . و تنصحها الجوقة بمغادرة قبر بروتيوس ، و الذهاب إلى ثيونوى لتسألها عن حقيقة الأمر بالنسبة لزوجها ، فهى التى ستجلو الشك باليقين . تذهب هيلينا ، و تدعو الجوقة لمصاحبتها عند لقاء ثيونوى . تدخل المجموعة إلى القصر بعد فاصل من النواح على الماضى . يدخل مينيلاؤس، و يذكرنا بجده بيلوبس و أبيه اتريوس ، و أخيه اجاممنون ، ثم يقص قصة قيادته لقوات هيلاس ضد طروادة ، و إبحاره منها إلى أرجوس التى لم يصل إليها ، فقد حطم الإعصار سفينته ، و فقد رفاق الرحلة ، و ها هو فوق الصخور ، و معه زوجته التى استردها من بين حطام ايليوم . و يتساءل ، أى أرض هذه التى ساقه حظه إليها ، إن مظهره المزرى ، و ثيابه التى تحولت إلى أثمال و خرق ، تمنعه من مخالطة الجموع ، و سؤالهم عن هوية هذا البلد .

و يستكمل روايته ، إذ يُعلن أنه خبأ زوجته هيلينا ، سبب نكبته و مصائبه ، فى كهف عميق ، بعد أن كلف من بقى من أصدقاءه بحراستها ، ريثما يعود إليهم بما يسد رمقهم . يدق باب القصر ، فتظهر حارسة الباب ، و عندما تراه ، تطلب منه الابتعاد عن باب الفناء ، و تحذره ، إذ أنهم لا يتعاملون مع الإغريق ، بل و هى المكلفة بمنع أى هيلينى من الاقتراب من القصر . يحاول مينيلاؤس شرح حالته للحارسة ، كى تنقل قوله لسادتها داخل القصر ، و لكن الحارسة تصر على طرده ، فيسألها عن اسم البلد ، و هوية أصحاب القصر . تخبره الحارسة أنه فى مصر ، و أمام قصر بروتيوس ، فيبتأس مينيلاؤس لوجوده فى مصر ، ثم يسأل عن الملك ، فترد عليه الحارسة ، إنه مات ، و أن ابنه هو الملك الآن . و هو من ألد أعداء الإغريق ، بسبب هيلينا ابنة زيوس ، ابنة تونداروس ، و التى كانت تعيش فى إسبرطة . يشك مينيلاؤس فى أن أحداً عرف مخبأ هيلينا ، و تنهى الحارسة حديثها مع مينيلاؤس ، بأنه جاء فى وقت غير مناسب ، و تحذره من سيدها الملك ، فبرغم أنه يكره الإغريق ، إلا أنها تتمنى لهم كل خير . تخرج حارسة الباب ، تاركة مينيلاؤس وحده ، يفكر فيما تقوله المرأة عن هيلينا ، كيف تكون فى الكهف و فى القصر فى آن واحد ؟ يرفض مينلاؤس نصيحة الحارسة ، و يصر على مقابلة صاحب القصر ، فهو محتاج ، و لا مفر من طلب مساعدة الملك . ينزوى بعيداً ، بينما تدخل الجوقة مرددة قول

العرافة ، بأن مينيلاؤس لم يمت ، و تصف حالتـه و بؤسـه . تـدخل هيلينـا لتجلس بجوار القبر ، و تعلن سعادتها لقول ثيونوى بأن زوجها حـى ، و أنـه سيأتى ، إذ أنه قريب من أرض مصر . يتقدم مينـيلاؤس ، فتفـزع هيلينـا إذ تعتقد أنه ثيوكلومينوس جاء ليأخذها . يقتـرب منهـا مينـيلاؤس ، و يمسـك بيدها، بينما يزداد تشبثها بالقبر . يسألها مينيلاؤس مـن تكـون ؟ إنهـا شـديدة الشبه بزوجته . تعترف هيلينا بأنها إغريقية ، كما يعلن الرجل أنـه مينـيلاؤس. و لكنه فى ذات الوقت يتحير ، إذا كانت المرأة التى تقف أمامه هـى هيلينـا ، فمن عسى أن تكون المرأة التى أتت معه ، و خبأهـا فـى الكهـف ؟ تحـاول هيلينا التأكيد على أنها هى زوجته الحقيقية ، و تدعوه لتفحصـها كـى يتأكـد ، و حتى تقنعه ، تردد أنها لم تذهب الى طروادة ، و من ذهبت هـى صـورتها أو شبحها الذى صنعته هيرا . لا يصدقها مينيلاؤس ، و يود الانصـراف إلـى حيث تنتظره زوجته .

يدخل الرسول باحثاً عن مينيلاؤس ، ليروى له قصة غريبة ، فقـد ذهبـت زوجته هيلينا فى ثنيات الهواء ، طارت و اختفت ، بعـد أن صـرخت ببـراءة هيلينا الحقيقية . يتذكر مينيلاؤس قـول هيلينـا الحقيقيـة ، و يسـعد بلقائهـا ، و يضمها إلى صدره .

يطلب منها مينيلاؤس رواية قصة محنتها ، و كيف حملها هيرميس إلـى بلاد النيل بأمر من هيرا ، حتى تأخذ الفريسة مـن كـوبريس التـى وعـدت باريس بحب هيلينا . لقد جاءت بها إلى مصـر ، و إعطـت بـاريس شـبحاً يشبهها . يتعجب الرسول ، كيف كانوا يحاربون مـن أجـل شـبح ، سـحابة صنعتها هيرا . ثم يسأل مينيلاؤس ما إذا كانت المرأة التى أمامه هـى زوجتـه الحقيقية ؟ يجيبه مينيلاؤس بالإيجاب . يسرح الرسول متـذكراً حفـل زفـاف هيلينا ، يوم أن كانت تجلس فى عربة تجرها أربعة جياد ، و هو يجـرى الـى جانب عربتها و يلوح بالشعلة ، تـاركين أرض الـوطن . يُطيـب مينـيلاؤس خاطر الخادم العجوز ، و يثنى عليه ، و يطلب منه نقل الخبر لأصـدقائه فـى الكهف . يطلب الرسول من سيده ألا يستمع إلـى العـرافين ، فمـا يقولونـه كذب، و ينصحه بتقديم الذبائح للآلهـة . يخـرج الرسـول ، فتبـدأ الجوقـة حوارها بالموافقة على رأى الرسول فيما يخص العـرافين ، و تحبـذ اللجـوء للآلهة . تطلب هيلينا من مينيلاؤس أن يروى قصته مـع حـرب طـروادة . يتنصل مينيلاؤس من رواية التفاصيل ، و يـروى القليـل منهـا ، إذ حـارب عشر سنوات ، و ظل هائماً فوق سطح البحر بعدها سـبع سـنوات . تحـذره هيلينا من صاحب القصر ، و حاكم هذه البلاد ، لأن ظهوره ، قد أفسد خطـة

ثيوكلومينوس الذى يسعى للزواج بهـا . و تطمـئن هيلينـا مينـيلاؤس بأنهـا حافظت على فراشه ، و لم تدنسه ، و دليلها فى ذلـك ، لجوءهـا إلـى قبـر بروتيوس متضرعة .

يعلن مينيلاؤس أنه سيأخذها و يهربان من هـذا البلـد ، و لكـن هيلينـا تحذره ، إذ سيكون الموت من نصيبهما إن حـاولا . إنهـا مغـامرة فاشـلة . و تؤكد لمينيلاؤس ، أن المسألة تحتاج إلى تفكير سليم ، للوصول إلى طريقـة حكيمة للهرب . خاصة و أن الملك يمكنه أن يعـرف بوصـوله مـن أختـه العرافة ثيونوى ، التى تقرأ الطالع و تتنبـئ بالمسـتور . تفكـر هيلينـا فـى استخدام الحيلة و التوسل لثيونوى ، كى تستـميلها ، و تسـتعطفها ، حتـى لا تخبر أخيها بأمرهما . و يتعاهد الاثنان أن يموتا سوياً إن فشل تدبيرهما .

تعلن هيلينا عن قدوم ثيونوى ، و تطلب من مينيلاؤس الهرب ، ثم تعـود لتتذكر قدرة ثيونوى و حولها مجموعة الخادمات ، و تتقدم حاملـة المشـعل ، الموكب ، و تأمر العرافة خادماتها بتطهير الطريـق ، و بـإطلاق البخـور . ترى ثيونوى هيلينا ، فتسألها عن أخبارها ، و تعلن أن نبوءتهـا قـد تحققـت و عاد مينيلاؤس . توجه حديثها لمينيلاؤس ، و تخبـره أن نقاشـاً سـيتم فـى المساء اليوم بخصوصه ، و فى حضرة زيوس ، و أن هيـرا أصـبحت فـى صفه اليوم ، بعد أن كانت عدوته ، و أنه سيصل سالماً هـو و زوجتـه إلـى وطنهما ، رغم محاولة كوبريس تحطيم سفينتهما ، حتى لا ينكشـف عارهـا ، و تعلن أيضاً أنها أمام خيارين ، الوقوف مع كـوبريس فتخبـر أخيهـا عـن قدومه ، فيقتله ، أو تقف مع هيرا و تكتم خبره عن أخيهـا فينجـو . تصـمت قليلاً ، ثم تصدر أمرها لإحدى الخدم بالذهاب إلى القصـر ، لإخبـار أخيهـا بقدوم مينيلاؤس . تركع هيلينا على قدمى ثيونوى متوسـلة ألا تخبـر أخيهـا بشئ عن زوجها مينيلاؤس ، و تذكرها بأنها تحترم الحـق ، و أنهـا عاشـت فى حماية والدها بروتيوس يوم أن جاءت مسـتجيرة . تؤيـدها الجوقـة فـى توسلها ، و تطالب مينيلاؤس بأن يفعل شئ لنجاته . يتحرج مينـيلاؤس مـن التوسل ، و يطلب من ثيونوى ألا تخبر أخاها ، و لكن فى عـزة و كرامـة ، مذكراً إياها بصنيع أبيها ، و بالقسم الذى أخذه علـى نفسـه ، و العهـد الـذى عاهد زوجته عليه ، ألا تكون لأحد غيره ، و أن يموتا سوياً .

توافق ثيونوى على إنقاذ حياة مينيلاؤس ، و تطلب منـه أن يتـدبر هـو و زوجته طريقة هروبهما ، و أن يصليا لكـوبريس ، و أن تضـرع هيلينـا لهيرا حتى لا تغير رأيها ، تخرج ثيونـوى . يسـأل مينـيلاؤس هيلينـا ، أن تحاول مع أحد الحراس ، كى يعطيهم عربة ذات أربعة جيـاد ليهربـا بهـا ،

تذكره هيلينا بأنهما لا دراية لهما بسهول هذا البلد . يعود مينيلاؤس و يفكر في قتل الملك ، و لكن هيلينا تستبعد الفكرة ، حتى لا تغضب ثيونوى . تضع هيلينا خطة الهرب ، إذ سوف تدعى موت مينيلاؤس ، و ستقوم بعمل كافة الإجراءات المتبعة فى مثل هذه الحالة ، قص الشعر ، العويل و البكاء، استبدال الثياب البيضاء بأخرى سوداء ، و تخدش خدودها بأظافرها حتى تجرحهما . يعترض مينيلاؤس ، و لكن تقنعه هيلينا ، و تضيف إلى الخطة، أنها ستطلب من الملك منحها إجازة لتدفن زوجها ، و أن يُعيرها سفينة لتبحر بالجثمان المزعوم ، إذ أن الواجب يقتضى نقل الزوج إلى بلده ، ليدفن وسط أهله . و تطلب منه أن ينتحل شخصية أحد البحارة الناجين من الغرق، و يعلن أنه هو الذى نقل الخبر إليها . تتركه إلى جانب القبر ، و تدخل إلى القصر كى تستعد لمظاهر الحزن ، و قبل اختفائها ، تتضرع لهيرا أن تقف إلى جوارهما ، و إلى كوبريس كى تكف عن ملاحقتها بالأضرار .

تبدأ الجوقة فى إلقاء نشيدها الأول ، الذى يدور حول قصة هيلينا و باريس ، و حرب طروادة ، و ما أصاب أهل هيلاس و طروادة من نكبات و خراب من جراء هذه الحرب ، ثم تتطرق إلى ما أصاب سمعة هيلينا من تلويث .

يدخل الملك الشاب ثيوكلومينوس و حاشيته ، حاملة الأسلحة و الشباك ، تصحبه كلاب الصيد . يلقى الملك بتحيته على قبر ابيه بروتيوس ، ثم يأمر رجاله بأخذ الكلاب و الشباك إلى حظائر القصر ، و يبقى هو وحيداً ، يناجى نفسه حول شكوكه من وجود بعض الإغريق على الساحل ، جاءوا ليخطفوا هيلينا ، و يتعجب كيف تركت هيلينا مجلسها عند القبر ، يعتقد أنها هربت ، و لكنه يراها و هى داخلة مرتدية ثيابها السوداء ، و قد قصت خصلات شعرها ، باكية منتحبة ، فيسألها ما السبب ؟ إنه مينيلاؤس الذى مات . فيسألها مرة أخرى ، كيف عرفت النبأ ؟ هل من العرافة ثيونوى ؟ فتجيب هيلينا بالإيجاب ، و تضيف أن شاهد عيان قد أكد النبأ . يتعجب الملك و يسألها ، من يكون ؟ و من أى بلد ؟ و كيف مات زوجها ؟ تشير هيلينا على رجل عند القبر ، جاء من أخايا ، و قد أغرقته موجة من الماء المالح . تثور شكوك الملك حول الرجل ، و تثور فى نفسه عدة أسئلة ، إذا كان الرجل رفيقاً لمينيلاؤس على السفينة حقاً ، فكيف نجا ، و لم يلقى مصير رفيقه ؟ إذا كانت هناك سفينة تحطمت فأين حطامها ؟ كيف وصل هذا الرجل الذى نجا إلى شاطئ مصر بلا سفينة ؟ تُجيب هيلينا على كل الأسئلة بما يطمئن فؤاد الملك ، و يذهب شكوكه .

يتساءل الملك ، و هل دفن مينيلاؤس أم لا ؟ و هنا تبدأ هيلينا فى وضع الخطة المرسومة من قبل ، موضع التنفيذ ، كما أنها تلمح لثيوكلومينوس أن العقبة التى كانت تحول بينها و بينه ، قد زالت . فيسأل عما تريد منه . تركع هيلينا عند ركبته ، و تطلب منه أن يسمح لها بأن تدفن زوجها ، وفقاً للتقاليد الهيلينية ، يعطيها ثيوكلومينوس الحق فى إقامة قبر لزوجها فى أرض مصر . تشكره ، و لكنها تعتذر بأن عاداتهم فى دفن البحارة الغارقين ، تختلف تماماً ، إذ من الضرورى أن يخرجوا إلى البحر ، و معهم ما يلزم الجثة ، و تشير إلى مينيلاؤس كى يكمل باقى الإجراءات بوصفه خبيراً بما يلزم ، و بالفعل يعدد مينيلاؤس كل ما تحتاجه عملية الدفن ، بعض الذبائح من قطعان الخراف ، و نعش فارغ ، ذراعين من البرونز ، و سفينة يقودها مجدفون لمسافات بعيدة عن الشاطئ ، حتى لا تقذف الأمواج بالدنس مرة أخرى ، و لابد للزوجة من مصاحبة موكب الجنازة . يأمر الملك بتنفيذ كل ما طلب مينيلاؤس ، كما يأمر له بثياب جديدة ، و بطعام وفير . ينصح مينيلاؤس هيلينا بأن تنسى زوجها المتوفى ، و تقنع بسيدها الآن ، و يعدها أن يمحو سيرتها السيئة لدى أهلها فى هيلاس . تزعن هيلينا لنصيحته ، و تطلب منه الدخول إلى القصر ، و الاستحمام ، و لبس الثياب الجديدة . يخرج كل من مينيلاؤس ، و هيلينا ، و ثيوكلومينوس ، لتبدأ الجوقة فى ترتيل نشيدها ، مناجية ديميتر ، و تروى حكايتها القديمة ، و ما أصاب ابنتها العذراء ، و دور زيوس فى تهدئة الأم الملتاعة ، و إدخال السرور عليها . تدخل هيلينا ، مُعلنة أن الأمور تسير بشكل طبيعى داخل القصر ، خاصة وأن العرافة ثيونوى قد برت بوعدها ، و لم تخبر أخيها بشئ ، أما عن مينيلاؤس فقد لبس ما يليق به من ملابس الفرسان ، و تطلب من الجوقة حفظ السر ، و تعدهن بأنها ستخلصهن يوماً .

يدخل الملك ثيوكلومينوس و مينيلاؤس وسط مجموعة الخدم ، الذين يحملون القرابين . يطلب الملك من عبيده ، القيام بالطقوس وفقاً لتعليمات مينيلاؤس ، ثم يتودد لهيلينا ، و يرجوها ألا تذهب مع هذا الموكب الجنائزى ، حتى لا يستبد بها الشوق ، فتلقى بنفسها فى الماء . تطمئنه هيلينا و هى تؤكد على ضرورة تواجدها وسط الطقوس ، و تطلب منه الأمر بإحضار السفينة ، و التنبيه على بحارتها بطاعة مينيلاؤس . يعطى الملك أوامره ، ثم يودع مينيلاؤس متمنياً له عود سعيد ، و يخرج .

تتجه مجموعة الخدم بالقرابين إلى السفينة ، بينما مينيلاؤس يناجى زيوس ، كى يقف فى صفهما ، و يساعدهما فى الوصول إلى الوطن . يخرج هو وهيلينا خلف الخدم ، بينما تنشد الجوقة نشيدها الذى يدور حول رحلة السفينة ، و دعواتها لكل الآلهة كى تجعل رحلتها آمنة .

يدخل الرسول معلناً للملك أن هيلينا قد هربت مع مينيلاؤس ، ذلك الغريب الذى انتحل صفة البحار ، و ادعى أنه كان مع سيده وقت تحطم سفينته ، ثم استكمل الرسول التفاصيل ، إذ دعى مينيلاؤس بحارته كى يساعدوه ، و لم يقم رجال الملك بأية محاولة مضادة طاعة لأمره ، رغم أن الشكوك قد خامرتهم . لقد غدر مينيلاؤس برجال السفينة ، و حرض رجاله على قتلهم ، فانقضوا على الرجال بالسيوف ، فقتلوا من قتلوا ، و فر من فر .

يغضب ثيوكلومينوس ، فقد خدعته هيلينا ، و يعلن أنه سينتقم حتى من شقيقته ، التى أخفت عليه وجود مينيلاؤس ، تحاول الجوقة تهدئة الملك ، ومنعه من تنفيذ تهديده ، و يدور بينهما حوار حول عدالة ما حدث ، فقد ذهبت هيلينا مع زوجها ، الذى تسلمها من أبيها ، يهدد الملك بقتل الجوقة ، توافق الجوقة ، و لكن ترجوه ألا يقتل أخته . يظهر الشقيقان (١) ، و يطلبان من ثيوكلومينوس الهدوء ، فما فعلته هيلينا أمر طبيعى ، لأن الرابطة القديمة تطالب بها ، و يجب أن تصل الى وطنها ، و تعيش مع سيدها الحقيقى . ثم أنها مشيئة زيوس . يقتنع الملك ، و يعلن تراجعه عن قراره السابق بقتل شقيقته ، و تعلق الجوقة فى الختام على ما تقوم به الآلهة من أفعال غير متوقعة ، و لا تسمح بإنجاز الأشياء التى يأمل فيها البشر . يخرج الجميع .

أهم ما يلاحظ على هذه المسرحية :

أولاً : تاريخ عرض المسرحية :

عرضت حوالى عام ٤١٢ ق.م .

ثانياً : أصل المسرحية :

تعددت الروايات عن هيلينا ، خاصة فيما يتعلق بمولدها ، و بأماكن تواجدها .

---

١ – هما الديسكورى أو كاستور و بولوديوكيس ، شقيقا هيلينا التوأمين .

أ ـ فيما يتعلق بالمولد :

الرواية الأولى : إنها ابنة زيوس من ليدا ، وعلى ذلك فهـي شـقيقة الديوسكورى (كاستور و أخيه بولوديوكيس) ، إذ تقول هـذه الرواية أن زيوس عشق ليـدا ، و تمنـى إتيانهـا ، و لكنهـا رفضت و حولت نفسها إلى أوزة ، فأسـرع زيـوس و شـكل نفسه على هيئة بجعة ، و تمكن من قضاء غرضه . وضـعت ليدا بيضة ، خرجت منها هيلينا و الديوسكورى .

الرواية الثانية : و هى قريبة الشبه بالرواية الأولـى و إن اختلفـت التفاصيل ، فمثلا فى الرواية الأولى ، كـان اسـم الأم ليـدا ، بينما فى هذه الرواية هو نيميسيس ابنة نوكس ، ربـة الحـظ . أما بالنسبة للبيضة ، فقد عثر عليها الرعاة فى بسـتان قريـب من إسبرطة ، فأخذوها إلى ليـدا زوجـة تينـداريوس ملـك إسبرطة . بعد فترة خرجت هيلينا و بولوديوكيس من البيضـة فاعتبرتهما ليدا طفليهـا ، بينمـا أنجبـت ليـدا مـن زوجهـا تينداريوس ، كل من كليتمينسترا و كاستور .

ب ـ فيما يتعلق بأماكن تواجدها :

أيضاً تعددت الروايات ، أهم هذه الروايات :

الرواية الأولى : اتفق الرواة جميعاً علـى حـلاوة و جمـال هيلينـا كإنسانة ، و كان جمالها و نسـبها إلـى زيـوس سـبباً فـى اختطافها عدة مرات :

المرة الأولى : كان عمرها وقتها إثنى عشـر عامـاً . إذ أقسـم كل من ثيسيوس ملـك أثينـا ، و صـديقه بيريثـوس ، أن يتزوج كل منهما ، واحدة مـن بنـات زيـوس . فـانتهزا الفرصة ، و اختطفا هيلينا من مذبح ارتميس ، و هى تقـدم قرباناً للآلهة ، و أخذاها إلى اتيكا ، حيـث تركاهـا عنـد إثيرا أم ثيسيوس . ثم نزلا بعد ذلك إلى هـاديس ، بعـد أن وضعا خطة جريئة ، لخطـف و اسـترداد ابنـة زيـوس بيرسيفونى ، ليتزوجها بيريثوس .

أثناء تواجدهما فى هاديس ، قدم الديوسـكورى علـى رأس جيش من الإسبرطيين و الاركاديين ، و استعادوا هيلينـا ، كما أخذوا أثيرا أم ثيسيوس ، و فيسادى أخـت بيريثـوس أسيرتان و لتكونا خادمتين لهيلينا .

المرة الثانية : يوم أن عاد مينيلاؤس و هيلينا إلى أرجوس ، خطف اورستيس هيلينا ، محاولا الانتقام من عمه ، الذى رفض الوقوف إلى جانبه .
المرة الثالثة : فى مسرحية أورستيس أيضا ، و قبل أن يذبحها اورستيس ، خطفها زيوس إلى السماء لتتلاشى ، و تصبح إلهة البحارة .
المرة الرابعة : و هى تتعلق بخطف باريس لهيلينا ، إذ قدم باريس ، الأمير الطروادى ، بدافع من افروديتى ، كى يحصل على الرشوة التى وعدته بها آلهة الحب و الجمال، فاستقبله مينيلاؤس فى منزله . و ما أن شاهدته هيلينا حتى هامت به حباً ، و لما سافر مينيلاؤس إلى كريت بسبب وفاة جده كاتريوس ، كى يشترك فى تشييع الجنازة، ترك باريس فى منزله ، و طلب من زوجته القيام على خدمته و الاحتفاء به . فرا الإثنان من إسبرطة إلى طروادة ، حاملين معهما بعض كنوز مينيلاؤس ، و هنا أيضا حفظ لنا الرواة بعض القصص:
الأولى : أنهما وصلا بما يحملانه الى طروادة بعد ثلاثة أيام .
الثانية : أثناء إبحارهما إلى طروادة ، هبت العواصف الشديدة ، فدفعت بسفينتهما نحو سوريان ، أحد موانى سيدم ، و يقال إن هيرا كربة للزواج ، هى التى أرسلت هذه العاصفة ، إظهاراً لغضبها على سلوك العاشقين ، و لكن بعد أن هدأت العاصفة ، أقلعا إلى طروادة .

على أية حال ، كان تواجد هيلينا فى طروادة ، سبباً فى نشوب الحرب الطروادية ، التى استمرت عشر سنوات بين الإغريق و طروادة . و قد اشترك فى هذه الحملة كل خطاب هيلينا ، الذين اقسموا على نجدتها ، و نجدة من تتزوجه .

و يقال ، إنه قرب نهاية الحرب الطروادية ، و بعد مقتل باريس ، تزوجت هيلينا من أخيه دايفوبيوس ، و لكن بعد ذلك أحست بكراهية نحو طروادة ، و حنين

لبلادها . و برغم هذه المقولة ، فإن هنـاك خـلاف حـول صحتها ، فقد ذكر بعض المؤيدين ، أنها اكتشـفت دخـول اوديسيوس إلي طـروادة متخفيـا علـى هيئـة شـحاذ ، و عرفته ، و مع ذلك لم تفشى سره ، أو تبلغ عنـه ، بـل و يذهب هؤلاء إلى أنهـا سـاعدته علـى سـرقة تمثـال البلاديوم (١). كما يؤكد نفس الرأى ، أنها ساعدت زوجهـا مينيلاؤس علي قتل دايفوبيوس .

بينما يرى المعارضون ، أنها كانت ضـد الإغريـق ، إذ حاولت خداع القواد المختبئين داخل الحصـان الخشـبى ، كى تكشف عن وجودهم ، و تفشل خطتهم ، بـل و حـدد أصحاب هذا الرأى ، بالتفصيل ، مـا صـنعته هيلينـا ، إذ دارت حول الحصان مع دايفوبيوس ، و نادت علـى كـل واحد من الضباط المختبئين باسمه ، مقلدة صوت زوجتـه تقليداً متقناً . و كادت الحيلـة أن تنطلـى ، لـولا تحـذير الداهية اوديسيوس ، الذى منع القادة من الرد على صـوت هيلينا .

و لما استولى الطرواديون على الحصان ، و جـروه إلـى داخل أسوار المدينة ، تمكن الضباط مـن القضـاء علـى جيش طروادة ، و هزيمتهم .

المرة الخامسة : و هى قصة وصولها إلى مصـر ، إذ تقـول إحدى القصص الخرافية أن هيلينا لـم تـذهب قـط إلـى طروادة ، بل خيل لهم ، إذ أن هيرا ، كانت تكره بـاريس، لأنه حكم ضدها و لصالح افروديتى ، عنـدما لجـئن إليـه و حكمته . لذا قررت هيرا أن تُعطيـه مكافأتـه سـراباً ، و شبحاً وهمياً لهيلينا ، فشكلت له سحابة على هيئة هيلينا،

---

١ – تمثال قديم للألهة أثينا بالاس له قدسيته . يقال إنه سقط من السماء ، فلم تصـنعه يـد بشر ، و هو موجود فى طروادة . أعلن العراف الطروادى هيلينوس قـرب نهايـة الحرب الطروادية أن الإغريق لن يستطيعوا هزيمة طروادة ، طالما ظل هذا التمثـال بين جدران المدينة . تخفى اوديسيوس و ديوميديس و دخلا المدينـة لـيلا بمسـاعدة هيلينا ، و سرقوا التمثال . و بذلك انهارت الجيوش الطروادية ، و استولى الإغريـق على طروادة .

بينما أمر زيوس هرميس بحمل هيلينا الأصلية إلى مصر ، حيث منحها الملك بروتيوس الملجأ الامن .

و برغم أن هذه القصة جزء رئيسى فى مسرحية هيلينا للشاعر يوريبيديس ، إلا أننا نجد نفس الشاعر فى مسرحية الكترا ، و فى السطور ١٢٨٠ - ١٢٨٣ ، يوجه اللوم لزيوس لتشكيل السحابة على هيئة هيلينا ، و أرسلها إلى طروادة ، من أجل أن تنشب الحرب بين المدينتين .

و يتصل بقصة وصولها إلى مصر ، تخريجة أخرى قال بها هيرودوتوس ، إذ روى أن باريس ، و هو فى رحلته إلى طروادة مع معشوقته هيلينا ، توقف بمصر . كان بروتيوس ملك مصر ساخطاً ، غاضباً على ما فعله باريس ، فقرر الإبقاء على هيلينا فى مصر ، و طرد باريس ، الذى ذهب إلى طروادة دونها . و هذا ما قرره أهل طروادة للجيش الإغريقى الغازى لمدينتهم ، و قبل نشوب المعركة . لم يصدق الإغريق هذه الرواية إلا بعد أن استولوا على المدينة .

و هناك رواية أخرى تروى عن وجود هيلينا فى مصر ، تقول هذه الرواية ، أنه بعد انتهاء حرب طروادة ، تمكن مينيلاؤس من القبض على زوجته هيلينا ، و قرر قتلها ، و لكن المرأة الجميلة التى تعرف مفتاح شخصية زوجها ، بل و تعرف مكانتها عنده ، قد تمكنت من التأثير عليه ، فأبقى على حياتها ، و أعلن أمام الإغريق ، أنه سيقتلها فى إسبرطة و ليس هنا . و رحل مينيلاؤس و زوجته ، و أثناء رحلته جمع ثروة طائلة ، فأمضيا بعض الوقت فى مصر ، حيث تعلمت هيلينا طريقة التداوى بالأعشاب ، على يدى بولودامنا زوجة ثون أو ثونيس ، حاكم مدينة تقع على مصب النيل .

و هناك علم مينيلاؤس من رجل عجوز ، أن أخيه اجاممنون سيلقى مصرعه ، بمجرد عودته إلى مصر ، بيد زوجته و عشيقها ، و أنه قبل أن يصل إلى إسبرطة ، سيكون اورستيس قد انتقم لمقتل أبيه و قتل أمه و عشيقها . و قد تحققت النبوءتان .

أما خاتمة القصص ، فإن هناك رواية تقول بأن الشاعر الغنائى القديم ستيسيخوروس ، قد فقد عينيه ، فاعتقد وقتها أن الإلهة هيلينا قد عاقبته ، بسبب روايته لقصة هروبها مع باريس . سارع الشاعر الغنائى بتصحيح الوضع ، فكتب أغنية أخرى ذكر فيها أن هرميس هو الذى حمل هيلينا إلى مصر ، لتعيش كإنسانة شريفة ، انتظاراً لحضور زوجها مينيلاؤس ليصطحبها إلى بلادها مرة أخرى .

مما سبق ، يتضح لنا كثرة الروايات حول هيلينا ، و تنوع هذه الروايات ، و تداخلها ، و مع ذلك لا زال للموضوع بقية ، حتى تكتمل القصة .

فيوم أن أعلن تينداريوس ترويج ابنته الجميلة ، تقدم كل نبلاء المدن المجاورة لخطبتها ، و تباروا فى إرسال أغلى الهدايا ، لكى ترضى عنهم هيلينا . و لكن الوحيد الذى لم يرسل هدايا ، هو اوديسيوس ، إذ كانت له أسبابه ، و هى :

١ - أنه يعلم جيداً طبيعة هيلينا ، لذا فهو متيقن من أن فرصته للفوز بها ضعيفة .
٢ - كان من بين الخطاب مينيلاؤس ، و كما هو معروف فهو رجل غنى ، ضعيف الشخصية ، و هو اللون الذى يعجب هيلينا .
٣ - فرصة مينيلاؤس أكبر ، إذ أن أخوه الملك اجاممنون، متزوج من كليتمينسترا أخت هيلينا ، فمن الممكن أن تكون الأخت من عوامل الضغط على هيلينا ، و مشاركة فى اتخاذ القرار .
٤ - كان اوديسيوس يحب ابنة عم هيلينا ، و هى بنيلوبى ابنة ايكاريوس و الحورية بيريبويا .

كان تينداريوس يخشى من المتاعب المستقبلية ، التى ستنجم عن اختيار هيلينا لواحد من بين المتقدمين لها ، لذلك أخذ بنصيحة اوديسيوس الداهية ، الذى نصحه بأمرين :

الأول : أن يجعل كل المتقدمين يقسمون بقبول القرار بصدر رحب ، و أن يتعهدوا بالدفاع عن هيلينا ، و من تختاره زوجا لها ، أيا من كان منهم ، ضد أية مصاعب مستقبلية .

الثانى : أن يترك اختيار العريس لهيلينا نفسها .

تزوجت هيلينا من مينيلاؤس ، و ظلت وفية له ، و أنجبت منه بنتا اسمتها هيرميونى ، و ربما ولداً اسمه بنكوستراتوس (١) . هذا ما قال به ستيسيخوروس ، بينما يقول باوسانياس أن هيلينا قد أنجبت ابنة أسمتها ايفيجينيا ، و أنها أعطتها لأختها كليتمينسترا لتربيتها كابنة لها .

و يؤكد باوسانياس أن أهل رودوس قد ادعوا أن نيكوستراتوس و ميجابينثيس ، قد أجبرا هيلينا على مغادرة إسبرطة ، فلجأت إلى بولوكسو ، أرملة تليبوليموس ابن هرقل ، ملك رودوس ، الذى مات فى الحرب الطروادية . تظاهرت بولوكسو بالترحيب بهيلينا ، و لكنها فى قرارة نفسها ، تمنت لو أنها ثأرت منها و انتقمت ، إذ كانت هى السبب فى وفاة زوجها تليبوليموس فى طروادة . لذا أمرت خدمها ، فشنقوا هيلينا ، و علقوها على فرع شجرة .

و لعل من أغرب الروايات ، عن نهاية هيلينا ، تلك التى تناقلها أهل كروتونا و هيميرا ، إذ يقولون أن قائدهم ليونوموسى فى عودته من الجزيرة البيضاء ، قرب البحر الأسود ، عند مصب نهر الدانوب ، قد شاهد هيلينا و قد تزوجت من اخيللوس .

يوريبيديس و هيلينا :

تناول الشاعر موضوع هيلينا أكثر من مرة فى بعض أعماله الفنية، و فى كل مرة كانت له رؤية خاصة بها . فمثلا :

١ - فى مسرحية الطرواديات ، جعل منها شخصية شريرة ، و برغم دفاعها عن نفسها ، بأنها فعلت ما فعلت بأمر الآلهة ، إلا أننا نجد الشاعر يضع على لسان هيكوبا العديد من الاتهامات القاسية لهيلينا .

---

١ - هناك من يرى أنه ابن مينيلاؤس من احدى الجاريات .

٢ - فى مسرحية اورستيس ، تتهمها الكترا بالفسق ، و بأنها سبب كل بلاء حل بأسرة اجاممنون ، و بشعب الإغريق ، و مع ذلك جعلها الشاعر فى النهاية إلهة ، إذ لم يقتلها اورستيس ، فقد أنقذها زيوس من يده ، و رفعها إلى السماء لتصبح إلهة البحارة ، كما كان دورها فى المسرحية ثانويا .

٣ - فى مسرحية هيلينا ، أعطاها الدور الرئيسى ، و جعل منها زوجة مخلصة ، وفية لزوجها . و قد جاءت المسرحية نتيجة لدمج قصتين من القصص العديدة التى تناقلتها الأجيال و الشعراء من قبل . و القصتان هما :
هروبها مع باريس ، و عدم ذهابها إلى طروادة و بقائها فى مصر ، و ذهب شبحها إلى طروادة .

ثالثاً : المنظر الذى تجرى فيه الأحداث :

عند قبر الملك بروتيوس الذى بناه ابنه الملك ثيوكلومينوس بالقرب من مدخل القصر الملكى ، عند جزيرة فاروس الواقعة على مصب النيل .

رابعاً : أهداف الفكرة الرئيسية :

١ - الإنسان سمعه ، فمن لاكت الألسنة سمعته ، تعددت عنه الشائعات، و الروايات ، سواء أكانت صادقة أم كاذبة . إذن على الإنسان الابتعاد عن مواطن الشبهات .

٢ - ليس بالجمال الشكلى يعيش البشر حياة هانئة ، بل من الضرورى أن يبحث الإنسان عن جمال الروح و الجوهر .

٣ - أن دهاء المرأة وبال عليها ، لذا لا يجب أن يثق بها الرجل ثقة عمياء ، فطبيعتها القلب تدفعها للتلون بالحيلة و الخديعة .

خامساً : المناقشة و التحليل :

١ - المسرحية قريبة الشبه بمسرحية ايفيجينيا فى توريس ، أهم مظاهر هذا التشابه :
أ - وقوع الأحداث فى بلاد غريبة عن بلاد الإغريق .
ب - تبدأ كلاهما بمقدمة استهلالية تلقيها البطلة .
ج - المسرحيتان مليئتان بمناطق يائسة ، مصحوبة بعويل و بكاء، على فرض أن البطل قد مات .

د - كراهية أهل البلد الذى تجرى فيه الأحداث للإغريق .
هـ - تقوم البطلة بوضع خطة الهرب لا البطل .
و - الجوقة تتكون من نساء إغريقيات ، لذا فإنهن يتخذن موقفاً ودياً من البطلة و البطل فى كلا المسرحيتين .
ز - تفوق العقلية الإغريقية على العقلية الأجنبية ، بل يصل الأمر باتهامها بالسذاجة .
ح - تتدخل الآلهة قرب النهاية ، حتى تمنع الملك فى كلا المسرحيتين ، من مطاردة البطل و البطلة الهاربين .
ط - ظل الاعتقاد بوفاة البطل فى كلا المسرحيتين سائداً (اورستيس ، و مينيلاؤس) .
ك - العداء السافر بين البطلة و البطل خاصة في المقابلة الأولى، و لكن سرعان ما يتم التعرف . إذ عقد الشاعر مقارنة منحازة بين الذكاء الإغريقى و الذكاء البربرى الغير إغريقى، و جعل الإغريق يكسبون معركة الدهاء و اتهم خصومهم بالغباء و الغفلة ، فيقدمون لهم المساعدة طواعية ، و يمنحونهم التسهيلات الممكنة ، و غير الممكنة .

٢ - استغل الشاعر المسرحية ليضع تفسيراً جديداً لحرب طروادة ، إذ أنه أسقط فى هذه المسرحية السبب المُعلن الذى من أجله قامت الحرب ، ألا و هو وجود هيلينا فى طروادة . لقد تكرر موضوع حرب طروادة فى مسرحيات يوريبيديس ، فقد تناوله من قبل فى مأساة الطرواديات ، و غيرها .

٣ - فكرة المسرحية ، تدور حول عذراء في محنة ، و هو موضوع أثير لدى الشاعر ، فقد سبق و أن كتب مسرحية باسم اندروميدا (١) تدور حول هذه الفكرة .

على أية حال ، كانت مسرحية هيلينا مثل مسرحية اندروميدا مسرحيتان خياليتان عن محاولة الهروب . و لعل ذلك يتصل

---

١ - كبل كيفيوس ملك اثيوبيا ابنته اندروميدا ، و ربطها الى صخرة كقربان لهولة البحر، إذ أن بوسيدون أرسل هذه الهولة كى تنزل الخراب بمدينة اثيوبيا ، لأن زوجة الملك، كاسيوبيا قد أعلنت أنها أجمل من النيرايديس . أنقذها بيرسيوس ابن زيوس و داناى ، و أخذها معه الى ارجوليس ، و تزوجها ، فأنجبت له العديد من الأبناء . و عندما ماتت وضعتها أثينا بين النجوم .

بالمأساة الحقيقية التى واجهت أثينا بعد الحملة على صقلية عام ٤١٣ ق.م .

٤ - وضح فى هذه المسرحية اتجاهات يوريبيديس الغير دينية ، فقد اتهم الشاعر الكهانة و العرافة و التنبوءات ، و قد ورد هذا الاتهام على لسان الرسول :

الرسول : ... يبدو أننى أرى أن أقوال العرافين غير مجدية ، و مليئة بالأكاذيب ... الخ .

و قد جعل الشاعر الجوقة تتفق معه فى شكوكه .

إن ذلك الشك فى مقدرة العرافين مرجعهم فشل الحملة الأثينية على قبرص ، إذ واكبت الحملة تيارات من النبوءات المؤيدة للمغامرة .

٥ - عبرت هيلينا فى الجزء الأول من هذه المسرحية عن شوقها للوطن ، و اشتياقها لزوجها ، و قد اتسم هذا الجزء بجدية التراجيديا ، بينما جاء الجزء الثانى ملئ بالمواقف المليودرامية الضاحكة ، مما جعل الكثيرين يعتبرون هذه المسرحية من نوع التراجيكوميدى .

٦ - إن الحبكة فى مسرحيتى الشاعر هيلينا ، و ايفيجينيا فى توريس تكاد تكون واحدة ، و إن اختلفت التفاصيل .

٧ - استخدم الشاعر أسلوب الفواصل الغنائية الشاعرية ، و قد وضح ذلك فى النهاية ، أى عند الذروة . هذه الفواصل غير مرتبطة بالموضوع ، و إنما لجأ إليها الشاعر ، كى يحافظ على التوتر و التشويق من أى مؤثرات قد تضعفهما ، إن هذه الفواصل الشاعرية تشبه تماماً الاستراحة فى المسرحيات الحديثة .

و لعل أبرز المناطق التى استخدم فيها الشاعر هذا الأسلوب ، هو ذلك المشهد الذى ظهر فيه الملك البربرى ، و قيام العقلية الإغريقية الماهرة بخداعه ، فى مشهد ملئ بالمواقف الفكاهية الساخرة ، فقد جعل الشاعر الملك ساذجاً ، إذ اقتنع سريعاً بخطة هيلينا ، بل و هئ لها كل ما طلبته من وسائل الهرب ، دون أن يشك لحظة فى نواياها .

عند هذه النقطة ، أنشدت الجوقة نشيدها الشاعرى المحايد ، فلم تتطرق لا بالكلمة و لا الإشارة و لا النغمة للنتائج المترتبة على ذلك ، و لم تعلق على أى شئ .

٨ - زيادة فى جرعة التوتر ، وضع الشاعر مشهد للرسول ، جاء يبلغ الملك عن هروب هيلينا ، و قبل أن يتخذ الملك قراره .
يلجأ الشاعر الى حيلته المفضلة الإله من الآله ، فيظهر الديوسكورى ، و يحذر الملك من مطاردتهما ، فيقتنع الملك ، و تختم الجوقة المسرحية بسطور تكررت كثيراً فى ختام مسرحيات يوريبيديس .

٩ - بالنسبة لهروب هيلينا و مينيلاؤس ، استخدم الشاعر نفس التركيبة التى سبق استخدامها فى مسرحيته ايفيجنيا فى توريس ، إذ أن كل من ايفيجينيا و هيلينا قد خدعتا الملك ، و هربتا عن طريق البحر ، الفرق بين المسرحيتين ، أن اورستيس كانت لديه سفينته ، أما هيلينا فقد اقترضتها من الملك .
أيضاً جعل الشاعر العواصف تعاكس إبحار سفينة ايفيجينيا و اورستيس ، بينما لم يضع أى عقبات بالنسبة لسفينة هيلينا و مينيلاؤس ، و كل ذلك ، كان بقصد زيادة جرعة التشويق فى مسرحية هيلينا ، عندما جعل الشاعر أحد بحارة السفينة يهرب ليخبر الملك ، و برغم عدم معقولية وصول هذا البحار فى زمن يمكن الملك من مطاردة الفارين ، إلا أن المشاهد يقلق على مصيرهما .

١٠ - ظهرت بعض المقولات السوفسطائية التى تناولها الشاعر فى مسرحيات سابقة عن طبيعة المولد و الصفات المكتسبة ، فالعجوز الذى جاء يخبر مينيلاؤس بتلاشى صورة هيلينا ، تطرق إلى العبد الطيب و الشرير .
الرسول : ... قد أكون عبداً ، و لكن على الرغم من عبوديتى
بالمولد ، فإننى أعد من بين الخدم العبيد ذو الروح
النبيلة ، لذا ، هل لى أن أحظى بأسم الرجل الحر ،
و إلا فقلبه ، فهذا خير من أن أحمل على رأسى
شرين، أن أضمر الأفكار الوضيعة .

١١ - يمكن أن نستخلص من المسرحية فكرة ، تحولت فيما بعد إلى موضوع رئيسى فى الفكاهية الرومانية ، ألا و هى فكرة أن يقتنع

إنسان (قد يكون محبا ، أو زوجا ، أو أب) إنساناً أخر بإرسال فتاة مع رجل ، بل تصل درجة الاقناع ، أن يجعله يرسل مع الفتاة ، العديد من الهدايا ، و يهئ لهم وسيلة الانتقال .

هذه الفكرة أخذها بلوتوس لمسرحيته المسماه الضابط المحارب المتبجح .

سادساً : الجوقة :

١ - تتكون الجوقة من نساء إغريقيات ، لذا فهن يتخذن موقفا وديا من كل ما هو إغريقي .

٢ - اعتمد نجاح خطة هرب هيلينا و مينيلاؤس على كتمان سرها عن الملك ثيوكلومينوس ، فبالنسبة للجوقة ، فهي مأمونة الجانب كمجموعة إغريقية ، كما أن هيلينا أمرتهن بكتمان السر ، و أقسمن على عدم البوح به ، بالإضافة إلى أن دهاء هيلينا ، جعلها تذكرهن بأن خلاصها من هذا الموقف ، فيه خلاص لهن جميعاً ، إذ ستحررهن من ذل هذا الأسر ،.و بمعنى آخر ، إنها قدمت لهن رشوة ، خدمة مقابل خدمة .

إن موقف الجوقة هنا كرره الشاعر فى مسرحية ايفيجينيا فى توريس .

٣ - شاركت الجوقة فى الحفاظ على استمرار التوتر و التشويق عن طريق الفواصل الكورالية الشاعرية التى تلقيها فى أكثر اللحظات توتراً .

١٤ – الفينقيات (١) :

تبدأ المسرحية بيوكاستا ، تُناجى إله الشمس ، و تسأله عن ذلك الشعاع الملعون ، الذى ألقاه على طيبة ، يوم جاء كادموس من مملكة فينقيا إلى طيبة ، و كان زوجاً لهارمونيا ابنة كيبريس (٢) ، التى أنجبت له بوليدوروس ، الذى أنجب بدوره لابداكوس والد لايوس . ثم تُعرف المشاهد بنفسها ، إنها ابنة مينويكيوس ، و أخت شقيقة كريون ، و زوجة لايوس . ثم تتعرض لنبؤة فويبوس الذى حذر لايوس ، عندما ذهبت ليلتمس من الآلهة أن ترزقه أبناءاً يرثون البيت ، ألا ينجب أبناء ضد رغبة الآلهة ، فإن خالف هذه النبوءة فسيذبحه ابنه ، و سيغرق البيت فى الدم . ينسى لايوس فى ساعة حظ تحذير الآلهة ، و ينجب الابن ، و وقتها يتذكر النبوءة فيسلم الطفل لراعى ، كى يلقيه على جبل كيثايرون ، بعد أن ثقب كعبيه بمسامير حديدية ، فأصبح معروفاً بذى القدمين المتورمتين أو أوديبوس . التقط رجال بوليبوس ملك كورنثة الطفل ، و حملوه إلى مليكتهم ، و تربى هناك على انه ابن بوليبوس . و ما أن كبر الفتى ، حتى لجأ إلى وحى النبوءة يسأله عن أبيه ، و هناك علم الحقيقة ، ففر هارباً من كورنثة ، و فى ذات الوقت خرج الأب الحقيقى لايوس ، يتقصى الحقيقة ، هل مات الذى أمر بإلقاءه أم لا ؟

و طبقاً لنبؤة الآلهة ، يلتقى الأب الحقيقى بابنه عند مفترق الطرق المؤدية إلى فوكيس ، فلا يعرف أى منهما الآخر ، و تثور المشاحنة بين رجال لايوس ، و أوديبوس ، و ينتهى الشجار بذبح الابن لأبيه لايوس ، و مضيه فى طريقه نحو طيبه ، حيث نجح فى حل لغز الهولة ، فزوجوه الملكة ، التى هى أمه ، و أعلنوه ملكاً على طيبه . تستكمل يوكاستا الرواية، فتقرر أنها أنجبت من ابنها ولدين ، اتيوكليس و بولينيكيس ، و بنتين ، اسمينا و انتيجونا . اكتشف اوديبوس الحقيقة يوماً ، فأدمى عينيه بدبوس ذهبى . و ما أن كبر ولديه ، حتى سجناه عن الناس ، كى ينسوا فعلته ، فاستنزل اللعنات عليهما ، و تضرع للآلهة أن يستلا السيف من قبل أن

---

١ – نعتمد فى تلخيصنا لهذه المسرحية بصفة أساسية على :
اسماعيل ، الينهاوى ، الفينيقيات . المستجيرات ، سلسلة من المسرح العالمى ، العدد ٨٩ ، مطبوعات وزارة الاعلام الكويتية ، فبراير ١٩٧٧ .

٢ – القبرصية أو افروديتى .

يقتسما هذا البيت بينهما .

وخشية أن تتحقق دعوات الأب المصدوم ، قـرر الأخـان ، أن يرحـل بولينيكيس ، و هو الأصغر بإرادته ، و يتولى اتيوكليس الحكم ، ثـم يتبـادلان الوضع . نكص اتيوكليس بعهده ، و رفض التنازل عـن السـلطة ، فاسـتنجد بولينيكيس بحاكم أرجوس ، ادراستوس ، الذى زوجه ابنتـه ، و جهـز حملـة من أهل أرجوس ، كى تساند بـولينيكيس فـى اسـترداد عرشـه . و تعلـن يوكاستا أنها اقترحت لقاء الشقيقين قبل أن يلجأ إلى السـيف ، و أنهـا تنتظـر الرسول ليحمل لها أخباراً .

تتضرع الأم لزيوس كى يصلح ما بين ولـديها ، و ينقـذهما . تخـرج الأم و يظهر المربى على سطح القصر يستطلع المكان لكـى تـدخل انتيجونـا و تلقى نظرة على جيش أرجوس ، و يعدها بـأن يقـص عليهـا مـا شـاهده و سمعه فى معسكر الأرجيين عنـدما ذهـب يحمـل شـروط الهدنـة إلـى بولينيكيس . تظهر انتيجونـا لتطـل علـى جـيش البلاسـجين ، و تتعجـب لضخامته و منظره ، و يؤكد لها المربى العجوز الاستعداد غير العـادى لهـذا الجيش المهاجم ، فتندفع انتيجونا متسائلة عن أبواب المدينة ، و مـدى قـدرتها على صد هذا الهجوم ، يطمئنها المربى العجوز .

يلفت المربى نظر انتيجونا لقواد الجيش الأرجـى و يستعرضـهم واحـداً واحداً ، بادئاً بالقائد هيبوميدون فتعلق الفتـاة علـى عجرفتـه و قوتـه ، ثـم تيديوس ابن اوينيوس زوج شقيقة امرأة بولينيكيس ، أما القائـد الثالـث ، فهـو بارثينوبايوس ابن اتالنتا ذو الشعر المسترسل الطويـل ، و صـاحب النظـرة الغاضبة ، التى دفعت انتيجونا إلى التوسل إلى الآلهة كى تصـيب كـل مـن جاء يخرب المدينة طيبة .

يوافق المربى العجوز انتيجونا فيما قالته ، و لكن يسـتدرك أنهـم جـاءوا بالحق ، لاقتضاء الحق ، و يعلن تخوفه من أن تساند الآلهة الحق .

تسأل انتيجونا عن أخيها ، فيشير إليها المربى علـى رجـل يقـف إلـى جوار ادراستوس ، و لكن لا تتبينه الأخـت بوضـوح ، و تتمنـى لـو أنهـا عانقته. يلفت نظر الفتاة قائد يركب عربة جياده شهباء ، فتسأل المربـى عـن صاحبها ، فتعلم أنه امفياروس ، فتبدى الفتاة إعجابها بـه ، ثـم تسـأل عـن كابانيوس ، ثم تتمنى الهلاك لذلك المتبجح ، الـذى أعلـن يومـا أنـه سـيقدم عذارى طيبة سبايا لسيدات ميكيناى ، و صولجان ليرنـا المثلـث الأشـواك ، و ينابيع أميمونا .

يطلب العجوز من انتيجونا الدخول ، إذ أن الاضطراب يعم المدينة ، و تتحرك نسائها حول القصر ، فإن رأينها سيغتبنها . تخرج انتيجونا و المربى العجوز ، لتدخل الجوقة معلنة أنها غنيمة منتقاة للوكسياس (١) ، جاءت من جزيرة فينيقية لتكون أمة فى قصر فويبوس ، لقد جاءت إلى أرض كادموس مختارة ، ثم تلقى بتحيتها إلى الصخرة المضيئة فوق المرتفعات الباخية ، حيث يرتع ديونيسوس ، و إلى كروم العنب ، و كهف الأفعوان ، و الإله الحارس ، و الجبل المقدس . ثم تعلن قدوم اريس إله الحرب المتهور ، و تمركزه أمام الأسوار بعد أن أشعل نيران الحرب . تتمنى الجوقة أن يفشل أريس فى مهمته ، لأنها تتعاطف مع مدينة طيبة و أهلها ، و تعتبر أى مصيبة تحل بها ، و كأنها تحل بفينيقيا ، فصلة الدم تجمع ما بين البلدين ، فهما بنات ايو . تختتم الجوقة نشيد دخولها (البارودوس) بنداء لمدينة أرجوس (٢) ، التى يحاصر جيشها مدينة طيبة ، معلنة تخوفها من نغمة الآلهة ، فالقادم إلى طيبة بقوة السلاح ، تناصره العدالة و الحق .

يدخل بولينيكيس شاهراً سلاحه ، و معلناً أن حراس الأبواب قد سمحوا له بالدخول إلى طيبة و لم يعترضوه ، و هذا أمر يقلقه ، و يتوجس شراً ، لذا فهو حذر منتبه لأية حركة يأتيها أحد ضده ، و يتساءل لماذا حرضته أمه ليأتى إلى طيبة تحت لواء الهدنة ؟ يطمئن بولينيكيس نفسه ، بأن مناصروه على أهبة الاستعداد ، و يغمد سيفه ، و يتقدم من الجوقة ليسألها من أى بلاد جاءت .

تعلن الجوقة أنها من فينيقيا ، و أنهن أسيرات حرب أرسلهن أبناء أجينور إلى فويبوس . تسأل الجوقة بولينيكيس عن هويته ، فيرد عليها بأنه ابن أوديبوس ابن لايوس ، و أمه يوكاستا ابنة مينويكيس ، و يسميه شعب طيبة ، بولينيكيس . تركع الجوقة عند أقدام بولينيكيس ، منادية الأم يوكاستا لتأخذ ابنها بين أحضانها . تدخل يوكاستا ملبية نداء الجوقة ، و مرحبة بابنها، محتضنة إياه معلنة فرحتها بعودته ، فقد افتقدته ، و افتقده الأصدقاء ، و المدينة ، و من أجله لبست ثياب الحداد ، و بسبب غيابه يبكى الأب الضرير أوديبوس .

---

١ – من أسماء ابوللون ، و يسمى أيضا فويبوس ، و ديونيسوس .

٢ – أرجوس = البلاسجين = أهل كادموس = الدانائيين (داناؤوس) ، ميكيناى .
طيبة = كادموس .

بعد الترحيب ، تعرج الأم على زواج ابنها من أسرة أجنبية ، و تتخـوف من أن هذا الزواج ينذر بالشر و الهلاك ، و تأسف لأنها لم تُضـيئ لـه شـعلة الزواج ، كما جرى العرف ، ثم تلعن كل من كان السبب فى غربته ، أياً مـن كان ، فما قاسى المتاعب سواها . تعلق الجوقة على هذا الاسـتقبال بـأن كـل من تلد طفلاً تُعانى آلاماً شديدة ، لذا تحب أطفالها .

يعلن الابن أنه جاء تلبية لرغبة أمه ، برغم تشككه فى نوايا أخيـه الـذى قد يذبحه غدراً ، جاء إلى بيته و هيكل الآلهـة ، و أرض الـوطن ، و مرتـع صباه ، و الدمع فى عينيه ، و هـا هـى الـدموع تغلبـه لمرآهـا حزينـة ، مقصوصة الشعر ، متشحة بالسواد . يسأل الأخ عن أختيـه ، و عـن أبيـه . و الأم بدورها تتحسس مشاعر ابنها ، عندما تود معرفة شـعور المنفـى عـن وطنه ، و كيف يعيش ؟ و فى مذلة يُجيـب الابـن ، أن المنفـى لا يسـتطيع التكلم بحرية ، و يخضع ضد طبيعته ، و يعيش على الآمـال ، يهـرب مـن الأصدقاء ، و لا يجد معونة تسانده ، لذا فهو يـرى أن أعـز شـئ للإنسـان وطنه . يقص بولينيكيس على أمه قصة ذهابـه إلـى أرجـوس ، ثـم قصـة زواجه(١) من ابنة ادراستوس و يؤكد سعادته بهذه الزيجة ، و يـذكر بالشـكر ادراستوس ، الذى قطع عهداً على نفسه ، بمساعدة زوجى ابنتيـه، لاسـتعادة عرشيهما . يعلن بولينيكيس أنه لم يشهر سلاحه ضـد مدينتـه و ضـد أخيـه مختاراً ، و يطلب من أمه عقد الصلح بينه و بين أخيه . يـدخل عليهمـا الأخ اتيوكليس ، و تستحث الجوقة الأم على المصالح بين الشقيقين ، و لكـن يعلـن اتيوكليس أنه جاء من أجل أمه ، و بناءاً على رغبتها ، و بسـبب الهدنـة فقـد سمح لهذا الشخص بدخول الأسوار .

---

١ – أوحت نبوءة ما أن ادراستوس سيزوج بنتيه أرجيا و دايبـولى مـن أسـد و خنزيـر بـرى، تعجب الأب لتلك النبوءة و خشى منها . فى ذات الوقت لجا كل من بـولينيكيس مـن طيبة ، و توديوس من كالدون الى مدينة أرجوس ، و التقيا أمام قصـر ادارسـتوس فى ظلام الليل ، و نشبت معركة بينهما . اسـتيقظ الملـك ، و فـض النـزاع بـين المتعاركين ، و أثناء ذلك لمح الملك درع بولينيكيس الذى رسم عليه رأس أسد كمـا أبصر على الدرع الأخر نقش الخنزير البرى بعيونه الجاحظة ، و أنيابـه البـارزة . هنا تذكر ادراستوس النبوءة ، و وجد تفسيراً حياً لها ، فدعى الخصمين إلـى قصـره و زوجهما ابنتيه ، ارجيا لبولينيكيس ، بينما تزوج توديوس من الصغرى دايبـولى . أقسم ادراستوس أن يعيد كل منهما إلى عرشه .

تهدئ الأم من ثورة ابنها على أخيه ، و تطلب التمهل ، لأن العجلة لا تحمل العدل ، و التدبر يؤدى إلى الحكمة . و تطلب من الأخين أن يواجه كل منهما الأخر ، و أن ينسى كل منهما الماضى . تطلب من بولينيكيس الحديث أولاً ، فيبدأ حديثه بأن الصدق أقصر الطرق إلى العدالة و أبسطها ، و أنه غادر طيبة مختاراً ، ليتجنب لعنة أبيه ، و بعد أن عقد اتفاقاً مع أخيه، يحكم ، كل منهما بموجب هذا الاتفاق ، مدينة طيبة بالتناوب عاماً كاملاً . لقد أشهد الآلهة على اتفاقهما ، و لكن أخيه نكص بعهده . لقد جاء اليوم ليستلم السلطة وفق الاتفاق ، فإن حقق اتيوكليس ذلك ، يفض بولينيكيس الجيش ، و يوقف استعدادات الحرب ، و يتجنبا تدمير وطنيهما . تؤيد الجوقة أقوال بولينيكيس ، يرفض اتيوكليس ما عرضه بولينيكيس ، و يتمسك بالعرش و السلطة ، خاصة و أن أخيه قدم ليغتصب العرش بجيوش أجنبية ، فقد يُعيره البعض بالخوف من هذه الجيوش . و يعرض على أخيه البقاء فى طيبة كمواطن ، لا كملك أو مطالب بالعرش ، ثم يؤكد تمسكه بموقفه . مهما كانت النتائج . تتدخل يوكاستا بخبرة الشيوخ ، لتنصح اتيوكليس بالاعتدال بدلا من الطموح الجامح الذى يقوده إلى البغى ، فالقسمة عدالة . إن الأم بخبرتها تبصر ولدها المغرور ، الذى يسعده اغتصاب الحكم، بأنه أسبغ على المُلك أكبر مما يستحق ، و أن تطلعه لجمع المال سيجلب عليه المتاعب ، و تُعلن أن القناعة من شيم العقلاء و أن المال مال الآلهة و ما البشر إلا حفاظ لها . و بوضوح تضع الأم ابنها بين خيارين ، الحكم أى فناء المدينة ، و العدالة أى إنقاذ المدينة . و تذكره بأن انتصار بولينيكيس ، يعنى اندحار طيبة ، و سبى العذارى و اغتصابهن عنوة .

و ما أن ينتهى حديثها إلى اتيوكليس ، حتى توجه حديثها إلى بولينيكيس، بادئة بتلك الرعونة التى دفعته للقدوم إلى طيبة على رأس جيش من أرجوس ليحارب مرتع صباه ، و تدمير مدينته و وطنه ، و تسأله إن انتصر كيف يواجه الآلهة ؟ و كيف يسوس أهل مملكته ؟ كيف يُقيم نصباً لزيوس أو يفتتح مراسم القربان ؟ ثم تواصل الأم حديثها ، فى حالة هزيمة بولينيكيس ، سيتهم فى أرجوس بأنه عريس نحس ، جلب الموت و الدمار لأباء أرجوس ، فى حرب لا ناقة لهم فيها و لا جمل . إن كلا الأمرين شر ، و تطلب من ولديها أن يكفا عن الصراع . تؤيدها الجوقة فى مسعاها .

يرفض اتيوكليس دعوة أمه للسلم ، متمسكاً بما عرضه من شروط ، هو الملك و الحاكم ، و أخيه مواطن عادى ، و فى تبجح يطلب من أمه الكف عن تحذيراتها ، ثم يطرد أخوه مرة أخرى خارج المدينة . و يتبادل

الشقيقان الحوار السريع ، يهدد كل منهما الآخر ، و يدافع كل منهما عن وجهة نظره و مطلبه ، و كلما طلب بولينيكيس مطلباً ، كان يرى أباه ، أو شقيقتاه ، يرفض اتيوكليس الاستجابة لطلبه ، و تنتهي المبارزة الحوارية بأن يتوعد كل منهما الآخر بالقتل ، و يعلن بولينيكيس أنه غير ملوم إذا ما أصاب طيبة مصيبة ، لأنه طرد منها طرد العبيد ، و أهين ، و على أهل طيبة أن يلوموا اتيوكليس المتعنت ، و يختتم حواره بوداع طيبة ، و التأكيد على قتل أخيه . يشيعه اتيوكليس باللعنات ، و بأن اسم بولينيكيس يعني النزاع . يخرج بولينيكيس ، لتبدأ الجوقة فاصلها الإنشادى الأول (الاستاسيمون) ، فتحكى قصة قدوم كادموس من صور ، ليبنى حسب نبوءة الوحى بيتاً وسط السهول الغنية بالقمح ، و حيث تجرى روافد ديركى(١) ، فى ذات المكان الذى ولد فيه بروميوس (٢) ، و الذى ربض فيه أفعوان إريس الفتاك ، عندما قتله كادموس ، و نثر أسنانه فى الأخاديد العميقة ، فنبتت فى الحال رجالاً مسلحون اقتتلوا و أفنى بعضهم بعضاً غدا خمسة منهم ساعدوا كادموس فى بناء كادميا قلعة طيبة الحصينة . ثم تنادى الجوقة ابافوس ابن زيوس ، كى يحل بركته على هذا البد ، و يرسل لها برسيفونى و ديميتير الحانية ، لنجدة هذه الأرض .

يأمر اتيوكليس أحد أتباعه لينادى خاله كريون ، ليتباحثا سوياً فى أمر طيبة قبل المعركة ، ثم يعلن اتيوكليس عن قدوم الخال . يدخل كريون معلناً أنه يبحث عن اتيوكليس دون جدوى ، و يخبره الفتى أن مفاوضات الصلح مع أخيه باءت بالفشل .

يحمل كريون أنباء علمها من أحد الأشخاص من أسرى أرجوس ، بأن الجيوش المهاجمة للمدينة سوف تطوقها ، و يبدأ الاثنان فى بحث الخطط لاختيار أنسبها ، و من الحوار نستبين تهور و غرور اتيوكليس ، و حكمة كريون ، يأخذ اتيوكليس بما أشار به خاله ، و يعلن أنه يتوق لملاقاة أخيه فى نزال و مواجهة ، ثم يذكر كريون بأنه إذا مات فى الحرب ، فإن على

---

١ – ديركى اسم نهر ، و نسبة الى زوجة لوكوس ملك طيبة القديم . كانت ديركى تكره انتيوبى ابنة شقيق لوكوس ، و عاملتها بقسوة . انتقم كل من امفيون و زيثوس ابنا انتيوبى لأمهما ، فربطا ديركى الى ثور ظل يجرها على الصخور حتى ماتت . و لما كانت ديركى إحدى عابدات باخوس ، فقد فجر ديونيسوس نبعاً من الماء عند مدينة طيبة فى ذات المكان الذى جر الثور فيه جسد ديركى .

٢ – كناية عن ديونيسوس .

كريون إتمام زواج أخته انتيجونا من ابنـــه هـــايمون ، و يتجاهـــل اتيـــوكليس التوصية على أبيه . يطلب أيضا من خالـــه استشـــارة العـــراف تيرســـياس ، و استطلاع رأيه ، لمعرفة إرادة الآلهة ، برغم أنه لا يعترف بهـــذه الوســـيلة . ثم يؤكد على كريون و يوصيه ألا يدفن جثمان يـــولينيكيس فـــي طيبـــة ، و أن يحكم بالإعدام على كل من يحاول دفنـــه . يـــأمر الخـــدم بإحضـــار ســـلاحه و درعه ، و يدعو للصلاة لربة الاحتـــراس ، كـــي تنقـــذ المدينـــة . يخـــرج اتيوكليس ، و تبدأ الجوقة في نشيدها الثاني ، موجهة الحـــديث لاريـــس ربـــة الرزايا ، التي توغر صدر أهل أرجوس ، ضد طيبـــة ، فـــتجعلهم متعطشـــين لدماء أهل المدينة ، و توجه اللوم لجبل كيثـــايرون لأنـــه حفـــظ اوديبـــوس ، و للهولة التي بعث بها هاديس لتعذيب أبناء كادموس ، ثم تســـتعرض بايجـــاز النزاع بين ولدى اوديبوس حول البيت الملكي و المدينة .

يدخل مينويكيوس ولد كريون و معه العراف تيريســـياس تقـــوده ابنتـــه ، يعلن العراف عن تعبه من السير ، فيطمئنه كريون بأنـــه قـــد وصـــل المدينـــة فعلاً ، و يطلب منه أن يستريح . يسأل العراف عـــن ســـبب اســـتدعائه بهـــذه السرعة ، فإنه عائد لتوه من موقعة حربيـــة بـــين آل اريختيـــوس و عـــدوهم ايومولبوس ، انتصر فيها آل اريختيوس ، فأعطوه تاجـــاً مـــن الـــذهب ملـــك لعدوهم . يعتبر كريون تلك القصة فألاً حسناً ، فهم أيضـــاً فـــي حـــرب مـــع أرجوس ، وقد طلب الملك اتيوكليس معرفة الطالع .

يقرر العراف تيريسياس الرفض إذ كان من أجل اتيوكليس ، و لكـــن مـــن أجل كريون فيعلن أن طيبة قد حلت بها اللعنـــة منـــذ زمـــن بعيـــد ، و يحـــدد السبب ، كما يقرر أن كل منهما سيموت بيد الآخر ، و سيســـقط العديـــد مـــن القتلى من كلا الجيشين . و يخبر كريون أن افضل خطة ، هى منـــع أى ابـــن لأوديبوس من أن يكون ملكاً أو مواطناً فـــي هـــذا البلـــد ، حتـــى لا يخربـــان المدينة . و قبل أن ينصرف تيريسياس يلمح بطريقة أخرى ، و لكنـــه لا يـــود الإفصاح عنها ، فيستوقفه كريون ليسأله عن مـــا ينقـــذ طيبـــة و مواطنيهـــا . يتردد العراف في الإجابة على هذا السؤال ، ثم يطلب ابتعاد مينيكيـــوس حتـــى لا يسمع النبوءة ، و لكن كريون يصر على بقاء ابنه ، يعلن العـــراف أن مـــن الضروري التضحية بالابن مينويكيوس من أجل سلامة طيبـــة ، يـــرفض الأب هذه النبوءة و ليكن ما يكن ، ثم يعمل على هرب ابنه قبـــل أن يعـــرف أهـــل طيبة بالنبوءة ، و يتجادلان حول تحديد المكان الـــذى يجـــب أن يهـــرب إليـــه الفتى . يتفق الاثنان على أن يمد الأب ابنـــه بالمـــال ، و لكـــن قبـــل رحيلـــه سيذهب لوداع عمته يوكاستا . يخرج كريون ، و يخاطب مينـــويكيس الجوقـــة

بأن اتفاقه مع أبيه على الهرب مجرد خدعة لن ينفذها الفتى ، لأنه لا يريد أن يخون الوطن ، بل سيضحى بحياته من أجل طيبة ، فى ذات المكان الذى حدده العراف ، فوق هوة الافعوان المظلمة . يخرج مينويكيوس ، و تبدأ الجوقة فى نشيدها الفاصل حول الهولة المجنحة ، أفعى العالم السفلى التى تخطف أبناء كادموس ، ما تسببه من حزن و فواجع فى كل بيت ، حتى أتى أوديبوس ، و حل لغز الهولة ، و زوجوه من أمه ، فدنس المدينة . ثم تُحى الفتى مينويكيوس ابن كريون ، لأنه يفتدى وطنه .

يدخل رسول ، طالباً استدعاء يوكاستا ليخبرها بأن المدينة صامدة ، و أن اتيوكليس حياً ، و كذلك بولينيكيس . ثم يبدأ فى سرد نجاح الجيش فى رد الحشود الأرجية عن البوابات المحاصرة ، فقد شاهد مينويكيوس يقف على قمة البرج و يطعن رقبته بسيف ، بعدها رتب اتيوكليس الجيش و وزع أفراده ، خيالة قبال خيالة ، و مشاه فى مواجهة مشاه . و ما أن تقدم جيش أرجوس نحو المدينة حتى انطلقت صيحة الحرب . ثم يروى الرسول عن قادة أرجوس المحاربين على البوابات ، و يصف كل منهم ويحدد شارته ، و البوابة التى يحارب عندها ، و نوع الأسلحة المستخدمة ، لقد تحالف زيوس ضد جيوش أرجوس مما جعل ادراستوس يسحب فلوله ، و تطاردهم قوات طيبة . تعلن الجوقة فرحتها ، و كذلك يوكاستا ، فقد نجا الوطن و الأبناء ، ثم تأسف لمصير ابن شقيقها . و مع ذلك لا تطمئن على مصير ولديها ، و تطالب الرسول بالافضاء بكل ما يعلم . يستجيب الرسول ، و يقرر أن الشقيقين قد اتفقا على مبارزة منفردة ، فإن صرع أحدهما الأخر تولى الملك و الحكم . و طالب جيش أرجوس بالعودة إلى بلده . وافق بولينيكيس على اقتراح اتيوكليس و استعد الخصمان ، و انقسم الجميع ما بين مؤيد و معارض ، و يطلب من الأم أن تذهب لتمنع المبارزة ، ثم يخرج . تنادى يوكاستا على ابنتها انتيجونا ، فتقبل الفتاة من القصر ، لتبادرها الأم بأن شقيقيها فى خطر ، إذ سيتبارزان ، و أن عليهما أن يوقفا هذا النزال ، تتحرج انتيجونا من مواجهة الحشود ، و لكن الأم تصر على اصطحابها كى تركع أمام شقيقيها ، فتوافق انتيجونا ، و تخرجان ، بينما تبدى الجوقة خوفها على مصير الشقيقين ، و تقرر أنها ستتلو مرثية على من يموت منهما .

يدخل كريون حاملاً جثة ابنه مينويكيوس ، و هو يبكى و يتألم لمصير ابنه ، و يقرر أنه جاء ليبحث عن أخته يوكاستا لتقوم بمراسم الدفن للشاب الذى مات من أجل بلده ، فيعلم أن أخته قد ذهبت مع ابنتها انتيجونا لساحة المعركة . يدخل رسول آخر يحمل أنباء الفجيعة ، فقد قتل كل من الشقيقين

شقيقه ، و روى الرسول القصة بالتفصيل . لبس الشقيقان ملابسهما الحربية و شحذ كل منهما سيفه و استعدا للمبارزة . ابتهل بولينيكيس إلى هيرا لتساعده فى قتل أخيه ، أما اتيوكليس فقد اتجه ببصره نحو هيكل بالاس بنت زيوس لتعاونه فى قتل أخيه أيضاً. و ما أن نفخ فى الصور الاتروسكى حتى بدأ النزال ، فما أن يصوب أحدهما حربته نحو الآخر حتى يتلقاها بدرعه ، و يتحين كلاهما الفرصة القاضية التى تصيب غريمة فى مقتل . و بالفعل لكز اتيوكليس جانباً حجراً تعثرت فيه قدمه ، كشف عن إحدى ساقيه خارج درعه ، فتحين بولينيكيس الفرصة ، و وجه ضربة من سلاحه فاخترقت الحربة رجل أخيه ، فى ذات اللحظة ، لمح اتيوكليس كتف بولينيكيس عارية، فغرس فيها حربته حتى انكسرت ، فأمسك بقطعة صخر بلورية و حطم بها حربة أخيه ، فاستل الاثنان السيف ، و بحيلة تسالية أغمد اتيوكليس سلاحه فى صرة بولينيكيس حتى لصقه فى عموده الفقرى ، فسقط المصاب يتلوى ، مضرجاً فى دمائه ، و فى زهوة النصر ، القى اتيوكليس بسيفه ، و انحنى على أخيه دون أن ينتبه إلى أن سيف أخيه فى يده ، فغرس بولينيكيس السيف فى صدر أخيه ، فسقط اتيوكليس إلى جوار شقيقه . و ما أن سقط الشقيقان ، حتى أقبلت أمهما و أختهما و لكن بعد فوات الأوان ، و احتارتا ، أيهما تحتضن و تقبل ، و أيهما تتركه ، فقامت بأداء التحية للاثنين . طلب بولينيكيس دفنه فى أرض الوطن ، حتى يتسنى له أن يحصل و لو على قدر ضئيل من تربة الوطن ، و أن تسبل عينيه بيدها . خطفت الأم أحد السيفين و أغمدته فى رقبتها ، فلقيت مصرعها معهما . أما انتيجونا فقد حملت جثتى شقيقيها إلى طيبة لتدفنهما و تؤكد الجوقة القول ، فأمام القصر ثلاث جثث . تدخل انتيجونا و كريون و معهما جثتا بولينيكيس و اتيوكليس محمولتين ، و تنوح انتيجونا على أخويها ، و تأسف لما حل ببيت أوديبوس ، و طيبة ، فلم يحل بإنسان نبيل ما حل بأوديبوس ، فها هى ابنته فى وحدتها بعد ما حدث ، حيرا ، لأيهما تقدم القرابين أولا ، أين تضع خصلات شعرها ، أعلى صدر أمها ، أم بجوار جثتى شقيقيها . و تختتم مناجاتها ، بنداء أبيها أوديبوس الكفيف ، فيلبى الوالد النداء ، إذ يدخل متسائلا عن سبب استدعاءه . تخبره أنتيجونا بالأنباء الأليمة ، و ترجع أسباب الفاجعة للعنة نقمة أبيها ، ثم تقص عليه قصة موت الثلاثة ، الشقيقان و الأم ، يأمر كريون انتيجونا بالكف عن النحيب حتى يتدبروا أمر دفن الموتى ، ثم يعلن أن اتيوكليس قد اوكل إليه حكم طيبة ، و اعتبر ذلك مهراً لزواج هايمون من انتيجونا . و يلقى كريون بأول قراراته ، نفى أوديبوس

من طيبة ، لأن بقائه فيها يجلب على المدينة البلاء ، هكذا قال العراف تيرسياس .

يسترجع أوديبوس حياته منذ أن كان فى بطن أمه إلى يومه هذا ، و يُرجع ما مر به من مصائب إلى غضب الآلهة . و يتساءل من ذا يكون دليلاً لكفيف يؤازر خطواته ؟ كيف له أن يكسب عيشه و هو فى هذه السن . و يخاطب كريون بأن قراره معناه الموت المحتم له . يصر كريون على قرار النفى ، ثم يأمر بدفن اتيوكليس ، و ترك بولينيكيس نهباً للجوارح ، بل و يلقى خارج حدود طيبة . كما يعلن أن من يقوم بدفنه كائناً من كان ، سيعاقب بالإعدام . و فى النهاية ، يأمر انتيجونا بالتزام القصر ، و الاستعداد للزفاف .

فى حنان بالغ تبدى انتيجونا مشاعرها لأبيها ، ثم تسأل فى تحدى كريون ، لماذا يهين أبيها و لماذا ينفيه ؟ لماذا يطبق قانوناً على جثة بلا حراك ؟

يتخلص كريون من تساؤلاتها معلناً أن القرار ليس قراره ، بل هو قرار اتيوكليس . ثم أن بولينيكيس خائن لوطنه ، و لا بد أن ينال عقابه ، و لن يكون له قبراً . تتحدى انتيجونا خالها كريون ، و تقرر أنها ستقوم بدفن جثة أخيها حتى لو ماتت إلى جواره . يأمر كريون خدمه بالقبض عليها ، و حملها إلى القصر . تتشبث انتيجونا بجثة أخيها ، فيحاول كريون اقناعها أن الشريعة تقتضى ذلك ، و لكنها تقابل قوله بشريعة أخرى ترى عدم امتهان جثث الموتى . يصمم كريون على رأيه رغم كل توسلات انتيجونا ، فتعلن الفتاة رفضها الزواج من هايمون بل تقرر أنه فى حالة إصرار كريون على زواجها من ابنه ، ستكون عروساً دناوية (1) أخرى . يستاء كريون ، و يتساءل عن إصرارها على رفض هذا الزواج .

إن انتيجونا قد قررت مشاركة أبيها مصيره فى منفاه ، بل ستشاركه موته ، يتركها كريون و يخرج . يشكرها أوديبوس على مشاعرها نحوه ، و يطلب منها البقاء و الزواج ، و لكن الفتاة فى صدق ، تصر على ما انتوت عليه . يطلب منها أبوها أن تأخذ بيده ليلمس جثمان أمها ، ثم يسألها عن جثمان اتيوكليس و بولينيكيس ، و يطلب أن تضع يده فوق وجهيهما ، و ما أن يلمسهما حتى يلعن تحقيق نبوءة لوكسياس القائلة بأنه سيموت فى

---

١ – أى أنها ستكون مثل واحدة من بنات داناؤوس اللاتى قتلن أزواجهن ليلة العرس بخنجر .

كولونوس المباركة ، و يأمر انتيجونا بالاستعداد للرحيل معه إن كانت جادة في ما قالت . يبدأ الاثنان أولى الخطوات نحو المنفى ، و تعلن انتيجونا لأبيها أن الشقاء الأليم كان ينتظره ، و أنها اختارت المعاناة معه في المنفى، و لكن ستدفن أولا اخاها بولينيكيس سراً ، حتى لو أدى فعلها ذلك إلى الموت . يطلب منها أوديبوس أن تسعى إلى هيكل باخوس ، بينما يخاطب هو أهل طيبة ، معلناً أن البطل الذى حل لغز الهولة ، اليوم مطروداً من وطنه ، مهيناً ، شقياً ، يخرج هو و انتيجونا بينما تختم الجوقة المسرحية .

أهم ما يلاحظ على هذه المسرحية :

أولاً : تاريخ عرض المسرحية :

حوالى عام ٤٠٩ ق.م و قد فازت بالجائزة الثانية . و هناك من يرى (١) أن تاريخ العرض هو ٤١٠ ق.م .

ثانياً : أصل المسرحية :

إن المسرحية تعالج جزءاً من أسطورة إتريوس الملعونة ، و الشاعر هنا يناقش الصراع بين ولدى أوديب على عرش طيبة ، و برغم تشابهه مع تناول ايسخيلوس ، إلا أنه يختلف عنه قليلاً ، إذ تجاوز الفكرة الرئيسية ، ليناقش كل نواحى أسطورة سقوط بيت أوديب.

على أية حال ، تأخذ الأحداث في هذه المسرحية مكانها قبل مسرحية أوديب و بعد انتيجونا .

ثالثاً : المنظر الذى تجرى فيه الأحداث :

أمام القصر الملكى فى مدينة طيبة ، و يستخدم سطح القصر أيضا كمنطقة تمثيل ، تظهر فيها انتيجونا و مربيها العجوز .

رابعاً : أهداف الفكرة الرئيسية :

١ - إن التفكك الأسرى عندما يتفشى فى عائلة ما ، يتسبب فى انهيار

---

١ - Lesky , Greek Tragedy , (Op. Cit. ,) P . 178.

كل القيم الأخلاقية و السلوكية .

٢ - إن التسامح و الود بين الأشقاء أمر ضروري مهما كانت الإغراءات التي تُسهم في بذر بذور الشقاق ، و قطع حبل الود .

٣ - السلطة نقمة ، و عنفوانها ينسى الإنسان أهم المبادئ ، فمن أجلها يمكن أن يخالف الإنسان نواميس الحياة و بديهياتها .

٤ - إن التدخل بين الأشقاء من جماعة المستشارين المخلصين لكل طرف ، تُسهم أيضا في توسيع هوة الخلاف بينهما . لا سيما إذا كان هذا المستشار خال الاثنين ، و يكبرهما سناً و تجربة .

٥ - إن غضب الوالدين أمر كريه ، يجب أن يتجنبه الأبناء فالسماء تستجيب لهما ، إذ كرمتهما كل الأديان ، حتى الوثنية ، لذا اكتساب رضاهما أمر مطلوب ، و العرفان بفضلهما أمر واجب و حتمي .

٦ - إن حب الوطن و المدينة و القرية ، أمور طبيعية تترسب في الإنسان من خلال التصاقه المكاني ، و العلاقة التي تربطه بالفرد في هذا المكان ، و الذكريات المشتركة ، و من هنا ، فإن من غير المألوف أن يُقدم كائناً من كان على المساس بهذه الخصوصية ، مهما كانت أسبابه ، فانتصار الإنسان لوطنه انتصار لنفسه و لجذوره ، بل ويموت الإنسان من أجل استرداد حفنة تراب قبضت عليها يد عدو .

٧ - العقل و التعقل كفيلان بحل أعقد المشاكل ، و كلما طرحت الخصومة على بساط البحث في هدوء ، كانت حتمية حلها واردة مع توافر حسن النية .

٨ - الأم هي الأم ، ملكة كانت أم شحاذة ، فلهفة الأم على أولادها لا تتأثر بأي منصب أو مركز أو مكانة اجتماعية .

٩ - احترام العهود و الاتفاقات المبرمة أو الشفوية أمر تحتمه الأخلاقيات ، فلا يجب أن يخلف إنسان وعداً قطعه على نفسه ، أو يتنصل من اتفاق التزم بتنفيذه مهما كانت الأسباب .

١٠ - الأب هو المثل الأعلى للابن ، و القدوة التي يحتذيها ، فإذا اهتزت صورة هذا الأب في عين الابن ، فقد الأب احترامه . (كريون و ولده مينويكيوس) إن ما فعله الأب نابع من خوف و قلق على فلذة كبده ، و حب و حرص على سليلة .

خامساً : المناقشة و التحليل :

١ - كعادة يوريبيديس ، بدأ مسرحيته بمقدمة استهلالية ، قسمها إلى قسمين غير مترابطين :

الأول : بدأته يوكاستا ، و فيه ذكرت المشاهد بأحداث قديمة ، أهمها استسلام لايوس لشهوته فى نوبة سكر و إنجابه ولداً، (سطر ٢١ - ٢٢) ثم أكدت على عجرفة أوديب و خطأه التراجيدى ، (سطر ٤١) ، و كأنها تُدين فعل أوديب ، و تعلن مسؤليته عن الصدام الذى حدث بينه و بين لايوس فى مفترق الطرق ، و أوضحت وجود أوديب حياً يعيش فى القصر ، و أن بولينيكيس أصغر من اتيوكليس . و لعل إلقائها للمقدمة فى حد ذاته معلومة عن بقائها على قيد الحياة ، الأمر الذى قد يُثير اللبث لاختلاف ما قال به يوريبيديس مع كل من ايسخيلوس و سوفوكليس بل و هوميروس . و يمكن التماس العذر للشاعر فى هذه النقطة بالذات ، إذ أن لكل شاعر أسلوبه فى التناول ، و تركيباته المقصودة و التى يعتقد أنها تحقق أهدافه .

الثانى : بدأ بظهور المربى و انتيجونا على سطح القصر ، ليخبر المشاهد بمدى الاستعدادات العسكرية و التجهيزات الحربية، التى وضعها كلا المعسكرين ، كما قصد التعريف بقواد المعركة المشاركين فيها .

لا شك أن مشهدى الافتتاح ، قد أعدا ذهن المشاهد ، و جهزاه لما سيقع من أحداث لاحقة ، خاصة دور يوكاستا فى محاولة إنهاء الصراع ، و انتيجونا و أوديب . و لكن يمكن أن نلمح بين سطور هذه المقدمة الاستهلالية ما يمكن أن نفسره على أنه تنبأ بهزيمة طيبة ، إذ أكد المربى العجوز على عدالة قضية بولينيكيس ، و أبدى مخاوفه من أن الآلهة تنظر إليه بعين العطف (سطور ١٥٤ - ١٥٥) .

أ - المربى : ... لكنهم بالحق جاءوا إلى هنا ، و خوفى من أن تتخذ الآلهة جانب الحق .

ب - الجوقة : يا أرجوس ، يا مدينة الأجداد ، إننى أرهب جرأتك و نقمة الآلهة . لأن هذا الذى يزحف إلى

وطننا مدججاً بالسلاح ، يخف إلى القتال
و العدالة إلى جانبه .

٢ - حرص الشاعر على التأكيد على بقاء أوديب على قيد الحياة ، و أنه لا يزال فى القصر ، و كرر هذه المعلومة أكثر من مرة ، فمثلا :

أ - يوكاستا : ... سجنا والدهما تحت رقابتهما حتى يتسنى لمأساته، التى تتطلب حيلاً ما أكثرها لإخفائها ، أن تنزوى فى غياهب النسيان ، إنه لا يزال يعيش فى القصر . (ص ١٧) .

ب - يوكاستا : ... بينما ذلك العجوز الكفيف البصر ، رهين المنزل ... الخ (ص ٢٧) .

ج - بولينيكيس : أبتاه ... استمع إلى ما أعانى ؟
اتيوكليس : نعم و أنه ليستمع إلى ما تفعل . (ص ٤٠) .

د - يوكاستا : ... أستطيع أن أدخل و أفرح العجوز الأعمى بنبأ نجاة مدينتنا من الخطر . (ص ٦٠) .

هـ - انتيجونا : ... آه يا والدى العجوز الكفيف البصر ، غادر بيتك و اكشف عن بؤس حياتك . (ص ٧٧) .

و - ظهور أوديب فى نهاية جملة انتيجونا السابقة .

٣ - اهتمت المسرحية بقضية حب الوطن ، و حرص الشاعر على تأكيدها أكثر من مرة على لسان العديد من الشخصيات . فمثلا :

أ - انتيجونا : ليت ارتميس التى تجوب التلال مع أمة تطلق سهامها و تصرع من جاء لتخريب مدينتى . (سطر ١٥٣) .

ب - بولينيكيس : ... لكن حب الوطن فرض على الجميع ، و من يقول غير ذلك قد يكون فرحاً بقوله ذاك ، بينما يكون متجهاً بفكره إلى هناك .

ج - يوكاستا : ... ماذا يعنى نفى إنسان من وطنه ؟ أهو شر عظيم؟
بولينيكيس : بل الأعظم . تحمله أشق من شرحه .
يوكاستا : ما لون الحياة فيه ؟ ماذا يؤلم فى المنفى ؟
بولينيكيس : شئ واحد أشدها إيلاماً ، لا يستطيع الإنسان أن يتكلم بحرية .
يوكاستا : إنه لقدر عبد ما تصفه ، أن يكبت الإنسان نفسه عن نطق ما يفكر فيه .

د - يوكاستا : إذن ، فأعز شئ للإنسان ، كما يبدو ، وطنه .
بولينيكيس : و لا كلمة منك تستطيع أن تعبر عن مدى معزته .
هـ - بولينيكيس : أنت عديم التقوى بفطرتك .
اتيوكليس : لكنى لست مثلك ، عدواً لوطنى .
و - مينويكيوس : ... فى حالتى ، أنا لا عذر لىّ فى خيانة الوطن ، مسقط رأسى ، و إذن فإنى ذاهب لأنقذ المدينة ، تقى من ذلك . سأضحى بحياتى من أجل هذا البلد .
و فى موضع أخر يقول مينويكيوس :
فلو أن كل إنسان تلقى و أنفق كل خير فى طاقته ، متبرعاً به لصالح وطنه ، لما عانت بلادنا متاعب كثيرة ، و لعمها الرخاء .
ز - رسول ثان : ... إدفنينى يا أماه و يا أختى الحبيبة فى أرض وطنى . (سطور ١٤٤٧ - ١٤٥٠) .
٤ - حرص الشاعر على التأكيد على المواجهة الحتمية بين الشقيقين ، كوسيلة من وسائل حسم ما بينهما من نزاع ، بل و كرر ذلك كثيراً ، و فى كل مرة يشير إلى القتل أو الموت صراحة أو تلميحا ، فمثلا :
أ - بولينيكيس : من ذا الذى يقتلنى ؟ من هذا الذى لا يمكن النيل منه حتى يستطيع أن يغمد سيفه فى صدرى ، دون أن يلقى نفس المصير ؟
ب - اتيوكليس : و سأقتلك أيضاً .
ج - اتيوكليس : ... ليتنى التقى بأخى وجهاً لوجه و أقاتله بحربتى، حتى الموت ، لمجيئه قاصداً تخريب وطنى .
د - رسول أول : ... فأشتبك مع أخى فى قتال منفرد ، فإن صرعته ، فسأمتلك القصر وحدى ... الخ .
هـ - تايريسياس : ... لكن الموت كل بيد الأخر ينتظرهما يا كريون ... الخ .
٥ - جعل الشاعر كل من الشقيقين يبرر فعله ، و يُرجع إقدامه على إرتكاب الخطأ ، إلى الضرورة التى يفرضها عليه الموقف ، فها هو اتيوكليس يقول :

فإذا لم يكن من الخطأ بد ، فأنسب خطأ هو ما يكون من أجل الظفر بالملك ، أما فيما عدا ذلك ، فينبغي أن تكون غايتنا الفضيلة.

بينما مبررات بولينيكيس التي يسوقها فهي في قوله :

لن يلبث سيفي أن يخرج عن سكونه ، فينغمس في الدم . لكنني أنادي الأرض التي ربتني ، و الآلهة ليشهدوا بأي عار و مهانة أطرد من وطني ، كما لو كنت عبداً و لست مثله إبنا لأوديبوس . فإذا ما ألم بك ضر يا مدينتي ، فلوميه ، لا تلوميني لأنني أقبلت كرهاً ، و كرهاً من بلدي .

٦ - برغم تشابه الموضوع بين ايسخيلوس و يوريبيديس ، إذ أن نزاع و موت اتيوكليس و بولينيكيس هو الموضوع الأساسي في كلا العملين ، إلا أن المعالجة و التناول قد اختلفا ، فمثلاً :

أ - الحبكة عند ايسخيلوس واحدة ، بينما عند يوريبيديس هناك حبكة أساسية و أخرى ثانوية تتمثل في تضحية مينويكيوس .

ب - ربط ايسخيلوس بين قضية اتيوكليس و قضية طيبة ذاتها ، مما جعل المشاهدين يتقبلون عدالة قضية اتيوكليس بلا أي مناقشة . أما يوريبيديس فقد فصل بين قضية اتيوكليس و قضية طيبة .

ج - حصر ايسخيلوس الشخصيات في دائرة محدودة ، بينما جمع يوريبيديس كل أسرة أوديب في مأساته ، و أعطى لكل منهم دوراً في الصراع بين الشقيقين .

٧ - يلاحظ أن الشاعر قد جعل اتيوكليس هو الأخ الأكبر ، بينما بولنيكيس الأصغر ، و هو في ذلك يتفق مع سوفوكليس في أوديب في كولونوس .

٨ - حرص الشاعر على عرض الفعل و رد الفعل في آن واحد ، و بشكل محايد ، فلم ينحاز إلى أحد جوانب الصراع . و هناك أمثلة كثيرة :

أ - عندما جمعت الأم بين ولديها لتوفق بينهما ، استعرض كل منهما دوافعه و أسبابه و شروطه ، إلى أن وصلت بهم المفاوضات إلى طريق مسدود ، لن يُحله إلا شئ واحد ، السلاح و الحرب .

إن معالجة الشاعر لهذا الموقف جعلتنا نتعاطف مع كلا الشقيقين بعد أن قتل كل منهما الآخر .

ب – عندما استدعى كريون العراف تايريسياس ، ليستشيره عن أفضل السبل لإنقاذ طيبة و مواطنيها ، تردد العراف في الإفصاح عن الوسيلة ، و لكن أمام إصرار كريون ، أعلن العراف أن من الضرورى أن يضحى كريون بولده من أجل مدينة كادموس (طيبة)، " تكفيراً عن الذنب الذى أثار قديماً " " على كادموس غضب آريس الذى يثأر الأن لمصرع ثعبانه " " وليد الأرض (١) " .

هذا القول وضع كريون بين خيارين كلاهما مر ، إما أن يضحى بابنه طبقاً لنصيحة العراف ، أو يُضحى بالمدينة من أجل إنقاذ ابنه . أن الصراع بين الأمرين صراع مصيرى ، و لكن تغلبت عاطفة الأبوة أخيراً ، فتوسل للعراف أن يكتم النبوءة و لا يخطر بها أحدا من أهل المدينة .

إن لهفة كريون الأن تركزت فى إنقاذ ابنه ، فاتخذ قراره :

كريون : ... إذ لن أغوص فى أعماق الأسى بحيث أضحى بابنى من أجل المدينة ، فحب الأبناء يربط بالحياة كل الناس ، و لا يمكن أن يدع أحد ابنه ، ولده يقتل .

إن كريون هنا أب ، لم يفكر إلا فى فلذة كبده بدافع أنانى مشروع ، لذا طلب منه الفرار ، بينما يرى الابن أن الفرار عار ، و لكن أمام إصرار أبيه يتظاهر بقبول الصفقة ، و لكنه يذهب ليلقى حتفه من اجل وطنه .

و قد مهد الشاعر لوفاة الابن مينويكيوس مع بدايات دخول تايريسياس :

تايريسياس : ... فإنه لا تزال هناك طريق أخرى واحدة للأمان، و لكنه ليس أماناً لىّ أنا أن أفصح عنه ، لأنه ذلك مؤلم أيضاً لمن بيدهم الأمر ، و فى وسعهم تدبير وسيلة لإنقاذ المدينة .

ثم يعود الحوار بينه و بين كريون و يشير إلى موت الابن من طرف خفى :

---

١ – يوريبيديس ، الفينيقيات ، ص ٥٤ .

كريون : قل لىّ ماذا ينقذ طيبة و مواطنيها ؟
تايريسياس : لكن ما ترغب فيه الأن ، لن تلبث أن تعزف عنه .

٩ - بعد موت مينويكيوس تتحد الحبكتان ، و ذلك حينما يقـــرر الرســـول تلك التضحية الوطنية التى قام بها ابن شقيقها ، يوكاســـتا ، و هـــى فى ذات الوقت إشارة غير مباشرة إلى الصـــراع بـــين الشـــقيقين ، و مقارنة بين موقفهما و موقف شـــاب وطنـــى ، و كـــأن الشـــاعر يرميهما بالحمق و الأنانية و عدم الوطنية ، فى مقابل موقـــف هـــذا الشاب الذى يلقى حتفه من أجل مدينته فقـــط ، دون أن يكـــون لـــه مطمع آخر . إن هذه المقارنة من ابتكار الشاعر و لم يســـبقه إليهـــا أحد .

١٠ - إن الشاعر لجأ إلى أسلوب السخرية الدرامية ليحقـــق أكبـــر عائـــد نفسى ، خاصة عندما جعل كريون يحمل جثمان ابنه ، لتقوم أختـــه يوكاستا بتجهيزه للدفن ، و هو لا يعلم أن يوكاستا قد انتحرت .

١١ - إن قرار انتيجونا و تصميمها على إقامة الشـــعائر المتبعـــة لـــدفن جثمان شقيقها ، لم يأت فجأة ، إذ مهـــد لـــه الشـــاعر فـــى بدايـــة ظهورها عندما جعلها تعلن شوقها له و تعاطفها معه فـــى الســـطور ١٥٦ - ١٦٧ :

انتيجونا : ... لو أنى أستطيع أن أنطلق محلقة بقدمى فـــى الهـــواء ، مسرعة كسحابة تدفعها الريح الى أخى ، فألقى بـــذراعى حول عنق حبيبى ، الطريد الشقى ... الخ .

بل يمكن ملاحظة تأكيد الشاعر على دفن الجثمان ، و على مســـؤلية انتيجونا بالذات فى هذا الشأن ، حينما أوصاها أخوها فى الســـطور ١٤٤٧ - ١٤٥٠ بدفنه على لسان الرسول " ادفنينـــى يـــا أمـــاه ، " " و يا أختى الحبيبة فى أرض وطنى " .

و مما لا شك فيه أن الشاعر قـــد أســـهم فـــى تهيئـــة المشـــاهدين للتعاطف مع انتيجونا فى محاولتها لدفن جثمـــان شـــقيقها ، و ذلـــك بأن أكد عدالـــة قضـــية بـــولينيكيس ، و إبـــراز الحقـــد الـــدفين ، و الكراهية المقيتة التى يكنها اتيوكليس لشقيقه ، و التى تجلـــت فـــى العديد من المواقف ، أهمها :

أ - إصراره على التمسك بالعرش متناسيا اتفاقه مـــع شـــقيقه حـــول تبادل الحكم .

ب - عدم استجابته لوساطة أمه ، و لا شفاعتها .

ج - سقطته التراجيدية واضحة ، و تمثلت فى العناد و حب السلطة .

اتيوكليس : ... أو أن أغور تحت الأرض ، لو استطعت أن أفعل ، كى أحصل على السلطة .

و كرر هذا الحب فى نهاية الجملة حينما قال " فإذا لم يكن من الخطأ بد ، فأنسب خطأ هو ما يكون من أجل الظفر بالملك.. الخ.
ثم يعود لتأكيد ذلك بقوله ، ... " فلن نصطلح إلا على الأسس "
" التى سبق أن ذكرت . أى أننى سأحتفظ بالصولجان ، و أبقى "
" ملكاً على هذه البلاد . "

د - و أخيراً و ليس آخراً ، فقد أكد الشاعر هذه الكراهية حتى النهاية ، إذ أصدر الأخ اتيوكليس أمراً صارماً بعدم دفن جثمان شقيقه ، و هدد من يُقدم على ذلك بالعقاب حتى الموت مهما كانت كنيته (سطور ٧٧٥ - ٧٧٧) .

اتيوكليس : ... فلا تدعو مطلقاً جثمان بولينيكيس يدفن فى ثرى طيبة . و ليكن الإعدام جزاء من يدفنه ، حتى و إن يكن أحد أحبائه .

١٢ - كعادة كتاب المسرح الإغريقى ، التزم الشاعر بوحدة المكان فقط ، أما وحدة الزمان ، فقد اختلف كثيراً عن تلك القواعد التى وضعها أرسطو فيما بعد ، كمعيار للحكم على التراجيديا ، إذ بدأت المسرحية مع بدايات الصباح ، و تستمر طويلاً . فإذا ما تتبعنا الأحداث ، أمكننا تخمين الوقت الذى يستغرقه كل حدث ، و بالتالى نستطيع تخمين الزمن الكلى ، فمثلا :

أ - أرسل كريون فى استدعاء تايريسياس ، ذلك العراف الضرير، لا شك أن ذلك استتبع مرور زمن طويل ، لا سيما و أن خطى الضرير تختلف عن خطى المبصر .

ب - المفاوضات التى دارت بين بولينيكيس و اتيوكليس فى حضور الأم ، و محاولة التوفيق بينهما ، ثم فشلها .

ج - المعركة التى دارت بين جيوش أرجوس و طيبة ، و كم استغرقت قبل أن تتوقف بناء على عرض من اتيوكليس بقيام مبارزة فردية ، بينه و بين أخيه .

د - الرسالة التى يحملها الرسول القادم من ساحة المعركة لملاقاة الأم و الأخت ، و روايته للأحداث ، ثم ذهاب الأسرة إلى الساحة .

هـ - تولى كريون السلطة بعد مقتل الشقيقين ، و إتمام مراسم الدفن لاتيوكليس .

أيضاً ، يمكن ملاحظة عدم الالتزام بوحدة الحدث ، فقد تعددت الأحداث ، فكان هناك أكثر من حبكة كما بينا من قبل ، و هى باختصار :

أ - الموضوع الأساسى و هو صراع الشقيقين حول مقاليد الحكم.

ب - الموضوعات الثانوية ، و تتمثل فى تضحية مينويكيوس ، و دفن بولينيكيس ، و طرد و نفى أوديب خارج المدينة ، رفض انتيجونا الزواج من هايمون ، مرافقة الابنه لأباها المنفى .

١٣ - يرى البعض أن تضحية مينويكيوس تشبه تماماً تضحية افيجينيا بنفسها فى مسرحية ايفيجينيا فى تاوريس .

١٤ - للمرة الأولى ، يحدد شاعر المكان الذى يجب أن يدفن فيه أوديب ، و القرية التى تشهد آخر أيام عمره ، إذ أعلن الشاعر فى سطور ١٧٠٣ - ١٧٠٩ عن هذا المكان :

أوديب : أن أموت فى أثينا بعد تشردى فى المنفى .

انتيجونا : أين ؟ أى حصن فى اتيكا سيأويك ؟

أوديب : كولونوس المباركة ... منزل إله الحياد ... الخ .

و لما كانت هذه المسرحية قد عرضت قبل سنوات قليلة من عرض مسرحية أوديب فى كولونوس لسوفوكليس ، فإن من المنطق أن الأخير قد استقى معلومته من الأول .

١٥ - فى الجدول المقابل لبعض الشخصيات الشهيرة فى الأسطورة الطيبية وفقاً لتناول بعض الشعراء ، و هى تهدف لإبراز الخلاف فى التناول ، و الابتكارات التى جاء بها كل منهم .

مقارنة لبعض الشخصيات الأساسية في الأسطورة الطيبية
و دورها كما حدده بعض الشعراء

المسرحية	أوديب	كريون	يوكاستا	انتيجونا
أوديب ملكاً لسوفوكليس	خرج من طيبة باختياره مفضلاً النفى بعيدا عن المدينة بعد أن تكشفت الحقائق .	بعد أن تنازل أوديب عن العرش توج كريون ملكاً للمدينة . وهو في البداية صديق وفى ، و تابع مخلص اتهم زوراً بالخيانة . اختلفت أخلاقياته عن البدايات فكان قاسياً على صديقه و زوج أخته .	شنقت نفسها منتحرة ، بعد أن علمت بحقيقة الأمر .	لم تصحب أباها في منفاه .
أوديب في كولونوس لسوفوكليس	هو الملك المنفى الذى تعب من تجواله ليحط رحاله في القرية التى حددتها النبوءة كمثوى أخير لجثمانه .	نراه في البداية مناصراً لاتيوكليس و رسوله إلى كولونوس لإحضار أوديب و هو في هذه المسرحية يبدو طاغية قاسى الفؤاد لا يرحم.	لم تشترك في أحداث المسرحية.	صحبت أباها في منفاه .
انتيجونا لسوفوكليس	لم يشترك في أحداث هذه المسرحية	تولى مقاليد الحكم بعد اقتتال كل من بولينيكيس و اتيوكليس و	لم تظهر في المسرحية	بقيت في طيبة بعد موت شقيقها حتى أمر كريون بوضعها في جب مظلم لتلقى

		موتهما ، لذا فهو كحاكم جديد يبدو قلقاً على عرشه و يدفعه هذا الخوف إلى ارتكاب الخطأ الكبير .		حتفها .
السبعة ضد طيبة لايسخيلوس	لم يرد ذكر أوديب إلا كإشارات حوارية فلم يُعطى الشاعر أي معلومات تفيد وجوده حياً أو موته.	ناصر اتيوكليس ضد أخيه ثم تولى الحكم بعد مقتل ولدى أوديب	لم يرد لها ذكر في هذه المسرحية .	اختارت بإرادتها تحدى القانون الوضعي و تحملت ما يترتب على ذلك من أثار .
الفينيقيات ليوريبيديس	خرج من طيبة منفياً على غير إرادته ، بعد أن عاش فترة غير قليلة . إذ أمر كريون بنفيه .	تولى حكم مدينة طيبة بعد موت ولدى أوديب ، مدعيا إن اتيوكليس قد أوكل إليه ذلك قبل موته.	افتتحت المسرحية و اشتركت في أحداثها ثم انتحرت بعد أن حاولت كأم التوفيق بين ولديها و منعهما من الاقتتال .	اختارت البقاء في طيبة بعد أن تحدت قرار كريون بعدم دفن جثة بولينيكيس . ثم اختارت بعد ذلك الخروج مع أبيها إلى منفاه .

سادساً : الجوقة :

١ - الجوقة في هذه المسرحية ، تتكون من بعض النسوة الفينيقيات ، و قد حرص الشاعر على إعطاء الأسباب لتواجدهن في مدينة طيبة . إذ أنهن قد جئن من بلدهن للخدمة في معبد الإله ابوللون في دلفي :

الجوقة : " من لجة بحر صور أقبلت غنيمة منتقاه للوكسياس "

ثم تضيف الجوقة " إلى أرض كادموس ، أقبلت مختارة من مدينتى هدية للوكسياس ، مبعوثة إلى حيث أبراج لايوس ، وطن

أقربائى أحفاد اجينور المشاهير ، فأصبحت هناك خادمة لفوبيوس، مهداة اليه عطية ...الخ " .

٢ - حدد الشاعر دور الجوقة ، و خصها برواية الأحداث الطيبية القديمة ، و ما مرت به أسرة أوديب من مآسى . و بذلك يهدف الشاعر إلى تغطية القصة الكاملة للأسرة ، مع التركيز على النزاع الذى دار بين الشقيقين حول السلطة الشرعية للمدينة .

٣ - لما سبق ، فإن الجوقة قد فقدت الصلة بينها و بين الحدث الجارى، كل مهمتها إحاطة هذا الحدث بالخلفية التاريخية .

سابعاً : الحوار :

١ - ملئ بالعبارات الوطنية المفعمة بالحب للمدينة و الأرض .

٢ - هناك جمل ذات دلالة فمثلاً :

أ - انتيجونا للمربى : ناولنى يدك من الدرج ، يد الشيخوخة إلى الشباب تعيننى على الصعود .

إن الدلالة هنا واضحة ، إنها تعنى تواصل الأجيال .

ب - انتصار الشخصيات للحق و العدالة (سطر ١٥٤) :

المربى : ...... و لكنهم بالحق جاؤا إلى هنا و خوفى من أن تتخذ الآلهة جانب الحق .

ثم فى موضع آخر :

الجوقة : ...إننى أرهب جرأتك و نقمة الآلهة ، لأن هذا الذى يزحف الى وطننا مدججاً بالسلاح ، يخف إلى القتال و العدالة إلى جانبه .

٣ - بعض العبارات تشير إلى ما أتسمت به بعض الشخصيات من حكمة :

جيوكاستا : ...لم تسبغ على سلطة الملك قيمة أكبر مما تستحق ، و تعتبر السعادة المغتصبة شيئاً عظيماً ؟

١٥ - اورستيس (١) :

تبدأ المسرحية بالكترا وهى تلقى المقدمة الاستهلالية ، بينما رقد أخوها أورستيس على فراش فى المؤخرة . تدور هذه المقدمة حول احتمال الألم ، سواء أكان ألماً جسمانياً أو مصيبة تأتى من السماء . وتضرب مثالاً بتانتالوس ابن زيوس ، الذى ظل معلقا وسط الهواء ، منهاراً تحت وطأة الصخرة التى تلوح له ، وكأنها ساقطة فوق رأسه ، لقد عاقبته الآلهة على إفشاءه لأسرارها ، عندما شاركهم شرف ولائمهم إن تانتالوس هو والد بيلوبس ، الذى أنجب بدوره اتريوس . أوقعت الآلهة بين أتريوس وشقيقه ثويستيس ، فتخاصما ، وأقدم اتريوس على ذبح أبناء ثويستيس وأطعمه إياهم. ثم تعرج على رواية أسرتها ، فقد ولد أبوها وعمها مينيلاؤس من الأم الكريتية إيروبى . تزوج العم من هيلينى ، وتزوج اجاممنون من كليتمينسترا، وأنجب منها ثلاث بنات ، خريسوثيميس ، و اثيجينيا ، و الكترا ، و أورستيس . وتقص الكترا عن أمها وما ارتكبته فى حق الأب، ثم طاعة الابن للإله ابوللون ، حينما أمره بقتل أمه ، واشتراكها فى هذه الفعلة رغم ضعفها ، هى وبيلاديس . لقد انتاب المرض شقيقها بعد قتل أمه، إنها تشنجات تأتى على هيئة نوبات ، بسبب مطاردة الأيومينيديس له .

وتحدد الكترا اليوم بأنه السادس بعد حرق جثمان أمها . و منذ هذا اليوم وقد انتاب أخيها ما انتابه ، يرفض الطعام ، لا يغتسل ، يبكى فى لحظات الصحوة ، ويأتى بأفعال غريبة .

ومن هذه المقدمة ، نعلم بأن أهل أرجوس قد احتجزوا الكترا وشقيقها اورستيس ، ودون أن يسمحا لأحد بالحديث معهما ، حتى يقرروا مصيرهما، أهو الذبح ، أم الرجم ؟

إنهما يأملان فى عمهما مينيلاؤس الذى وصل لتوه من طرواده ، وقد وفدت معه هيلينى ، التى تزور القصر تحت جنح الظلام ، لتبكى أختها كليتمينسترا ، و حتى لا يراها أحد من أهل المدينة ، الذين مات أبنائهم فى حرب طروادة . إنها أيضاً جاءت لترى ابنتها ، التى تركتها وديعة لدى

---

١ - نعتمد بصفة أساسية فى تلخيصنا لهذه المسرحية على :
اسماعيل البنهاوى ،من المسرح اليونانى القديم ،الكترا .اورستيس سلسلة من المسرح العالمى، العدد ٥٦ ، مايو ١٩٧٤ ، وزارة الاعلام ، الكويت .

كليتمينسترا ، عندما فرت إلى طروادة تظهر هيلينى ، لتسأل الكترا عن أحوالها هى وأخيها وتطلب منها رواية ما حدث ، ولكن الكترا ترفض ، وتشير إلى أخيها وما جرى له ، وأنها الوحيدة التى بقيت بجواره . تطلب منها هيلينى أن تذهب إلى قبر كليتمينسترا حاملة قربان الأخت للأخت ، لأنها تخجل أن تظهر نهاراً فى أرجوس . تنتهز الكترا الفرصة وتوجه إلى خالتها اللوم العنيف ، ثم تعتذر عن الذهاب ، وتقترح عليها أن تذهب ابنتها هيرميونى . توافق هيلينى على اقتراح الكترا ، وتنادى ابنتها ، تدخل الفتاة ، فتأمرها هيلينى بحمل القربان ، والذهب إلى قبر خالتها ، التى قصت بعض أطراف شعرها فقط ، حتى لا تفقد جمالها ، وتلعنها كسبب لدمار الأسرة وهيلاس . وفى نهاية جملتها تعلن قدوم الجوقة ، وهى من نساء أرجوس ، وتطلب منهن الكترا الدخول برفق ، والحديث بصوت خفى ، حتى لا ينزعج الأخ النائم . ثم تسألهن الكترا عن سبب مجيئهن . وتجيب الجوقة ، بأن قدومهن للسؤال عن حال اورستيس .

تعلن الكترا أنه فى النزع الأخير ، منذ أن استمع لنصيحة ابوللون لوكسياس ، وقتل أمه ، إنه فعل يجافى العرف . تبتهل الكترا للآلهة كى ينام، وتعيد تحذيرها للجوقة بعدم إثارة أى ضوضاء ، إن حالته تنذر بالموت، وتتحى باللائمة على فويبوس ، إذ ورطهما فى عمل شنيع ، ثم تبكى حالها ، وما أصابها طوال حياتها ، تطلب منها الجوقة الاطمئنان على أخيها ، إذ أن رقدته الدائمة تؤرقها . يفيق اورستيس قليلاً ، ويسأل أخته متى جاءت ؟ ولماذا هو هنا ؟ تأخذه الكترا بين ذراعيها وتهدهده ، ويحاول جاهدا الوقوف ، ثم يطلب منها إرقاده مرة أخرى . تطلب إليه الاستماع إليها، إذ تخبره بعوده عمه مينيلاؤس وزوجته هيلينى ، وتؤكد الكترا قوله إذ ترمى أمها وخالتها بأشنع التهم " شهيرات بما حاق بهن من عار ، شائنات الصيت بين اليونان " يطلب منها اورستيس أن لا تكون مثلهن ، ويوصيها بطيب العقيدة والقلب .

تعاود النوبة اورستيس ، ويتصور أن الهات الانتقام قد حضرن للفتك به، فتحاول الكترا تهدئته ، ولكنه يطلب قوسه المدبب الطرفين ، الذى أعطاه إياه ابوللون ، ليدافع عن نفسه ضد كاهنات الموت ، ذوات العيون المتوهجة، ربات الرعب ، يهزى ببعض الكلمات ثم يستعيد هدوئه ، ليجد أخته تبكى ، فيعتذر لما يسببه لها ، ثم يعلن لها أنه المسئول عن الفعل ، ويلوم لوكسياس لأنه حرضه بالكلام لا بالعون الحق ، حرضه على ارتكاب ألعن فعل . يطلب من أخته التوقف عن البكاء ، و أن تذهب إلى غرفتها

لتخلد للراحة والنوم ولو برهة . ترفض الكترا طلبه . تخرج الكترا بعد أن تساعد أخاها على الرقاد ، ثم تدخل الجوقة مخاطبة الأرواح المنتقمة ، وتصلي لها أن تساعد اورستيس على نسيان نوبات تشنجه ، ثم تناجي زيوس أن يرحم الابن . وفي نهاية حوارها تعلن عن قدوم مينيلاؤس ، وترحب به .

يدخل مينيلاؤس ويبدي سعادته بعودته إلى بيته ، ويستعيد ما حل بهذا البيت من أحداث ، فقد علم بمصرع أخيه أجاممنون من عراف البحارة جلاوكوس (١) الناطق بلسان نيريوس (٢) ثم علم بمقتل كليتمينسترا أخت زوجته من بحار ، ويسأل الجوقة الخبر وأين يجد اورستيس . ينهض اورستيس من فراشه ، ويتقدم من عمه مستجيرا به لينقذه من محنته هذه . ويتعجب مينيلاؤس لما وصل إليه ابن أخيه من حال ، ويعلن اورستيس أن ضميره يؤنبه ، لأنه ارتكب جريمة نكراء ضد أمه ، ويروي له قصة مرضه ، ومطاردة الايرينيات له ، ويسأله مينيلاؤس عن مساعدة لوكسياس له في عذابه ، وعن كراهية أهل المدينة له ، خاصة أوياكس ابن ناوبيلوس ، أخو بالاميديس ، و بعض أصدقاء ايجستوس ، و يتطرق اورستيس للحكم المنتظر ، النفي أو الموت رجماً ويقترح عليه عمه مينيلاؤس الهرب عبر الحدود ، و يعلن اورستيس أن ما يمنعه هو الحصار المفروض عليه . يطلب اورستيس المساعدة من عمه ، أثناء ذلك تعلن الجوقة وصول

---

١ – كان في الأصل صيادا يقطن في انثيدون احدى مدن يوريبوس . أكل يوما ما بعض الأعشاب البحرية التي تسببت في تغيير هيئته . قفز إلى الماء ، فأكتشف أن قدميه قد اصبحتا كذيل السمك . استقبلته إلهة البحر كواحد منهم ، واكتسب القدرة على قراءة الغيب ومعرفة الطالع .
وقع جلاوكوس في حب العذراء الجميلة سكولا ابنة رب البحر فوركوس ، وعندما صدته ، قصد كيركي طالبا النصيحة ، أحبته كيركي ولكنه صدها فغضبت كيكري، وسممت المياه التي تستحم فيها سكولا دائماً مع حوريات البحر (النيمف) ، فلما غاصت الفتاة في هذه المياه المسمومة ، تحولت إلى هولة ، مسخ بشع الصورة ، خليط من هيئة الكلاب والثعابين .كان جلاوكوس تعيسا في حبه ،إذ فشل للمرة الثانية في كسب ود اريادني التي هجرها ثيسيوس على جزيرة ناكسوس .

٢ – نيريوس ، أحد ألهة البحر القدامى ، وهو ابن بانتوس (المحيط) وجايا (الأرض) ، وكان أهم ألهة البحار قبل أن يحتل بوسيدون مكانته . وصفه هيسيود بالعدل والشفقة . كان نيريوس يتمتع بقوى تنبؤية ، وبالقدرة على تغيير هيئته .

تينداريوس الاسبرطي ، والد هيليني وكليتمينسترا ، وقد بدت عليه مظاهر الحداد ، فهو يتشح بالسواد ، حليق الشعر . يفزع اورستيس من مواجهه جده، يدخل تينداريوس ، ويسأل عن زوج ابنته مينيلاؤس ، ويعلن أنه قادم إلى البيت ، بعد أن قام بواجب الزيارة لقبر ابنته كليتمينسترا .

وعندما يلمح أورستيس ، يعامله بجفاء ، ويستنكر حديث مينيلاؤس مع هذا الشقى الفاسق ، و يدور حوار بينهما حول مدى جواز الحديث ، أو احترام قاتل مثل اورستيس ، ولا يعجب تينداريوس برأى مينيلاؤس فى هذا الشأن ، و يحدد الجد بعض القواعد القانونية ، إذ كان المفروض فى رأيه أن يلجأ اورستيس إلى رفع قضية ضد أمه ، لتنال العقوبة التى يفرضها القانون ضد القاتل . ويعترض الجد على سلوك ابن ابنته ، ويرى أنه فى جرمه جرم أمه . إن المجتمع الإغريقى يمنع القاتل من الظهور ، أو الحياة بين الناس ، قبل تطهره . ويعلن الرجل عدم رضائه عن فعلتى ابنتيه، كليتمينسترا ، وهيليني ، وبل ويلوم مينيلاؤس لذهابه إلى طروادة وراء أمرأة كهذه لا قيمة لها . ثم يعلن أن ما حل بأورستيس إن هو إلا عقاب من السماء ، وكفارة عن فعله . يحذر الجد زوج ابنته من مساعدة ابن أخيه، حتى لا يغضب الآلهة ، وإن فعل فإنه يحرمه من القدوم إلى اسبرطة . يدافع اورستيس عن نفسه ، ويعلن أن ابن أبيه ، ويعدد مبررات إقدامه على الجريمة ، إذ زادت مخازى الأم عن حدها . إن ما فعله فى رأيه ، سوف يخدم اليونان ، و حتى لا تجترأ كل النساء على قتل أزواجهن . ثم يلقى الذنب على جده ، إذ أنجب ابنة على شاكلة أمه ، التى كانت سبباً فى دمار أسرتها ، و يعلن أن ما فعله لم يعدو أن يكون تنفيذاً لنبوءة الإله ابوللون ، أدينوه هو إن كان ما فعلته أنا خطأ . لا تجد كلمات اورستيس صدى فى نفس العجوز تينداريوس ، فيعلن أن هذه الكلمات زادت من رغبته فى عقاب الجانى ، بل سيذهب إلى المجلس المنتخب لأرجوس ليثير المواطنين عليه و على أخته الكترا ، إذ أنها فى رأيه هى المحرضة الأولى ، و ناقلة الروايات عن أمها ، و مُشعلة كراهيته ، و يحذر مينيلاؤس من الوقوف ضد القضاء ، أو تحدى الآلهة .

يخرج تينداريوس ، و يبقى مينيلاؤس و اورستيس ، الأول فى حيرة يتدبر الأمر ، بينما الثانى يسعى جاهداً ليعرف ما يفكر فيه عمه ، و يطلب من مينيلاؤس الاستماع إليه جيداً ، و يبدأ فى مطالبة العم بأن يقف إلى جواره ، كما فعل أبوه اجاممنون ، عندما لجأ إليه مينيلاؤس يوم هربت زوجته هيليني ، و تتوسل الجوقة لمينيلاؤس ليساعد ابن أخيه ، و يحاول

مينيلاؤس التنصل بلباقة ، فهو عائد بلا عـون ، و لكنـه سـيحاول . يخـرج مينيلاؤس ، فينتقده اورستيس علـى عـدم مسـاعدته ، و أثنـاء ذلـك يلمـح بيلاديس قادماً من فوكيس ، و بالفعل يدخل بيلاديس يحمـل أخبـار المدينـة ، التى خرجت عن بكرة أبيها لتنفذ الحكم فى اورسـتيس . و يتبـادل الصـديقان الحوار ، و يشكو له اورستيس من موقف عمه و زوجتـه هيلينـى ، و جـده تينداريوس ، و ينصحه بيلاديس بـالهرب هـو و الكتـرا ، و لكـن يُـذكره اورستيس بالحراسة المشددة المفروضة عليه .

إن بيلاديس القادم من فوكيس ، لديه مشكلة ، فقد نفاه أبـاه سـتروفيوس ، لأنه ساعد اورستيسس . يتباحث الصـديقان حـول الوضـع ، فيشـير عليـه بيلاديس بأن يخرج للجموع الغفيرة ليُعلن لهم بأن ما فعله كان انتقامـا لأبيـه ، و يقتنع الاثنان بالمحاولة ، و لكن يخشى اورسـتيس مـن ربـات الانتقـام ، فيُطمئنه بيلاديس ، و يعلن أنه سيرعاه حتى النهايـة ، و يخـرج الصـديقان إلى قبر اجاممنون .

تبدأ الجوقة تروى عن بيت و أبناء أتريوس تلـك القصـة المريـرة عـن خلاف الأخوة ، و نزاعهم حول الكبش الذهبى ، كسـبب لتلـك اللعنـة التـى توارثها الأبناء .

تدخل الكترا و تسأل عن أخيها ، و تعلم أنه ذهـب ليحضـر المحاكمـة المحددة للنظر فى أمر حياته ، أمام الشعب الأرجـى . أثنـاء ذلـك ، يـدخل رسول بأخباره السيئة ، إذ يعلن أن الشعب قـرر بالتصـويت إعـدامها هـى و أخيها اورستيس .

تطلب منه الكترا مزيداً من التفاصيل عـن وسـيلة الإعـدام ، الـرجم أو السيف ؟ يقرر الرسول أنه مخلص لبيت اتريوس ، ثم يسرد عليها التفاصـيل، فقد طالب كل من تالثيبوس و ديوميدويس بالنفى ، وافـق الـبعض و رفـض الآخرون . وقف رجل آخر حرضه تينداريوس و طالـب برجمكمـا ، بينمـا طالب مزارع أن تتوج أرجوس رأس اورستيس ، لأنه أخذ بثأر أبيـه مـن دم أم منتهكة شريرة ، صمت الجميع ، و لم يتقدم أحـد للكـلام ، و هنـا تقـدم اورستيس و خاطب الجموع ، محاولاً إقناعهم بشرعية ما فعل ، و لكنه فشـل فى ذلك ، فطلب أن يموت كل منكما بيده لا رجماً . يخرج الرسـول ، لتبـدأ الكترا فى لطم خدودها و رأسها قرباناً لبرسيفونى إلهـة العـالم السـفلى ، ثـم تعرج على ما حل بأسرتها من غضب ، و التى كتب عليها الحزن و الشـقاء، و تحكى قصة الخلاف ، ثم قصة الوليمة التى دعى إليها ثويستيس ، و خيانـة يوروبا الكريتية .

تعلن الجوقة قدوم اورستيس و بيلاديس ، فتبدى الكترا أسفها على مصير أخيها ، و لكنه فى حزم يطلب أن يكف العويل النسوى ، و لكنها لا تكف أبداً ، وفى حوار متلاحق تندب شباب اورستيس ، وتطلب منه أن يقتلها بيده ، حتى لا يهينها أحد من شعب أرجوس ، يرفض اورستيس طلبها، فما هو فيه يكفى ، وعليها أن تختار طريقة موتها وتنفذها بيدها . تسأله الكترا عن موقف عمهما مينيلاؤس مما يجرى ، ولم يحاول التدخل ؟، يأسف اورستيس لموقف العم الطامع فى العرش . يهم اورستيس بتنفيذ الحكم، ولكن يطلب منه بيلاديس الانتظار لحظة ، فهو غاضب لأن صديقه تصور أن يموت وحده ، معتقداً أن صديقه بيلاديس يرغب فى الحياه ، إنه يُصر على مشاركتهما نفس المصير ، لتحمله نفس الوزر ، سواء فى الخطة ، أو فى التنفيذ . ويعلن أن عليهم أن يشركوا مينيلاؤس فى مأساتهم ، وتجد الفكرة صدى في نفس اورستيس ، ويهم بيلاديس فى طرح خطوط فكرته عن هذا الموضوع ، ولكنه يتوجس خيفة من وجود الجوقة ، فيطمئنه اورستيس ، إذ أنهن صديقات .

يعلن بيلاديس خطته ، التى تتلخص فى قتل هيلينى المختبئة فى القصر ، ولكن يحذر اورستيس من خدمها البرابرة ، فيؤكد له بيلاديس أنه لا يخشى أى فريجى ، مهما كان عدد المحيطين به . ثم يذكر اورستيس بأن قتل هيلينى من أجل اليونان ، فقد كانت سبباً فى مصرع ملوكها ، و تدمير أبنائهم ، و ترمل زوجاتهم ، سيهتف الشعب إن علم بموت هذه المرأة الشريرة . ويستمر بيلاديس فى رسم الخطة ، معلناً أنه فى حالة الفشل ، سيحرقون القصر و يموتون . يثنى أوريستيس على وفاء و إخلاص صديقه، فهو يساعدهما فى كل ما يلقيانه من محن ، و يتمنى أن يتم مهمته فى سلام و أمان .

تعلن الكترا أن لديها فكرة تؤمن المجموعة بعد تنفيذ مهمتها ، إنها تقترح أخذ هيرميونى ابنة هيلينى و مينيلاؤس رهينة ، و كضمان حتى لا يرتكب أبوها حماقة بعد مقتل زوجته ، خاصة عندما يجد السيف مسلط على رقبة ابنته ، و لا تنسى أنه ليس جسوراً بطبعه و لا هو شجاع . يثنى اورستيس على فكرتها ، و يرسلها لترصد قدوم هرميونى و تعطيه إشارة بقدومها ، ثم يمضى هو و بيلاديس ليتسلحا بما يساعد على نجاح الخطة ، و قبل أن يدخلا ينادى روح أباه لنجدته ، و يشاركه نداءه كل من الكترا و بيلاديس ، ثم يطلب منهما اورستيس أن يكفا عن الصلوات ، و التأهب لما اعتزموا عليه ، فإما أن يحيوا أو يموتوا .

يخرج كل من اورستيس و بيلاديس بينما تطلب الكترا من الجوقة تقسيم أنفسهن لمراقبة البيت .

يسمع صوت هيليني مستنجدة من الداخل ، تعلن الجوقة عن فرحها المكتوم لتنفيذ أول أقسام الخطة ، بينما الكترا في قمة سعادتها ، و تكرر الاتهامات لهيليني ، و تظهر هرميوني ، فتسرع الكترا إلى تهدئة الجو لتدخل الفريسة الشرك ، و تعلن هرميوني عن عودتها ، بعد أن سمعت صيحة آتية من القصر ، و في براعة ، تغير الكترا الموضوع لتقص عليها ما حكم به أهل أرجوس ضدها و ضد شقيقها اورستيس ، فكانت هذه الصرخة التي سمعتها ، صرخة المستجير اورستيس الذي يركع عند ركبتي هيليني ، يلتمس الرحمة له و لأخته . تطلب الكترا من هرميوني مساعدتهما بالتوسل لأبيها كي ينقذهما ، و تذكرها بما صنعته أمها كليتمينسترا لها . تسرع هرميوني إلى القصر ، فتصدر الكترا أوامرها للجوقة بالتحفظ عليها ، و يسمع صوت هرميوني و اورستيس من الداخل ، بينما تأمر الكترا أخاها بتسديد السيف عند رقبتها حتى يقبل مينيلاؤس . ثم تبدأ الجوقة في إثارة بعض الضوضاء لتغطية أصوات الاستغاثة ، و تعلن سعادتها بما حل بهيليني جزاء لما فعلت ، ثم تعلن عن قدوم أحد الخدم الفريجيين من القصر.

يدخل خصي فريجي مذعوراً و هارباً من الموت ، فهو أجنبي ، و يسأل الجوقة أين يهرب . تسأله الجوقة عن الأنباء ، و قبل أن يُجيب يذكر وطنه طروادة ، و تل ايدا ، و يعلن أن هيليني سبب خراب طروادة ، أبراج ابوللون ، و شقاء داردانيا ، ثم يبدأ في رواية ما حدث داخل القصر ، معدداً مناقب كل من بيلاديس و اورستيس ، ذاكراً كل ما جرى بتفصيل شديد ، سب خلاله الفريجيين ، و نعتهم بالجبن ، و انتهت روايته بأنهما قتلا هيليني .

يدخل اورستيس شاهراً سيفه ، باحثاً عن العبد الفريجي الذي هرب من القصر. و هنا يظهر نفاق العبد الخائف على حياته ، فهو يوافق اورستيس على كل ما يقول و يؤيد ما فعل . و يدور حول الموت الذي سينقذ العبد من عبوديته ، و لكن العبد يتشبث بالحياة . يخرج اورستيس و معه العبد الفريجي .

تحتار الجوقة ، هل تحمل الأنباء إلى المدينة ، أم تصمت ؟ و لكنها تؤثر الصمت . تظهر سحب الدخان أمام القصر ، و هو في رأى الجوقة إشعال للمشاعل كي يحرقوا قصر تانتالوس ، إن ما حل لهذه الأسرة إنما

كان بسبب إلقاء ميرتيلوس (١) من العربة . يظهر مينيلاؤس فتنبه الجوقة اورستيس و صديقه كي يوصدوا الأبواب بالقضبان الحديدية .

يتساءل مينيلاؤس عما يجرى داخل القصر ، و هل زوجته قد اختفت حقاً قبل أن تُقتل ، يأمر خدمه باقتحام الأبواب كى ينقذ إبنته و يحمل جثمان زوجته ، يظهر اورستيس و معه هرميونى و الخدم حاملى المشاعل على سطح القصر ، و يحذر مينيلاؤس من الاقتراب من أبواب القصر . يُعلن اورستيس أنه ينوى قتل الإبنة هرميونى .

يطلب منه مينيلاؤس جثمان الزوجة حتى يقوم بدفنها ، و لكن اورستيس يرد عليه بأن الآلهة قد أخذتها ، يتوعده مينيلاؤس ، فيعلن الفتى أنه سيحرق القصر حتى لا يستولى عليه العم . و فى حوار سريع يأمر اورستيس بعده العم بالذهاب إلى أهل أرجوس و اقناعهم بالعفو عنه هو و صديقه و أخته ، و فى مقابل ذلك ، لن يذبح هرميونى ، يظهر الإله ابوللون و معه هيلينى ، و يعلن عن حضوره ، و مطالباً مينيلاؤس بالهدوء، كما يخاطب فى ذات الوقت اورستيس . إنه أنقذ هيلينى من الذبح بأمر من أبيها زيوس ، و يعلن أن الآلهة بسبب جمال هيلينى قد دمرت طروادة و هيلاس حتى يخففوا عن الأرض الأم سخطها الناجم عن تزايد البشر .

ثم يأمر اورستيس بالعيش لمدة عام كامل على أرض باراسيه ، التى سيسميها الازانيون و الاركاديون أرض اورستيس ثم يعود إلى أثينا ليقدم نفسه إلى محكمة الثلاثة المنتقمين ، حيث ستكون الآلهة قضاته ، و سيكسب قضيته ، و عليه أن يتزوج هرميونى ، و يزوج أخته لبيلاديس ، و يأمر مينيلاؤس بترك اورستيس يحكم أرجوس ، و أن يحكم هو إسبرطة ، و يقرر أنه سيعقد صلحاً بين اورستيس و أهل أرجوس .

يوافق اورستيس على كل ما قال ابوللون ، كما توافق كافة الأطراف على أوامر الإله .

يطلب ابوللون منهم أن يمجدا السلام ، أما هو فسيأخذ هيلينى لتجلس فى قبة السماء إلى جوار هيرا و هيبى عروس هيراكليس و تقاسم أبناء

---

١ – هو ابن هيرميس و قائد مركبة ايونوماووس ملك بيزا . رشاه بيلوبس كى ينزع مسمار المحور من مركبة سيده ، و بذلك يتسنى لبيلوبس الفوز على الملك ، و بالتالى الفوز بابنة الملك المسماه هيبودوميا . و بالفعل يموت الملك ، و يحنث بيلوبس بوعده ، بل ويلقى بميرتيلوس فى البحر . و هذه هى خطيئة بيلوبس التى عوقب عليها هو و أسرته .

تينداريوس اللذين أنجبهم زيوس امارتهم علـــى البحـــر لصـــالح المبحـــرين .
و تختم الجوقة المسرحية مرحبة بالنصر .

أهم ما يلاحظ على هذه المسرحية

أولاً : تاريخ عرض المسرحية :

عرضت عام ٤٠٨ ق.م ، و هى أخر المسرحيات التى كتبت فى أثينـــا.
و قد أعيد عرضها مرة أخرى فى أثينا عام ٣٤٠ ق.م .

ثانياً : أصل المسرحية :

تدور المسرحية حول ما حل باورســـتيس بعـــد أيـــام قلائـــل مـــن ارتكابه جريمة قتل أمه و عشيقها ، على ذلك فهى امتداد لقصـــة عائلـــة اتريوس ، و ما حل بأفرادها من نقمة متوارثة .

ثالثاً : المنظر الذى تجرى فيه الأحداث :

١ – أمام القصر الملكى فى مدينة أرجوس .

رابعاً : أهداف الفكرة الرئيسية :

١ – لا زال المؤلف يؤكد على بشاعة الفعل الـــذى أتـــاه اورســـتيس ، مهما كانت الأسباب و الدوافع .
٢ – إن اللعنة التى أصابت هذه الأســـرة قـــد أدت بهـــا إلـــى تـــدمير عناصرها ، فلا تساند عائلى ، و لا وفاء أو احترام للأهل .
٣ – أكد الشاعر من قبل على الوفاء النادر بين الأصدقاء ، و هـــا هـــو يعاود الكرة برسمه لشخصية بيلاديس .
٤ – رفض فكرة العدالة البدائية و هى القصاص ، و المنـــاداة بالعدالـــة القانونية .

خامساً : المناقشة و التحليل :

١ – جمع الشاعر فى هذا النص ، مجموعة من الشخصيات لـــم تجمـــع بينها الأساطير بهذه الصورة ، فها هو اورســـتيس ، و بـــيلاديس ،

و الكتـــرا ، و هيلينـــى ، و مينــيلاؤس ، و تينـــداريوس ، و هيرميونى .

٢ – رأى البعض أن كل شخصيات المسرحية خسيسة و دنيئــة ، و أن لكل واحد منهم عيوبه و نقائصه ، و قد استثنوا شخصية بــيلاديس من هذا الحكم .

٣ – إن حبكة المسرحية ليست جيدة البناء فى مجملها بسبب :

أ – النصف الأول من المسرحية و هو أطول الأجــزاء خصصـه الشاعر لاستغاثة اورســتيس بعمــه مينــيلاؤس و مناشــدته اليائسة ، كى يقف إلى جانبه ، و يعمــل علــى إنقــاذه مــن المصير الذى ينتظره . و هو جيد البناء إذ رسم فيــه الشــاعر الشخصيات رسماً جيداً ، و كثف فيه أثر الرابطة التــى بــين المنبوذين ، و صور شعورهما المتبادل تجاه بعضـــهما ، كمــا جسد ذلك الحقد المشــترك لعائلــة مينــيلاؤس . أدى رفــض مينيلاؤس ، فى هذا الجزء ، مد يد المســاعدة لاورســتيس ، إلى تفكيره فى المكيدة التى حاكها ضد مينــيلاؤس ، و التــى تشغل الجزء الثانى من المسرحية .

ب – أما الجزء الثانى من المســرحية ، فهــو لا يتصــل بــالجزء الأول اتصالاً مباشراً ، و فيه يجعل الشاعر أبطالــه يتحولــون فجأة من اليأس إلى الاندفاع القوى نحو فكــرة الانتقــام ، دون تمهيد و لا توقع .

٤ – أكد الشاعر أكثر من مرة و فى أكثر مــن مســرحية عــن عــدم رضائه عن فعل اورستيس ، بل يعتبره جريمــة بشــعة (ســطور ٥٣٨ – ٥٣٩) ، كما وصفه فى مسرحية افيجينيا فــى تــوروس بأنه عمل بربرى لا يقوم به حتى أقل الناس تحضــراً . (ســطور ٤٨٥ – ١٤٢٤) .

٥ – أصر الشاعر فى أكثر مــن مســرحية علــى ســمات و صــفات شخصية مينيلاؤس ، فهو فى رأى يوريبيديس دائماً شرير و نــذل و خسيس ، و وغد (اورســتيس ، انــدروماخى) . و فــى هــذا الشأن يعترض أرسطو (١) على وصم هذه الشخصية بهذه

---

١ – ارسطو ، فن الشعر ، ترجمة و شرح و تعليق د . عبد الــرحمن بــدوى ، مكتبــة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، فقرات ١٤٥٤ أ ، ١٤٦١ ب .

النقائص و بلا ضرورة فنية .

٦ – تحفل المسرحية بالعديد من المشاهد التى سبق ليوريبيديس تناولها من قبل ، فمثلا :

أ – شخصيات معرضة للموت .

ب – وداع اورستيس و الكترا عند تيقنهما من أن العقوبة نافذة فيهما .

ج – الحل التعسفى ، بظهور إله ليحل المشكلة المعقدة .

د – المشهد الأخير من المسرحية و الذى يتوسل فيه مينيلاؤس لاورستيس كى يعيد إليه ابنته هيرميونى ، و قد جرى هذا المشهد فوق سطح القصر ، و فى كل تكوينه يشبه مشهد ياسون المتوسل لميديا كى تسلمه طفليه ليدفنهما .

٧ – بعد الشاعر عن الفكرة الرئيسية من أجل حبك درامية المواقف .

٨ – أكدت المسرحية نظرته الخاصة للألهة ، فلم يعد الحال كما كان عند ايسخيلوس ، إذ أصبح مصير الإنسان مرهونا بيد العقلاء و الحكماء من بنى الإنسان لا الألهة .

٩ – يتفق مع هذا التصور إعلان تينداريوس عن موافقته على استحقاق كليتمينسترا للعقاب طبقاً لمفهوم العدالة القانونية .
إن هذه الفكرة لم ترد فى تناول هوميروس للقصة ، و إن كانت تتفق مع ما حل بالمجتمع الأثينى من تغييرات اقتصادية و سياسية و قضائية .

١٠ – برغم ما طرحه الشاعر عن العدالة القانونية ، إلا أنه لم يطرح أى حلول للمشكلة .

١١ – شخصية الكترا هنا مختلفة ، إذ جعلها الشاعر عطوفة ، كريمة ، متفانية فى خدمة أخيها ، بل و وضع بين سطور حوارها شعوراً بالأمل فى نجاتها هى و أخيها .

١٢ – إن النهاية التعسفية للمسرحية غير مُرضية لعدة أسباب :

أ – حل ظهور الإله كل الخيوط المتشابكة .

ب – كيف نسى كل طرف ما ترسب فى نفسه تجاه الآخر ، فهل يعقل أن ينسى اورستيس عدم وفاء عمه و خسته و ازدراءه له و احتقاره ؟ هل يسامح مينيلاؤس ابن أخيه اورستيس على موقفه منه و كراهيته له ؟

ج – بأى منطق تحب هيرميونى و تصفو للرجل الذى سلط من لحظات سيفه على رقبتها بغية ذبحها ؟ و بالتالى هل يحب رجل ابنة غريمه ؟ و إن حدث ذلك فكيف يواجهها بحبه و قد سبق و أراد قتلها ؟

د – بالحل التعسفى زالت عن اورستيس كل الاتهامات بل و شفى من جنونه بيد إلهية مقدسة .

إذن هذا الحل التعسفى لم يكن نابعاً من فحوى المسرحية ، بل و قال البعض إنه أقرب إلى الحلول الفكاهية . و يثور سؤال ، لماذا لم يضع الشاعر حلاً معقولاً يمكن تصديقه ؟

أ – ركز كل اهتمامه لتشبيع المشاهد بمليودرامية ، حتى يحصل على الإثارة و التشويق .

ب – ربما أراد أن يقدم لنا دراسة لشخصياته تحت ضغط أعنف الظروف و أشد العواطف .

١٢ – إن ما انتاب اورستيس من جنون ، ما هو إلا نتاج مباشر لصحوة الضمير ، و الشعور بالذنب .

١٤ – قلنا عند مناقشتنا لفكرة كهنوتية الملك ، أن يوريبيديس تناول ذات المقولة فى مسرحيته اورستيس ، فقد وزد على لسان اورستيس فى حواره مع عمه مينيلاؤس ، ما يلى :

مينيلاؤس : بل هى من العدل أن تعيش أنت ؟

اورستيس : و احكم مملكة ، نعم .

مينيلاؤس : مملكة ! أين ؟

اورستيس : هنا ، فى أرجوس البيلاسجية .

مينيلاؤس : هل أنت مؤهل تماماً لأن تتناول الماء المقدس ؟

اورستيس : و لما لا ؟

مينيلاؤس : هلى أنت مُهئ لتذبح الضحايا قبل المعركة ؟

١٥ – إن مشهد العبد الفريجى وسط هذه المأساة جاء غريباً بملامحه الفكاهية ، و ربما قصد به الشاعر تخفيف حدة الأحداث ، أو تجسيد السخرية بالفريجيين .

سادساً : الجوقة :

١ – هى مجموعة من بنات أرجوس .

٢ – يبدو بوضوح تعاطفها مع الكترا و أخيها .

سابعاً : الحوار :

١ – تضمن الحوار الكثير من الكلمات القانونية ، فها هو تينداريوس يقول : " ... و هي أن تخضع رضا للشرائع " .
ثم في موضع أخر يقول
" ... و هو الذى لم يزن عدالة القضية ، و لا هو لجأ إلى الشريعة العامة لليونان " .
و في موضع ثالث " ... كان ينبغي أن يرفع قضية ضد أمه ، و يوقع العقوبة التى يسمح بها القانون ، جزاء سفك الدم ، و ينفيها عن بيته " .

٢ – تضمن الحوار أيضاً بعض الأقوال الحكيمة ، فمثلا يقول مينيلاؤس :
" الحكيم هو من يعرف أن كل ما يعتمد على الضرورة يبقى عبداً لها " .

٣ – شاعت في الحوار بعض الأراء الفلسفية التى تعبر عن المذهب الفيثاغورسى :
اورستيس : ... ابى أنجبنى ، و ابنتك ولدتنى ، فهى الحقل الذى تلقى البذرة من آخر ، إذ بدون أب لن يولد ابن ، و هكذا فكرت ، يجب أن أناصر مصدر وجودى لا المرأة التى قامت بتربيتى .

١٦ - الباخوسيات (١) :

و يسميها البعض الباكيات ، أو عابدات باخوس . كتبها يوريبيـديس عـام ٤٠٥ ق.م . و يرى الكثيرون أنها إحدى روائعه ، إذ ظهرت فيهـا حكمتـه ، و لغته الشعرية العالية المستوى ، و أناشيد للجوقة وثيقة الصلة بالموضوع .

تبدأ المسرحية فى مدينة طيبة ، أمام قصر الملك الشاب بنثيوس ، حيـث يرى المشاهد قبراً تتصاعد أعمدة الدخان من مكان مجاور له .

يشرع ديونيسوس (٢) إله الخمر و المروج الخضراء ، بعد تجسـده فـى صورة مرئية تقديم نفسه للجمهور علـى أنـه ابـن زيـوس و سـميلى ابنـة كادموس ، و نعلم من روايته أن القبر قبر أمه الذى تسبب حقد هيـرا فـى أن يصعقها زيوس . لقد جاب ديونيسوس العديد مـن الـبلاد ، و أقـام الشـعائر الدينية ، و كانت طيبة أول بقعة من الأرض يستقر فيهـا ، ثـم يعـرج علـى إدعاء شقيقات والدته ، اللاتى يشعن أن ديونيسوس ليس ابنـا لزيـوس ، بـل نتاج بشر فان . لقد تسبب هو في إصابة خالاته و نساء كـادموس بـالجنون ، لأنهن أنكرن ألوهيته . إنه يلوم أهل طيبة ، لأنهم لـم يعرفـوا بعـد أسـرار ديانته و مذهبه ، كما يلوم كادموس أيضاً ، لأنه سلم السلطة و السـلطان إلـى ابن ابنته ، بنثيوس الذى يتحدى الآلهة ، و يتجاهله أثناء تقديم القـرابين ، لـذا فهو اليوم ، سيثبت له و لغيره ، أنه إله ، بعد أن اتخذ لنفسه صورة بشـرية ، و سيكون أول الثائرين و معه النسـاء التابعـات لـه ، إذا مـا أرادت طيبـة طردهن بالسلاح ، ثم يرحل بعد ذلك إلى أرض أخرى .

ما أن ينتهى من حواره حتى يتقدم مـن الجوقـة ، و هـى تتكـون مـن مجموعة من نساء منطقة لوديا الأسيوية ، و قد قدمن مع ديونيسوس ، يطلـب منهن ضرب الدفوف الفروجية (الآسيوية) و هم فى طوافهم حول القصـر ، كى يتجمع على صوتها أهل مدينة كادموس ، بينما سيذهب هـو إلـى وديـان كيثايرون ليشارك الباخوسيات الرقص .

---

١ - نعتمد فى تلخيصنا لهذه المسرحية ، و بصفة أساسية على ترجمة د . عبد المعطـى شعراوى ، يوريبيديس - ٥ ، عابدات باخوس ، سلسلة المسـرح العـالمى ، وزارة الإعلام الكويتية ، العدد ١٨٠ ، سبتمبر ١٩٨٤ .

٢ - من ألقابه أيضاً ، بروميوس ، سـابازيوس ، بـاخوس ، زيـوس زاجريـوس أى الكريتى ، ديثورامبس (المرجع السابق ، الحاشية) .

يخرج ديونيسوس ، و تبدأ الجوقة فى نشيدها الذى يدور حول باخوس، و طقوس عبادته ، و شعائرها ، كما يذكرن المشاهد بمولد ديونيسوس ، و صاعقة زيوس التى قضت على أمه . ثم تدعو الجوقة مدينة طيبة لتتزين، و تتوج الرأس باللبلاب ، و تستعد بملابسها الجلدية المرقطة بالرقع البيضاء، فالأرض سترقص عندما يقود باخوس الجماعة بين الجبال ، حيث النسوة اللاتى وقعن تحت تأثيره . تناشد الجوقة الجميع ليتغنوا بمآثر ديونيسوس على نغمات الناى و دقات الدفوف .

يظهر تريسياس ، و هو عراف عجوز كفيف من أهل طيبة ، يدق بوابة القصر ، و يطلب من خدمه إبلاغ كادموس ابن اجينور أنه جاء للقائه . يدخل كادموس ، و هو شيخ مسن أيضاً ، و هو والد سميلى ، و جد ديونيسوس ، و هو من أصل فينيقى و مؤسس مدينة كادميا (طيبة) . و يتبين لنا من استقباله لتريسياس العلاقة التى تربط بينهما :

كادموس : يا أعز صديق ، عندما سمعت صوتك ... الخ (١٨٠) . يطلب كادموس من صديقه تريسياس الاحتفال بعيد باخوس ، مثلهما مثل باقى البشر ، و يدعوه إلى نسيان سنيهما . و يدور حوارهما عن قدسية باخوس ، و أن الحكمة تقضى بعدم احتقار الآلهة ، كما يفعل الحمقى . يتنبه كادموس لقدوم بنثيوس ابن آخيون ، و هو حفيد كادموس ، إذ أن أمه أجافى شقيقة سميلى ، و قد سلمه جده مقاليد الحكم ، يؤكد الجد أن الملك غاضب ، و لكنه فى البداية لا يعرف السبب . و ما أن يظهر بنثيوس حتى يتضح سر غضبه، إنه احتفال النسوة المخمورات بين الجبال ، و رقصهن ، من أجل باخوس ، و إنهن يرتكبن من الأعمال الفاحشة ما لا يليق بهن ، لذا فقد أمر رجاله بالقبض عليهن ، و الزج بهن فى السجون ، ليقضى على المجون و التهتك ، و الفجور ، و ممارسة الأفعال الجنسية بطريقة غير مشروعة . و يعلن أنه يطارد باقى النسوة ، بما فيهن أمه أجافى ، و يعد بوضعهن فى الأغلال . ثم نتبين من حواره (نهاية الأبيات ٢٢٠) مدى ما يكنه لباخوس من حقد ، و ما يضمره له من شر :

بنثيوس : ... " فامنعه من أن يضرب الأرض بمخصره ، و يهز جدائله ، "
" فلسوف أفصل رأسه عن جسده " .

يتنبه بنثيوس لوجود تريسياس و جده كادموس ، و يتعجب إذ يرى العراف متدثراً بجلد الغزال الأرقط ، بينما يرقص الجد بالمخصر ، يطلب من جده الكف عن الرقص ، و يتهم تريسياس بأنه حرض جده على اعتناق الديانة الباخية ، من أجل مصلحته ، فهو يؤيد وجود باخوس كإله جديد ،

يسهم في زيادة دخله من الأضاحي . ينبه الملك العراف العجوز بأن سنه قد حمته من غضبه ، و إلا كان الآن في السجن جزاءاً لفعلته ، و في ختام حواره يُحقر الإله ديونيسوس ، لذا تتهمه الجوقة بالإلحاد ، و عدم احترامه لأصوله ، و تنكره لأهله . يرد تريسياس على الملك المتغطرس ، المرتد بنثيوس ، بأن الإله باخوس ، الذي يسخر منه الآن و يحاربه ، سيكون ذو شأن عظيم في هيلاس ، و ينبه إلى وجود قوتين بين البشر ، ديميتير أو الأرض ، و هي تقدم للبشر الغذاء الجاف ، ثم باخوس صاحب فكرة الشراب السائل من الكروم ، و ماله من فوائد ، ثم ينصح الملك باستقبال الإله في أرضه ، و يُغريه بتقديم القرابين إليه ، و اعتناق ديانته ، و يوضح له أن العيب ليس في باخوس ، بل في طبيعة المرأة ، فالمعتدلة منهن لن تحيد عن اعتدالها ، و في النهاية يقرر أنه و كادموس يستمران في احتفالهما بباخوس ، و سيرقصان ، و يتهم الملك بالعته . يؤيد الجد كادموس قول تريسياس ، بل و يطلب منه اعتبار باخوس إلها ، إذ أن في ذلك مجد للأسرة و ذريتها ، ثم لمزيد من التأثير و الاقناع ، يُذكر الجد حفيده بقصة مصرع اكتايون ، الذي ادعى تفوقه على أرتميس في الصيد ، و حتى لا يلقى نفس المصير ، عليه تبجيل باخوس ، و في غضب و وقاحة ، يرفض بنثيوس عرض جده ، و يأمر أتباعه بتخريب الأماكن التي يمارس فيها التطير (١) ثم يأمر باقي الأتباع بمطاردة باخوس ، و القبض عليه ، و إحضاره مكبلاً بالأغلال ليموت رجماً بالحجارة .

يعتب تريسياس على قرار بنثيوس ، و يرميه بالجنون ، ثم يأخذ صديقه كادموس ليذهبا إلى خدمة باخوس بن زيوس . يختفي الاثنان ، كما يخرج بنثيوس ، و تُشهد الجوقة ربة القداسة على وقاحة بنثيوس في حق باخوس ، و تُنذر بأن الألسنة السائبة ، و الحماقة المتمردة تجلب الكوارث ، ثم يمجدان في باخوس و ما يمنحه من سعادة و نشوه للبشر ، إنه يخلصهم من الآلام .

يدخل الملك ليجد أحد أتباعه يُعلن قيامهم بالمهمة و القبض على ديونيسوس دون أية مقاومة منه ، كما يخبر بنثيوس بنبأ مريداته اللاتي كن في السجن . يقترب بنثيوس من الرجل و يأمر أتباعه بحل وثاقه ، ثم يأخذ في استعراض الرجل في سخرية و استهزاء ، و يطلب منه الحديث عن نفسه . يُعلن الكاهن شبيه ديونيسوس أنه من لوديا و أن ديونيسوس ابن زيوس قد لقنه هذه الطقوس ، و منحه نشوة عارمة لا يعرفها إلا كل باخي

---

١ - ملاحظة حركات الطيور و رصد أصواتها ، ثم دراستها و استشفاف المستقبل منها .

من البشر . إنها نشوة تكره من يتمادى فى الإلحاد . و يسأله بنثيوس إن كان قد جاء ليبشر بعبادة هذا الإله ، فيرد عليه ديونيسوس بأن كل الناس ما عدا الإغريق يمارسون هذه الاحتفالات ، و فى عجرفة يقرر بنثيوس السبب ، إنهم أقل فى مستواهم الفكرى عن الإغريق . يصل الأمر فى النهاية إلى اتهام ديونيسوس لبنثيوس بالجهل و الكفر بالإله ، فيتوعده الملك بحلق شعره، و انتزاع مخصره ، و إلقاءه فى السجن ، و بلا مبالاة يؤكد ديونيسوس أن الإله سيطلق سراحه حينما يطلب منه ذلك ، بل هو موجود الآن و يرى ما يجرى دون أن يراه غير أتباعه ، يأمر بنثيوس أتباعه بالقبض على الرجل و شد وثاقه ، و لكنه يحذرهم و يرميهم بالغباء . و يتهمه ديونيسوس بأنه لا يعرف ذاته . فيرد بنثيوس أنه بنثيوس ابن أجافى و أباه أخيون .

و فى سخرية يعلن ديونيسوس أن اسمه يعنى البؤس و هو جدير به . يغضب الملك و يأمر بحبسه فى حظيرة الخيول ، و يهدده ببيع الجوقة كإماء فى سوق الرقيق ، حتى يتوقفن عن دق الدفوف . يعلن الرجل أن ديونيسوس الذى ينكره الملك ، سيؤذيه ، و يعاقبه . تختفى المجموعة عدا الجوقة .

تعيد الجوقة قصة مولد ديونيسوس ، و تتعجب لغضب بنثيوس سليل الأرض ، و حفيد التنين العجوز ، و تتألم لأنه أمر بوضع النسوة عابدات باخوس فى السجن ، ثم تنادى ديونيسوس ليهبط من الأولومبوس ليفك أسر مريداته ، و يضع حداً لحماقة ملك سفاح . يسمع صوت ديونيسوس من خارج المسرح يطلب من نساء الجوقة الاستماع إليه و التعرف عليه ، فيتوسلن إليه ليهبط ، و ينادى ديونيسوس على ربة الزلازل كى تزلزل الأرض من تحت قصر بنثيوس حتى ينهار ، و تعلن الجوقة أن الغريب ديونيسوس داخل القصر ، يصرخ كى تتوهج الشعلة الرعدية الوضاءة ، لتحيط القصر باللهب ، و تصيح الجوقة مرتعدة ، فيطلب الغريب ديونيسوس منهن رفع أجسادهن ، تتعجب الجوقة و تسأله كيف تمكن من الإفلات من قبضة رجل كافر ، فيعلن لهن ، أن قيده كان وهماً رآه بنثيوس ، فقد قيد أرجل ثور بدلاً منه ، بينما جلس الغريب ديونيسوس يراقبه ، حتى جاء باخوس " و زلزل القصر و أشعل النيران فى قبر والدته " ، فظن الملك أن النار أمسكت فى قصره ، فطلب من عبيده إحضار الماء لإطفائها ، ثم ظن الملك أن أسيره الغريب قد هرب ، فاستل سيفه ، و أخذ يضرب الهواء ، لأن بروميوس أرسل إليه شبحاً يشبهه . لقد حطمه الباخى و هزمه " لأنه تجاسر و دخل فى حرب مع الآلهة و هو البشر الفان " .

يظهر بنثيوس و هو يزفر من الغيظ لهروب الغريب ، و لكن بصره يقع على الهارب فيتعجب كيف هرب ؟ ، كيف تخلص من قيوده ؟ . يُجيب الغريب فى غموض يُحير بنثيوس . يدخل الرسول ليُعلن للملك بنثيوس ، أنه رأى الباخيات الثائرات يندفعن فى جنون ، مشمرات عن أطرافهن الناصعة فوق جبل كيثايرون ، و يقمن بمعجزات مروعة تثير الدهشة ، و هنا يتوقف الرسول لحظة ليسأل الملك ، هل يواصل حديثه بصراحة ، أم يكتفى بما قال، خشية تسرع الملك و غضبه ؟ و يُطمأنه الملك ، فيسترسل الرسول فى روايته ، إذ قد رأى ثلاثة جماعات من النسوة الراقصات : الأولى ، تقودها اوتونوى ، و الثانية ، تقودها أم الملك أجافى و الثالثة ، تقودها اينو ، و كلهن مسترخيات الأجساد ، يتكئن على أغصان صنوبر، أو يسندن رؤسهن على أوراق البلوط و يعلن الرسول أن أم الملك وقفت وسط هؤلاء النسوة صارخة ، كى يبعدن النوم عن أجسادهن ، فقد سمعت خوار الثيران ذات القرون . امتلئت النسوة ، شابات و عجائز و فتيات ، و فككن شعورهن، و كانت بعضهن يرضعن غزلاناً أو ذئاباً وليدة ، و يتوجن رؤسهن بأغصان اللبلاب و البلوط ، و يروى الرسول عن المعجزات التى لو رأها الملك ، لحاول التقرب من الإله الذى يوبخه الآن . يؤكد الرسول للملك أنه و مجموعة أخرى من الرعاة نصبوا كميناً وسط الأغصان كى يبعدوا أجافى عن باقى الباخيات ، و حاول الرسول الإمساك بها ، و لكنها أفلتت و نادت على كلابها السريعة ، مما جعل الرسول و رفاقه يهربون ، و اتجهت جموعهن نحو قريتى هيساى و اروثراى تمزق كل شئ ، و يختطفن الأطفال ، و لما حاول هو و رفاقه استخدام السلاح ضدهن ، وجد أن الحراب لم تؤثر فيهن ، بل أصابوا الرجال بمخاصرهن ، ثم اغتسلن فى الينابيع . و يُنهى الرسول رسالته بنصح الملك ، ليقبل الإله فى المدينة ، لأنه عظيم و مُعطى النبيذ للبشر ، فأسهم فى إسكان الاحزان ، و إسباغ البهجة و الحب على كل الناس . و تؤكد الجوقة قول الرسول ، و تؤيد عظمته كأى إله آخر .

و فى كبرياء و صلف ، يرى الملك أن ما تفعله الباخيات إن هو إلا إهانة موجهة للإغريق ، لا تمحوها إلا الحرب ، و يُعلن أنه سُيحارب الباخيات و يأمر باستعداد الرجال من حملة الدروع و الفرسان ، و حاملوا الأقواس . و يُخاطبه ديونيسوس محذراً بأن يستمع إلى صوت العقل ، و لا يندفع لإشعال حرب خاسرة ، بل يتنبأ له بالهزيمة و فرار رجاله المسلحين أمام مخاصر النساء ، و لكن الملك لا يستمع إلى النصح ، و يتمادى فى

غيه، و يصر على الذهاب حيث الباخيات سراً أو علانية لا يهم . يطلب منه ديونيسوس ارتداء ملابس نسائية من الكتان الفاخر ، و يضع الجدائل الطويلة من الشعر ، و عصابة تُحيط الرأس ، و مخصراً في اليد ، و جلد غزال أرقط ، و هكذا يبدو بعدها كامرأة ، يرفض الملك و لكن ديونيسوس يُغريه على قبول الاقتراح . يخرج الملك ، بينما يعلن ديونيسوس للنسوة أن الرجل قد وقع في الفخ ، و أنه سيذهب إلى الباخيات حيث يلقى مصرعه ، ثم يتضرع الغريب للإله كي يجعله يجن أولاً ، و ذلك سيساعده على ارتداء ملابس النساء ، و يقرر الغريب الخروج ليُساعد الملك في ارتداء الثوب ، و بعد أن يلقى مصرعه على يد أمه ، سيعرف حقيقة الإله ديونيسوس ابن زيوس ، إنه شديد البأس و رحيم بالبشر . يخرج ديونيسوس إلى القصر ، و تبدأ الجوقة في نشيدها الذي يدور حول بطش الآلهة ، و أن سكوتها ليس إلا مهلة ، يأتي بعدها العقاب لأولئك المتعالين من البشر ، الذين يُشجعون على الإلحاد . يظهر ديونيسوس منادياً بنثيوس ليخرج من القصر و يمثل بين يديه مرتدياً زي امرأة من تابعات باخوس ، و يشبه واحدة من بنات كادموس . يظهر بنثيوس ، و يتحدث عن إزدواج الأشياء أمام عينيه ، فيؤكد له ديونيسوس أن الإله موجود ، و أن ما يراه الملك هو ما يجب عليه أن يراه . يساعده ديونيسوس في إحكام العصابة على رأسه ، و في ترتيب ثيابه حتى يبدو كباخية حقيقية ، و ينصحه بالاختفاء بين أشجار الصنوبر ، للتلصص على النسوة ، و يأمره ديونيسوس ليتبعه ، و يتنبأ له بمصيره ، سوف يعود محمولاً بين يدي والدته ، ثم ينادي على أجافي و بنات كادموس، معلنا أن النصر سيكون له و لبرومبوس . و تطلب الجوقة من كلاب الجنون (١) أ صابة بنات كادموس بجنون مؤقت ، ليندفعن نحو ذلك المتلصص الذي يتجسس عليهن و هو يرتدي ملابس النساء ، و لتكن أمه أول من تراه ثم الباقيات ، ثم تناشد العدالة أن تأتي بسيفها كي تطعن ذلك الملحد ، المتمرد ، الظالم ابن اخيون ، ذلك الذي يعارض طقوس باخوس . تناشد الجوقة باخوس للظهور على هيئة ثور ، أو أفعوان متعدد الرؤوس ، او أسد ، تدعوه ليأتي مبتسماً ليرى مصير منكره . يدخل الرسول و يتبادل الحوار مع الجوقة حول موت بنثيوس ، فتسعد الجوقة بما سمعت ، بينما يتعجب الرسول لسعادة الجوقة بالخبر ، و تسأله الجوقة عن كيفية وقوع

---

١ - المقصود هنا ربة الجنون ليسا و كلابها المسعورة التي تحاصر ضحاياها حتى تذهب عقولها .

الحادث ، فيسرد عليهم قصة المعجزة التى أتاها الغريب حينما جذب فرع شجرة بلوط عالية نحو الأرض ، ليجلس عليه الملك ثم ترك الفرع ينساب إلى أعلى ، حتى أصبح الملك فى مكان يسمح له برؤية ما يجرى على ضفاف الوادى ، و انكشف أيضاً مكانه للجميع ، ثم سمع الرسول صوتاً أيقن بعده أن ديونيسوس يعلن للنسوة أنه قاد إليهن من يستخف بهن و بالإله ، و دعاهن للانتقام منه ، و فجأة رأى الرسول انبعاث ضوء لهب مقدس من الأرض ليصل إلى السماء ، فنهضت الباخيات و جلن بنظراتهن فى كل مكان ، فنادى الإله مرة أخرى ، فتحركت النسوة و معهن أجافى ، و فى سرعة عبرن الوادى المبتل إلى حيث بنثيوس ، و رجموه بالحجارة و بأغصان البلوط و بالمخاصر ، ثم حطمن فى النهاية شجرة الزان ، و لكنهن لم يصلن إلى صيدهن ، فصاحت أمه أجافى فى العابدات أن يقفن على هيئة دائرة ، ثم امتدت الأيدى لتقتلع الشجرة ، و سقط بنثيوس ، و كانت أمه أول من انقضت عليه ، فنزع العصابة التى كانت تُخفى رأسه ، لتتعرف عليه أمه ، كما اخذ فى التوسل إليها ، و لكنها تحت تأثير روح باخوس ، لم تلتفت إلى توسلاته ، و انتزعت ذراعه ، و هكذا فعلت الأخريات و هن يصحن صيحات النصر ، لقد مزقته تمزيقاً ، و كانت الرأس من نصيب أمه أجافى . و يُنهى الرسول رسالته ، بأنه سيهرب قبل أن تعود أجافى إلى القصر ، و يختم حواره بأن اعتدال الفكر و احترام الآلهة أمر واجب .

تدعو الجوقة إلى الرقص تكريماً لباخوس ، و انتصاره على عدوه ، و تُعلن قدوم أجافى ، التى تبدو مزهوة بصيدها ، و دون وعى بما اقترفته يداها ، و تنادى على أهل طيبة بناء على نصيحة الجوقة ، كى يشاهدوا صيدها التى اقتنصته هى و بنات كادموس بأيديهن ، ثم تدعو ولدها بنثيوس أيضاً ليأتى مع الآخرين كى يحمل الرأس و يثبته بالمسامير فى إفريز القصر .

يظهر كادموس ، تتبعه مجموعة من الخدم حاملة بقايا جسد بنثيوس ، التى تبعثرت فى أدغال كيثايرون ، و ما أن تراه أجافى ، حتى تثنى عليه لإنجابه بناتاً عظاماً ، قمن بعمل عظيم ، و تناوله الرأس كى يعلقها على جدار قصره ، يتحسر الجد على مصير حفيده ، و على ما فعلته أمه به ، و ينبه أجافى أن فعلها هذا سيجلب لها الأسف الشديد ، و يدعوها إلى النظر بإمعان فيما تحمله بين يديها ، و تفيق الأم ، و تعود إلى رشدها لتدرك حقيقة ما فعلت ، إن الرأس رأس بنثيوس ، و تصيح " من قتله ؟ " فيرد الشيخ ،

بأنها و شقيقاتها فعلن ذلك ، و يقص عليها قصة محاولة بنثيوس السخرية من الإله و من طقوسه ، و يشير لها على جثة ابنها الممزقة ، و يستعيد الجد ذكرياته مع حفيده ، و رعايته له ، ثم ينتهى بقول حكيم :

" لئن كان هناك من يزدرى شأن الآلهة ، فليتعظ بعد أن شاهد موت ذلك الرجل "

يتحدث ديونيسوس عن المستقبل ، ثم يتجاذب الحديث مع كادموس الذى يعترف بخطأهم ، و أن عقابه لهم كان قاسياً ، ولا يليق أن تغضب الآلهة غضب البشر ، فيرد عليه ديونيسوس بأن زيوس هو الذى سن هذا العرف ، ثم يخرج ديونيسوس .

تودع الأسرة قصرها فى يأس ، و هما يبكيان ، بينما تختم الجوقة المسرحية .

أهم ما يلاحظ على هذه المسرحية :

أولاً : تاريخ عرض المسرحية :

١ - قدمت هذه المسرحية حوالى عام ٤٠٥ ق.م .

٢ - هى من النصوص الأربعة التى تركها الشاعر بعد وفاته و لم تعرض .

٣ - يُقال إن ابنه أو ابن أخيه ، قدم هذه المسرحية و مسرحية افيجينيا فى أوليس ، و الكمايون فى أثينا .

٤ - يرجع بعض النقاد أن يوريبيديس قد نال بعد وفاته أول جوائزه عن هذه المسرحية .

٥ - ترى بعض الآراء أن الشاعر قد كتب هذه المسرحية عام ٤٠٨ ق.م ، بعد مغادرته لأثينا ، و استقراره فى بلاط الملك أرخيليوس فى مقدونيا .

ثانياً : أصل المسرحية :

تدور هذه المسرحية حول الملك بنثيوس ابن أجافى و أخيون ، و كان قد اعتلى عرش مدينة طيبة بعد أن تنازل له جده كادموس ، كان الملك يافعاً ، لذا فهو بلا تبصر للأمور يتصدى لعبادة الإله ديونيسوس ، محاولاً وقف انتشارها فى مدينته ، برغم أن ديونيسوس هذا ابن خالته سميلى . منع الملك نسوة المدينة من الاشتراك فى

شعائر المريدات لهذا الإله . و برغم ذلك اندفعت أمه أجافى و خالتيه اينو و اوتونوى إلى جبل كيثايرون ليمارسن الشعائر مع باقى المريدات ، بل و انضم إلى الدين الجديد كل من جده كادموس ، و العراف تيريسياس . و فى محاولة للسيطرة على الأمور يعتقل ممارسات العبادة ، و لكنه يفاجئ بالقيود الحديدية قد تكسرت ، و انفتحت مصاريع أبواب السجن بطريقة غامضة . و يحاول الملك التجسس على المايندات (١) ، و يساعده فى ذلك ديونيسوس الذى يدبر له فى ذات الوقت مكيدة انتقامية .

تلمح أجافى و أختيها الملك فى مخبأه فوق الشجرة ، فيصور لهن جنونهن أنه أسد كاسر ، فيندفعن نحوه و يجذبنه ، و يقطعنه ، و تخطف أمه الرأس مُعلنة فرحها و انتصارها . إن قدوم الإله ديونيسوس أو باخوس إلى بلاد الإغريق ، من الأساطير القديمة التى جاءت فى أشعار هوميروس ، و قد اعتاد الشعراء و الفنانون تناولها و صياغتها فى أعمال مسرحية أو لوحات فنية .

و قد ورد أيضاً اسم لوكورجوس (٢) ملك تراقيا على لسان هوميروس ، كواحد من معارضى ديونيسوس أيضاً و ما حل به من عقاب بعد ذلك ، إذ أفقده زيوس بصره ، و مات بعد ذلك بقليل . هكذا قالت الإلياذة (١٢٩/٦ -١٤٠) .

و هكذا نال كل من تعرض أو قاوم ديونيسوس للأذى و لقى حتفه .

إذن ، هذه القصة معروفة للمشاهد الإغريقى ، فقد تناولها الشعراء ، و لكن كل بطريقته ، و يختلف هذا التناول باختلاف العصر و البيئة التى قدمت فيها .

ثالثاً : المنظر الذى تجرى فيه الأحداث :

أمام قصر الملك بنثيوس ملك مدينة طيبة ، التى كانت تسمى من قبل كادميا . حيث نشاهد قبراً يتصاعد منه الدخان . و تُحيط به أغصان العنب ، وتلتف حول الأعمدة و الأسوار .

---

١ - تكتب أحيانا المايناديس .

٢ - يجب عدم الخلط ما بين هذا الاسم و اسم المُشرع الإسبرطى أو الخطيب الأثينى الذين يحملان نفس الاسم .

رابعاً : أهداف الفكرة الرئيسية :

١ - على الإنسان تدبر الأمور بحكمة و روية ، و لا يقف أمام التيار .

٢ - إن الشواهد و الإشارات المؤيدة ، لابد أن تكون في اعتبار الإنسان عند الحكم على الأشياء ، فلا يصم أذنيه ، و يركب رأسه بسبب الغطرسة و التعصب الأعمى .

٣ - إن كل جديد يقابل بشئ من التحفظ ، و لكن لا يجب أن يرفضه الإنسان دون دراسة .

خامساً المناقشة و التحليل :

١ - يعتبر موضوع المسرحية ، من الموضوعات الشيقة في المأساة الإغريقية بسبب :

أ - التفسير المثير و المُحير للأحداث .

ب - روعة و قوة الأغاني الشعرية ، التي كتبها الشاعر ، و التي تؤخذ أحياناً على أنها اعتراف صريح منه بهجره لمبدأ الشك الديني ، الذي اعتنقه يوماً ، و عودته إلى المعتقدات التقليدية.

٢ - من المقدمة يبدو و كأن ديونيسوس يصرح بالأحداث المستقبلية ، التي ستقع ، و بالطبع إن انتهاك الشريعة و القانون الطبيعيين ، لابد و أن يتبعه عقاب ، طبقاً لقانون الضرورة ، إذ أن المجتمع الإغريقي كان يؤمن بالجبرية أو القضاء و القدر .

٣ - جعل الشاعر المقدمة الاستهلالية ، وسيلة كي يقدم الإله ديونيسوس نفسه للمشاهدين ، و تعمد أيضاً أن تكون طويلة (٦٣ سطراً) ، كي تتسع لمزيد من التفاصيل التي يريد الشاعر طرحها. و منها يعلم المشاهد موقف بنثيوس إزاء الديانة الوافدة ، كما وضع في نفس الوقت تنبؤات متشائمة ضد من يقاوم و يتحدى الإله . (سطر ٤٥) ، بل أورد الشاعر جملاً بعينها ، و كررها مرات و مرات كفكرة مسيطرة خلال تطور الأحداث ، و كلها تدور حول قصة سميلي و زيوس ، و الفساد المصاحب للديانة الجديدة .

أيضاً اشتملت المقدمة على قرار قطعي اتخذه ديونيسوس ، و هو العين بالعين و السن بالسن ، إذ أعلن أنه سيقود مريداته ضد قوة المدينة إذا ما هب الجيش ضد دعوته :

ديونيسوس : " إذا أرادت مدينة طيبة فى ثورة غضب أن تستخدم "
" السلاح فى طرد الباخيات من المناطق الجبلية ، "
" فسوف أقودهم بنفسى أثناء القتال " . (سطور ٥٠
" ٥٣) " .

إذن ، ترك ديونيسوس حسم الخلاف كلية لبنثيوس ، و هذا من الناحية الدرامية ، كان أكثر تأثيراً ، فالمشاهد يعلم مسبقاً أن مصير بنثيوس مرهون فى ذات الوقت بقراره ضد الباخيات .

٤ - إن دخول بنثيوس الأول ، و هو فى حالة هياج و توتر ، و إدانته الجريئة للعبادة الجديدة ، يبدو متناقضاً مع بعد النظر و الحكمة ، خاصة إذا ما قورن بموقف كل من تيريسياس و كادموس ، المتسم بالتروى و العقل . و على هذا ، لا يمكن إغفال حقيقة بنثيوس ، إنه سريع الغضب ، فاقد الثقة فى نفسه كرمز أساسى للعدالة فى هذه المدينة ، متغطرساً متعجرفاً تجاه إله و مريديه ، و هذا فى عرف المجتمع الإغريقى من الكبائر ، إن ظهور بنثيوس و هو مكبوح النفس ، فاقد الإرادة ، جعله مسئولاً عن خياره الأخلاقى ، فجاء العقاب ساحقاً بهدف خلق تأثيرات قوية فى نفس المشاهد ، و ترسيخ المفهوم الدينى لديه . على أية حال ، أفصح دخول بنثيوس الأول عن ذلك الهاجس الذى أقلقه، أو ما يمكن أن نُسميه مبرراته ، التى يسوقها كسبب لمحاربة الديانة الجديدة ، و الذى سيتمسك به طوال المسرحية ، هذا الخاطر المسيطر هو اعتقاده أن النسوة قد خرجن من ديارهن ، لا من اجل العبادة و التعبد ، بل من أجل إرضاء شهوات الذكور .

بنثيوس : ... " نساؤنا قد تركن بيوتهن سعياً وراء طرب باخى"
" زائف بين الجبال المدغلة ، يرتمين فى ذهول ، يمجدن"
"بالرقص إلهاً مستحدثاً ، ديونيسوس ، مهما تكن شخصيته،"
" وسط الجماعات الراقصة دنان خمر لا حصر لها تسعى"
" الواحدة منهن بعد الأخرى إلى أماكن منعزلة ليرضين "
" شهوات الذكور ، (سطور ٢١٥ - ٢٢٣) . "

إنه يكرر نفس الكلمات التى سبق و شوه بها سمعة سميلى ، و التى أشار إليها ديونيسوس فى المقدمة الاستهلالية (سطر ٣١) ، كحكم عام على جنون نساء طيبة .

٥ - المقابلة بين الحكمة و التهور وضحت جداً فـي قـرار بنثيـوس ، الذى أقلقه إنضمام نساء المدينة إلى عبـادة الـرب الجديـدة ، فقـد رأى إصدار أوامره بتدمير الأماكن التـى يمـارس فيهـا التطيـر (سطور ٣٤٥ و ما بعدها) ، ممـا يغضـب تيريسـياس فيتهمـه بالتعاسة و الجنون و الحمق ، و يطلب من الجد كـادموس التشـفع لحفيده و مدينته لدى الإله حتى لا يصيبه بسؤ .

٦ - من سياق الأحداث يمكن أن نستخلص عدة إشارات إلهيـة موحيـة لم ينتبه إليها بنثيـوس ، أو تغافلهـا المـرة تلـو المـرة ، بـدافع الغطرسة و عدم التبصر :

أ - **الإشارة الأولى** : ما ورد على لسان ديونيسـوس فـى المقدمـة الإستهلالية ، (من سطر ٤٥ و حتى سطر ٦٣) .

ب - **الإشارة الثانية** : ما ورد على لسان تيريسياس عنـدما نصـح بنثيوس باستقبال الإله و تقديم القرابين له ، و يُنهى قولـه بأنـه سعيد بامتثاله للإله هو و كادموس ، و أنهما سـيقيمان الشـعائر له . و أكد كادموس قول تيريسـياس محرضـاً حفيـده علـى الإنضمام لهما من أجل صالح الأسرة .

ج - **الإشارة الثالثة** : عندما يأمر الملـك رجالـه بـالقبض علـى النسوة المخمورات و الزج بهن فى السجون ، ثم القـبض علـى ديونيسوس ، و بالفعل ينفـذ الرجـال أوامـر الملـك ، و عنـد دخولهم بديونيسوس يعلن التابع " أن النسوة السجينات قـد نلـن "
" حريتهن ، فقد تحطمت مزاليج الأبواب دون أن تمسـها يـد "
" بشر . لقد أتى هذا الرجل بكثير من المعجزات إلـى مدينـة "
" طيبة ، لكن عليك تدبر بقية الأمور . (سطور٤٤٥-٤٥٠) .

د - **الإشارة الرابعة** : عنـدما أمـر بنثيـوس باعتقـال الغريـب و وضعه فى حظيرة الخيول ، رغم تحذير ديونيسـوس لهـم ، و وجوده فيما بعد حراً طليقاً يحاور الجوقـة (٦١١ - ٦١٦) .
لقد صرح ديونيسوس بوضوح عـن سـره فـى حـواره مـع بنثيوس:
بنثيوس : سوف نلقى بجسدك فى السجن و نحرسه .
ديونيسوس : سوف يُطلق الإله سراحى بنفسه حينما أشـاء أنـا ... الخ .

(سطور ٤٩٨ - ٥١٠) . و قد أكد بنثيوس هروب الغريب رغم كل الأغلال التى قيد بها ، و رؤيته له أمام القصر (سطور ٦٤٥ - ٦٥٥) .

هـ - **الإشارة الخامسة** : عندما دخل الرسول ، و نصح ديونيسوس الملك بأن يستمع إلى الرجل و يفهم كلماته جيداً .

و - **الإشارة السادسة** : عندما أعلن الرسول عن ثلاث معجزات مدهشة، قامت بهن الباخيات :

المعجزة الأولى : ضربت إحداهن الصخرة بمخصرها فتفجرت منها المياه الصافية .

المعجزة الثانية : ضربت الأخرى الأرض بعصاها المعروشة بالأغصان ، ففجر لها الإله ينبوعاً من النبيذ .

المعجزة الثالثة : نبشت الثالثة الأرض بأطراف أصابعها فانفجرت الأرض باللبن ، و انسابت من المخاصر المعروشة بأغصان اللبلاب سيول من الشهد الحلو .

و يختم الرسول حديثه بمناشدة الملك قبول هذا الإله فى مدينته، مهما كانت شخصيته ، " لأنه عظيم فى كل شئ ، " " و هو على حد قول العامة ، أعطى البشر النبيذ ، مسكن " " الأحزان ، فلو لم يوجد النبيذ ، لما وجد الحب ، أو أية بهجة" " بشرية أخرى على الإطلاق " .

ز - **الإشارة السابعة** : جذب الغريب فرع شجرة بلوط عالية نحو الأرض ليجلس عليه الملك ، ثم ترك الفرع ينساب إلى أعلى ، ثم ظهور اللهب المقدس من الأرض ليصل إلى السماء (سطر ١٠٧٠ و ما بعده) .

كل هذه الإشارات تفصح عن شخصية الإله و تؤكد ألوهيته ، و مع ذلك صم الملك أذنيه ، و أغمض عينيه عن تلك الحقائق الواضحة ، فهو منذ البداية رافضاً لكل شئ يتعلق بهذه الديانة، ثم تركيبته النفسية المتغطرسة ، تمثل خطأه المأساوى الذى سيقوده إلى حتفه . فشلت كل المعجزات التى رآها بنثيوس بعينيه ، أو تلك التى حكاها الرسول ، فى إقناع الملك باتخاذ موقف مغاير من ديونيسوس .

٧ - لجأ يوريبيديس الى أسلوب المنلوجات الطويلة التى تحمل فى طياتها العديد من الأحداث (منلوج الرسول ، ديونيسوس ، التابع).

٨ - يمكن القول بأن بنثيوس يمثل قوة القانون المحافظ ، و التقاليد الموروثة ، بينما يمثل ديونيسوس التطور الحضارى ، و التجديد الوافد المنطلق .

٩ - ظهرت بعض الأفكار السوفسطائية عن هذا الموضوع ، و هى تتعارض مع مقولات سابقة أيدها الشاعر بندار . إن القيمة الجديدة التى أضافتها هذه الأفكار للإنسان ، قد جعلته أكثر تحرراً. فها هو الشاعر يؤكد لنا أن الشرف و النبل أمور مكتسبة، ففى السطور ٧١٧ يردد الرسول كلام راعى ريفى حرضهم على القبض على المايناديات ، و ذكر الرسول أن هذا الرجل من المترددين على المدينة ، أى أنه يصم المدينة بأنها ملتقى نماذج بشرية متعددة ، و فيها يتعلم الإنسان الطيب ، الحيل و المكائد القذرة ، بينما القرية على النقيض ، منبع الطيبة ، فأين هذا الراعى من فلاح الكترا .

١٠ - برغم أن المأساة هى مأساة الملك بنثيوس ، إلا أن يوريبيديس قد جعل من ديونيسوس مناط الأهمية ، فأسند إليه مهمة إلقاء المنلوجات الطويلة ، ثم جعله يتواجد بكل قوة فى النهاية ، كما أنه سيطر على تحريك الأحداث .

١١ - إن ذروة المسرحية تظهر واضحة ، حينما يأمر بنثيوس باستنفار جيشه لمهاجمة النسوة ، و هذا ما طرحه ديونيسوس فى المقدمة (سطر ٥٠ -٥٢) ، و قد حذر ديونيسوس الملك بأن الإله سوف لا يتسامح معه لارتكابه هذه الخطيئة . لا يستمع الملك لهذا التحذير ، بل يتمادى فى غيه و يأمر أن يأتوه بدرعه (سطر ٨١) :

بنثيوس : أحضروا سلاحى إلى هنا .

ثم يأمر أيضاً ديونيسوس بعدم الكلام .

عند هذه النقطة من الصراع يحدث التحول الهائل فى سلوك ديونيسوس ، فالرزين الهادئ انقلب إلى شرس مرعب مخيف ، و رغم ذلك ، فإن أول سطر ينطق به عندما يشرع فى تنفيذ خطته لاسكار بنثيوس ، من أروع سطور هذه المسرحية ، ففى هدوء شديد يؤكد قدرة و طاقة ديونيسوس و ثقته فى نفسه .

ديونيسوس : هيه ... أتريد أن تراهن و قد اجتمعن فى الجبال ؟
إن طرح هذا السؤال يجعلنا نقرر أن ديونيسوس قد لمس أضعف نقاط شخصية بنثيوس ، إنه حبه و تطلعه لأن يكون فاضلاً و حارساً للأخلاق ، و هذا بالتأكيد غير الحقيقة ، إنه فضول الملك ، فهو تحت نوبة من نوبات إله الخمر يكشف عن تشوش عقله ، و عن رغباته الدفينة التى قهرها الكبت .
إنها لحظة تعيسة طرحها الشاعر بذكاء ، فالرجل ثمل ، و قد حلت الخمر مغاليق الوجدان ، فتاقت نفسه للتجسس على المريدات ، بل لم يتأفف من أن يلبس ملابسهن فى سبيل تحقيق رغبته العارمة .
إن المشهد ملئ بالسخرية الدرامية فمثلاً :
بنثيوس : " سوف أشعر بمرارة لا حد لها عندما أشاهدهن مخمورات " . (سطر ٨١٤) .
لقد قضى ديونيسوس على ما بقى لدى بنثيوس من أخلاقيات ، إذ أن ارتداء ملابس النساء معناه فقدانه لكل حياء ، بل هو دليل على فقده السيطرة على مقاليد نفسه ، و تركه مقود عنانه لديونيسوس الذى تسلط عليه . (سطور ٦٥ و ما بعدها) ، و قاده إلى قدره المحتوم و هو يرتدى زى النساء .
و لعل من المشاهد و العبارات التى أسهمت فى بناء الذروة تلك الصلاة التى توسل فيها للآلهة كى لا تصيب المدينة و الملك بنثيوس بأى أذى ، إذ أن ذلك يجعل انقلاب الحظ فيما بعد أكثر تأثيراً .
أيضاً نلاحظ أن الشاعر قد رسم شخصية بنثيوس بشكل يتفق مع ما هو مسند إليه من فعل ، فهو منذ البداية رافضاً لديونيسوس و عبادته ، و برغم المحاولات العديدة التى تضغط عليه نفسياً و عصبياً كى يتوقف عن التصدى للإله ، نجده يزداد تصميماً ، و هكذا ، و مع توالى الأحداث ، نجد أنه لا مفر من وقوع المأساة، هذه المشاهد ساعدت فى بناء ذروة عاطفية . فما أن جمع بنثيوس جيوشه لبدء المعركة ضد المتعبدات ، حتى أصابه الإله بخبل فى عقله .

١٢ - فى المسرحية مواجهة درامية مكثفة و إن كانت غير متكافئة ، فأحد الشخصيتين ليس نداً للآخر .

١٣ - إن قدوم الرسول من المروج و الوديان ، و تلاوته الخطاب الأول ، فجر صراعاً جديداً .
١٤ - كشف الشاعر خلال حوار الرسول ، عن فهمه الواعى و العميق لأسرار عبادة ديونيسوس ، و هذا أمر طبيعى ، إذ أن يوريبيديس قد عاش هذه الاحتفالات أثناء إقامته فى مقدونيا .
١٥ - تعددت الأراء حول هدف المسرحية ، فهناك من يقول إن يوريبيديس قد قصد مهاجمة ديونيسوس ، فصوره فى عنفوان قوته و قسوته التى تتفق مع عظمة و قسوة الآلهة . فهو لم يتسامح أو يعفو عن معارضيه ، مما جعل إله ظالم ، يُجافى العدالة . و فى رأيهم ، أن هذا التناول يتفق مع موقف الشاعر من الدين .
و لكن ، هناك رأى أخر يناقض هذا الرأى ، إذ اتخذ من أناشيد الجوقة ، و خطب الرسول ، دليلاً على موقف يوريبيديس الدينى من هذه العبادة ، و أن هذه المسرحية نوع من المصالحة بين الشاعر و الدين بعد فترة إلحاد و إنكار .
١٦ - تمثل العناصر التراجيدية فى هذه المأساة فيما يلى :
أ - صراع يمتد طوال عرض المسرحية ، يعلو فى لحظات خاصة عندما يدور الحوار بين بنثيوس و شبيه الإله ديونيسوس ، أو فى خطاب الرسول .
ب - أناشيد جوقة متبادلة مع حوار تطوير الصراع .
ج - معاناة تتمثل فى مصرع بنثيوس و تمزيق الباخيات لجسده ، و قطع رأسه بيد أمه ، و هذا ما يرويه الرسول كعادة شعراء المسرح أمام المشاهدين .
د - حزن يتمثل فى حوار الجد كادموس .
هـ - تعرف و تحول ، حينما تدرك أجافى أنها قتلت ولدها بيدها، فتتحول سعادتها بالفعل إلى ندم و حزن و شقاء .
١٧ - تنتهى المسرحية بجمل ذات معانى تكررت مع بعض التحويرات فى كثير من مسرحيات يوريبيديس ، مثل ميديا ، و اندروماخى، و هيلينى . فمثلا فى مسرحيتنا هذه :
الجوقة : " صورة الآلهة كثيرة . و الآلهة تنجز أعمالاً كثيرة ، "
" و ما نتوقعه من أحداث لا يقع ، و للإله وسيلته فى "

" إنجاز ما هو متوقــع ، و هكــذا تنتهــى روايتنــا " .
و نقارن هذه النهاية ، بنهاية مسرحية اندروماخى :

الجوقة : " ما أكثر الهيئات التى يتبدى عليها الآلهة ، و مــا أكثــر ما يأتون به مخالفاً لتوقعاتنا ، فذلك الــذى كنــا نحســبه سيكون ، إذا به لا يحدث ، أما غير المنتظر فى نظرنــا فإنه يجد السبيل إلى الصيرورة بفضل إله مــا . و تلــك خلاصة ما حدث اليوم . "

١٨ - يقال إنه فى عام ٤١٥ كتب شاعر مغمــور يــدعى اكســينوكليس مجموعة من المسرحيات من بينها مسرحية باسم باخوس ، و قــد نال بها الجائزة الأولى ، بينما نال يوريبيديس الجائزة الثانيــة عــن مسرحيته الطروادیات . و يلاحظ أن كلا الشــاعرين قــد وضــع مسرحيته عن باخوس فى أخر السلسلة .

و يحمل لنا التاريخ أن أوفــون ابــن ســوفوكليس قــد كتــب مسرحية باسم باخوس أو بنثيوس . كما أن العديــد مــن شــعراء المأساة قد تناولوا هذا الموضوع سواء أكــانوا مــن الإغريــق أو الرومان ، و لعل أهم شعراء الرومــان الــذين كتبــوا فــى هــذا الموضوع ، باكوفيوس ، و اكيوس ، و قد اعتمدا على مســرحية يوريبيديس .

١٩ - هناك من يرى أن الموضوع دخل دائرة اهتمام كتــاب المســيحية الأولى و قد عالجوه بشكل يتفق و تعاليم الديانة المسيحية .

سادساً : الجوقة :

١ - تتكون الجوقة من مريدات للإله ديونيسوس ، متحمســات لعبادتــه ، و هن خليط من نسوة أتين من تمولوس (١) و هى على حــد قــول الشاعر " بلاد غير إغريقية " (سطر ٥٧) . و قد أضــاف إلــيهن الشاعر مجموعة من نسوة مدينة طيبة بما فيهن خالات الإلــه مــن آل كادموس ، اجافى ، و أينو ، و أوتونوى .

٢ - برغم أن المسرحية مــن الأعمــال الأخيــرة ليوريبيــديس إلا أنــه اعطى للجوقة دوراً هاماً فى سير الأحداث . فقــد جعلهــا المــرآة التى تعكس كل التغييرات التى تطرأ على الحالة المزاجية للإله ،

---

١ - سلسلة جبال تقع بمنطقة لوديا بآسيا الصغرى ، و تشتهر بزراعة الكروم .

و يبدو ذلك واضحاً منذ البداية و حتى الانتصار الوحشي للعابدات .

٣ - أناشيد الجوقة وثيقة الصلة بموضوع المسرحية . كما أضافت كثيراً للصفات الشعرية فى المسرحية .

٤ - تُطرى الجوقة و تثنى و تمجد التعاليم الدينية التقليدية ، و يتكرر ذلك ، و هذا لا يعنى أن الشاعر قد اكتشف الحقيقة و رجع عن أفكاره الجديدة . بل هو تكرار قصده الشاعر ، و وضعه عامداً ليؤكد به غباء مدعى الحكمة و الفضيلة بنثيوس ، الذى يكتشف بنفسه أيضاً و قرب النهاية بأنه لم يكن كما يظن ، حكيماً أو فاضلاً ، بل إن نصيبه من هاتين الصفتين ، اقل بكثير مما يتمتع به الرجل العادى .

٥ - إن أغنية جوقة الباخيات ، واحدة من أطول الأغانى عند يوريبيديس (١٠٦ سطر) ، و قد اتسمت بصوفية حماسية بسبب التعصب و الهوس الذى أثاره معبودهم و عبادته فى نفوسهن ، و هى فى ذات الوقت دعوة لأهل طيبة كى ينضموا إلى عبادة ديونيسوس ، و هى أيضاً تحذير لهم . و قد رأينا كيف دخل كل من العجوز تيريسياس و صديقه كادموس و هما يلبسان ثياب الطقوس ، و يضعان تاجين من اللبلاب فوق رأسيهما ، و يرقصان بالمخصر . إنها تبدو و كأنها استجابة لدعوة الجوقة .

٦ - رددت الجوقة كلمات تيريسياس المشئومة عندما دعت القداسة ، سيدة الربات (١) (سطر ٣٧٠) ، كى تشهد إساءة بنثيوس فى حق ديونيسوس ، و تقترح المصير الذى ينتظره بسبب غباءه ، و عدم إدراكه للحكمة .

هذه الأغنية استمرت ٦٤ سطراً و يمكن أن نقول إنها الفاصل الأول (استاسيمون) .

و يلاحظ أن الجزء الثانى من هذه الأغنية ، يمكن اعتباره قداساً تحتفل فيه الجوقة بديونيسوس كرفيق لأفروديتى و ربات النشوة و الرغبة (سطور ٤٠٢ ٤١٥) ، و تختم الجوقة الأغنية بأنه إله سلام ، يمنح الغنى كما يمنح أيضاً الفقير .

٧ - رفضت الجوقة أسلوب مقابلة الملك لديونيسوس ، و مقاومته

---

١ - دأب الإغريق على تجسيد المعنويات كالعدالة ، الرغبة ... الخ .

لعبادته ، ثم ناشدت الإله ديونيسوس أن يأتي و يحطم ذلك الذى تجرأ و هاجمه ، و تعتبر هذه الأغنية هى الفاصل الثانى للجوقة ، و يستمر هذا الفاصل سبعة و خمسين سطراً . و كأن الإله قد استجاب لمناشدة الجوقة فزلزل الأرض ، و حطم أعمدة القصر ، و أشعل النار فى قبر سميلى ، لذا خرت الجوقة راكعة على الأرض أمام تلك العلامات الإلهية .

٨ - أما الفاصل الثالث فهو يصل إلى حوالى خمسين سطراً (٨٦١ - ٩١١) و هو يدور حول فرحة الانتقام من العدو ، و يبدأ بعد اختفاء بنثيوس و ديونيسوس داخل القصر .

٩ - يبدأ الفاصل الرابع و يقع فى سبعة و أربعين سطراً بتصوير مصير بنثيوس عندما يذهب إلى جبل كيثايرون و يرى النسوة يصلين من أجل العدالة و الانتقام من الملحد ، الكافر ، بنثيوس ، ذلك المتمرد على النواميس ، الظالم . (السطور ٨٦٣ - ٩١٠).

١٠ - بعد خطاب الرسول الذى يعلن طهارة المايناديات ، و الذى وقع فى ثلاثمائة تسعة و ستين سطراً ، و يعتبر خاتمة أخيرة ، نسمع قصة مقتل بنثيوس ، هذا المشهد بالإضافة إلى نشيد الجوقة (سطور ٩٧٦ - ١٠٢٣) ، يهيئان المشاهد لما يلى من أحداث . فبعد أغنية شاعرية قصيرة و رقيقة (السطور ١١٥٣ - ١١٦٥) ، تدخل اجافى و فى يدها غنيمتها و تشارك الجوقة أغانيها ، ثم تتبادل الحوار حول فعلتها مع أبيها كادموس فى بهجة غريبة ، تعتبر فى نفس الوقت سخرية درامية ، و تتشبه إلى حد ما جنون اوفيليا فى مسرحية هاملت .

سابعاً : الحوار :

١ - استخدم الشاعر الوزن الترواخى أحياناً خاصة فى المشهد بين ديونيسوس و بنثيوس بعد أن فك الإله قيوده و ظهر على هيئة رجل غريب

هذا الوزن تناسب مع حجم القلق الذى اعترى الجوقة . ٥٧٦ - ٦٤٠ .

٢ - اتسم الحوار بالشاعرية و البلاغة خاصة ما جاء على لسان الرسول ، أو دار بين بنثيوس و ديوميسوس ، ثم الخطاب الثانى

للرسول ، و المشهد الذى تدخل فيه اجافى و فى يـــدها رأس ولـــدها معتقدة أنه رأس الأسد الذى اقتنصته .

هذا كله يجعلنا نقرر أن المسرحية تتسم بجودة الشعر و اللغة .

١٧- أفيجينيا فى أوليس (١) :

تبدأ المسرحية أمام خيمة أجاممنون على ساحل البحر فى أوليس ، و على غير العادة يُطالعنا حوار بين أجاممنون و أحد تابعيه يدور حول النجم سيريوس الذى ينطلق نحو البلياديس ذى الشعب السبع ، و يتطرق حديثهما عن الهدوء الذى يحيط بالمكان ، و قلق الملك ، يدعوه التابع للدخول إلى الخيمة و للخلود إلى الراحة . يعلن أجاممنون أنه يحسد كل رجل يحيا حياة آمنة بلا شهرة و بلا صيت ، و هو فى ذات الوقت لا يحسد أولئك الذين يشغلون مراكز عليا ، فهم دائماً محاطون بالمخاطر ، معرضون للحزن . ثم يعرج التابع على قلق و تذبذب أجاممنون ، و يسأله إذا كان هناك ما يزعجه ، أو أنباء تثيره ، و يذكره بأنه الخادم الوفى الأمين الذى جاء مع كليتمينسترا يوم أرسلها تينداريوس ملك إسبرطة لتُزف إليه . و يروى اجاممنون قصة زواج هيلينى من مينيلاؤس ، ثم قصة خطف باريس ابن بريamوس لهيلينى من منزل الزوجية . إن أجاممنون على رأس جيش كبير تجمعوا فى أوليس فى انتظار الريح المواتية لتدفع السفن نحو طروادة لاسترداد هيلينى . و قد أكد لهم العراف كالخاس أن من الضرورى تقديم الابنة أفيجينيا كقربان لارتيميس كى تسمح للرياح بمساعدة القوارب فى الإقلاع . رفض أجاممنون فى البداية ، ثم اقتنع بعد توسلات أخيه مينيلاؤس ، و أرسل كتاباً إلى زوجته كليتيمنسترا كى ترسل الابنة بحجة زفافها إلى أخيليوس ، و هو زواج وهمى .

يناول أجاممنون الرسالة للتابع ، و يطلب منه الذهاب بها إلى أرجوس، إن مضمون الرسالة يناقض الرسالة الأولى ، فهو يطلب منها ألا ترسل الابنة . يحذره التابع من غضب أخيليوس إذا علم بالأمر . يأمر أجاممنون تابعه بالمضى بأقصى سرعة ، و ينبهه إلى مراقبة الطريق ، فإن قابل موكب الفتاه ، عليه أن يقود عربتها بمنتهى السرعة عائداً بها إلى أرجوس ، و عليه أيضاً أن يحافظ على الختم الذى يحمله على الصحيفة حتى تصدق زوجته و ابنته الرسالة . يخرج التابع، ثم يخرج أجاممنون بعده . تدخل الجوقة ، و هن مجموعة من نساء خالكيس و تعلن قدومها من ذلك البلد

---

١ – نعتمد فى تلخيصنا لهذه المسرحية على ترجمة ، اسماعيل ، البنهاوى ، يوربيديس – ٣ ، أفيجينيا فى أوليس ، أفيجينيا فى تاوريس ، مطبوعات وزارة الإعلام الكويتية، سلسلة من المسرح العالمى ، العدد ١٦٦ ، يوليو ١٩٨٣ .

إلى الشاطئ أوليس لتشهد جيش الأخيين و السفن التى ستقل أبطاله ، تحت قيادة كل من مينيلاؤس الأشقر ، و أجاممنون نبيل الأصل ، إن وجهتهما طروادة بهدف استرداد هيلينى . إن المنلوج بأكمله يدور حول وصف الجيش و معداته ، و تجهيزاته و حصر قواده و كل المشاركين فى هذه الحملة ، و السفن بشعازاتها المميزة ، كل ذلك حتى تنتقم هيلاس من تلك التى هجرت بيتها . يدخل مينيلاؤس و معه رسالة أجاممنون ، و خلفه التابع يلومه على أخذ الرسالة منه و فتحها ، و يطالبه بمناقشة الأمر مع صاحب الشأن ، و يتطور النقاش بينهما إلى حد التهديد بسفك الدماء ، و إذا بأجاممنون داخلاً و هو يتساءل عن حد الشجار ، يخرج التابع تاركاً الاثنين يتبادلا الحوار حول الرسالة و فحواها ، ثم يذكره مينيلاؤس بتشوقه يوماً لقيادة الداناتيين ضد طروادة ، و بسلوكه و تواضعه قبل أن يتولى القيادة ، ثم تغيره بعد وصوله إلى هدفه ، و تعاليه على من ساعدوه . ثم يذكره بالوعد الذى قطعه على نفسه بتقديم ابنته قرباناً لارتميس كى يبحر الأسطول، و ها هو يتنصل من وعده ، و يتذبذب فى قراراته . يلومه مينيلاؤس على تضارب تصرفاته التى تجعل منه غير صالح للحكم ، إذ أن من الضرورى أن يتمتع المسئول عن الدولة بحسن التقدير . تعلق الجوقة تعليقاً سريعاً على اختلاف الأخوة ، ثم يرد اجاممنون عليه لائماً على عدم قدرته على قيادة زوجته ، و يتهمه بالغيرة من شعبيته ، و ينتهى إلى تأبيد قراره السابق ، لن يذبح ابنته من أجل امرأة فاسدة ، و لن يتصرف ضد القانون و العدل . يتبادل الاثنان العتاب و اللوم ، يدخل الرسول معلناً قدوم افيجينيا و أمها كليتمنيسترا و الطفل اوريستيس ، و يعلن أنهم يستريحون عند نبع صاف المياه هم و خيلهم ، فقد كانت الرحلة طويلة و شاقة . يضيف الرسول أن الجيش قد علم بوصول الفتاه ، بل وأسرعوا إليها يستقبلونها ، و قد اختلفت الآراء فيما بينهم ، فمن قال أنه عرسها ، و آخر يقول إنها زيارة لوالد مشتاق طال به الوقت بعيداً عن بيته و أبناءه ، و يقول آخر ، إنها قرباناً لأرتميس ، ثم يدعو الرسول لبدأ المراسم ، و إعداد أناشيد الزفاف ، و لتصدح المزامير و ليرقص الراقصون . يخرج الرسول ، بينما يشكو أجاممنون من المأزق الذى وقع فيه ، فماذا سيقول لزوجته ؟ و كيف يستقبل ابنته ؟ و فى النهاية يلوم باريس بن برياموس الذى خطف هيلينى ، و قاده بفعلته إلى هذا المأزق . يتصافح مينيلاؤس و أجاممنون و يتعاهدان ، و يقسم مينيلاؤس ببيلويس الجد ، و بالأب اتريوس أن يقول الحق ، لقد تألم لألم أجاممنون و أشفق عليه ، و يعلن تراجعه عن إصراره ، و يعفى

أجاممنون من ذبح ابنته . فمن غير العدل أن تموت بينما يظل أبناؤه أحياء ، و يتهم نفسه بالجنون لانه كان سيخسر أخاه من أجل هيليني الخائنة ، و يعلن أن تحوله هذا ما هو إلا إظهاراً لحبه لشقيقه أجاممنون . يشكره أجاممنون على شعوره الطيب ، و لكنه يعتذر بأنه أمام قدر لا يرد ، يلزمه بذبح ابنته قرباناً . فالجيش علم بمقدمها ، و سينبئ كالخاس الجيش بنبؤاته ، كما سيطلع أوديسيوس ابن سيسيفون ليخبر الآخيين بأننى تقاعست عن تقديم القربان ، و من ثمة قد يقتلنى الأرجيون و يضحوا بالفتاة . يطلب أجاممنون من شقيقه ألا تعلم كليتمنيسترا بالأمر حتى يتم المهمة ، ثم يستدير للجوقة و يأمرها بالتزام الصمت .

تبدأ الجوقة نشيدها عن ذلك الحب المعتدل ، و المشاعر المكبوحة ، ثم تتوسل لكيبريس أو القبرصية - نسبة إلى مولدها - و هو اسم لافروديتى ربة الحب و الجمال و التناسل - كى تبتعد عن خدر عرسها ، ثم تتطرق الجوقة للحديث عن الفضيلة الحقة ، و التربية المتقنة التى تدفع بقوة نحو الفضيلة . تلوم الجوقة باريس الذى ذهب إلى هيلاس ، و وقف أمام القصر العاجى ، مما أشعل الحب فى عيون هيلينى ، و بالتالى أشعل أوزار الحرب بين هيلاس و طروادة . تدخل كليتمينسترا و ابنتها افيجينيا فوق عربة ، يحوطهما الاتباع ، و تطلب الجوقة من فتيات خالكيس الوقوف ليحملن الملكة من المركبة إلى الأرض ، و تحتوينها بين أذرعهن حتى لا تشعر افيجينيا بالخوف . تشكر كليتمينسترا الجوقة على رقتها و ترحيبها ، ثم تأمر خدمها بحمل بائنة العروس من العربة إلى الداخل ، و تطلب من ابنتها الترجل بمساعدة الجوقة ، كما تسلم ابنها النائم اوريستيس لإحدى فتيات الجوقة بعد محاولة إيقاظه ، ثم تعلن قدومها و العائلة وفق أوامر مليكها اجاممنون . يظهر أجاممنون ، فتسرع إليه افيجينيا ، ملقية بنفسها على صدر أبيها ، و تمطره بالكلمات الرقيقة ، و يبادلها الأب نفس الرقة ، فهى أحب أبناءه إليه ، و مع ذلك تلمح الحيرة والقلق بادية على كلماته ، فهو ينتزعها انتزاعاً ، و تغلفها الدموع و يدور الحوار بينهما حول بقاءه بين أولاده ، و نبذ الحرب التى تبعده عن وطنه ، كما يدور حول مصيرها الذى ينتظرها بكلمات غامضة ، تلميحا و ليس تصريحا ، إلى أن يصل إلى ما أبعد من التلميح ، و هو يطلب منها الدخول إلى المذبح حيث الفتيات ، تخرج أفيجينيا، و يستكمل أجاممنون حواره مع كليتمينسترا معتذراً لها عن حزنه فى اللحظة التى يجب ان يكون سعيداً . تطمئنه الزوجة أنه شعور عادى ، و هى ستمر به ، و يتطرق الحديث إلى العريس ، فبرغم معرفتها له ، إلا

أنها تود التقصى عن سلالته و وطنه ، و من رباه ، و بعد أن تعرف ما تريد من معلومات ، تبارك الزواج ، و تسأل الزوج إن كان قد قدم قرباناً للآلهة لتشارك فى زفاف الفتاه أم لا ؟ و يجيب أجاممنون أنه على وشك أن يفعل ، و هذا ما يشغله ، و أثناء بحث ترتيبات الزفاف ، يطلب الأب من زوجته العودة إلى أرجوس ، و لكنها تعترض ، ففى هذا اليوم بالذات ، يجب أن تبقى الأم إلى جوار ابنتها ، و تصر على رفضها و تخرج . يسقط فى يدى أجاممنون لفشله فى إقصاء الأم ، و يختم حواره بجملة مأثورة :
" ينبغى على العاقل أن يؤوى فى بيته زوجة نافعة طيبة ، و إلا فعليه أن لا يتزوج قط . "

يخرج أجاممنون ، و تبدأ الجوقة نشيدها حول تحركات الجيش و ما سيجرى من أحداث و مواقع بين هيلاس و طروادة ، و ما سينتظر قلعتها و مدينتها من خراب و دمار ، إن دموع الندم ستسقط مدرارة من مقلتى هيلينى ، و تلوم الجوقة الزوجة الهاربة هيلينى . يدخل اخيليوس بن بيليوس و يبحث عن قائد آخايا بين الخيام ليتحدث معه عن سبب بقائهم هكذا ، فقد تذمر الرجال . تدخل كليتمينسترا بعد أن سمعت صوت اخيليوس ، يتساءل الرجل ، من عساها تكون ؟ و يستغرب وجودها وسط حشد الجنود و هى امرأة . و تعرفه بنفسها ، فيستأذنها فى الرحيل ، بينما تبادره بالحديث عن الزواج ، و زفاف ابنتها إليه . يتعجب اخيليوس من قولها ، فهو خال الذهن تماماً عما تقول ، و يعلن أنه لم يتقدم لخطبة الفتاه ، تصاب كليتمينسترا بخيبة أمل ، و تشعر بالخجل ، و تودعه ، و يهم اخيليوس بالدخول إلى الخيمة بحثاً عن اجاممنون و لكن صوت التابع يطلب منهما التوقف ، و يعلن أنه عبد كليتمينسترا ، و يطلب منه اخيليوس الظهور ، و بالفعل يظهر وهو يبتهل ، و يهم بالركوع أمام سيدته ، معلناً ولاءه لها و لبناتها ، و عدم حبه لزوجها أجاممنون بنفس القدر ، ثم يعلن السر الخفى ، و ما ينتويه أجاممنون . تنهره الأم و يدفعها الفضول كى تعرف ما وراء قوله . يضيف التابع أن أجاممنون سيذبح ابنته بيده ، استجابة لنبوءة العراف كالخاس ، و حتى ترضى الإلهة أرتميس ، فتفك عقال الريح لتندفع السفن إلى عرض البحر ، و يسترد أهل هيلاس الهاربة هيلينى . لقد تحايل الأب بخدعة الزواج حتى تأتى الفتاة . لا تصدق كليتمينسترا ما يزعمه التابع ، و تحاول تقصى الحقيقة ، و معرفة مصدر أنباءه ، وكيف وقع فى التناقض و هو العبد المخلص . و يعتذر التابع بأن مينيلاؤس قد منعه من توصيل رسالة أجاممنون الثانية . يدور الحوار بين كليتمينسترا و أخيليوس ، و يلوم

كل منهما الأب المخادع ، و تتوسل إليه ليساعدها فـي كربتهـا ، و أن يمنـع القدر عن ابنتها . يعلن أخيليوس أنه تربى فى أبهاء خيـرون التقـى ، و تعلـم أن يكون له وجه واحد ، و يطمئن الأم الملتاعة أنه سينصفها ، و لـن تمـوت ابنتها بيد أبيها ، مادامت قد سميت زوجته ، و يقسم لها بحق نبريـوس (جـده لأمه) أن أجاممون لن يمس الإبنة بسؤ . و يتطرق فى حديثه إلـى العـراف ومهمته التى يحوطها الكثير من الزيف . و يعلن أن تصرفه هذا لا مـن أجـل الفتاة و لكن للإهانة التى ألحقها أجاممنون به ، دون أن يسـأله فـى اسـتخدام اسمه كوسيلة للخداع فى لعبته ، و يصل به الحد إلى إعـلان لجـوءه للسـيف ضد من يحاول اختطاف الفتاة . تثنى الجوقة علـى قولـه و شـهامته ، كمـا تفعل كليتمنسترا نفس الشئ ، و تعلن استعداد ابنتهـا العـذراء للركـوع عنـد قدميه متوسلة إن أراد ذلك . يرفض أخيليـوس عرضـها ، و يؤكـد صـدق عزمه على معاونتها ، و يقترح عليها مخاطبة عقل اجـاممنون ، و أن تتوسـل إليه كليتمينسترا ألا يقدم على ذبح ابنته ، فإن وافق فلا حاجة لتدخلـه . يخـرج الإثنان ، بينما تبدأ الجوقة فى إنشاد نشـيد الـزواج ، و تقـارن بـين زفـاف افيجينيا و زفاف أولى بنات نيريـوس ، و بـرغم أنـه زفـاف ، إلا أن الـدم سيكون الأساس فى الاحتفال . تظهر كليتمينسـترا مـن الخيمـة باحثـة عـن زوجها ، و معلنة أن الفتاة قد علمت بمصيبتها فانخرطت فى البكـاء ، يظهـر أجاممنون فتهرع إليه زوجته ، فيبادرها باستدعاء الفتاة ليجهزوهـا للعـرس ، فماء العسل و حبات الشعير و العجول التى ستنحر ، كلهـا فـى الانتظـار ، تنادى الأم على ابنتها ، فتدخل افيجينيا ، يسألها أجاممنون عن سـر حزنهـا ، و يلاحظ نفس الشئ على الأم كليتمينسترا ، تبادره الأم متسـائلة ، هـل حقـاً سيذبح ابنته ؟ و يحاور الأب و يداور هرباً من الإجابة ، و لكـن كليتمينسـترا تحاصره ، ثم تذكره بأيام زواجه منها ، و كيف تم هذا الزواج ، قتـل زوجهـا السابق تانتالوس ، و انتزع طفلها الرضيع من صـدرها ، و ألقـى بـه علـى الأرض بعنف و وحشية ، و عندما شرع أخواها فـى قتلـه ، أنقـذه أبوهـا تينداريوس ، ثم بعد توسلاته قبلته زوجاً لهـا ، و تـذكره أنهـا كانـت نعـم الزوجة ، صانت فراشه ، و أنجبت له الذرية الصـالحة ، و تعنفـه لأن تـثـن لتسترداد هيليني الشريرة سيكون واحدة من خيـر بناتهـا و أطهـرهن ، إنـه سيمضى إلى طروادة و يتركها وحيدة فى قصرها ، مع ذكراها الأليمـة ، بـل و ستترك هذه الحادثة أثرها فى نفسها و نفس بناتها ، و تناشده العـدول عمـا ينتوى ، حتى لا يفسد العلاقة الأسرية ، ثم تلومه ، لمـاذا ابنتهـا ؟ لمـاذا لـم تكن هناك قرعة فى اختيار القربان ؟ لماذا لم يضـحى مينـيلاؤس بهرميـونى

ابنته، من أجل استرداد أمها ؟ و تشـاطر الجوقـة الأم المتوسـلة ، و تحـث اجاممنون على الرضوخ لقولها . و ما أن تنتهى الام ، حتى تبـدأ الابنـة فـى التوسل لأبيها حتى لا يقتلها قبل الأوان ، فمـا أحلـى نـور الحيـاة الـدنيا ، و تذكره بجلسات الصفاء بينهما ، و التى كانـت تشـع بحنـو الأب و حبـه ، و فى معرض توسلاتها تستحلفه بكل مـا هـو عزيـز و غـال ، ببيليـوس ، و اتريوس ، و أمها ، باسم اورسـتيس الصـغير . و تلـوم الجوقـة هيلينـى الشقية ، بينما يحاول اجاممنون تبرير موقفه ، و أنـه مضـطر لتنفيـذ نبـوءة العراف كالخاس ، من أجل ضرورة وطنية . يخرج اجاممنون تاركـاً زوجتـه و ابنته ينعيان مصير الابنة . تواسيها الجوقة ، بينما تعلن الابنة قـدوم بعـض الرجال من بينهم اخيليوس ، الذى يعلن لكليتمينسترا أن الرجـال قـد أجمعـوا على ضرورة تقديم القربان وفقاً للنبوءة ، و أن محاولته لإنقاذهـا قـد بـاءت بالفشل ، فانقلب عليه رجاله ، و ساندوا رجال هيلاس فى مطالبهم . و سـيأتى بعضهم بقيادة اوديسيوس ابن سيسيفوس و يحملونها رغمـاً عنهـا ، و عليهـا أن تتشبث بابنتها ، و تعلن افيجينيا أنه من الصعب أن يتعلـق الإنسـان بأمـل محال ، لذا فقد قررت الموت ، و على أمها أن تساعدها فى تنفيـذ قرارهـا ، فهو من اجل هيلاس ، و من أجل أن تجنب هذا الغريـب اخيليـوس الـدخول فى معركة غير متكافئة مع كل رجال أرجوس ، إنها تضحى بنفسها من أجـل آرتميس ، و من أجل القضاء على طروادة ، فلا يصـح أن تخضـع هـيلاس الحرة لحكم البرابرة العبيد . تثنى الجوقة علـى الفتـاة ، كمـا يثنـى عليهـا اخيليوس ، و يتمنى لو قبلته زوجا لها ، و لكنها تصـر علـى المضـى فـى تضحيتها ، فيقر انتظارها فى المعبد . يخرج اخيليوس . تلتفت افيجينيـا نحـو أمها الصامتة ، الباكية ، و تطلـب منهـا عـدم قـص خصـلات شـعرها ، و ارتداء الملابس السوداء حزناً عليها ، ستدفن فى مذبح الآلهة ابنـة زيـوس ، ثم تناشدها تربية اورستيس ، و تحية أختيها ، و ألا تكـره اجـاممنون ، فهـو فعل ما فعل من أجل وطنه هيلاس ، و تطلب منهـا البقـاء هنـا ، علـى أن يصاحبها أحد تـابعى أبوهـا ، ليقودهـا إلـى روضـة أرتمـيس . تخـرج كليتمينسترا ، فتخاطب افيجينيـا الجوقـة ، و تطلـب منهـا بـدأ المراسـم ، و قيادتها إلى هناك ، ثم تبدأ الفتاة فى الغناء ، و تدعو الجوقة لإنشـاد تسـابيح آرتميس و تخرج افيجينيا ، و تبقى الجوقة مسـتمرة فـى نشـيدها ، متوسـلة لآرتميس كى تصل جيوش الهيلنيين إلى أرض فريجيا ، و أرض الغـدر فـى طروادة . يدخل الرسول مُستدعياً كليتمينسترا لتسـمع أنبـاءه ، فقـد وصـلت الفتاة وسط الحشود الى معبد آرتميس ، و فى لحظة الذبح ، بكى اجـاممنون ،

و أصدر انينا مكتوما . ثم اسنل الكاهن كالخاس سيفة و توجــه بــالقول إلـــى ارتميس كى تقبل القربان الدى يقدمه جيش الأخيين ، كى تكفــل لهــم إبحــارا امنا للسفن ، و تدمير ابــراج طــروادة . و أثنــاء قيــام الكــاهن بعملــه ، إذ بالمعجزة تقع ، سمع الجميع صوت خبطة ، ثم اختفت الفتــاة و حلــت محلهــا غزالة ضخمة الحجم ملطخة بالدم ، و تلفــظ أنفاســها ، و بعــد أن احترقــت الضحية كلها تماماً حتى صارت رماداً ، أقام الجميع الصلوات المناســبة حتـــى يعود منتصراً ، و ها هو قد جاء موفداً من اجاممنون كي يخبرهــا بــالمعجزة. لا تصدق كليتمينسترا الرواية ، و يدخل اجــاممنون ليؤيــد رســالة الرســول و يعلن أن ابنته تحظى الان برفقة الآلهة ، و يــودع الــزوج زوجتــه ، كمــا تودعه الجوقة متمنية له العودة منتصراً من طروادة .

أهم ما يلاحظ على هذه المسرحية :

أولاً : تاريخ عرض المسرحية :

قدمت هذه المسرحية عام ٤٠٩ ق.م ، و هو تاريخ قريب مــن تــاريخ ظهور مسرحية الباخوسيات .

ثانياً : أصل المسرحية (١) :

وردت قصة هذه المسرحية فــي إليــاذة هــوميروس ، حيــث روى الشاعر أن هيكوبى زوجة بريام ملك طروادة ، قد حلمت أنها قد ولــدت جذوة نار مشتعلة . فسر ايساكوس هذا الحلم ، بــأن المولــود ســيكون شؤما على طروادة ، إذ سيتسبب في خرابها و يجب أن يمــوت . و مــا أن ولدت الأم ، حتى أمر الأب بالتخلص من الوليد ، فأخــذه اجــيلاوس أحد رعاته و ألقاه فوق جبل أيدا ، و تركه هنــاك ، و لكــن لمــا عــاد الراعى اجيلاوس إلى ذات المكان ، اكتشف أن الطفل الذى ألقـــى بــه لا زال حياً ، فقد أرضعته أنثى الدب . أخذ الراعى الطفــل و ربــاه علـــى أنه ابنه . كبر باريس ، و صار شــاباً قويــاً جميــل الطلعــة ، و ســيم المحى ، و قــد اشتهر بالمهارة القتالية و الشجاعة ، فكان خير حارس

---

١ - Tripp . Edward , The Meridian Handbook of Classical Mythology. (Op.cit..) P. 446 – 448

على القطيع ، يدافع عنها و عن الرعاة ضد اللصوص أو الحيوانات المفترسة ، فأطلق عليه الرعاة اسم الاسكندر أو (المدافع عن الإنسان).
و فى أحد الأيام ظهر خدم الملك بريام و بدءوا فى انتقاء أحد الثيران كى يقدمه الملك كجائزة فى أحد الاحتفالات الخاصة بابن له مات منذ فترة . و وقع اختيارهم على أفضلهم ، و كان ثور باريس .
و لما كان باريس لا يجرؤ على عصيان أمر الملك ، فقد تبع الرجال بهدف أن يشترك فى هذا الاحتفال ليسترد ثوره المفضل . و بالفعل اشترك الشاب فى مباريات ضد العديد من المتنافسين من النبلاء ، بما فى ذلك أبناء الملك ، و قد فاز بكل المباريات . غضب أبناء بريام إذ كيف يتفوق عليهم رجل من عامة الشعب . استل أحدهم و هو ديفوبيوس سيفه ، مما اضطر باريس إلى اللجوء إلى مذبح زيوس فى البلاط الملكى . و من حسن الطالع أن تتعرف عليه أخته كاسندرا . استقبل الملك بريام و زوجته هيكوبى الابن العائد ، و تزوج من حورية من حوريات الطبيعة ايونونيه ، ابنة إله النهر كيبيرنوس ، و عاش وسط أهله كأمير من أمراء المدينة الغنية ، و نسى الأبوان النبوءة .
اجتمعت الآلهة فى مدينة فاثيا ، التى تقع عبر بحر ايجة ، للاحتفال بزفاف بيلوس و الإلهة ثيتيس . و لما كانت الالهة أريس لم تدع لحضور الحفل ، فقد ألت على نفسها الانتقام لكرامتها ، فألقت بتفاحة ذهبية وسط الحاضرات ، وقد كتب عليها " الى أجمل المدعوات " ، و سرعان ما طالبت بها ثلاثة إلهات ، هيرا ، و أثينة ، و أفروديتى . و تجنبا للشقاق ، اقترح زيوس على الإلهات الثلاث ، أن يحتكمن لباريس ، و هو الذى سيقرر أيهن أحق بالتفاحة . كان باريس على جبل أيدا حينما ظهر هيرميس ، و يقال إنه كان ابوللو ، يقود الآلهات الثلاث ، و يشرح لباريس الموقف .
يبدو أن فكرة استمالة القاضى قد خطرت على بالهن ، لأن كل واحدة من الإلهات الثلاثة قد بدأن فى محاولة رشوته . إذ وعدته هيرا بجعله حاكماً للعالم أجمع إذا ما إتخذ جانبها و حكم لصالحها . أما اثينة (١) ، فقد أعلنت أنها ستجعله منتصراً فى أى حرب يخوضها إذا ما اختارها.

---

١ – اسمها ميترفا ربة الحكمة و آلهة الروح الأعلى المقدس .

أما أفروديتى (١) ، كربة للحب ، فقد كانت أقلهن رشوة ، إذا ما قورنت بما عرضته الاثنتان الأخرتان . و مع ذلك فقد وجدت قبولا و صادفت هوى لدى باريس، لقد وعدته بأن تقع أجمل نساء الدنيا فى حبه ، إنها هيلينى ، ابنة تينداروس ملك إسبرطة السابق ، التى رفضت كل الأمراء الذين تقدموا لها ، و اختارت مينيلاؤس بسبب غناه . تردد باريس لحظة قبل أن يصدر حكمه بأن أفروديتى هى أجمل الثلاثة ، و أعطاها التفاحة .

عاد باريس إلى القصر ، حيث أعلن سفره إلى إسبرطة ليحضر هيلينى زوجة مينيلاؤس ، أزعج هذا القرار الأسرة ، خاصة أخاه هيلينوس ، و أخته كاسندرا ، و زوجته أوينونى ، التى قد لقنت مثلهما أصول التنبأ و العرافة على يدى أم زيوس ريا . تنبأ الثلاثة بما سيخيم على طروادة من مصير ، إذا ما أقدم الفتى باريس على تنفيذ خطته ، و حذروه من ذلك ، و لكنه لم يعرهم إلتفاتاً . أحست زوجته بتصميمه على المضى قدماً فيما اعتزم ، و أنها لن تذهب معه ، فأعلنت أنها عائدة إلى جبل أيدا ، و عليه أن يأتيها هناك إذا ما أصابه مكروه ، فهى الوحيدة التى سيجد عندها الشفاء . و يسافر باريس إلى إسبرطة ، و عند وصوله الى مملكة إسبرطة ، نزل فى البداية ضيفاً على أبناء تينداروس أخوة هيلينى ، ثم استضافة بعد ذلك مينيلاؤس زوج هيلينى، ملك إسبرطة الآن .

و بعد تسعة أيام ، كان على مينيلاؤس أن يبحر إلى كريت كى يشرف على جنازة جده لأبيه كاتريوس . و كرجل مضياف ، أوصى زوجته هيلينى بضيفه . أثناء غيابه لعبت أفروديتى دورها كى تنفذ وعدها ، و أوقعت الملكة الإسبرطية الجميلة هيلينى فى حب جنونى مع الفتى الطروادى الوسيم الزائر. و انتهى بهما الأمر إلى الإبحار إلى طروادة قبل عودة مينيلاؤس ، مصطحبين معهما الكثير من كنوز القصر .

و يقول البعض إن هيرا قد أرسلت عاصفة قوية دفعت بالسفينة بعيداً نحو ميناء سيدون فى فوينبسيا . نزل باريس إلى المدينة و بقى فيها بعض الوقت ، كما توقف لبعض الوقت فى قبرص ، حتى يتجنب مطاردة الإسبرطيين .

---

١ – أبوفينوس ربة الجمال .

و يدعى آخرون أن الرحلة بأكملها إلى طروادة قد كانت سهلة و ساعدتها الرياح و أفروديتى فاستغرقت ثلاثة أيام .

و هناك رواية أخرى تزعم أن هيلينى لم تصل إلى طروادة على الإطلاق ، لأن هيزا التى لا زالت غاضبة من باريس لاختياره أفروديتى كأجمل النساء ، قد منحته تمثالاً وهمياً من السحب يشبه هيلينى ، بينما بقيت هيلينى الحقيقية فى مصر ، و على ذلك فإن الحرب الإغريقية الطروادية ، التى استمرت طويلاً قامت من أجل وهم خادع .

اجتمع كل قادة مدن الإغريق الهامة معاً ، و الذين كان معظمهم خطاباً لهيلينى ، و أبحروا بأساطيلهم إلى طروادة ليستعيدوا الملكة الهاربة . و بعد عشر سنوات من الحرب ، رأى معظم الطرواديين إعادة هيلينى لمينيلاؤس و إنهاء هذه الحرب ، و لكن باريس رفض هذا الرأى ، و إن وافق على رد ما أخذه من كنوز القصر ، و قد أيده بريام فى هذا الرأى .

و فى الحرب ، أصيب باريس نفسه إصابة خطيرة من أحد سهام فيلوكتيتيس ، عندها تذكر ما قالته زوجته التى هجرها اوينونى ، فذهب إليها عند جبل أيدا ، و لكن الزوجة الغاضبة رفضت علاجه ، فعاد ليموت فى طروادة . و سرعان ما راجعت الزوجة نفسها و أسفت على تصرفها ، فلحقت به مع أدويتها ، و لكنها وصلت متأخرة . فقد مات باريس ، فشنقت نفسها حزناً عليه . و يُقال إن مينيلاؤس قد شوه جسد غريمه ، و دفن فى طروادة .

يلاحظ أن قصة مولده ، و اكتشافه الأخير و قصة تحكيمه لاختيار أجمل الألهات ، قد تناولها يوريبيديس فى مسرحية الطرواديات ٩٢٠ – ٩٣٢ و اندروماخى ٢٧٤– ٣٠٨ ، و هيلينى ٢٢– ٣٠ ، أيضاً ، تناول كل من ايسخيلوس و سوفوكليس نفس الموضوع ، تضحية افيجينيا ، كما تناوله الشاعر الرومانى اينيوس ، و قد اقتبس مسرحيته من المعالجة المسرحية ليوريبيديس .

أما فى العصر الحديث ، فقد وجد الموضوع هوى فى نفوس الكتاب، فتناوله راسين ، إذ كتب مسرحية باسم افيجينيا عام ١٦٧٤ م ، كما تناوله جلوك عام ١٧٧٤ بشكل أوبرالى . أما الكاتب روبرت تورتى ، فقد عالج نفس الموضوع تحت اسم ابنة اتريوس . و بقدر ما كان الموضوع أثيراً لدى كتاب المسرح القدامى و الجدد ، فقد استهوى

الفنانين أيضاً فصاغوه فى لوحات فنية ، رسمها الفنان القديم تيمانثيس، الذى أضفى الحزن على وجوه أبطاله ، تعبيراً عن معاناتهم الداخلية ، فجعل اجاممنون مكتئباً ، غلبه الحزن، فانعكس القلق و الأسف و مشاعر الأبوة على وجهه .

ثالثاً : المنظر الذى تجرى فيه الأحداث :

معسكر الجيش المتعدد الهويات ، و أمام خيمة اجاممنون على ساحل البحر فى اوليس .

رابعاً : أهداف الفكرة الرئيسية :

لعل من أبرز أهداف هذه الفكرة ، أن الإنسان عندما يوضع فى مواجهة مع الموت ترتعد فرائصه ، و يمتلئ بالخوف ، و لكن سرعان ما يزول هذا الخاطر عندما يفلسف الإنسان سبب الموت ، و يخدع نفسه بأنه من أجل واجب قومى ، هنا تهون الحياة من أجل هدف عام، و مصلحة وطنية . هذا بالإضافة إلى أن العلاقات الأسرية قد تؤثر فيها بعض السلوكيات التافهة ، و لكن تراكمها يجعلها مصدر خطورة على هذه العلاقات .

خامساً : المناقشة و التحليل :

١ – قصة هذه المسرحية ، من الموضوعات المفضلة لدى شعراء التراجيديا الإغريقية ، فما من شاعر إلا و عالجه ، و إن اختلفت الطريقة و أسلوب العرض . فقد أعلى الشاعر من شأن افيجينيا إذ جعلها تتقبل مصيرها ببطولة جعلت منها مثلاً أعلى للتضحية ، بينما من سبقوه ، قد صوروا قبولها على أنه إجبار تُساق إليه رغم إرادتها .

٢ – لما كان العمل الفنى مرآة للعصر ، بل و يحمل بين طياته أفكار المؤلف و قناعاته ، فإن يوريبيديس يعود إلى موضوع واحد بعينه طرقه من قبل فى عديد من مسرحياته ، بل وطرقه شعراء آخرين، ألا و هو الصراع بين المقولة التقليدية القائلة بأن :

أ – الكفاية متأصلة فى الدم و لا تكتسب بالتعليم ، بل يتوارثها الأباء عن الأجداد ، و الأبناء عن الأباء ، و تنتقل عبر

الأجيال ، فالدم الطيب وحده هو الـذى يهـئ الخلـق للقيـام بالأعمال النادرة ، و التى تجعل الحياة الكريمـة جـديرة بـان يحياها الإنسان (١) .
هذه المقولة نادى بها دعاة الأرستقراطية أمثال بندار و غيـره بل وظهرت فى العديد من أعمالهم .

ب – المقولة السوفسطائية التى تدعو إلـى أن التعلـيم و الـتعلم ، و التربية و التنشئة من أهم الأمور فى حياة الإنسان ، و بهـذا ترجح المقولـة ، العوامـل المكتسـبة علـى الموروثـات ، فشخصية الإنسان تتبلور و تتضح من خلال تجاربه و ثقافته.
و إذا ما أردنا أن نؤكد صدق ما قلناه توا ، لوجدنا الـدليل فـى هذه المسرحية فى قول الجوقة :

" طبائع الناس تتباين ، و عاداتهم تختلف ، لكن الفضـيلة الحقـة"
" أبداً بينة ، و مثلها وسائل التربية المتقنة ، فإنها تـدفع بقـوة "
" نحو الفضيلة " (٥٦١) .

أخيليوس : " إننى و قد ربيت فى أبهاء خيرون التقـى ، تعلمـت أن يكون لى وجه واحد " (٩٢٦)

إن هذه الأفكار الجديدة هـى رفـض لمقـولات بنـدار ، التـى هاجمت المقولة السوفسطائية ، و لما كان يوريبيديس قـد تـأثر بتعاليم هذه المدرسة فقد تبنى أفكارها و دعى إليها فـى العديـد من مسرحياته .

٣ – نلمح فى المسرحية أسلوبا جديداً لسلسلة مـن الأحـداث المتميـزة بالفاعليـة و التغييـر المسـتمر ، و الحركـة المفعمـة بالحيويـة و النشاط ، حيث يضيف كل مشهد جديد الى ما سبقه من مشـاهد ، و يعتمد الحدث بصفة أساسية على الشخصية .

٤ – إن دراسة هذه المسرحية و مسرحية الباخيات ، تصـل بنـا إلـى آخر ما وصل إليه الشاعر من ناحيـة الشـكل الـدرامى الجديـد ، حيث سادت رقة نفسية جعلت البناء القديم أقل صرامة و صلابة ،

---

١ – ديورانت ، ول ، قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، الجزء الثانى مـن المجلـد الثانى ، حياة اليونان ، العدد رقم ٧ ، لجنة التـأليف و الترجمـة و النشـر ، الإدارة الثقافية ، جامعة الدول العربية ، الطبعة الثالثة ١٩٦٨ ، ص ٢٤٤ .

إن الإنسان فى هذه المسرحية يحارب من أجل صفة خاصة من صفاته الطبيعية و ينتصر لها أو يموت دونها .

٥ – إن إعلان الرسول عن قدوم كليتمينسترا و افيجينيا إلى المعسكر قد نقل المشاهد نقلة درامية جديدة ، و قلب الوضع النفسى تماماً .
أهم النتائج المترتبة على ذلك :

أ – الحزن العميق الذى حط على اجاممنون ، إذ وضع نفسه فى براثن الضرورة الحتمية .

ب – ذلك الصراع الداخلى بين اجاممنون الأب و اجاممنون القائد، إن شرف الإلتزام بالكلمة و الوفاء بالوعد ، و أمل الفوز بمجد منتظر ، كلها تضاربت فى وجدانه .

ج – تراجع مينيلاؤس عن مطالبة أخيه بالتضحية القاسية .

إنها لحظة درامية كثف فيها الشاعر ببراعة أحاسيس عديدة، و انفعالات متباينة ، بل ظل يصعد اللحظة النفسية حينما جعل افيجينيا تدخل كالملاك ، و تبادل أباها الحوار فى براءة طفولية ، و برغم بساطة الكلمات إلا أنها كانت تشبه وخز النصل .

٦ – أعطى الشاعر صورة صادقة لذلك الذى يجد نفسه فجأة أمام خيار واحد ، الموت فى سبيل شئ ما زائف ، التضحية بالحياة من أجل مجد شخصى يُفيد الآخرين . لقد عانت الفتاة الصغيرة صراعاً داخلياً ، وصل إلى قمته حينما انفجرت فى بكاء و توسل للإبقاء على حياتها ، إنها لحظة المواجهة الحاسمة بين الحياة و الموت المفاجئ ، هذه اللحظة وسعت أفق الفتاة ، فوازنت الأمر جيداً ، إنها الآن محط أنظار الجيش بأكمله ، و ها هم أهل وطنها ينتظرون رد فعلها ، و يعلقون آمالهم و أمانيهم على كلمة منها . إنها القربان الذى سيسعد كل هؤلاء ، و بذلك تحول الزيف إلى شئ يستحق التضحية ، تحول إلى بطولة ، فقد أقنعت نفسها ، سواء بدافع اليأس أو الشجاعة ، بالموت طواعية من أجل كرامة شعبها و وطنها .

و هنا يعود الشاعر لنفس الأفكار التى سيطرت عليه ، إن الإنسان يمكن أن يتغير تماماً إذا ما تعرض لمؤثرات خارجية . إن التحول هو جوهر هذه المسرحية ، لقد قصد الشاعر التعبير

دراميا عن ما يمكن أن نسميه التناقض الظاهرى المُثير للحزن فى حياة البشر ، فعادة ما يتصف الكائن البشرى بالأنانية ، بل كثيرا ما تعوزه القوة ، و هو فى وضاعته جدير بالازدراء ، هذا الإنسان ذاته يمكن أن يرتقى إلى أعلى درجات العظمة و سمو النفس و الأخلاق و الكرم بل و التضحية إذا ما تغيرت الظروف و الدوافع .

لذا فإن معظم الملامح المليودرامية لشخصيات هذه المسرحية ، تجد أساسها فى إنقلاب الموقف و تحول الأوضاع من النقيض إلى النقيض . و الأمثلة كثيرة :

أ – **اجاممنون** ، يكتشف فى لحظات المواجهة الأبوية مع ابنته ، أنه يتشدد أكثر من اللازم فى تنفيذ النبوءة ، التى تقتضى التضحية بابنته ، بل يمكن أن نقول إن تشبثه فاق اهتمام صاحب المشكلة ذاته و هو مينيلاؤس ، الذى غير رأيه و طالب أخيه باتخاذ موقف آخر يخالف ما كان متمسكاً به ، و يتسق مع الوضع الجديد بكل ما يفرضه من متطلبات . و نحن نرفض رأياً يقول بأن مينيلاؤس لم يكن جاداً حينما غير رأيه ، بل هو قصد اختبار أخيه ليتأكد من حرصه على الوفاء بوعده .

ب – **أخيليوس** : دخل فى البداية ثائراً متذمراً بسبب تأخر تحرك الجيش، ثم يكتشف مصادفة أن اجاممنون قد زج باسمه فى حكاية دنيئة ، فنسى ما جاء من أجله و ثار و أزبد ، ثم تحول فجأة إلى متعاطف مع الفتاة إلى الدرجة التى كادت تودى بحياته ، بل و تمنى فى النهاية لو كانت زوجته حقاً (١٤١٠) .

ج – **افيجينيا** : الوديعة المذعورة ، الخائفة من الموت ، تتحول فجأة إلى مُرحبة به ، مُضحية بنفسها من أجل أبيها و وطنها. و لعل من أكثر الأمور التى ساعدت على تجسيد موقفها البطولى ، تلك الصورة الواقعية التى رسمها الشاعر لكل من اجاممنون و مينيلاؤس ، فحولهما من شخصيات بطولية نبيلة، إلى شخصيات بلا مشاعر فزاد إعجاب المشاهد بموقف افيجينيا البطولى بالمقارنة بشخصية الأب و العم .

فالفتاة الرقيقة الواجفة من مصيرها تحى والدها ، ثم تذرف الدمع فيما بعد من أجله ، رغم يقينها أنه لن يساعدها في الخروج من المأزق الذى وضعها فيه . ثم بعد أن تقدر لأخيليوس شهامته ، يتحول ضعفها إلى قوة ، و تصبح بطلة شجاعة .

لقد انتقد أرسطو هذا التحول الفجائى (فن الشعر فقرة ١٤٥٤ (أ) جزئية ٣٠) و اعتبره مثالاً لعدم ثبات الشخصية، و أنها غير منطقية مع نفسها و لا متماسكة الصفات .

إن تحول افيجينيا يمكن أن يتصف بالمليودرامية ، و لكن مع ذلك لا يمكن إنكار قوته و فعاليته .

٧ – و يرى البعض أن أرسطو لم يف هذه المسرحية حقها ، فقد رأى فقط افيجينيتين دون أن يضع فى اعتباره الصلة النفسية بينهما . و برغم ما يقال من أن الشاعر لم ينجح حقيقة فى رسم و تصوير تحول و انتقال افيجينيا من حالة إلى حالة ، إلا أن الخوف و الرعب الطفولى ، و القبول البطولى و الترحيب بالموت ، يمكن أن يؤكد لنا القوة الخارقة الكامنة داخل الإنسان ، و قدرة هذه الروح على التحول بتطرف من النقيض إلى النقيض بفضل الظروف المؤثرة و المحيطة.

٨ – حرص يوريبيديس على عقد مقارنة بين فتاتين ، إحداهما هيلينى، التى تسببت فى نشوب الحرب ، و أدت إلى الخراب ، بينما الثانية ، افيجينيا التى ضحت بحياتها كى تنقذ و تخلص وطنها . إن هذه المقارنة من أهم موضوعات المسرحية ، و قد عنى الشاعر بالتحضير لها مسبقاً ، فكل أغانى الجوقة ، ما عدا تلك التى تتبادلها مع اخيليوس و افيجينيا ، تدور حول موضوع هيلينى و باريس ، فالجوقة و معظم شخصيات المسرحية يصرون على أن هيلينى ، و فعلتها الشنعاء ، هى السبب فى الكارثة ، بينما افيجينيا تحسن صورة بنات جنسها بقبولها التضحية .

إن التأكيد على أن هيلينى هى السبب المباشر للحرب ، يمكن أن يُفسد ادعاء كل من اجاممنون و افيجينيا بأن الحرب قد نشبت من أجل شرف الإغريق ، و بالطبع فإن الحجج التى ساقها اجاممنون لافيجينيا (١٢٥٩ – ١٢٧٥) ، و التى دارت حول

انتظار الجيش للإنطلاق إلى طروادة ، من أجل شرف هيلاس و تنفيذ رغبات الآلهة ، و التضحية من أجل هدف اسمى ، لم تكن تستقيم مع كل ما قيل أثناء الصدام الأول مع مينيلاؤس ، فقد اتصف النقاش عن أزمة الحرب بعدم التماسك ، إذ أن السبب الحقيقى للحرب يجب أن يكون من أجل غرض نبيل . لذلك فإن ادعاء افيجينيا أن تضحيتها سوف تحمى و تنقذ بلاد الإغريق و جيشها ، لم يكن صحيحاً تماماً ، بل هو مجرد وهم خادع .

إن فكرة التضحية بالنفس قد أصبحت موضوعاً محبباً ليوريبيديس ، منذ قدم أولى مآسيه الكستيس و تضحيتها من أجل زوجها و وطنها ، ثم عاد الى نفس الفكرة فى مسرحيته هرقل حيث جعل شخصية مكاريا تضحى بنفسها كى تحمى أقاربها و مؤكدة أنها تُسهم بتضحيتها فى تحقيق النصر . أيضاً نجد شخصية مينويكوس فى مسرحية الفينيقيات ، حيث استشار كريون العراف تيريسياس الذى نصحه بأن إنقاذ طيبة متوقف على تضحيته بابنه مينويكوس ، و برغم رفض الأب لهذه الفكرة ، نجد أن الابن يتقدم طواعية ليفتدى طيبة ، و يصر على أن يكون قرباناً لإنقاذها .

٩ – إن وطنية افيجينيا ، ما هى إلا رسالة من يوريبيديس إلى أثينا فى طورها اليائس الأخير فى الحرب البلوبونيزية .

١٠ – إن كليتمينسترا هى الشخصية الوحيدة فى المسرحية التى تتمتع بقوام تراجيدى كامل ، إنها لم تروض نفسها على قبول فكرة التضحية ، بل احتقرت من أجبر ابنتها على الاستسلام ، بل و توعدته بالانتقام عند عودته من تلك الحرب المشئومة .

كليتمينسترا : رهيبة فى البلايا التى عليه أن يُعانيها ، بسببك (١٤٥٥) ثم تعود لتقول :

كليتمينسترا : ... و قد تركت دنيا من الانتقام يثقل كاهل بيتنا ...
أناشدك الآلهة لا تضطرنى للأثم فى حقك ، (ثم فى نفس الحوار) قد تكون عودتك مشئومة لأنك بالعار جللت رحيلك .

و بذلك تكون حجة كليتمينسترا ضد اجاممنون واضحة و معلنة بكل عنف و قوة ، كما أنها تمثل مبرراً لجريمتها .

١١ – هذه المسرحية مثل مسرحية الطرواديات ، يجب أن تفسر على ضوء الحوادث اللاحقة .

١٢ – حوت المسرحية مشهدين متوازيين ، و قد رأى البعض أن المشهد الأخير منها و هو ما يلى أغنية افيجينيا (١٥٠٠) ، لا يرقى إلى مستوى الجزء الأول ، بل ويبدو أقل جودة ، لذا فإنهم يتخذون من هذه المقولة دليلاً على أن المسرحية لم تكتمل قبل وفاة الشاعر ، بل و يزعم أصحاب هذا الرأى أنه من وضع ابنه. و هناك رأى مخالف يرى نسبة المشهد إلى الشاعر ، و لكنه يرجع ما به من عيوب إلى أن من جمع أصول النص قد ضم بعض المسودات . و دليلهم فى ذلك تلك الأحداث المفتوحة ، و المقدمة الإيامبية ، و الحوار الأنابياست .

أما فيما يتعلق بحديث الرسول فى نهاية المسرحية ، فإن أصحاب الرأى الأول يرون أنه ليس من صياغة يوربيديس إذ أن الجزء الثانى منه (١٥٧٨) أقل مستوى ، كما أن الحديث الموجه الى كليتمينسترا على لسان أرتميس ، و الثناء على افيجينيا ، و أن أرتميس ستأخذها فى صحبتها كلها تؤكد الرأى .

إن الدارسين يتفقون على رفض النهاية الغير منطقية لهذه المسرحية ، و يعتبرونها نهاية زائفة . و يرى معظم الدارسين أن النهاية الأصلية ، تعتمد على ظهور أرتميس كنهاية تعسفية (الاله من الآله) . و هناك ما يؤيد ذلك عندما أعلن الرسول أن غزالة حلت محل افيجينيا فوق المذبح ، برغم أن صحة هذه المقولة محل خلاف أحياناً ، و لكن بعض سطور افيجينيا فى المشهد الأخير تؤيد هذه القصة : (١٤٤٠ – ١٤٤٢) .

افيجينيا : تفقدينني ... لن تفقدينني ، لقد نجوت و ذاع صيتك بسببي.

كليتمينسترا : كيف ؟ أما ينبغى أن أندب موتك ؟

افيجينيا : مطلقاً ، فلن تكون لىّ تربة تهال فوقى .

كليتمينسترا : أو ليست عملية الموت خليقة بأن تؤدى الى الدفن ؟

افيجينيا : مذبح الإلهة ابنة زيوس سيكون قبرى .

إذن تؤكد افيجينيا نجاتها ، كما تؤكد ذات النهاية أنها ستؤله فيما بعد . إن قصة التضحية بافيجينيا و افتدائها بغزالة يذكرنا بما

ورد فى قصص القرآن عن قصة تضحية ابراهيم بولده اسماعيل و افتداؤه بشاة نزلت من السماء " و فديناه بذبح عظيم " (سورة الصافات ، الآية ١٠٦) ، أيضا وردت قصة مشابهة لتلك القصة فى الكتاب المقدس (سفر التكوين ، الاصحاح الثانى و العشرين) و هى تشبه ما ورد فى القرآن مع اختلاف طفيف فى بعض التفاصيل .

على أية حال ، ربما قصد يوريبيديس بعدم ظهور ارتميس بذاتها لإنقاذ الفتاة ، و جعل القصة برمتها تروى على لسان الرسول ، أحداث نوعاً من التجديد ، و التخلص من وسيلته المفضلة و التعسفية لإنهاء مسرحياته .

١٣ – تمثل هذه المسرحية حداً فاصلاً فى تطور مسرحيات يوريبيديس المعروفة ، فقد وضح اهتمامه بالتساؤلات عن التضحيات الدينية أو عن الآلهة بصفة عامة ، إلى جانب عرض المشاكل النفسية ، و بهذه المفاهيم فتح يوريبيديس الطريق للدراما الحديثة .

١٤ – أجمعت أراء النقاد أن هذه المسرحية يمكن أن تتصف بأنها فكاهة ملحمية مليودرامية ، فهى من أكثر المسرحيات الإغريقية إثارة للعواطف بمواقفها المفعمة بالحيوية و الحياة .

و يمكن أن نصنفها أيضاً على أنها مسرحية رومانسية الجو ، بل تشبه كثيراً من المسرحيات الحديثة من ذات النوع . أن تطور حبكتها الرائعة ، و تميز عقدتها ، و أحداثها الدرامية ، أمور واضحة بصورة أكثر مما اعتدنا على ملاحظته فى المآسى الإغريقية ، و لعل من أبرز ما نلاحظه ، تحول البساطة الكلاسيكية القديمة إلى عمق فى التفكير .

سادساً : الجوقة :

لم تقم الجوقة بدور أساسى ، وفقاً لأسلوب يوريبيديس ، و إن شاركت فى بعض النقلات الدرامية كمؤثر .

سابعاً : الحوار :

١ – بدأ الشاعر حوار مسرحيته بافتتاحية من وزن الانابايست أى بحر الجنب (فعلن) (٧٧) و هو أحد الابتكارات الجديدة التى دخلت

تيار الكتابة المسرحية . و قد وضع الشاعر هذه الافتتاحية الحوارية كى تحل محل المنلوج المعتاد ، ليصبح هذا الابتكار تقليداً تتميز به أعمال يوريبيديس .

٢- يشكل المنلوج حواراً غير عادى ، لإصرار الشاعر على رواية قصة هروب هيلينى بالتفصيل (٥٠ - ١٠٠) ، برغم أن القصة معروفة لأى مشاهد إغريقى ، بل و يلم بأدق تفاصيلها . لذا لم يكن هناك داع لتكرارها ، و كان فى الإمكان ، الإشارة إليها إشارة عابرة .

٣ - اتسم الحوار منذ بدايته بالمشاعر المفعمة بالحيوية ، و بشكل يمس شغاف القلوب . و قد ساعد بنعومته ، التابع العجوز كى يكشف عن سر اجاممنون لكليتمينسترا (٤٦ - ٤٨) ، كما تنبأ بغضب اخيليوس عندما علم بزج اسمه فى لعبة زائفة (١٢٤ - ١٢٧)

التابع : و كيف يمكن لاخيليوس - و قد سلبت منه عروسه - أن يكبح جماح سخطه عليك أنت و زوجتك ؟ فى هذا أيضاً خطر .

ثم يعود التابع فى الأبيات (١٣٣ - ١٣٥) يكرر نفس التخوف :

التابع : إنها مخاطرة رهيبة منك ، أيها الملك اجاممنون أن تعد بأن تزوج ابنتك لأبن الإلهة ثيتيس ، فى حين أنك تبغى احضارها هنا لتضحى بها من أجل الدانائيين .

٤ - هاجم اريستفانيز فى مسرحيته الضفادع (١٢٠٦) افتتاحية يوريبيديس ، فهى فى رأيه مملة رتيبة .

٥ - إن المعجزة التى استخدمت فى المسرحية جديرة بالملاحظة ، فهناك العديد من التغييرات و التبديلات من الوزن الايامبى (٧) إلى التروخى الرباعى الجارى النشط المثير خاصة مع دخول الشخصيات .

أما الغنائيات فتعطينا مثالاً واضحاً لتفرد و تميز مثل هذه المقاطع اليوريبيدية فى أعماله الأخيرة . هذا التمييز هجاه و سخر منه اريستفانيز فى مسرحيته الضفادع .

٦ - أخذ الشاعر بأسلوب الأناشيد الطويلة المفردة بدلا من أناشيد الجوقة ، فقد ظهر ذلك الميل بوضوح قرب نهاية المسرحية ،

حيث رغب الشاعر فى سرعة الحركة ، و الإبقاء على افيجينيا كمناط الاهتمام ، و عنصر أساسى للتشويق .

٧ – أدخل الشاعر التابع العجوز و مينيلاؤس و هما يتحدثان ، مما يؤكد أن الحوار قد بدأ قبل دخولهما ، و أنه يتواصل ، ثم نجده فى نفس المشهد يجعل الرسول يدخل وسط حوار مينيلاؤس و يقاطعه (٤١٤) . مثل هذه الابتكارات أصبحت قدوة للشعراء فيما بعد .

١٨ – ريسوس (١) :

تبدأ المسرحية بدخول الجوقة حتى خيمة هيكتور ، و يتحاورون مع حرس هيكتور ، و يأمرونهم بالذهاب الى مخدع البطل لإيقاظه ، إذ أنهم يحملون أنباء . يظهر البطل الطروادى هيكتور ، و يسأل عن المتحدثين ، و هل هم أصدقاء ؟ و يطلب من الجوقة الإفصاح عن هويتها . تخبره الجوقة ، و يعلم أنها لا تحمل أنباء ، بل نصيحة ، إذ تنشد الجوقة نشيدها ، مطالبة هيكتور بالإسراع إلى أماكن راحة حلفائه ، حتى يوقظهم ، و يأمرهم برفع الرماح . يسألهم هيكتور الإفصاح بوضوح عما يريدون ، و لماذا تركوا نوبة حراستهم . تروى الجوقة ما رأته فى معسكر جيش أرجوس من نشاط و حركة ، و جاءت تنقله إلى هيكتور ، الذى يتوقع فرار أولئك الأرجيين ، و يلعن الحظ الذى يريد أن يسلب النصر منه ، فما توقفت جيوشه إلا بسبب غروب الشمس ، و إلا كان جيش الأعداء قد قتل . كما أن العراف طلب استكمال الهجوم عند الفجر . يطلب إيقاظ الجنود ، و الاستعداد لمواصلة المعركة . و يدور حوار بين الجوقة و هيكتور حول إمكانية هرب الأخيين ، و تخوف الجوقة من إشعال النار القوية .

يدخل أينياس ، أحد القواد الطرواديين ، و معه دولون و آخرين ، يسألون هيكتور الخبر ، و سر هذا الفزع الذى سرى فى الجيش ، و يدور الحوار حول الأنباء التى حملتها الجوقة عن معسكر الإغريق ، و يود أن يلاحق هؤلاء الفارين . يعلن أينياس أن تصورات هيكتور خاطئة ، فليس هناك فرار ، بل استعداد للمعركة المنتظرة ، و يقترح ترك الجيش يأخذ قسطه الكافى من النوم ، كما ينصح بإرسال جاسوس إلى معسكر الأعداء لاستطلاع الأمر ، فإن أكد أخبار الهرب ، ينقض الطرواديون عليهم ، أما إذا كان فى الأمر كمين ، سلم الجيش . توافق الجوقة أينياس على رأيه ، و تطلب من هيكتور الاستماع إليه ، و العمل به . يذعن هيكتور لرأى الأغلبية ، و يسأل الحاضرين ليتقدم واحد منهم ليقوم بمهمة الاستكشاف المطلوبة ، يتقدم دولون للمهمة بشرط واحد ، أن يكافأ على قيامه بهذه

---

١ – نعتمد فى تلخيصنا لهذه المسرحية على نص ترجمة أمين ، سلامة ، الموسوعة الكلاسيكية للمسرح اليونانى و الرومانى ، مسرحيات يوريبيديس ، (مرجع سبق ذكره)، ص ١٥٠ و ما بعدها

المهمة ، يؤيده هيكتور ، و يسأل هل هي عروس ؟ أم ذهب ؟ يرفض دولون كلا الاثنين ، فهو ليس في حاجة لهما ، و لكنه يطلب جياد أخيللوس، يوافق هيكتور رغم إعلانه عن رغبته هو في امتلاك هذه الجياد . يشكره دولون ، و يخرج هيكتور ، بينما تستكمل الجوقة نشيدها حول مكافأة دولون.

قبل أن يخرج دولون ، يعلن أنه سيذهب إلى قصره ، كي يرتدي ثياباً مناسبة ، و يتجاذب الحوار مع الجوقة حول نوع الثياب . لقد اختار هيئة الذئب ليتخفى فيها ، تستحثه الجوقة ليسرع ، فيؤكد دولون للجوقة أنه سيعود برأس أوديسيوس أو ديوميديس قبل بزوغ الفجر . يخرج دولون ، بينما تبدأ الجوقة في نشيدها الذي يدور حول الضراعة للآلهة ، كي تكون مع دولون ، و تساعده في إنهاء مهمته ، و العودة بالأخبار إلى وطنه ، إن النشيد عبارة عن تمنيات بنجاح المهمة . يدخل هيكتور ، يتبعه الراعي كرسول ، و هما يتحدثان ، و يعلن الرسول أنه يحمل أخباراً عن اقتراب أحد حلفاء هيكتور ، إنه ريسوس ابن سترومون التراقي ، وصل إلى طروادة راكباً عربته الحربية الذهبية ، تجرها الجياد البيض ، التي تتدلى من جباهها أجراس تثير الرعب في القلوب ، وسط فرسانه و جنوده و رماته . تسعد الجوقة لسماعها هذه الأنباء ، بينما لم يسعد هيكتور ، إذ يعتب على أصدقاء طروادة الذين يمدون يدهم الآن ، و بعد أن أصبح النصر قاب قوسين أو أدنى ، و مع ذلك تلفت نظر هيكتور أن يرحب بمن يمد يد المساعدة لطروادة . و تسأل هيكتور مراراً ، عن الوضع في ميدان المعركة ، فيؤكد لها إنه لصالح طروادة ، و مع ذلك تعلن الجوقة تخوفها من المستقبل ، و من انقلاب الحظ، و يقبل هيكتور وجود ريسوس كضيف و ليس كحليف .

تنشد الجوقة نشيدها الذي يدور حول ريسوس ، و نسبه ، و تمجده ، إذ جاء إلى طروادة منقذاً ، ثم تبدي أملها في أن تعود بهجة طروادة و مرحها، بعد انتصارها على الأرجيين ، و تناديه ليقدم .

يدخل ريسوس في عربته و حوله حراسه ، فترحب به الجوقة ، يلقي ريسوس التحية على هيكتور ، و يعلن أنه قادم لمساعدة البطل في هزيمة أعدائه . و لكن هيكتور يرد في حسم على ريسوس ، أنه جاء متأخراً ، فقد طلبت طروادة مساعدته من قبل ، و يذكره معيراً أنه هو الذي جعله ملكاً ، فقد حطم دروع أهل بانجابوس و بايونيا ، و أسلمه عرش تراقيا . لقد نسي المعروف ، و أتى متأخراً لنجدة طروادة . يدافع ريسوس عن تأخيره ، بأن بعض السكوثيون قد هاجموا حدود بلده ، مما اضطره للدفاع عنها ، و هذا

هو سبب تأخيره . على أية حال ، هو يرى أنه وصل فى الوقت المناسب ، فالحرب استمرت عشر سنوات ، أما هو فيلزمه يوم واحد ، لينسف قلاعهم و يحطم أسطولهم ، و يعلن طريق سيره ، و يطلب من هيكتور ألا تتدخل جيوشه .

ترحب الجوقة بما يقول ، و تتمنى أن ترى الحلم يتحقق . يؤكد ريسوس أنه سينتصر هنا ، ثم يهاجم أرجوس و يكتسحها ، ثم من بعدها هيلاس . و فى تواضع يعلن هيكتور الاكتفاء بانتصارها هنا ، و مع ذلك يتمادى ريسوس فى غروره ، مستخفاً بقواد هيلاس ، بينما يقدر هيكتور عظمة أخيل و أياس ، و أوديسيوس و ديوميديس ، يستهين بهم ريسوس ، و يتوعد أوديسيوس ، المخادع الذى تسلل كلص إلى محراب الإله ليسرق ، بأن يصلبه ، و يتركه فريسة لجوارح الطير . يطلب هيكتور من ريسوس إقامة معسكره حتى الصباح ، و يطلعه على كلمة السر ، فويبوس ، ثم يأمر الجوقة بالمراقبة جيداً ، و يستعدوا لاستقبال جاسوس طروادة دولون . يخرج هيكتور و ريسوس و تبقى الجوقة لتنشد نشيدها حول تغيير نوبات الحراسة ، و قرب حلول الفجر و ما يصاحب ذلك من أعمال ، ثم تستغرب لعدم ظهور دولون ، و تشك فى أن مكروهاً أصابه . تخرج الجوقة ليدخل كل من اوديسيوس و ديوميديس من قواد الإغريق ، يتسمعان لأصوات فرقعة الأسلحة ، بينما يعلن ديوميديس أنها أصوات سلاسل الخيول ، و من حوارهما يفهم المشاهد ، أنهما قتلا دولون بعد أن أطلعهما على كلمة سر الليل ، التى التقطاها من دولون ، كما عرفوا منه أيضا أن هيكتور يقيم فى المعسكر ، و هما قد جاءوا لقتله ، فإن لم يجداه فسيقتلان باريس أو أينياس ، أو يلحقا بمعسكر الأعداء أى أذى ممكن .

تظهر الإلهة اثينة مخاطبة القائدين الإغريقين ، و تحرضهما على ريسوس ، و محذرة من خطورة قوته على جيش الأرجيين ، و تقترح عليهما قتله ، و ترك هيكتور ، الذى سيموت بيد أخرى . يرد أوديسيوس على اثينة شاكراً إن دلتهم على موضع إقامة ريسوس ، فتخبرهما عن مكانه، و مكان عربته و خيوله التى يجب أن يغتنماها بعد قتله ، فهى نادرة، و ما من مدينة لديها مثلها .

يوزع القائدان الأدوار عليهما ، فديوميديس يقتل ريسوس ، بينما يتولى اوديسيوس أمر الجياد . تحذرهما اثينة من اقتراب باريس ، فقد سمع إشاعة عن وجود جواسيس وسط جيش طروادة ، و يستعد ديوميديس لقتله ، لكن تمنعه أثينا ، إذ ليس من المقدر أن يموت على يديه ، و ستتولى هى أمره ،

إذ ستظهر له على أنها صديقته كـويريس (افروديتـي) جـاءت لتسـاعده ، و ستكذب عليه ، لأنها تكرهه . يخرج اوديسـيوس و ديوميـديس ، و تبقـى اثينة لتستقبل باريس القادم ، و الذى ينادى أخاه هيكتـور . تظهـر لـه اثينـة لتضلله ، و تخبره عن قدوم ريسـوس ، فيشـكرها لوقوفهـا مـع طـروادة ، فتطمئنه ، و تذكره بأنها حارسته الأمينة ، ينخدع بـاريس و يخـرج ، بينمـا اثينة تأمر القائدين بالهرب سريعاً ، و معهما غنيمتهما بعد أن أديا المهمة .

يدخل اوديسيوس تتبعه الجوقة هائجة ، و يتبادلان الحوار ، فـيعلن كلمـة السر ، فتتركه الجوقة ، ثم تسأله عن مكان الرجلين ، فيجيبهمـا مضـللاً ، ثـم يهرب فى الظلام ، و بعد فتـرة تكتشـف الجوقـة أن الجريمـة مـن تـدبير اوديسيوس ، فهذه طريقته و سلوكه . تتشاور الجوقة ، فكيف تواجـه هيكتـور بعد ما حدث . يدخل سائق عربة ريسـوس ، يسـأل عـن هيكتـور ، أو أى رئيس طروادى ، يعلن السائق أن ريسوس قد مـات بضـربة خادعـة . ثـم يروى كيف وقع الحادث ، و كيف طعنه الرجلان . يـدخل هيكتـور متسـائلاً عن كيفية مرور الرجلين وسط جيش طـروادة ، دون أن يلاحظهمـا أحـد ، يوجه هيكتور اللوم للجوقة فهى حارسة الجيش ، و يتوعدها بالعقاب .

يوجه سائق العربة اللوم لهيكتور ، و يتهمه بقتل سـيده ريسـوس طمعـاً فى جياده ، و يحذره من إلقاء تبعة الجريمة على أرجـوس ، إذ كيـف يعبـر جاسوس أرجى الخطوط الطروادية ، دون أن يُكتشف أمره ؟ و كيـف عرفـوا مكانه ؟ من أرشدهم إليه ؟ كيف عرفوا بقدومه ؟ لذا يصر السائق علـى اتهـام هيكتور كصاحب مصلحة . يدافع هيكتور عن نفسـه ، و يـتهم اوديسـيوس ، و يعلن تخوفه من أن جاسوسه دولون قد قتل . لا يقتنـع السـائق ، و يصـر على اتهاماته ، فيأمر هيكتور رجاله ، بحمل السائق إلى قصـره ، و الاعتنـاء به و بجرحه ، يحمل الخدم السائق و يخرجون .

تظهر الموزية (١) حاملة ريسوس ، و تلفت الجوقة النظر إليهـا . توجـه الموزية حديثها إلى الطرواديين ، معلنـة عـن نفسـها و هويتهـا ، فهـى أم ريسوس ، ثم تنشد هى أنشودة الموت ، مُعبرة عـن حزنهـا علـى ولـدها . تشاطرها الجوقة حزنها ، بينما تستمر الموزية فى ترنيمهـا الحـزين ؛ فـتلعن اوديسيوس و ديوميديس ، كما تلعن هيلينا كسبب مـن أسـباب قيـام حـرب طروادة ، ثـم تتطرق لقصتها ، و كيف حملت فيه ، و كيف ولدت ؟ و ما

---

١ - و تكتب أحياناً الموسية ، و هى واحدة من ربـات الفـن ، و هـن بنـات زيـوس و نيموسونى.

فعلته به يوم مولده ، ثم توجه حديثها لأثينة بأنها تعلم من المحرض ، و تقرر ألا تأتى لها بحكيم جديد بعد اليوم .

تتضح الحقيقة من كلام الموزية ، هكذا تكتشف الجوقة ، و تخبر هيكتور، الذى يؤكد قوله السابق بأن اوديسيوس هو الفاعل ، و يعلن أنه سيدفن حليفه فى مشهد رهيب ، و لكن الأم ترفض ، إذ ستسعى جاهدة كى تجعل ملكة الجحيم ابنة ديميتير تطلق سراح روحه ، و تعلن أنه سيدفن فى كهوف الأرض ذات العروق الفضية إلهاً يرى الضوء .

تطلب الجوقة من هيكتور الانتباه ، فالفجر قد انبلج ، فيعطى أوامره للجوقة بأن يستعد الجميع ، كل يحمل سلاحه ، و تجهز العربات ، و تشعل المشاعل استعداداً للنصر . و تتمنى الجوقة النصر لطروادة و حلفائها ، و يخرج الجميع .

أهم ما يلاحظ على هذه المسرحية :

أولاً : تاريخ عرض المسرحية :

غير محدد ، فلم يصل أحد الى تأكيد أى تاريخ سواء لكتابتها أو عرضها .

ثانياً : أصل المسرحية :

كان ريسوس واحداً من أبطال تراقيا ، و أحد حلفاء طروادة خلال الحرب الطروادية .

و تدور حول مولده قصة خرافية ، فتقول الأساطير إنه ابن رب النهر سترومون (١) ، و واحدة من الموزيات ، يقال إنها كاليوبى ربة السفر و الحماس ، و هناك من يقول أن أختها تيربى ، أو الموزية تريسيخورى .

على أية حال ، جامع ربة النهر سترومون الموزية ، عندما نزلت إلى النهر ، فحملت منه ، و وضعت ولداً هو ريسوس . خجلت الموزية من مواجهة أهلها ، فألقت بالطفل الى النهر ، فحمله سترومون ، و عهد به إلى إحدى عرائس البحر ، كى تقوم على تربينه.

---

٢ – سترومون ، نهر كبير فى غرب تراقيا .

و ما أن شب الفتى ريسوس ، و بلغ مبلغ الرجال ، حتى صار ملكاً على تراقيا .

ثالثاً : المنظر الذى تجرى فيه الأحداث :

أحد السهول المترامية الأطراف أمام طروادة ، حيث عسكرت جيوش المدينة ، فى انتظار انبلاج الفجر ، حتى تنهى طروادة المعركة، و تتمم نصرها على جيوش الإغريق .

رابعاً : أهداف الفكرة الرئيسية :

١ – الحذر سمة من سمات المحاربين ، و أن اختيار الرجال للمهام العويصة ، يجب أن يكون وفق معايير خلقية ، تعصم هؤلاء الرجال من إفشاء أسرار مهمتهم مهما كان الإغراء أو الدوافع .
٢ – الغرور داء قاتل ، إذا ما تمكن من الإنسان أهلكه .

خامساً : المناقشة و التحليل :

١ – نلاحظ أن الشاعر لم يضع لهذه المسرحية مقدمة استهلالية ، بل بدأها بدخول الجوقة مباشرة ، و هذا أمر لم تألفه المأساة الإغريقية بعد ايسخيلوس . ربما عاد الشاعر إلى هذا التقليد المهجور ، بهدف إضافة نوع من التوتر و الحيوية ، منذ اللحظة الأولى لبدء العرض .

و مع ذلك فإن هارش (١) قد ذكر أن بعض المعلقين القدامى قد قرروا أن للمسرحية ، مشهدين افتتاحيين فى قالب ايامبى ، الأول ، و هو خاص بالممثلين ، و يدور بين هيرا و اثينا ، أى مواجهة سافرة بين الآلهة . فإن كان ذلك صحيحاً فإن ذلك يذكرنا بمسرحية هيبولتيوس ، إلا أن النزاع بينهما فى هيبولتيوس هو صراع إلهات ، لذا فهو عميق الدلالة و ذو مغزى .

أما الثانى ، فهو الخاص بدخول الجوقة دون مقدمة .

على أية حال ، إن المسرحية كما هى الأن ، تعطى صورة صادقة لما يجرى فى معسكر حارب ، و يستعد للحرب مرة أخرى ، و على ذلك يمكن القول بأنها جيدة ، و أوفت بالغرض .

---

١ – Harsh , A Handbook of Classical Drama ,(Op. cit.,) P . 250 .

٢ - من المعروف أن هذه المسرحية ، معالجة درامية للكتاب العاشر من الإلياذة . و لكن أدخل الشاعر تغييران أساسيان على ما جاء في الإلياذة :

أ - إن الرواية الهومارية تدور أحداثها من وجهة نظر إغريقية ، بينما عرضها الشاعر من وجهة نظر طروادية .

ب - إن هوميروس لم يجعل كل من اوديسيوس و ديوميديس يقتلان دولون ، بينما جعلهما الشاعر يقابلان دولون ، و يقتلاه ، و يعرفان أسرار المعسكر الطروادى منه . كما أنهما فى الأصل الهومرى قد جاءا يبحثان عن وجود هيكتور و الحراس . كما أن اثينة عند هوميروس لم تظهر إلا بعد أن أنجزا مهمتهما ، و ظهور لتحذيرهما ، و أمرهما بالهرب .

و طبقاً للتعديل الذى أجراه الشاعر على هذه الجزئية ، فقد صرف القائدان النظر عن قتل هيكتور ، خاصة و أن دولون فى سبيل الإفلات من قبضة أعدائه ، أفشى أسرار طروادة ، و وصول ريسوس بإمكانياته الحربية الهائلة .

و على ذلك ، يمكن القول بأن رواية هوميروس ، مجرد إطار أخذه الشاعر لمعالجته للموضوع .

٣ - إن المشهد الذى دار بين اوديسيوس و ديوميديس و اثينة ، يشبه المشهد الافتتاحى لمسرحية اياس لسوفوكليس ، مع اختلاف فى الوظائف الدرامية للإلهة ، فعند سوفوكليس ، يُسهم المشهد فى إثارة إعجاب الجماهير بقوة و قدرة الآلهة ، أما عند يوريبيديس ، فهو لإثبات انحياز الإلهة اثينة الى اوديسيوس ، و عرض لمهارة اوديسيوس و دهائه ، فهو يسأل اثينة عن مكان ريسوس ، رغم أنه يعلمه جيداً من دولون .

بهذه الصورة ، جعل الشاعر اثينة تتدخل فى تسيير الحدث بطريق مباشر، إذ أنها وجهت كلا القائدين لما يفعلانه ، مما أثر على الحدث الدرامى الوشيك الوقيع .

٤ - هناك عديد من المشاهد التى ظهرت فيها السخرية الدرامية ، أهمها :

أ - قبل أن يرحل دولون للتجسس على معسكر الإغريق أكد فى خيلاء الواثق ، أنه سيعود معه رأس أوديسيوس ، أو ديوميديس ، و لكن عادا الاثنان برأسه هو .

ب - أعلن ريسوس فى خيلاء المتغطرس أنه سيقضى على جيوش الإغريق فى أقل من يوم ، دون مساعدة من أى قوات، و لم تمضى ساعات على تصريحه ، حتى يقتله اوديسيوس و ديوميديس .

و برغم أن تصريحات ريسوس عن قوته و قواته قد تبدو مبالغة واضحة ، إلا أن اثينة تؤكدها حينما تقول :

" ... ألا تعرفان ريسوس الذى جاء الى طروادة فى عظمة ؟ "
" إذ عاش هذا خلال هذه الليلة حتى الفجر ، فلا رمح ايـاس ، "
" و لا حربة اخيل يمكن أن يوقفه عن تدمير الأسطول "
" الأرجوسى ... الخ " . (سطور - ٦٠٤) .

ج - كان الحوار الدائر بين سائق عربة ريسوس و هيكتور حول مقتل البطل التراقى ، حواراً غير مهذب يتفق مع شخصية المتحدث و ثقافته ، كذلك اتسم فى بعض مقاطعه بالسخرية التى ترقى إلى مستوى الفكاهة .

سائق العربة : ... من من الأعداء جاء فى ظلام الليل عثر على مخدع ريسوس ، إلا إذا كان إله ما قد أرشد القتلة ؟

٥ - بالطبع محاولة خلق مؤثر الليل فى المسرح الإغريقى المكشوف محاولة وهمية خاصة و أن العروض تتم فى ضوء النهار كما نعلم ، لذا فالمشاهد يتخيل وجود الليل ، و ربما لجأ منفذ العرض إلى إشعال المشاعل نهاراً ليجعل من هذا الوهم حقيقة .

٦ - نجح الشاعر فى التمهيد لدخول ريسوس ، خاصة و أن الراعى قد أضفى على القائد أوصافاً تجعل المشاهد يتوق لرؤية الموصوف ، كذلك أكدت الجوقة قول الراعى ، و ربطت بين قدومه ، و خلاص طروادة . هذا بالإضافة إلى الإطار المادى الذى وضع الشاعر فيه هذا البطل ، سواء فى سماته البطولية ، أو فى عربته الحربية المصنوعة من الذهب و الفضة ، و خيوله البيضاء النادرة .

٧ - لجأ الشاعر إلى الايحاءات و الاشارات دون التصريح المباشر ، عندما جعل القائدان الإغريقيان ، يدخلان و معهما جلد الذئب الذى كان دولون يرتديه فى مهمته التجسسية . بالطبع ما من أحد إلا و يفهم مغزى ذلك ، لقد مات دولون .

٨ - ليس فى المسرحية شخصية تراجيدية بـالمعنى المتعـارف عليـه ، كما تقاسمت مجموعة الشخصيات المسرحية ، فمثلاً :
أ - بالرغم من أن المسرحية اسمها ريسوس ، فإن هـذه الشخصـية شاركت فى العرض بمشهد واحد فقط .
ب - اهتم الشاعر برسم شخصية هيكتور فى النصـف الأول مـن المسرحية ، ثم بهتت الشخصية فى النصف الثانى .
ج - ماذا صنع كل من اوديسيوس و ديوميـديس ، إن شخصـيتهما هنا ، لتأكيد مكر و دهاء اوديسيوس ، و هو أمـر يتكـرر مـن مسرحية لأخرى .

٩ - يرى هارش (١) أن المشهد النهائى للمسرحية ، و الـذى ظهـرت فيه الموزية و هى تحمل جسد ابنها ريسوس ، يشبه مشـهداً كتبـه ايسخلوس فى إحدى مسرحياته (٢) المفقودة ، حيث ظهـرت ربـة الفجر ايوس و هى تحمل ابنها ميمون بن ثيتوتوس الذى قتـل فـى مبارزة فردية مع اخيللوس . و يمكن القول بأن هنـاك تشـابه فـى الموضوع أيضاً ، إذ أن ميمون كان حليفاً لطـروادة ، و لمـا قتلـه اخيللوس حملته أمه ايوس على يديها و ذهبت به إلى إيثيوبيا .

سادساً : الجوقة :

١ - الجوقة هنا مجموعة من رجال الحرس فى القوات الطروادية .
٢ - يمكن القول بتعدد الجوقات :
أ - الإثنى عشر رجلاً مع ريسوس .
ب - حراس هيكتور .
٣ - تتدخل الجوقة فى الحديث بطريقـة طبيعيـة ، و لكنهـا فـى ذات الوقت تلعب دوراً ثانوياً .
٤ - إن توقيت دخول و خروج الجوقة محسـوب و مـؤثر ، إذ سـهل مهمة الشاعر فى ملئ فراغ المسرح بعد خروج المـؤدين . و هـو إن اتسم بالسرعة و التوتر ، خاصـة فـى دخولهـا قبـل دخـول ريسوس ، و قد يبدو ذلك أقرب إلى تقاليد الكوميديا القديمة .

---

١ - Ibid . P . 251
٢ - Psychostasia

أهم سمات المأساة اليوريبيدية

المأساة اليوريبيدية :

لقد قيل أن تأملات و أفكار يوريبيديس كانت تـأملات نقديـة و ضـربات حرة ضد المأساة التقليدية ، أخذت شكلاً فنياً . و مع ذلك لـم يتـدخل الشـاعر فى تعديل عدد الممثلين ، و لا فى عدد الجوقة . و على ذلك ، يمكـن القـول بأن الشاعر قد احترم بعض القواعد التقليدية التى سادت ما قبـل عصـره ، أو فى عصره ، مما يجعلنا نصنفه كشاعر محافظ ، إذ أنه قـد اسـتخدم الشـكل القديم .

كان الشاعر يميل إلى سمتين أساسيتين فى تقنية كتابته للمسرحيات :

السمة الأولى : الواقعية :

و قد اتضح هذا الميل فى عدة أمور :

١ - فى رسم الشخصيات : و قد لاحظ سوفوكليس هذا الميـل و عبـر عنه بقوله ، إننى أميل إلى تصوير الإنسان كما يجـب أن يكـون ، أما يوريبيديس فيصوره كما هو . و بـذلك ، خلـت أعمالـه مـن المثالية و الجلال و السمو ، مما يؤكد أنه أول مـن وضـع بـذور الواقعية فى المسرح الإغريقى ، الأمر الذى دعـى نقـاد عصـره لإتهامه بإفساد المأساة الإغريقية . و قد لازمـه هـذا الميـل منـذ بداياته عند كتابة مسرحيته تيلفوس عام ٤٣٨ ق.م . ثم أعاد الكـرة فى مسرحيته الكستيس .

٢ - ترتب على إضفاء الصفة الإنسانية و البشـرية علـى شخصـياته ، أن قلل لجوءه إلى النماذج البطولية ، مكتفياً بمستوى أبطالـه الـذين يشبهون أناس الحياة اليومية العادية التى تطالعنا كل يـوم . و لعـل مسرحية الكترا خير مثال على أسلوبه هذا ، فإذا ما قارناهـا بـنفس مسرحتى سوفوكليس و ايسخيلوس ، اللتان تـدوران حـول نفـس الموضوع ، سوف نلاحظ أن يوريبيديس قـد نـزل بـالكترا إلـى المستوى الدنيا ، حينما جعلها زوجة لفـلاح بسـيط ، تحيـا حيـاة المتواضعة ، و تقاسمه كوخه الحقير ، بل و جعلها تسهم فـى إدارة دفة المنزل و الحقـل ، بينمـا صـورها لنـا ايسـخيلوس كبطلـة أسطورية ، أما سوفوكليس ، فقـد جعلهـا الشخصـية المحوريـة و عنى برسم شخصيتها المترفعة ، مهملا الموضـوع الأساسـى ، لذا لم يقبل مشاهدو العصر واقعية بطلـة يوريبيـديس ، لاعتيـادهم على الشكل الأسطورى للأبطال .

إذن ، يمكن القول بأن الشاعر قد انتمى إلى التفكيــر العلمــى الــذى ساد عصره ، بدليل بعده عن الأساطير التقليدية و القــوى العينيــة ، و حرصه على النزول إلى أرض الواقع .

٣ - لكل ما سبق ، لجأ الشاعر إلى حكايته مــأخوذة مــن أرض الواقــع اليومى .

٤ - إن المشاكل التى كانت تعتبر فيما مضى فظة خشنة و غيــر لائقــة و الشخصيات التى كانت مثالاً للإنحــراف و الفســاد ، أصــبحت عنده لائقة ، بل ومصدراً أصيلا للمادة المسرحية .

مثال : فيدرا ، الزوجة الخائنة ، التى كانت الســبب غيــر المباشــر لموت هيبوليتوس ، هى بطلة من أبطاله .

٥ - اتجاهه الإنسانى هذا جعله يرفض اللجوء إلى تجاهل حل المشــاكل الإنسانية ، بل دفعه إلى تحليل و دراســة هــذه الشخصــية ، و رد الاعتبار لها و دفع المشاهد للتعــاطف معهــا و مشــاركتها آلامهــا وجدانياً .

٦ - اهــتم يوريبيــديس بعــاطفتين و عالجهمــا كثيــراً ، همــا الحــب و الجنون . و لعل مسرحتى فايدرا و اورستيس خير مثال لذلك .

٧ - أيضاً لجأ الشاعر كمؤلف مسرحى للوجدانية الرقيقــة و العاطفيــة ، بدليل توحد كل من اوريستيس و افيجينيا فى مسرحية افيجينيــا فــى توريس ، توحداً وجدانياً . أيضاً هناك مثــال آخــر ، يتمثــل فــى مناشدة افيجينيا لأجاممنون فى مسرحية افيجينيا فى اولــيس عنــدما استغاثت به ، لقد أسهم ذلك فى مشاركة المشاهد لافيجينيــا وجــدانياً بسبب اثارة الشفقة و الرثــاء لهــا . أمــا مشــهدها و هــى تأخــذ اورستيس الصغير بين أحضانها و تسأله كى يلتمس لهــا الرحمــة و يقف إلى جوارها . هذا الاستخدام للأطفال بهدف الحصول علــى المشاركة الوجدانية ، نجده أيضا فى مسرحية اياس لسوفوكليس .

٨ - اتســمت مســرحياته الأخيــرة باســتغلال المشــاركة الوجدانيــة المليودرامية لبناء شخصياته .

٩ - لم تكن الواقعية اليوريبيدية قاصرة على رســم الشخصــيات ، بــل امتد إلى المظهر الشكلى المتمثل فــى ملابــس الشخصــية و كــل تفاصيل التقنية الدرامية . و كان ذلــك اقتناعــا منــه أن الواقعيــة الشكلية الخارجية ، تزيد من الواقعية الداخلية .

١٠ - دفعته واقعيته إلى مراعاة دقة التفاصيل ، و امتدت هذه الدقة أيضاً إلى البواعث التى تحرك أبطاله أو حتى فى حركتهم . لذا نجده يمزج الجد بالهزل فى بعض مسرحياته ، و مع ذلك ، جاءت صورة حقيقية للإنسان فى أصدق لحظاته و أعمق مشاعره.

١١ - دأب على إدارة الحوار بين اثنين من شخصياته ، كما فى مسرحية الضارعات و الحوار يدور بين تيزيه و الجوقة و يدخل المنادى سطور ٣٨١ و ما بعدها ، و افيجينيا فى أوليس (سطور ٣٠٣) ، الحوار بين مينيلاؤس و التابع .

١٢ - كثيراً ما دخل الرسول ، أثناء إدارة الحوار بين اثنين و يقاطعهما دون انتظار لإنتهاء الحوار الدائر ، كما حدث فى افيجينيا فى أوليس (سطور ٤١٤ و ما بعدها) و الحوار بين اجاممنون و مينيلاؤس . إن ما فعله يوريبيديس مرة ، صار قاعدة تحتذى . و فى بعض الأحيان تكون البواعث واضحة و تخدم المشهد أكثر ، بما تثيره من انتباه المشاهدين لشئ غير عادى ، أو نبأ هام وصل لتوه ، أو ينقل الرسول ما جرى خارج المنصة من أحداث ، حتمت التقاليد الإغريقية عدم حدوثها على المسرح كالقتل مثلاً . و يرى د . شعراوى أن رواية الرسول ، " رواية بارعة ، مليئة بأنواع البلاغة و البيان ، زاخرة بشتى " " الأفكار الفلسفية و السياسية ، مثيرة للعواطف و الأحاسيس (١) " و يضرب الرأى مثلا بحوار الرسول فى مسرحية ايون ، و عابدات باخوس .

و يلاحظ أن صياغة خطاب الرسول عند يوريبيديس ليجذب العامة و المثقفين على حد سواء (٢) ، إذ تُضفى الخطاب جلالا على جلال الموضوع و رونقاً على رونق الفكرة ، أنه يُحمل الخطاب بأفكار عامة تقليدية و أخرى خاصة تقدمية ، كل ذلك بهدف إثارة شوق المشاهد و اهتمامه .

---

١ - عبد المعطى شعراوى ، يوريبيديس - ٥ ، عابدات باخوس ، سلسلة المسرح العالمى ، وزارة الإعلام الكويتية ، العدد رقم ١٨٠ ، سبتمبر ١٩٨٤ ، ص ٢٨ - ٣٠ من المقدمة .

٢ - المرجع السابق ، ص ٣٠ .

١٣ - يمكن أن نلحظ بين ثنايا بعض المسرحيات بذور الطبيعية التى تكتنف أسلوب و تقنية الشاعر ، و برغم أنه يجعل كل الأشياء طبيعية إلا أنها لا زالت تحتفظ برفعتها و تهذيبها إذ يشحذ عبقريته ليجعل الحدث التراجيدى فى أوجه .

١٤ - بالنسبة للحوار ، فهو إذا ما قورن بكل من ايسخيلوس و سوفوكليس ، يبدو أنه عادى و غير شعرى .

١٥ - إذن كان الأسلوب العامى للشاعر ، منسجماً مع ما أتى به من أسلوب واقعى . و برغم ذلك عندما تستدعى الحاجة لأن يقدم غنائيات لموضوع مأساوى ، كما هو الحال فى الاستاسيمون الثانى للطرواديات ، أو هرقل ، فقد كان الشعر رفيعاً .

١٦ - كانت وضاحة و بلاغة يوريبيديس ، أثر من أثار العصر الذى عاشه ، و ما كانت تحيط به من أحداث و أفكار وقتها . لذا مالت معظم شخصياته إلى الفلسفة ككل مواطنى أثينا .

السمة الثانية : الشكلية Formalism

إن التمسك الشديد بالأشكال الخارجية ، إحدى سمات فن يوريبيديس، و يبدو ذلك واضحاً فى مقدماته الاستهلالية (البرولوجات) إذ كانت هذه المقدمة الاستهلالية من اختصاص واحد من ثلاث شخصيات :

الشخصية الأولى : قد يكون مؤدى المقدمة واحداً من الألهة ، مثل هرميس فى مسرحية ايون (سطور ٥ – ٨٠) ، بوسيدون فى الطرواديات ، ديونيسوس فى عابدات باخوس ، و ابوللون فى مسرحية الكستيس و الإله افروديتى فى مسرحية هيبوليتوس ، و فى مسرحية هيكابى يلقى البولوج شبح بوليدوروس

الشخصية الثانية : إحدى الشخصيات الهامة فى المسرحية كأندروماخى فى المسرحية التى تحمل ذات الاسم . و هيلينا فى المسرحية المسماة هيلينا ، و يولاؤس فى مسرحية أطفال هرقل ، و أفيجينيا فى مسرحية أفيجينيا فى تاوريس ، و الكترا فى مسرحية اوريستيس .

الشخصية الثالثة : إحدى الشخصيات الثانوية فى المسرحية ، كالمربية فى مسرحية ميديا . و الفلاح زوج الكترا فى المسرحية التى تحمل اسمها ، و إيثرا فى الضارعات .

و لكن ليس معنى ما سبق ، أن الشاعر غير قادر على عكس ذلك ، و الدليل مقدمة مسرحية ميديا ، التى صاغها بدرامية شديدة و مهارة . و بالمثل ، تعتبر مقدمة الباخيات أكثر تأثيراً و أثراً . إذن قد يتساءل البعض ، إن كان الشاعر قادراً على هذه الصياغة الدرامية العالية فلماذا يلجأ إلى الشكلية ؟ إن الإجابة على هذا التساؤل أبسط مما يتصور البعض ، بل و تدخل فى نطاق تجديداته فى الأسلوب ، إذ يقصد تحقيق نوع من البساطة فى العرض ، و المباشرة لتقديم خلفية مفهومة و واضحة .

و قد يلجأ الشاعر إلى تعويض شكلية المقدمة الاستهلالية أحياناً ، بوضع بعض التنويع و الحرية فى دخول الجوقة .

٢ - إن أهمية المقدمة الاستهلالية تكمن فى أنها وسيلة الشاعر لشرح ما يريد شرحه ، أو تزويد المشاهدين بالمعلومات عن شخصيات سيراها ، و يوضح ما يربط هذه الشخصيات من علاقات ، أو يفسر بعض الأحداث ، أو المعلومات الأساسية التى قد تغيب عن فطنة الجمهور .

إن مظاهر الشكلية تتضح عند الشاعر فى العديد من المناسبات :

١ - استخدامه لأسلوب الحوار بين أثنين جملة جملة أى استيكوماثيا stichomythia ، و هو مثال على جرأته فى تبنى طريقة ايسخيلوس و المبالغة فى استخدامها فى مسرحياته الواقعية الأخيرة .

إن مثل هذا الحوار يتطلب قدراً مناسباً من الصنعة و التكلف لا يمكن تجنبه .

٢ – كان الشاعر يراعى الدقة فى توازن المنلوجات الطويلة ، و قد يلاحظ هذه الشكلية من يقرأ سطور المسرحية و لا يلاحظها ، أو يحاول عد السطور . و من أمثلة مسرحية ميديا ، إذ خصص الشاعر لكل منها حوالى أربعة و خمسين سطراً ، أيضا فى مسرحية هيكوبا كان على كل من هيكوبا و بوليموستور أن يلقيا خمسين سطراً .

٣ – استخدام الشاعر لوسيلة الإله من الآلة أو الديو أكس ماكينا ، و أصبح حوار هذه الوسيلة جزء لا يتجزأ من المسرحية . هذه الحيلة التعسفية لإنهاء بعض مسرحياته ، كانت محببة إلى نفسه . تتمثل النهاية المصطنعة في نزول أحد الآلهة أو الشخصيات المقدسة من السماء ، ليخطف البطل ، أو يضع حلاً للموقف المتأزم غير القابل للحل .

لقد ثار خلاف حول هذه الحيلة ، و تعددت الآراء حول لجوء الشاعر إليها ، فمن يقول إنها حيلة منقذة للشاعر ذاته ، إذ تحل له عقدة من أحداث و عجز عن حله أو وضع نهاية منطقية له . بينما يرى عشاق يوريبيديس أن هذه الحيلة ليست دليلاً على عجز الشاعر عن حل ما عقد ، و اتخذوا من مسرحية هيبوليتوس نموذجاً يؤيد رأيهم ، فقد كان في استطاعة الشاعر جعل المربية العجوز تعترف بحقيقة الأمر و بذلك لم تكن هناك حاجة لظهور ارتميس لتعلن براءة هيبوليتوس .

و هناك من يرى في هذه الحيلة ، رغبة الشاعر في تفنيد الأسطورة الإغريقية ، و مهاجمة المعتقدات الراسخة بطريق غير مباشر ، بل إن هذه الحيلة التعسفية تجعل الإله المُخلص مسئولاً عن هذه النهاية ، التي قد تكون غير مرضية للمشاهدين ، مثل مساعدة ميديا في الهرب من العقاب الذى ينتظرها على ما اقترفت من جرائم و آثام .

و يرى د . شعراوى (١) رأياً مخالفاً ، إذ أنه يؤكد أن يوريبيديس لديه الجرأة على مهاجمة المعتقدات و الأساطير مباشرة ، و دون أى مواربة و يرى فى النهاية التعسفية نوع من التعقيب :

" أذ أن المؤلف عن طريق ظهور الشخصية المقدسة ، "
" كان يُعقب على الأحداث التى مرت أمام المشاهد ، "
" و يكشف عن مستقبل الشخصيات و مصيرها . و بهذه "
" الطريقة استطاع الشاعر أن ينهى مسرحيته نهاية "

---

١ – المرجع السابق ، ص ٣٠ – ٣١ .

" أسطورية ، كما بدأها ، و بالتالى تتشابه نغمــة البدايــة "
" و أسلوبها مع نغمة النهاية و أســلوبها . و لعــل أبــرز "
" مثال هو مسرحية عابدات باخوس ، حيث تبدأ بظهــور"
" ديونيسوس و تنتهى أيضاً بظهوره . "

أما هارش فيرى أن هذه الحيلة ، قد تكــون لــربط أســطورة بأسطورة أخرى ، بهدف تطوير الإثنين تطــويراً كــاملاً (١) . كما أن الشاعر دائماً ما يضع فــى اعتبــاره ، الإشــارة إلــى موضوعات مسرحيات أخــرى كتبهــا ، أو ينــوى كتابتهــا . و خير مثال علــى ذلــك ، مــا ورد فــى مســرحية الكتــرا (السطور١٢٨٢–١٢٨٣) ، عندما أشــار الديوســكورى إلــى قصة هيلينى و إرسالها إلى طروادة .

٤ – قلل الشاعر من أهمية دور الجوقة فــى إدارة الصــراع ممــا جعل دورها يتراجع و يصبح مجرد فاصل ترفيهــى مُســلى ، و مع ذلك فهو يختلف عــن ســوفوكليس ، الــذى جعــل دور جوقة مسرحية فيلوكتيتس ثانوياً . و قد وضــحت بدايــة هــذا الميل عند الشاعر فى مسرحية ميديا ، حيــث تــرى الجوقــة – فى أغانيها الأولى فى المسرحية – الحــدث مــن منظــور انعزالى انفصالى ، و لكن عند النهايــة ، فقــد عبــرت عــن التوتر و القلق الذى فرضته اللحظة الدرامية .

و على سبيل المثال ، عنــدما ظهــرت الفواصــل الخالصــة الأولى مرة أخرى ، فقد كان استخدامها هذا فى أكثــر منــاطق الذروة إثارة و مليودراميــة ، مثــل افيجينيــا فــى تــوريس و هيلينا ، و قد قصد الشاعر ذلك حتى لا يفسد هذه اللحظــات الدرامية بسبب كلمات و نغمات هذه الفواصل .

٥ – إن تطوير المراثى الغنائية أو الألحــان الثنائيــة مــن خــلال الممثلين ، كان بارعاً ، إذ قصد الشاعر زيادة أهميــة الممثلــين بجعلهم يحتلون مناط الإهتمام دون أى مقاطعة أو تــداخلات . إن خير مثال على ذلك يمكن أن نلحظه فى مســرحية افيجينيــا فى أوليس .

---

١ - Harsh , A Handbook of Classical Drama , (Op. Cit .,) P.162

٦ – كان البناء الدرامى عند الشاعر أقل من البناء الدرامى عند سوفوكليس ، بالرغم من جرأة يوريبيديس فى عمل بعض التغييرات عند تناوله لبعض الأساطير و الخرافات .

و مع ذلك يمكن أن نقول إن الشاعر قد اهتم ببناء حبكة مسرحياته ، إذ جعلها عبارة عن أربعة أغانى كورالية تقسم المسرحية إلى خمسة أقسام ، مما يجعلنا نقرر أنه استبق نظام تقسيم المسرحية إلى خمسة فصول الذى شهده المسرح فيما بعد .

٧ – أتهم يوريبيديس فى بناءه للحبكة بأن الحوادث المختلفة لا تتبع علاقة السببية و لا النتائج ، و أمثلة ذلك ما اتبعه الشاعر فى مسرحيتى اندروماخى و الطرواديات . و تبدو المسرحيات ضعيفة إذا ما طبقنا عليها القواعد القياسية للوحدات .

٨ – إن الشكل المسرحى تقرره قضية و مادة الموضوع ، و هدف المؤلف من طرح هذا الموضوع ، خاصة و أن الشكل غير العادى الذى لجأ إليه الشاعر ، يجب أن نضعه فى الاعتبار عند طرح المسألة .

٩ – كان الشاعر أكثر المؤلفين الذين هاجموا الإسبرطيين و وحى دلفى ، و قد ظهر ذلك مثلا فى مسرحية اندروماخى. إذن كان الشاعر ضد أى إنسان يعادى أثينا ، و أنه قد اختلف عن زميليه ايسخيلوس و سوفوكليس بالنسبة لاحترام الآلهة ، إذ نجد يوريبيديس يهاجم هذه الآلهة و لا يحترمها ، إذ جع أبطاله و شخصياته يوجهون الكثير من اللوم و السباب للآلهة ، بل و يتهمونها بأفظع الإتهامات ، و قد ظهر ذلك فى العديد من المسرحيات :

أ – فى مسرحية ايون يسب الشاعر ابوللون بسبب اغتصابه لإمرأة ، و عندما حان موعد وضعها تخلى عنها و تركها هى و طفلها ، ثم عاد و أرسل فى طلب الطفل ليعمل فى معبده دون أن يعرف أن ابوللون هو أبوه ، و دون أن يعرف أمه أيضاً .

ب – جعل امفيترون يلوم زيوس بسبب اغتصابه لزوجته و انجابه لهرقل .

ج – جعل ايفيجينيا تتهم الآلهة بالأنانية إذ تعاقب من يخطئ بينما تعطى نفسها الحق فى تحريض الأباء على ذبح بناتهن و تقديمهن قرباناً لهم .

مثال : السطر ٣٨٠ و ما بعده من مسرحية ايفيجينيا فى توريس :

مينيلاؤس : ... ثم عندما طلب إليك كالخاس أن تقدم ابنتك قرباناً لأرتميس ، منبئك أن الدانائيين عندئذ سيبحرون .

و قد تعددت الشتائم و السباب و الاتهامات للآلهة فى العديد من مسرحيات يوريبيديس مما دفع أهل زمانه إلى اتهامه بالإلحاد .

١٠ – حرص الشاعر على مخاطبة الشباب المثقف ، و هذا بالطبع بسبب مخالطته للسوفسطائيين ، و تأثره بهم .

١١ – برع الشاعر فى تحليل شخصياته و بخاصة المرأة ، إذ اهتم بما ينتابها من عاطفتى الحب و الحقد ، و حرص على تفسير أفعالها و ردود أفعالها ، كما اظهر ما فيهن من نقاط ضعف و قوة . و مع ذلك هناك من يتهمه بعدواته للمرأة ، و قد ظهرت هذه التهمة بسبب ما أصاب حياته الشخصية و الزوجية من فشل بسبب الخيانة ، و استشهد أصحاب هذا الاتهام بعدة أدلة مستقاة من مسرحياته :

أ – إبراز الجانب السئ فى المرأة ، سواء أكان هذا الجانب خيانة زوجية و حب محرم (كما فى هيبوليتوس) ، أو انتقام و ثأر من الزوج الذى جرح كرامتها ، و تناسى تضحيتها و إخلاصها (كما فى ميديا) ، أو ذلك الذى تسبب فى حرمان أم من ابنها (كما فى هيكابى) ، أو بسبب الغيرة المقيتة ، التى تدفع صاحبتها إلى التخلص من غريمتها (كما فى اندروماخى) ، إلى أخر تلك الصور التى تظهر بوضوح فى معظم مسرحياته .

ب – هناك رأى آخر يتعارض تماماً مع الرأى الأول ، و يدعى أصحابه أن يوريبيديس قد اخذ جانب المرأة و دافع عنها ، بل و أكدوا تعلقه بها كأنثى ، و أنه شغف بمصاحبتها ، و كانت حجتهم فى ذلك :

١ – سمى عدداً من مسرحياته بأسماء هؤلاء البطلات ، مثل ميديا ، هيكابى ، الكستيس ، الكترا ، اندروماخى ، افيجينيا فى اوليس ، و فى توريس ، و هيلينا .

٢ – تحليلاته الرائعة لشخصية المرأة ، و إيضاح ظروفها النفسية فى حالات اجتماعية عديدة ، و إبراز مشاعرها و أحاسيسها بدقة و براعة ، بدليل ما أورده على لسان الجوقة صورة لما تعانيه المرأة حينما يأتيها المخاض ، كما أنه أخذ صف ميديا ضد زوجها ياسون .

و هناك رأى ثالث يرفض كلا الرأيين السابقين ، و يرى أن الكاتب الواقعى ، يصور شخصياته كما هى ، لا كما ينبغى أن تكون ، و أن تناوله للمرأة بالتحليل و الدراسة ، إنما جاء من منطلق يتفق مع أسلوبه الواقعى ، الباحث عن الصورة الصادقة .

١٢ – يمكن أن يلمح الباحث فى مسرحياته عن نزعة عقلية تشاؤمية تجعلنا نعتقد بأن الكاتب الأيرلندى برنارد شو ، قد تأثر بهذا الشاعر ، أيضا أثر الشاعر فى كل من ميلتون و راسين و جوته .

١٣ – يمكن تقسيم مسرحياته إلى :

أ – مآسى ذات طابع معاصر ، و قد هوجمت هذه المآسى و نقدها الدارسون ، بسبب بناء حبكتها ، فمثلا :

تقوم مسرحيتى هيكوبى و جنون هرقل على قصتين ، الجزء الأول يحكى القصة من وجهة نظر ، و فى الجزء الثانى يروى لنا المؤلف القصة من وجهة نظر أخرى ، و يترك للمشاهدين الحكم النهائى .

على أية حال ، تتميز مأسيه بالاسترسال مع العاطفة ، و حمل حوارها فى ثناياه حكماً و مواعظاً ، كما تحتوى عناصر مثيرة للشفقة و الرثاء ، و اللغة قريبة من لغة الحياة اليومية .

ب – مسرحيات متنوعة ، يمكن إدراجها تحت عنوان التراجيكوميدى ، أو الكوميديا السوداء ، أو دراما رومانسية ، بل و حتى مليودراما .

١٤ – يرى ول ديورانت ان يوريبيديس هو فولتير عصر الاستنارة اليونانى ، إذ أنه يعبد العقل ، و يلمح إلى ذلك فى ثنايا مسرحياته (١) .

١٥ – عنى يوريبيديس بالوضوح ، سواء فى ترتيب الموضوع تحت عناوين شكلية ، أو فى ترابط أجزاء الفقرة ، ليصل إلى تعبير دقيق و بسيط .

---

١ – ديورانت ، قصة الحضارة ، العدد ٧ ، (مرجع سبق ذكره) ص ٢٨٣ .

الجوقة عند يوريبيديس :

١ - هناك رأى يرى أنه يُقلل من أهمية الجوقة بسبب اعتماده على مجموعة الممثلين ، لذا أصبحت أناشيد الجوقة عبارة عن فواصل غنائية لا علاقة لها بالحدث المعروض ، بل هى فى حقيقتها مجرد نوع من التفريج عن المشاهدين ، بسبب ما تُشيعه المسرحية من توتر مفجع .

هذا القول مردود عليه ، فأهمية الجوقة عنده لها أهميتها مثلما لدى غيره من الكتاب ، و الدليل أنها فى مسرحيته هيبوليتوس قد عرفت سر هيبوليتوس ، و مع ذلك لم تفصح عنه ، و لو أنها أفصحت لتغير بناء المسرحية برمتها ، و ما لقى هيبوليتوس مصرعه . أيضاً اسند إليها يوريبيديس مهام جسام فى مسرحيتى ايون و عابدات باخوس .

٢ - قصد يوريبيديس وضع أفكاره الفلسفية و السياسية و الاجتماعية على لسان الجوقة ، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر ، و هذا دليل آخر على أنه لم يقلل من أهمية الجوقة فى مسرحياته .

٣ - برغم أن أناشيد الجوقة تمثل عشرة فى المائة من المسرحية ، إلا أنها أناشيد مؤثرة ، و كان الدافع لهذا التقلص ، أن المأساة وقتها قد بدت أكثر تعقيداً بعد أن حفلت بالأحداث المحبوكة ، و الأفعال و ردودها . لذا كان من غير المعقول أن تجرى مثل هذه الأمور فى حضور الجوقة، أو بعلمها ، لذا كان لا بد من التقليل من دورها ، دون أن تفقد أهميتها .

على أية حال أثار يوريبديس فى عصره الكثير من الجدل ، فهناك من راق له الاتجاه الواقعى ، لأنه تناول الحياة العائلية فى صورة تتناسب مع مفاهيم القرن الخامس ، و قد هز مواطنيه ، و جعلهم يفكرون فى أحوالهم . و قد أثبت الزمن صحة رأى هؤلاء ، إذ ذاع صيت يوريبيديس بعد موته ، و راجت مسرحياته و لقيت اعجاباً فى العصر الهللينى . و هناك من رفضه و اعتبره بدعة تستحق الهجوم ، لان مأساته فى رأيهم قد نزلت إلى دنيا الواقع ، و استخدمت لغة قريبة من اللغة السوقية . و ربما كان هذا الهجوم سبباً فى أنه لم يفز إلا بخمسة جوائز فى حياته ، بينما فاز سوفوكليس بثمانية عشر .

المراجع العربية

١ - يوربيبيديس ، الكترا ، اورستيس ، ترجمة اسماعيل البنهاوى ، العدد ٥٦ من سلسلة المسرح العالمى ، وزارة الإعلام ، الكويت ، مايو ١٩٧٤ .
٢ - يوربيبيديس ، افيجينيا فى أوليس ، افيجينيا فى توريس ، ترجمة ، اسماعيل البنهاوى ، العدد ١٦٦ من سلسلة المسرح العالمى ، وزارة الإعلام ، الكويت ، يوليو ١٩٨٣ .
٣ - موريس كروازيه ، الحضارة الهلينية ، ترجمة ، محمد على كمال الدين، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٩.
٤ - جلبرت مورى ، يوربيبيديس و عصره ، ترجمة ، عبد المعطى شعراوى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، بدون تاريخ .
٥ - عبد الله حسن المسلمى ، الأدب اليونانى ، مكتبة سعيد رأفت ، عام ١٩٨٥ - ١٩٨٦ .
٦ - كمال ممدوح حمدى ، ميديا - يوربيبيديس ، مطبوعات الجديد ، العدد ٢٧ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مايو ١٩٧٤ .
٧ - لويس عوض ، نصوص النقد الأدبى ، اليونان ، ج ١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٩ .
٨ - ايليا حاوى ، يوربيبيديس ، المسرح العالمى ، سلسلة أعلام المسرح الغربى ، العدد ٣ دار الكتاب اللبنانى ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٨٠ .
٩ - محمد غلاب ، مصابيح المسرح الإغريقى ، سلسلة مذاهب و شخصيات ، العدد ٧٤ ، الدار القومية للطباعة و النشر . بدون تاريخ.
١٠ - عبد المعطى شعراوى ، يوربيبيديس ٧ ، هيبوليتوس ، العدد ١٨٢ من سلسلة المسرح العالمى ، وزارة الإعلام الكويتية ، نوفمبر ١٩٨٤ .
١١ - احمد عتمان ، الشعر الإغريقى ، تراثاً إنسانياً و عالمياً ، العدد ٧٧ من سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، مايو ١٩٨٤ .
١٢ - على حافظ ، المستجيرات ، سلسلة مسرحيات عالمية ، العدد ٢٨ ، القاهرة ، ١٩٥١ .

١٣ - أمين سلامة ، معجم الإعلام فـي الأسـاطير اليونانيـة و الرومانيـة ، مؤسسة العروبة للطباعة و النشرو الإعلان ، الطبعة الثانيـة ، القـاهرة ، ١٩٨٨ .
١٤ - اسماعيل البنهاوى ، الطرواديات ، اندروماخى ليوريبيديس ٤ ، سلسـلة من المسرح العالمى ، وزارة الإعلام الكويتية ، العـدد ١٦٧ ، أغسـطس ١٩٨٣ .
١٥ - هوميروس ، الإلياذة .
١٦ - على حافظ ، المستجيرات لأشـيل ، و يوريبيـديس ، أبنـاء هرقـل ، سلسلة مسرحيات عالمية ، العدد ٢٨ ، المؤسسة المصرية العامة للتـأليف و الترجمة و النشر ، أغسطس ١٩٦٦ .
١٧ - عبد المعطى شـعراوى ، يوريبيـديس ٦ ، ايـون ، سلسـلة المسـرح العالمى ، وزارة الإعلام الكويتية ، العدد ١٨١ ، أكتوبر ١٩٨٤ .
١٨ - أمين سلامة ، الموسوعة الكلاسيكية للمسرح اليونـانى و الرومـانى ، مسرحيات يوريبيديس ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٨٤ .
١٩ - اسماعيل البنهاوى ، الفينيقيات ، المستجيرات ، سلسـلة مـن المسـرح العالمى العـدد ٨٩ ، مطبوعـات وزارة الإعـلام الكويتيـة ، فبرايـر ، ١٩٧٧ .
٢٠ - أرسطو ، فن الشعر ، ترجمـة و شـرح و تعليـق د . عبـد الـرحمن بدوى، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٣ .
٢١ - عبد المعطى شعراوى ، يوريبيـديس ٥ ، عابـدات بـاخوس ، سلسـلة المسرح العـالمى ، وزارة الإعـلام الكويتيـة ، العـدد ١٨٠ ، سـبتمبر ١٩٨٤ .
٢٢ – ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، الجـزء الثـانى من المجلد الثانى ، حياة اليونان ، العـدد ٧ ، لجنـة التـأليف و الترجمـة و النشر ، الإدارة الثقافية ، جامعة الـدول العربيـة ، الطبعـة الثالثـة ، ١٩٦٨ .

المراجع الأجنبية

1 – Whitney j . Oates , Seven Famous Greek Plays , The Modern Library , New York , 1938 .

2 – Albin Lesky , Greek Tragedy , Ernest Benn Limited , London , Third Edition , 1978 .

3 – Philip Whaley Harsh , A Handbook of Classical Mythology , New American Library , New York , 1970 .

4 – Phyllis Hartnoii , The Oxford Companion To The Theatre , Oxford University Press , New York , Fourth Edition , 1983.

5 – John Gassner And Edward Quinn , The Reader's Encyclopedia of World Drama , Thomas Y. Crowell Company , New York , 1969.

6 – Martin Banhan , The Cambridge To Theater , Cambridge Guide To Theatre , Cambridge University Press , 1992 .

7 – Bernard Sobei , The Theatre Handbook And Digest Of Plays, Crown Publishers , New York , 1945.

فهرس الموضوعات


I.S.B.N
978-977-368-290-4
9789773682904


مؤسسة حورس الدولية
طباعة . نشر . توزيع
١٤٤ ش طيبة - سبورتنج - الإسكندرية ت: ٠٠٢٠٣٥٩٢٠٥٩٨ ف: ٠٠٢٠٣٥٩٢٢١٧١ : ٠١٢٢٢٩٣٦٢٨
Email : horus.alex2007@yahoo.com
horus.alex@hotmail.com
حورس